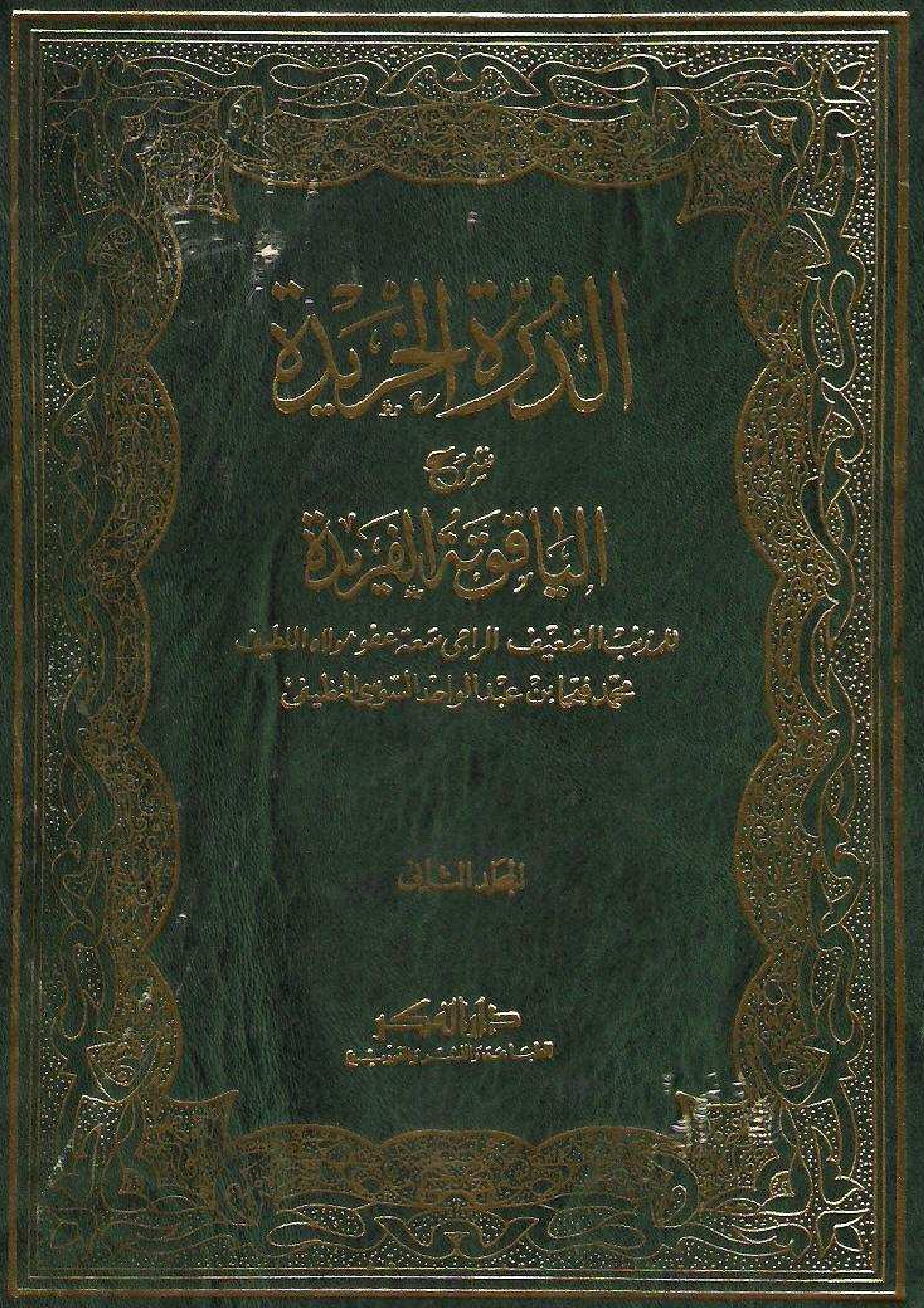

الدرة الخريدة
شرح
الياقوتة الفريدة
للمذنب الضعيف الراجي رحمة عفو مولاه اللطيف
محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي
المجلد الثاني
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الدُّرَّةُ الخَرِيدَة

شرح

اليَاقُوتَةُ الفَرِيدَة

للمذنب الضعيف الراجي سعة عفو مولاه اللطيف
محمّد فتحا بن عبد الواحد السّوسي النظيفي
عامله الله وأهل الإيمان بالعفو والغفران
بجاه سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ما اختلف الملوان آمين

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

[فصل فى التحذير من الرياسة]

قال رحمه الله :

(وَلَا تَقْرَبَنْ أَخِي الرِّيَاسَةَ إِنَّهَا تَطُوفُ بِهَا الشُّرُورُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
فَلَا تَرْكَنَنْ لِكَعْبَةِ الشَّرِّ وَالرَّدَى وَفِرَّ كَمَا يَفِرُّ مِنْ أَسَدٍ بِيشَةِ)

(ولا تقربن) بفتح الراء وضمها من قرب كـكرم وعلم (أخى) أى يا أخى فى الله (الرياسة) فإنها أصل كل فتنة وبلية ونقمة ورزية ، وفى المرشد المعين :

واعلم بأن أصل ذى الآفات حب الرياسة وطرح الآت

وعن بعضهم : الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد فى المال . وفى [خل] ثم إن الزهد فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ما تقدم لأن النفس والمال ينفقان فى الرياسة ، والرياسة لاتنفق فيهما فالزهد فيها متعين ، ولا يظن ظان أن الرياسة إنما هى فى رتب الدنيا ليس إلا ، بل هى عامة فى رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شيئا فهو عند الله لاشىء ، ومن كان عند نفسه لا شىء فهو عند ربه شىء ، ولذا قال بعضهم رحمه الله : من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه . ثم قال : وأعنى بالزهد فى مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لالعوض ، قال الله تعالى - يريدون وجهه - وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلا لشىء لاستحقاره نفسه وترك النظر إليها وصغارتها عنده لعظيم ما هى فيه من الخطر ، انظره . وفى [جص] « إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى : أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل » وفيه : « من ولى شيئا من أمور المسلمين لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم » وفيه : « مامن أحد يؤمّر على عشرة فصاعدا إلا جاء يوم القيامة فى الأصفاد والأغلال » وفى رواية : « حتى يفكه عدله أو يوبقه جوره » وفيه : « ما من أحد يكون على شىء من أمور هذه الأمة فلا يعدل فيهم إلا كبه الله تعالى فى النار » وفيه : « مامن إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » وفيه : « لكل شىء آفة وآفة هذا الدين ولاة السوء » وفيه : « لست أخاف على أمتى غوغاء تقتلهم ولا عدوا

يجتاحهم ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم» وفيه: «مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» وفيه: «أيما وال ولى أمر أمتي بعدى أقيم على الصراط ونظرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا نجا بعدله وإن كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزيل بين مفاصله حتى يكون بين كل عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ينخرق به الصراط فأول ما يتقى به النار أنفه وحر [1] وجهه» وفيه: «تكون أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون فى النار يتبع بعضهم بعضا» وفيه: «إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» اللهم الطف بنا وبولاة أمورنا واغفر لنا ولهم وارحمنا وإياهم وشفع فينا وفيهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (أنها) بفتح الهمزة وكسرها لأنها فى قوة التعليل (تطوف بها الشرور) والبلايا والمحن والفتن والرزايا (من كل وجهة) بكسر الواو الناحية وإذا علمت ذلك (فلا تركن) بفتح الكاف وضمها من ركن إليه كنصر وعلم ومنع: مال إليه: أى فلا تمل أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (لكعبة) بفتح الكاف مايكعب به والغرفة وكل بيت مربع والبيت الحرام صانها الله من أيدى اللئام (الشر) نقيض الخير (والردى) الهلاك فإنها منبع المحن والفتن ومركز البلايا والنقم ومستقر الشرور والهلاك الدنيوى والأخروى. وفى [جه]: واتركوا التعرض للرياسة وأسبابها فإنها كعبة تطوف بها جميع الشرور وهى مقر الهلاك فى الدنيا والآخرة اه:

وقد مر عنه رضى الله عنه وعنابه آمين التحذير من المجالس ومآخذ العلم التى تؤدى إلى الدخول فى مداخل العامة أو الأحوال المخزنية، فإن من تبع ذلك لا يفلح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، انظره. فكيف بمن دخلها ورتع فيها رتع الأنعام على مر الليالى والأيام زاعما أن ذلك من سوابغ النعم بل إن ذلك من أتم الاستدراج وأخبث النقم - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - اللهم إنا نسألك العفو والعافية لنا ولإخواننا المؤمنين ولولاة أمور المسلمين آمين يا أرحم الراحمين (وفر) أى اهرب من الرياسة ومن قرب ساحتها (كما يفر) أى فرارا مثل الفرار (من أسد) بضم فسكون جمع أسد بفتحتين ويجمع أيضا على أسود وآساد وأسدان كرغفان: ومأسدة (بيشة) بكسر موحدة وسكون تحتية وقد تهمز: اسم واد بطريق اليمامة كثير الأسود وصرف للقافية. وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل عبادة بن الصامت رضى الله عنه على الزكاة فقال له: «اتق الله يا أبا الوليد لا تأتى يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة لها ثؤاج» فقال عبادة رضى الله عنه: إن ذلك كذلك. قال إى والذى نفسى بيده إلا من رحم الله. قال: والذى بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبداً» وعنه صلى الله عليه وسلم: «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به» وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: أعوذ بالله من إمارة الصبيان. قيل وما إمارة الصبيان؟ قال إن أطعتموهم هلكتم وإن عصيتموهم أهلكوكم». وعنه صلى الله عليه وسلم: «هلاك أمتى على يد أغيلمة من قريش» ولقد صدق الصادق المصدوق - ومابنطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى- صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى فى بعضها خللا

وعن عبدالرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعى رعية

---

(١) قوله حر بضم مهملة: مايبدو من الوجه اه.

فلم يحطها[1] بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » ونقل أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يقول: « إن نمت ليلا ضيعت نفسى ، وإن نمت نهارا ضيعت رعيتى فأى وقت يطيب فيه النوم » فحفظ رعيته بما حفظ به نفسه رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن علامة استحقاق أهل المراتب لها ؟ فقال رضى الله عنه : علامته أن يكون أحدهم مسئولا فى الدخول فيها من جميع رعيته فإن لم يكن مسئولا فيها فليعلم أنه ليس من أهل تلك الولاية وهذه قاعدة لا تخطىء ، فقلت له فإذا تولاها عن سؤال من رعيته فتى يستحق أن يكون معزولا منها ؟ فقال رضى الله عنه إذا اشتغل عن النظر فى مصالح رعيته فإن كل من اشتغل عن مصالحهم فليس بإمام وقد علته المرتبة بهذا الفعل فلا فرق إذاً بينه وبين العامة فمن أراد أن تدوم ولايته فلا يشتغل عن رعيته بشىء من حظوظ نفسه أبداً فإن الله تعالى مانصب الأئمة فى الأرض إلا فى استقصاء حوائج الخلق لاغير ، كما درج على ذلك أئمة العدل كعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اه . قال رحمه الله :

(وَإِنْ رُمْتَ مَعْنًى فَائِقًا فَأَضِفْ أَخًا إِلَيْهَا وَذَكِّرَنْ ضَمَائِرَ غَيْبَةِ)

(وإن رمت) أى أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (معنى فائقا) المعنى المتقدم (فأضف أخا إليها) أى فأضف لفظ أخ إلى الرياسة وانصبه على المفعولية (وذكرن) بنون مؤكدة خفيفة (ضمائر غيبة) وقل ولا تقربن أخا الرياسة إنه تطوف به الشرور الخ قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - وورد أن الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مدلهم مدة. وفى [جص]: « سيكون بعدى سلاطين الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لايعطون أحداً شيئا إلا أخذوا من دينه مثله » قال الحفنى : لأن من أخذ جائزتهم تكلف فى كلامه لرضاهم كقوله أنتم سهام الله على أعدائه ولكم الرحمة ونحو ذلك . وقد حج هارون الرشيد فى زمن مالك رضى الله عنه وكان بمكة فقال له : ألك بيت ؟ فقال لا ، فدفع له ثلاثة آلاف دينار وقال له خذلك بها بيتا ، فلما حج ورجع ، قال له أحب أن تكون معى وفى صحبتى ، فقال له: لا أوثر على جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وهذه دنانيرك خذها ، ودفعها له خوفا أن يكون ذلك لأجل أن يرغبه فى صحبته مع أن مثل هذا له وجه فى أخذها من بيت المال ونفسه مطهرة لايخشى عليه الميل عن الحق اه . وفيه : « إياكم وأبواب السلاطين فإنه قد أصبح صعبا هبوطا » أى مهبطا لدرجة من لازمه مذلا له فى الدنيا والآخرة قاله العزيزى . وفيه: « سيكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن خالطهم هلك» وفيه: « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن »وفيه: « من سود مع قوم فهو منهم ومن روع مسلما لرضا سلطان جىء به يوم القيامة معه» وفيه : « من أعان ظالما سلطه الله عليه »وفيه: « من أرضى سلطانا بمايسخطربه خرج من دين الله، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس» وفيه: « من مشى مع ظالم وهويعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام» وفيه: « إن صاحب السلطان على باب عنت[2] إلا من عصمه الله » قال العزيزى : فمن أراد السلامة فليحذر قربهم ويتقيهم كما يتقى الأسد، ومن ثم قيل: مخالط السلطان ملاعب الثعبان اه . وقال أبوالدرداء

---

(١) قوله يحطها بفتح تحتية وضم حاء من حاط كقال رعاها وصانها اه .

(٢) قوله عنت بفتحتين: تعب ومشقة اه .

للأحنف بن قيس : خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه . وفى [شب] وكان بعض العارفين يقول : اتقوا الله وموتوا [١] أنفسكم بالورع وقوة الثقة والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى ذى سلطان ، فإن من خضع لصاحب سلطان أولمن يخالف دينه طلبا لما فى يديه من دنياه مقته الله ووكله إليه ، فإن تحصل على شىء من دنياه نزعت البركة منه ولم يؤجر عليه .انظره وأخبرنى من أثق به أنه كان عند بعض من يدرس العلم عند بعض الولاة رحمه الله فرأى كأنه يحلب بقرة فى حجره فتى حلب شيئا خرج من حجره للأرض ، فعلم أن ما يأخذه من الأجرة عند ذلك الوالى لابركة فيه ولاخير فيه، فترك ذلك تركا كليا ونبذه وراءه ظهريا واستكفى بمولاه الذى لا كافى سواه سبحانه وتعالى - ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانتقرب من الأمراء وأركان الدولة إلا لمصلحة ترجح على البعد منهم وأن لانقبل منهم قط هدية ولا نأكل لهم طعاما مدة صحبتهم ، وذلك لأن غالب من يتقرب إليهم يتعسر عليه الإنكار عليهم فيما يراهم يفعلونه من المحرمات كالظلم وأخذ البلص شفاها [٢] وكأنه تعاطى بدخوله لهم تقريرهم على المنكر ، فإنه إن قال لهم لاتبلصوا ولا تظلموا لم يسمعوا له ويمنعونه من دخول بيوتهم ويقطعونه برهم له ويثقل على قلوبهم فيندم على إنكاره . ثم قال : ومن كلام سيدى عمر بن عبد العزيز : لاتجالس أميرا ولو أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فإن إثم مجالسته أكبر من نفعه . ثم قال : فليحذر كل من خالط الأكابر من سوء العاقبة ومن شك فليجرب. أما إذا علم منهم قبول شفاعته فى ترك المظالم والبلص وإغاثة الملهوفين فهذه مصلحة ترجح على البعد منهم وينكر عليهم مايشاهده منهم ولو بقلبه ، هذا مايتعلق بصحبة أهل العلم وأما صحبة آحاد الناس من الحاشية لهم فلاتسأل عما يقع لهم فى صحبتهم من المصائب لاسيما إذا عزل ذلك الأمير مثلا وسلب السلطان نعمته فيقول الحاسدون ما كان مقربا عنده إلا فلان فيطلبه الحكام ويقولون له : أين مال الأمير؟ أين ودائع الأمير التى أودعها عندك؟ فيبهدلونه غاية البهدلة [٣] ، وأما عدم قبولنا هديتهم وأكلنا طعامهم فلئلا يحصل لنا الاستهانة فى عيونهم والذل فى نفوسنا فإن من أكل من طعام رجل ذل له وإذا ذل له سقط جاهه وإذا سقط جاهه ردت شفاعته فاعلم ذلك اه . ورحم الله من قال :

أنفت [٤] من الذل عند الملوك وإن أكرمونى وإن قربوا
إذا ماصـدقت لهم خفتهم ويرضون منى بأن يكذبوا

وفيه : أخذ علينا العهود أن لانتصدر للشفاعة فى الناس عند الحكام إذا دخل النصف الثانى من القرن العاشر ، إلا إن كان عندنا حال وتصريف فى الحكام بالولاية والعزل ، فإن من لاكشف عنده ربما أغلظ على الحاكم فقال الحاكم إن كنت صالحا فانفحنى فلا يقدر على نفحه فيفتضح عند الحاكم . وسمعت سيدى عليا الخوّاص يقول : كان عند الناس والحكام بقية خوف من الله يمتنعون به عن ظلم العباد فرفع الله ذلك خامس عشر صفر سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة قال : وعن قريب يصير حاشية الحاكم يأخذون من الإنسان الجعالة [٥] ولا يقضون له حاجة ويطلب فلوسه مثلا فلا يصل إليها، والله غفور رحيم اه . وهذا أمر مشاهد بالعيان عند الولاة والأعوان - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى [عم] أخذ علينا العهد

---

(١) من التمويت اه . (٢) قوله شفاها : كجهار وزنا ومعنى اه .
(٣) البهدلة : الخفة أى يستخفون به اه . (٤) قوله أنفت بكسر نون كفرح : استنكفت اه .

العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا ندخل على ظالم إلا لضرورة شرعية بشرط أن نعلم من نفوسنا عدم تصديقه وعدم معاونته ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الناس الذين يقبلون من الظالم الهدايا ويأكلون على سماطهم فتدخل رأس أحدهم الجراب ، ويقوم مع ذلك الظالم ويصدقه على مقالته على ذلك ، ومن أراد عدم معاونتهم فليستعفف على قبول هداياهم والأكل من طعامهم . وقد وقع أن بعض فقراء العصر دخل على بعض الولاة ليشفع عنده فى مظلوم فأغلظ القول على الوالى فصبر عليه حتى فرغ ، ثم قال لأصحابه سرا : أى شىء قلتم فيمن يلقى عليه الإكسير فينقلب معنا على من جاء يشفع فيه؟ فقالوا : كيف؟ فقال : هاتوا لى ورقة ودواة فكتب له خمس قناطير عسلا وخمسة وعشرين أردبا قمحا محمولة إلى زاويته ، وأعطى ذلك الموصول لنقيب فأعلم به الشيخ فى الحال فتحول الشيخ على ذلك المظلوم وصار يقول : الحق مع شيخ العرب وأنت مالح الرقبة تنهى إلى الفقراء خلاف الواقع ثم رده من غير قبول شفاعته . فادخل يا أخى إلى قبول شفاعتك عند الحكام من باب التعفف إن أردت قبولها ودوامها وإلا فتب من الدخول على الظلمة والله يتولى هداك اه .

قلت : ومن هذا الداء عز الدواء ، ومر أن المنصور قال : ألقينا الحب للعلماء فالتقطوه حاشا سفيان الثورى . وفى [جه] وأما زهده فى الجاه والظهور فإنه رضى الله عنه لا زال يلتمس الخفاء والإخمال فى زاويا الإغفال والإهمال لا يبالى بإدبار من الخلق ولا بإقبال ، ويفر من ملاقاة ذوى الوجاهة والرياسة ويحذر من ملاقاتهم ويقول : إنها فتنة فى الدين ويكره أن يعرفه أحد منهم إلا أن يتخيل صدقه ويعلم أن مجيئه لله فيرجوله الخير ويعظه ويذكره وينصحه ، أنظره . وفى [هب] الخامس : أى مما يوجب الانقطاع عن الله الطمع فى الظالم فيتقرب إليه لينال منه رزقا ، ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرازق لم يصدر منه ذلك اه . قال رحمه الله :

(سِوَى مَا إِذَا بِهِ اسْتَجَرْتَ مِنَ الْأَذَى ... أَبُو بَكْرٍ اسْتَجَارَ بِابْنِ الدُّغُنَّةِ
وَقَدْ رَجَعَ الْإِسْلَامُ وَفِقَى كَمَا بَدَا ... تَتَرَّسْ مِنَ الرَّهَا بِأَقْوَى مِجَنَّةِ
وَوَصَّى بِذَا بَعْضُ الْأَئِمَّةِ قَائِلًا ... فَلَا تَنْزِعَنْ يَدًا مِنْ أَصْحَابِ شَوْكَةِ
وَلَكِنْ بَلَوْتُ الْوَقْتَ لَمْ أَرَ مَنْ يَفِ ... بِعَهْدٍ وَوَعْدٍ وَالْجِوَارِ وَخُلَّةِ)

(سوى ما إذا به استجرت) أى اللهم إلا إذا استجرت بجوار صاحب الرياسة واستحميت بحماه (من الأذى) أى من أذى الناس الذين لا يراقبون الله تعالى ولا يخافونه ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (أبو بكر) الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السراء والضراء وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكانت له ولأبويه وولده وولد ولده الصحبة ولم تحصل هذه المزية والمنقبة لواحد من الصحابة الحائزين قصب السبق فى كل مرتبة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين. وفى [جص] : « أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبى » وفيه : « أبو بكر منى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر » : أى تكريما له وإظهاراً لفضله وإيماء بأنه خليفته بعده . وفيه : « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس » انظره (استجار) السين والتاء زائدتان إذ هو مطلوب لأن يجار لا طالبه لما أخرجته قريش (بابن الدغنة) بضم دال مهملة وغين معجمة وتشديد النون كدجنة وقيل كنبقة وقيل كغرفة والصحيح الأول ، وهى أم ربيعة بن رفيع الذى

أجار أبا بكر رضى الله عنه انظر [س] وفى البخارى: « أن عائشة رضى الله عنها قالت: لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأنا أريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يَخرج ولا يُخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك، فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبى بكر فطاف فى أشراف كفار قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . قال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وبرز ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش والمشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له إنا كنا أجرنا أبا بكر أن يعبد ربه فى داره ، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك (١) ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذى عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له . قال أبو بكر : إنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ، انظره . قال تعالى - إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون - (وقد رجع الإسلام) أعزه الله وأعز أهله وأيد ولاته بتأييده وسددهم بتسديده وحمى حماته (٢) بحمايته وعنايته آمين: وفى [جص]: « الإسلام ذلول لا يركب إلا ذلولا » وفيه: « الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » ونقل أن سيدنا عمر رضى الله عنه وجد فى فناء دار أبى سفيان قمامات فضربه بالدرة وأمره بتنظيفها (وفى) أى فى زمنى هذا غريبا (كما بدا) وروى الترمذى « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء. قيل يا رسول الله من الغرباء من أمتك ؟ قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » وفى رواية : « والذين يحيون ما أماتوه من سنتى » وفى حديث آخر : « ناس قليلون صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » وفى [جص] « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة » قال العزيزى: حتى إن أهل البوادى لا يصلون أصلا : أى رجالا ونساء كما هو مشاهد بالعيان ، والغالب فيمن يصلى فيهم أن يكون من المصلين الذين هم عن صلاتهم

---

(١) قوله نخفرك بضم نون وكسر فاء من أخفره: نقض عهده وغدره اهـ . (٢) جمع حام اهـ .

ساهون أو ينقرها نقر الديك للحبة - إنا لله وإنا إليه راجعون - نسأل الله السلامة والعافية لنا ولجميع إخواننا المؤمنين (تترس) من تترس بالترس تستر به (من الرعا) قصره للوزن جمع راع أى من إذايتهم وشرهم (بأقوى مجنة) بكسر الميم الترس (ووصى بذا) أى بما ذكر (بعض الأئمة) رضى الله عنه بعض تلامذته: نقل أن الإمام مالكا أوصى الإمام الشافعى رضى الله عنهما وأرضاهما وجعل أعلى عليين مأواهما عند فراقه له فقال له: لا تسكن الريف يذهب علمك، واكتسب الدرهم لا تكن عالة على الناس، واتخذ لك ذاجاه ظهرا لئلا تستخف بك العامة، ولاتدخل على ذى سلطنة إلا وعنده من يعرفك، وإذا جلست عند كبير فليكن بينك وبينه فسحة لئلا يأتى من هو أقرب منك إليه فيدنيه ويبعدك فيحصل فى نفسك شىء اه حال كونه (قائلا) له فى وصيته (فلا تنزعن) بنون خفيفة من نزع يده أخرجها من جيبه (يدا) وهى الكف أومن أطراف الأصابع إلى الكف والمراد ذاته وهو من إطلاق البعض وإرادة الكل (من أصحاب شوكة) بفتح معجمة السلاح أوحدته أى لا تخرج نفسك من حمى وصحبة من له الشوكة والسطوة والجاه والسلطنة على العامة. وقد قيل لايعبد الله تعالى فى هذا الزمان إلا تحت جناح ظالم (ولكن بلوت) اختبرت أهل (الوقت) وولاته (لم أر) فيهم (من يفى) من الوفاء ضد الغدر (بعهد) الموثق واليمين ورعاية الحرمة والأمان والذمة قال تعالى - وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين - وقال - وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا - وقال: - وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم - الآية - والموفون بعهدهم إذا عاهدوا - وفى [جص] «لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لاعهدله» وفيه «إنى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد[1]» وفيه «إن حسن العهد من الإيمان» وفيه: «ثلاث معلقات بالعرش: الرحم تقول: اللهم إنى بك فلا أقطع، والأمانة تقول اللهم إنى بك فلا أخان، والنعمة تقول اللهم إنى بك فلا أكفر» وفيه «ثلاث إذا رأيتهن فعند ذلك تقوم الساعة: إخراب العامر، وعمارة الخراب، وأن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا، وأن يتمرس الرجل بالأمانة تمرس البعير بالشجرة» أى يلعب بها كما يلعب البعير بالشجرة، وفيه «خمس بخمس: مانقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولاظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولامنعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» انظره، اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدارين آمين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - (ووعد) وفى الحديث «العدة دين» أى كالدين فى طلب الوفاء به، ورحم الله من قال:

إذا قلت فى شىء نعم فأتمه ... فإن نعم دين على الحر واجب[2]

وعن النبى صلى الله عليه وسلم «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفى له فلم يف ولم يجىء للميعاد فلا إثم عليه» وكان ابن مسعود رضى الله عنه لايعد وعدا إلا قال إن شاء الله قال الله تعالى - ولاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - الآية، وقال - لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - وفى [جص] «اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم،

(١) جمع بريد: الرسول اه. (٢) وبعده: وإلا فقل لاتسترح وترحنا لئلا يقول الناس إنك كاذب اه

وأدوا إذا اؤتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من قصيدة كتبها لبعض أحبابه يستشيره فى مفارقة أناس غفر الله لنا ولهم آمين :

إنى عزمت على استبدالى البلدا — لفقد من يستفيد العلم والرشدا
كم من سنين مضت من بينهم هدرا — فما رأيت بهم صدقا ولا سددا
ولا خليلا وفيا لى بما وعدا — لاخير فيهم ولا فى قربهم أبدا
كيف الإقامة من بينهم هملا — لم أتخذ فيهم أهلا ولا ولدا — الخ

(والجوار) بكسر الجيم وتضم أن تعطى الرجل ذمة فيكون بها جارك ، وفى الحديث « النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة ، والخلق الحسن يدخل صاحبه الجنة ، والجوار الحسن يدخل صاحبه الجنة » وفى آخر « إن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا الأمانة إذا اؤتمنتم ، واصدقوا إذا حدثتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم » (وخلة) بضم معجمة الصداقة المختصة التى لا خلل فيها تكون فى عفاف وفساد وفسق وبالفتح الفاقة وبالكسر مابين الأسنان ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وخلة بفتح خاء فاقه — وخلة بضمها صداقه
وخلة بالكسر يا إخوانى — بقية الطعام فى الأسنان

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فلما بلوتهم نبذت جوارهم — فبالله منهم استجرت مدى الدهر
وبالمصطفى وبالتجانى أحمدا — فنعم الجوار والمجير مدى العمر

قال رحمه الله :

(فَلَاتَكُ قَاضِياً وَعَدْلاً وَمُفْتِياً — عَرِيفًا وَشُرْطِيًا وَصَاحِبَ حِسْبَةِ
وَإِنْ سُقْتَ لِلْبَلْوَى فَبِاللهِ فَاسْتَعِنْ — وَرَاعِ حُقُوقَ اللهِ فِي كُلِّ خُطَّةِ
وَكُنْ مُقْسِطًا عَدْلاً وَلَاتَكُ قَاسِطًا — فَتُجْزَى بِنِيرَانِ الْجَحِيمِ الْفَظِيمَةِ)

(فلاتك) أى لاتكن أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (قاضيا) وهو كما فى التحفة :

منفذ بالشرع للأحكام — له نيابة عن الإمام

وفى [جص] : « من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين » وفيه : « لسان القاضى بين جمرتين إما إلى جنة وإما إلى نار » وفيه : « الله مع القاضى ما لم يجر فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان » قال الحفنى : ليس فى زماننا هذا بل وقبله بأمد طويل - من قاض إلا والله متخل عنه والشيطان ملازم له بالغواية التى منها الجور فى الحكم وأكل أموال الناس بالباطل - أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون - وقد قسم الرسول القضاة على ثلاثة أقسام : أحدها فى الجنة والآخران فى النار ، فالأول من علم الحق وعمل به وقد تعسر بل تعذر وجوده فيما أعلم . والثانى من علم الحق ولم يعمل به وهو كثير . والثالث من جهل الحق ولم يعمل به وهو أكثر عافانا الله من ذلك . يحكى فى شأنهم السافل أن حجرا كان فى مرحاض فشكا إلى الله تعالى طول مقامه فيه وسأله أن ينقذه من ذلك فقال له عز وجل من قائل تأدب ياحجر وعزتى وجلالى إن لم ترض بقضائى لأجعلنك

فى مصطبة [١] قاض يجلس عليك فأبى ذلك: وأن شخصا اجتمع بقاض عندمغطس الحمام فقال له عندى كذا وكذا من الدراهم إن قضيت لى حاجتى فقال له ما آخذ إلا كذا وكذا أكثر من ذلك أتستكثر على ذلك بغطسة فى النار كغطسة فى هذا الماء وغطس فلم يوجد بعد ذلك فأصدق الله تعالى مقاله وأوصله إلى سقر. وأن الله تعالى أرسل إليهم ملكا راكبا على فرس امتحانا لهم فمر على شخص معه بقرة فأشار إليها الملك فتبعته فنازعه صاحبها فى ذلك فترافعا إلى قاض من الآخرين المتقدمين وتحاكما على يده فأشار الملك إليه أن اقض لى أن البقرة بنت فرسى ولك عندى كذا فحكم له بها ودفع له ماذكر فلم يرض صاحبها، ورفع أمره إلى الثانى وادعى على يده بذلك فكان ماذكر فلم يرض صاحبها أيضا، ورفع أمره للقاضى الثالث وادعى على يده بذلك فأشار إليه الملك بما ذكر فقال له القاضى لا أحكم فى هذا الوقت لأنى حائض، فقال له الملك عجيب أرجل يحيض؟ فقال له القاضى عجيب وفرس تلد بقرة؟ فدفعها لصاحبها وعلم أنه على الحق والأولين على الباطل، والله در القائل فى شأنهم:

قضاة زماننا أضحوا لصوصا ... عموما فى البرية لاخصوصا
أباحوا أكل أموال اليتامى ... كأنهم رأوا فى ذا نصوصا
ولو أمروا بقسمة ألف ثوب ... لما أعطوا لعريان قميصا
ولو عند التحية صافحونا ... لسلوا من أصابعنا فصوصا
فدعنى يا أخى من أناس ... باعوا دينهم بيعا رخيصا

وإنما أطلت الكلام فى هذا المقام وإن كان الذى تركته أكثر مما ذكرته لما شاهدته منهم من قلة الإنصاف أوعدمه خصوصا من كان قليل الدراهم ولو كان شريفا فإنا لله وإنا إليه راجعون اه. وفيه: «القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة، قاض قضى بالهوى فهو فى النار، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار، وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة» وفيه: «شرار أمتى من يلى القضاء إن اشتبه عليه لم يشاور وإن أصاب بطر وإن غضب عنف، وكاتب السوء كالعامل به» وفيه «عج [١] حجر [٢] إلى الله تعالى فقال إلهى وسيدى عبدتك كذا وكذاسنة ثم جعلتنى فى أس كنيف فقال أومارترضى أن عدلت بك عن مجالس القضاة؟» أى فجعلى لك مجاورا للقذر الحسى ألطف من مجاورتك للقذر المعنوى. وفى [خل] ويكفى فى التنفير عن القضاء ماحكى أن بعض القضاة كان إذا جلس للأحكام جلس إلى جنبه رجل أسود الوجه أبيض البدن فكان إذا أراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر إلى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك، فسئل عن موجب ذلك فقال اسألوه فسألوه فأخبرهم أنه كان ينبش [٣] القبور فمات قاضى البلد قال فذهبت إليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت إليه وجئت آخذ الكفن، وإذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت فى ناحية من القبر، فقال أحدهما للآخر تقدم فجاء إلى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ماعصتا الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى فرجه فشمه فقال هذا فرج ماعصى الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى بطنه فشمها فقال هذه بطن ماأكلت الحرام قط، فقال له تقدم فجاء إلى فيه فشمه فقال هذا لسان ماعصى الله قط فقال له تقدم فجاء إلى عينيه فشمهما فقال هاتان عينان ماعصتا الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى أذنيه فشمهما فسكت، فقال له مابالك؟ فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى إلى أحدهما أكثر من الآخر فارتفعا يضربانه، فهربت فحصل لى هذا من هوى المقمعة فأصبح وجهى

(١) مصطبة بكسر الميم: كالدكان للجلوس. (٢) رفع صوته. (٣) بضم موحدة من نبش كنصر اه.

كما ترى، انظره . ونقل أن عالما من علماء بنى إسرائيل لما مات قاضى بلده ركب قصبة وجعلها جواده وتباله ليسلم من القضاء، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واجعلنا فى كنفك الذى لايضام آمين . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نقول ببطلان أحكام القضاة وشهادة شهودهم من جهة قبضهم فلوس القانون حيث كنا لانعلم غلبة معاصيهم على طاعتهم، بل نجعل قبضهم فلوس القانون إن لم يكن اضطرارا ولاشبهة فهو معصية قد تتلاشى فى جنب ماخفى علينا من طاعاتهم ونقول بقبول شهادتهم ونفوذ أحكامهم على رأى القائل بعدالة من غلبت طاعته على معاصيه أدبا مع السلطان الذى ولاهم وأدبا مع علماء الإسلام الساكتين على ذلك . وقد قال بعض العلماء : من غلبت طاعته على معاصيه فهو عدل وجميع من نعرفه من القضاة بمصر كذلك غلبت طاعاتهم على معاصيهم ، وقالوا لو ولى السلطان القضاء فاسقا نفذ قضاؤه للضرورة . ثم لايخفى أنه يلزم من القول بإبطال أحكامهم أمور شنيعة منها عدم صحة جميع عقود أنكحتهم وعدم صحة الدعوى بالحقوق الثابتة عليهم من الأموال وغيرها ولايخفى مافى ذلك ، والعاقل من عرف زمانه والله أعلم اه (وعدلا) وهو من نصب نفسه للشهادة تحملا وأداء . وفى [خل] وقد ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له إن والده يطلب له العدالة ، فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الآن عدل كيف يجرحونه؟ فقلت له العدالة تجريح؟ فقال نعم فى هذا الزمان ترك العدالة هو العدالة اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ترك العدالة هى العداله بل إنها اليوم غدت ملامه

واعلم أن الخطر فيها أعظم مما تقدم فى القضاء : لأن القاضى ليس له أمر ولانهى فى الغالب إلا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لأنه بحسب ماقالوا يحكم فهم الباعثون له على الحكم ، وفيها من المفاسد أشياء عديدة فى هذا الزمان لا يمكن تتبعها لتشعبها ، وفى الحديث : « إنا لانستعمل على أمرنا هذا من طلبه » فكل من طلب العدالة فهو قدح فى عدالته سيما فى هذا الزمان لما احتوت عليه من الأمور الفظيعة الشنيعة ، ولو لم يكن فيها من القبائح إلا ماأحدثوه من بذل المال فيها وإن كان ذلك ليس خاصا بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت إلى بذل المال والاستعانة معه بمن لايرضى حاله فى الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا فى أن يأخذ المناصب من لايستحقها ويحرمها من يستحقها فى الغالب ، فآل الأمر فى ذلك إلى أشياء فظيعة من إبطال الأنكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين إذ أن الربط والحل إنما هو بالعدول ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا الشهود فإن الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم » ولكن أكثر العدول أو كلهم فى زماننا حالهم معلوم بالمشاهدة والعيان نعوذ بالله من الضلال والخذلان إذلو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها لقلت المفاسد أو عدمت بالكلية ، انظره تزدد. وفى الحفنى عند ذكره هذا الحديث الشريف : والمراد بالشهود العدول بخلاف شهود الجور الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويسمون ذلك بأسماء باطلة كالرسم ونقل القدم فلا يكرمون بل تطلب إهانتهم إلا إذا خيف من شرهم اه . ورحم الله من قال [1] :

اسمع أخى نصيحتى والنصح من أصل الديانه
لاتعرضن إلى الشها دة والوساطة والأمانه
تسلم من أن تعزى لزو ر أو فضول أو خيانه

---

(١) كامل مجزو مرفل .

وفى [د] حكى عن أبى عبد الله بن أبى زيد القيروانى أنه بات عنده ضيف وأتى رجل من خاصته بعشاء إلى منزل ابن أبى زيد وكان الرجل من الشهود ، فقال ابن أبى زيد إنه من شهود العدالة إن شئت أكلت وإن شئت تركت ، وما علمنا أن سيدنا رضى الله عنه أكل طعام الشهود أصلا . وجىء به إليه فامتنع من أكله مرارا اه (ومفتيا) وهو من يخبر بالحكم الشرعى لاعلى وجه الإلزام. وفى [جص] : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » وفيه: « من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض » قال الحفنى : لأنه تجرأ على الله ورسوله وكذب عليهما سواء كان عالما بذلك أو جاهلا إذ كان من حقه أن يسأل قبل أن يفتى ومعنى لعنته دعت عليه بالطرد عن مقام الأخيار اه . وفيه: « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه» وفيه : « إذا قعد أحدكم إلى أخيه فليسأله تفقها ولا يسأله تعنتا » ولذا أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من سأله تعنتا بقوله :

فلست فقيها ولا عالما ... ولكن عبيد ظلوم جهول
فسل غيرنا من نجوم الورى ... هم العلماء الأتقيا والفحول
أقول أعوذ برب الفلق ... من الخلق طرابجاه الرسول
عليه الصلاة وأزكى السلام ... بكل غداة وكل أصيل

وله فيمن استنشأ منه شعرا :

فلست بمفلق ولا بملفق ... ولا شاعر لكن كثير الجرائم
أتوب إلى الكريم من كل مامضى ... فيارب فاغفرلى جميع المآثم

وله فى قصيدة رضى الله عنه :

ألا فاشهدوا علىّ حيا وميتا ... بأنى ماق للسلاح وهارب
إلى الله من فتوى قضاء وثيقة ... لأنى فى دجا الغياهب راسب

(عريفا) أى ولاتك عريفا وهو رئيس القوم ونقيبهم ، وسمى عريفا لكونه يتعرف أمورهم حتى يعرف بها من فوقه عند الاحتياج ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم للصحابة فى قضية هوازن «ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» وفى [جص] : « إن العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء فى النار » وفيه: « العرافة أولها ملامة وآخرها ندامة والعذاب يوم القيامة » أى فى حق من لم يعدل ، والمقصود التنفير من الرياسة والتباعد عنها ما أمكن لخطرها ولأنها مزلة الأقدام والأقوام . وروى أبو داود رحمه الله « أن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكبى فقال أفلحت ياقديم [1] إن مت ولم تكن أميرا ولا كاتبا ولا عريفا » وروى ابن حبان فى صحيحه « ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكون عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا » اه . وروى « من استعملنا منكم على عمل فكتمنا مخيطا [2] فما فوقه كان ذلك غلولا يأتى به يوم القيامة » وعن أبى حميد « هدايا العمال غلول » أى إن مايهديه الناس إليهم ومايهدونه للإمام الأعظم من الغلول ومحله بيت مال المسلمين ومن أخذ من ذلك شيئا

---

(١) قوله قديم كزبير تصغير مقدام بحذف الزوائد اه . (٢) كشير اه .

فقد غل قال تعالى - ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (و) لاتك (شرطيا) كتركى ويقال شرطى كجهنى وشرط كصرد طائفة من أعوان الولاة والظلمة. وفى [جص] : «سيكون فى آخر الزمان شرطة[1] يغدون فى غضب الله ويروحون فى سخط الله فإياك أن تكون من بطانتهم » وفيه : «الجلاوذة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار » أى إنهم ينبحون [2] على أهل النار نباح الكلاب حتى يتأذى أهل النار بأصواتهم فيكون ذلك زيادة فى عذابهم ، وفيه : « بادروا بالأعمال ستا : إمارة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها » قال الحفنى : وجاء فى حديث : « إذا جاءت هذه الأمور لاسيما إمارة السفهاء وكانت روح أحدكم فى يده فليلقها فى الأرض » أى فليختر الموت فإن باطن الأرض حينئذ خير من ظاهرها ، انظره . وقد قيل : إن الله خلق ولد الزنى فأخفاه فإذا أراد أن يظهره جعله شرطيا أو مكاسا . وفى [عم] وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : من كشف الله تعالى عن بصيرته رأى جماعة الولاة الذين يعاقبون الناس كالزبانية الذين يسحبون الناس فى الآخرة إلى النار ، وكما لاينسب أحد الظلم إلى الزبانية ويحط عليهم فكذلك زبانية الولاة فى الدنيا وإن ذموا شرعا ، هذا نظر أهل الله فلولا أن الله تعالى ذم زبانية الدنيا لم يسع لأحد من أهل الله أن يذمهم فاعلم ذلك والله أعلم . ونقل أن سفيان الثورى رضى الله عنه قال لمن أراد أن يوقظ حرسيا للصلاة : لاتوقظه دعه هذه الساعة تستريح منه ومن شره فيها اه . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا دعى أحد من إخواننا إلى بيت الوالى والعياذ بالله تعالى أن نعلمه الآداب المتعلقة بالمحن ليخرج إن شاء الله تعالى سالما من بيت الوالى فنأمره إذا جاءه رسول الوالى أن يحسن له بما تيسر من الدراهم ويزيده على عادته مثل ذلك من الجرائم ، ثم يتصدق بما تيسر إذا خرج مع الرسول قبل الدخول إلى بيت الوالى ، ثم يرى نفسه من تحت نعال أصحاب النوبة الذين فى بيت الوالى ، ثم يقول عند عتبة بيت الوالى فى سره يأصحاب النوبة أنا فى حسبكم اليوم فإن الوالى من حضرة اسمه تعالى الجبار فمن لم يذل نفسه ابتداء ذل له انتهاء بالمقارع والكسارات ، ثم يقول أنا تحت نعالكم فلا تغمضوا عينكم على هذه القضية وعطفوا علىّ الوالى وحاشيته بالرحمة والشفقة ، فإذا وقف بين يدى الوالى فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى قائلا اللهم أنت وليى وناصرى وربى ومولاى لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين ، ويتخيل أنه هو والوالى والأعوان والأخصام كلهم بين يدى الله عز وجل وهو ناظر إليهم كلهم ، وليحذر أن يهاب الوالى فإنه يسلط عليه بل يشهد الوالى كالجماد لايتحرك إلا إن حركه الحق فينتظر ماينطقه الحق به غير قاصر نظره على الوالى بل على مراقبة رب الوالى ، وليحذر أن يجيب عن نفسه بشىء وهو يعلم من نفسه أنه فعل ذلك الشىء فإن ذلك مباهتة للحق جل وعلا ، ومن فعل ذلك فقد خلع ربقة الحياء واستحق المقت من الله تعالى عز وجل ، وأما إذا كان لم يفعل ذلك الشىء فله أن يجيب عن نفسه ولكن عدم الإجابة أفضل حيث لايخاف ضررا لأن الله تعالى يقول أنا ولى من سكت ، ثم قال : ثم إذا حصل له السلامة فليعط الوالى عادته ولو عمامته وثيابه ويقبل يده ويخرج وإن حصلت العقوبة والعطب فليكثر من الاستغفار ليلا ونهارا وليعتبر بمن امتحن من الأئمة والصالحين قبله ولا يبخل على مقدم المقرعة بكل مايطلبه منه ، ولابد للبلاء من آخر إما بانقطاع العقوبة وإما بموت المعاقب ، انظره (و) لاتك (صاحب حسبة) ويعرف

---

(١) كهمزة وغرفة اه . (٢) بفتح موحدة وكسرها من نبح كضرب ومنع اه .

بالمحتسب وشيخ السوق لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجرى فى الأسواق من غش أو خديعة ودين وتفقد مكيال وميزان وشبهه (وإن سقت) أى وإن ساقك القدر الذى لاينفع منه الحذر (للبلوى) والمحنة . وفى [جص] : « إذا ابتلى أحدكم بالقضاء بين المسلمين فلا يقض وهو غضبان وليسو بينهم فى النظر والمجلس والإشارة» وفيه: « من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل» وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانشير على أحد من الناس أن يتولى ولاية فى هذا الزمان لقصور نظرنا عمن يستحق تلك الولاية ، سواء كان المستشير ظالما أو قاضيا أو ناظرا على وقف ونحو ذلك فإن البلاء قد كثر على أهل هذه الوظائف ، فإذا أصابهم بلاء لايطيقونه يصيرون يدعون على من أشار عليهم بذلك، فعلم أنه ينبغى لمن عمل شيخا فى هذا الزمان أن يقول لمن يستشيره فى ولاية استخر ربك واعمل بما ينشرح به صدرك ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نوالى كل من زهد فى الدنيا وترك مناصبها ونعزى كل من ولى ولاية لاسيما إن كان من جنس العلماء والصالحين أو كانت تلك الولاية نظرا على وقف ، وذلك لأمور: منها دخوله فى ورطة حب الرياسة فقل من يذوق ولاية ويسهل عليه بعد ذلك فراقها بل يعادى كل من نازعه فيها من أقرانه وقد كان قبلها فى غنية عن ذلك وربه يرزقه نحو الثمانين سنة لاينساه يوما واحدا ، ثم قال ثم بعد أن كان الناس يتبركون بذلك العالم أو الفقير ويسألونه الدعاء لما هو عليه من العلم والعبادة والزهد صاروا يستعيذون بالله من شره ، ثم إنه يتكدر وقته مع الله ضرورة فلا يكاد يحضر قلبه فى صلاة ولا غيرها فتلف حاله بالكلية ونقص اشتغاله بالعلم ضرورة وكذلك بسهره الليالى وتهجده فى الظلام والناس نيام، وتاقت نفسه إلى الملابس الفاخرة والطعام الفاخر والتزوج بالنساء الجميلات والسكن فى القاعات المرخمات واختلط بأبناء الدنيا وصار أعظم رغبة منهم فيها ، فمن يصير حاله بالوظيفة إلى هذا الحال كيف يهنأ بها إنما يليق بنا تعزيته فى نقص دينه وهذا أمر مشهود ، فمن توقف فى وقوعه من صاحب وظيفة ليس من أصحاب القلوب الخالصة فكأنه كابر فى ضوء الشمس فإننا ما رأينا قط أحدا من إخواننا فى هذا العصر تولى وظيفة فيها رياسة إلا وتنكر على جميع إخوانه ومعارفه وترفع بنفسه عنهم بل رأيت بعضهم أنكر والدته حين جاءته من الريف تزوره وصار يقول غدوا الفلاحة عشوا الفلاحة خوفا من معايرة امرأته له ، وكان الواجب عليه أن يكسوها الثياب الفاخرة، ثم قال : واعلم يا أخى أنه لافرق فى تعزيتنا لأخينا إذا ولى وظيفة بين أن يكون أعطيها عن سؤال منه أو كان هو مسئولا فيها ، بل كونه مسئولا فيها أشد لأنه حينئذ تصير صورته صورة من باع دينه بدنياه فإنهم لابد أن يقولوا لمن يوليه فلان من أهل العلم والصلاح وهو ساكت، ثم قال: وكان سفيان الثورى يقول: إياكم أن تجعلوا علمكم حرفة تحترفون بها معاشكم وتقولون أعطونا نحن أكثر علما وكيف تكونون أكثر علما وأنتم أقل زهدا اه . وكان إسماعيل بن علية يحط على من يتردد إلى أبواب السلاطين ، وكان بينه وبين عبد الله بن المبارك ودّ وإخاء ومشاكلة فى الزهد والعبادة : فولى إسماعيل للصدقات فتأثر عبد الله بن المبارك لذلك وأرسل له يعزيه فى دينه ثم أنشده :

(١) ياجاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنونا بها بعدما ... كنت دواء للمجانين

---

(١) سريع عروضه مطوية مكسوفة ضربه أصلم .

أين رواياتك والقول فى ... لزوم أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فما هكذا ... زل حمار الشيخ فى الطين

والله لصلاة ركعتين فى جوف الليل أو كف العبد نفسه عن محبة الدنيا ساعة أو ضبط جارحة من جوارحه أو حفظ باطنه من سوء الظن بمسلم مثلا أفضل من تلك الولاية التى يهنئونه بها فلم لايهنئونه بذلك ، ثم قال كيف يتمنى الإنسان فى هذا الزمان طول الحياة وهو يجد أصلح الصالحين اليوم لايقدر على ضبط نفسه على حفظ حدود الله تعالى يوما واحدا بل كل يوم يزيد فى الجملة على ظهره من السيئات ولو قدر أنه جلس فى بيته مثلا يقرأ القرآن لا يكاد يسلم من الخواطر الردية وسوء الظن بأحد من المسلمين ، حتى إن الجارية فى البيت لو قالت له على شىء حق فلم يصدقها وقع فى الإثم فلا حول ولاقوة إلابالله العلى العظيم اه (فبالله فاستعن) قال تعالى ـ استعينوا بالله واصبروا ـ والله المستعان وهوخير معين وفى الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله» وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله لاتستعن بغير الله يكلك الله إليه ، ورحم الله من قال :

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك ... ضللت[1] ولو أن السماك دليل

(وراع) من راعاه لاحظه وراقبه (حقوق الله) وحقوق عباده بإيصال كل ذى حق حقه (فى كل خطة) بضم معجمة وليتهاووسد إليك أمرها لـكن كم عسى أن يسبح من وقع فى البحر ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ولا تل خطة ما دمت حيا ... فلا تجنى بها إلا خسارا
فما من خطة إلا وفيها ... هلاك الدين والدنيا جهارا
فدع عنك المطامع والأمانى ... وسلم فى الولايات احتذارا
ولازم قعر بيتك للممات ... وذكرا كل وقت وابتكارا

وللعلامة الزقاق فى لاميته رحمه الله :

ولـكن حذار يا عليا بشرعة ... توقه واهرب واعدل إن كنت مبتلى
تأمل حـديث القاضيين وثالث ... وقول رسول الله يحيا مغللا
وقوله فى ذبح بلا مدية وآ ... ية الجن فيمن جار تـكفى لتعدلا
ويروى بتفضيل عتو وبغضه ... وبعد بمن قد جار إياك والبلا

ولابن الوردى رحمه الله فى لاميته :

لا تـل الحكم وإن هم سألوا ... رغبة فيك وخالف من عذل
إن نصف النـاس أعداء لمن ... ولى الأحكام هذا إن عدل
فهـو كالمحبوس عن لذاته ... وكلا كفيـه فى الحشر تغل
إن للنقص والاستثقال فى ... لفظة القـاضى لوعظا ومثل
لا تساوى لذة الحكم بما ... ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل
فالولايات وإن طابت لمن ... ذاقها فالسم فى ذاك العسل

---

(١) ضللت بفتح اللام كضرب وبكسرها كفرح اه .

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يسعى على وظائف الناس لا سيما إن كانت تلك الوظيفة فى يد فقير لا لسان له ولا نصير من الخلق، أو تخلفت عن ميت له أولاد أو إخوان ناظرون إليها ، وهذا الأمر قد حدث فى جنس طائفة أهل القرآن، وهو فى غاية القبح منهم، حتى رأيت من يسعى على شيخه الذى علمه ، ومن حرق قلب إنسان على إخراج وظيفته من يده أو سعى على من كان فى أمله أن يأخذ تلك الوظيفة من أهل الميت وإخوانه فقد عرض نفسه للمجازاة من فعله فيقيض الله تعالى له من يسعى عليه أو على ذريته من بعده ويحرق قلبه أو قلبهم، وأصعب ما فى ذلك أن يكونا فى حارة واحدة أو فى مسجد واحد يقع الوجه فى الوجه كل ساعة، ولو عرض على العاقل جميع أموال الدنيا وفى ذلك تكدير لقلب مسلم لاختار عدم تكدير قلب المسلم لأن حرمته أعظم ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص يقول : لا ينبغى لمتورع الأكل من معلوم الوظائف الدينية لما فيها من استشراف النفس فإن صاحب الوظيفة لم تزل نفسه مستشرفة للمعلوم إلى أن يصل إليه من يوم أو شهر أو سنة ، وقد نهى الشارع عن أخذ ما جاء باستشراف نفس . وكان رضى الله عنه لا يقبل شيئا قط أعلم به قبل أن يجمع بين يديه ويقول: إن النفس تصير مستشرفة له اهـ (وكن) إذا ابتليت بشىء مما ذكر (مقسطا) من أقسط : عدل، قال تعالى - وأقسطوا إن الله يحب المقسطين - وروى مسلم: «إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا» (عدلا) أى عادلا فهو من المصادر التى يوصف بها: وفى الحديث، «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله من معاصى ستين سنة» وفى آخر: «أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل» وهو ممن يكون فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله (ولاتك قاسطا) من قسط : جار وعدل عن الحق ، قال تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - ونقل أن الحجاج الثقفى لما أحضر سعيد بن جبير بين يديه قال له: ماتقول فىَّ؟ قال قاسط عادل ؟ فأعجب ذلك من حضر ، فقال لهم الحجاج : ويلكم، لم تفهموا عنه ، جعلنى جائرا كافرا ألم تستمعوا إلى قوله تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - وقوله تعالى - ثم الذين كفروا بربهم يعدلون - وفى [خل] قال عمر رضى الله عنه : رشوة الحاكم من السحت . وقال ابن مسعود : من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فأهدى إليه هدية فقبلها فذلك السحت ، فقيل له : كنا نرى أن السحت الرشوة فى القضاء ، فقال ذلك الكفر ، وتلا قوله تعالى - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - وإنما أراد أن من أكل الرشوة فى القضاء أكل السحت وكفر ، ثم قال : فكل ما اكتسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوى الحوائج إليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت ، والقضاء فيه أن يرد إلى أصحابه فإن لم يعلموا رفعه السلطان إلى بيت مال المسلمين . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «هدايا العمال من السحت» وقال عمر رضى الله عنه : هدايا الأمراء غلول اهـ . قال تعالى - ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة - الآية. وفيه : وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا» اهـ. ولا شك أن من أخذ مالا يستحقه فقد باع دينه بعرض من الدنيا اهـ . وفى مسلم أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال : اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار فإنى إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيهم فيئهم ويرفعوا إلىَّ ما أشكل عليهم من أمرهم ، انظره . واليوم والعياذ

بالله من ولى إنما يولى لنهب الأموال واستحلال الفروج واسترقاق الأحرار وإخماد معالم الدين قال تعالى: -إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا - الآية - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - إنا لله وإنا إليه راجعون - (فتجزى بنيران الجحيم القظيعة) المنظر والحرارة من فظع ككرم اشتدت شناعته، وروى «إن شر الرعاء الحطمة» والحطمة كهمزة: الكثير الظلم لرعيته. واعلم أن الأحكام اليوم صارت تدور على المنقوش وعلى اتباع الهوى حتى بلغنى عن بعض القضاة أنه كان يقول مرحبا بالنار على وجه الأحباب قال تعالى - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون - إنا لله وإنا إليه راجعون - -وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

ولاة الوقت حكمهم جميعا ... على الفانى من المنقوش دارا
فمن لم يأت ناديهم بفلس ... ودينار ودرهام جهارا
يرى الإعراض منهم والصدودا ... وإيثار المن يعطى نضارا
فلا تدلى إلى نادى الولاة ... بمال ماحييت ولو حجارا
فأدّ حقوق خلق الله طرا ... وسامح احتسابا وادخارا

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعطى كل حق وجب علينا قبل أن يطالبنا به صاحبه، ومتى أحوجناه إلى الشكوى لحاكم أو إلى سياق أحد من الناس فقد خنا عهد الفقراء. وكان سيدى على الخواص رحمه الله إذا ادعى عليه إنسان بمال وهو مبطل يعطيه من غير توقف ولا مطالبة ببينة ويبرىء ذمته ويقول: أنا أستحى أن أفضح أحدا من عبيد الله إكراما لله عز وجل [قلت] وقد ادعى شخص على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فى مرض موته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنا لا نكذب أحدا ولا نستحلفه ولكن ماسببه؟ فقال يارسول الله مر بك يوما سائل فقلت اعطه عنى ثلاثة دراهم فقال نعم» فأعط ياأخى الحقوق التى عليك وإن لم يطالبوك نسيانا أوحياء إن كنت تدعى أنك من الصالحين فإنا مارأينا قط أحدا من الأولياء أصحاب القدم واقفا بين يدى حاكم يدعى عليه بحق زوجة أو جار أو غيرهما أبدا. وحكى عن سيدى أحمد بن الرفاعى أنه عمر دارا فى ناحية أم عبيدة فلما انتهى بناؤها ونقل إليها عياله ومتاعه جاءه فى ذلك اليوم شخص ادعى أن الأرض له فأمر الشيخ بإخراج متاعه منها وعياله بمجرد قوله، فلما رآه أجابه ولم يتوقف قال يا أحمد ليس لى حق فى أرض هذه الدار وإنما أردت امتحانك لأنظر كيف زهدك فى الدنيا وركونك إلى السكنى فيها. وكان سيدى أحمد يقول بعد ذلك: يا أولادى الدنيا أهون علينا من أن نقف لأجلها عند حاكم، فاعلم ذلك واعمل عليه، والله يتولى هداك اه وقد مر:

وأقبح الصفات فى الإخوان ... تخاصم على الدنى والفانى
وأفظع الخلل بين الفقرا ... تسابب والشتم من بين الورى
وإن يكن من بينهم تداع ... لبيت وال قل بالاسترجاع
لأن ذا من أعظم المصائب ... فى الفقرا! إذ هم كالأقارب
ثم الدنى أهون عند الفقرا ... من الوقوف عند باب الأمرا ... الخ

قال رحمه الله :

(وَمَنْ قَدْ كَبَا بِهِ جَوَادُهُ فَلْيَدُمْ عَلَى مِائَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ الْفَرِيدَةِ
وَيُهْدِى ثَوَابَهَا لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَيَنْوِى النَّجَاةَ مِنْ سِهَامِ مُصِيبَةٍ
وَمِنْ يَالَطِيفُ أَلْفَ إِثْرَ الْفَرَائِضِ وَمَنْ لَمْ يُطِقْ فَنَدْوَةً مَعْ عَشِيَّةٍ)

(ومن قد كبا) كدعا انكب وسقط على وجهه (به جواده) يقال فرس جواد بين الجوادة بالضم والفتح فإن الجواد قد يكبو والسيف قد ينبو والقلب قد يسهو واللسان قد يعدو (فليدم) أى فليواظب تعبدا لله تعالى (على مائة من الصلاة) أى من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم المسماة بالياقوتة (الفريدة) وهو : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ (ويهدى) من الإهداء (ثوابها) أى ثواب المائة منها (لخير البرية) سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى [جم] سئل سيدنا رضى الله عنه عن إهداء ثواب الصلاة له صلى الله عليه وسلم فأجاب : اعلم أنه صلى الله عليه وسلم غنى عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه وعن إهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم ، فهو غنى بربه وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله فهو فى ذلك عند ربه صلى الله عليه وسلم فى غاية لا يمكن وصول غيره إليها ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ وهذا العطاء وإن ورد من الحق بهذه الصفة نهلة المأخذ قريبة المحتد فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التى هى أكبرها ، فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته ومكانته عنده ، وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لاغاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ، ثم يرد على مرتبة لاغاية لها أيضا وعظمته على قدر وسعها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ، ولذا قال سبحانه وتعالى ـ وكان فضل الله عليك عظيما ـ وأقل مراتبه فى غناه صلى الله عليه وسلم أنه من لدن بعثه إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله ممن دخل فى طوق رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع ثواب عمله بالغا ما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة لهذا الثواب لما فيها من كمال الغنى الذى لا حد له ، وهذه أصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر والفضل الأعظم الأخطر الذى لاتطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم . وإذا عرفت هذا فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه صلى الله عليه وسلم ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدى له ثواب الأعمال وما مثل المهدى له فى هذا الباب ثواب العمل متوهما أنه يزيد به صلى الله عليه وسلم أو يحصل له به نفع إلا كمن رمى نقطة قلم فى بحر طوله مسيرة عشرة مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده فأى حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن يزيد فيه ؟ وإذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحظوته عند ربه فاعلم أن أمر الله للعباد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به صلى الله عليه وسلم ، فمن طلب القرب من الله والتوجه إليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله

غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله إلا به صلى الله عليه وسلم كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وامتثال شرعه ، فإذا فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربنا وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله عليه وسلم فى جميع التوجهات والمطالب لا لغير هذه من توهم النفع له بها صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى . وأما إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم فتعقل ما ذكرنا من الغنى أولا ثم تعقل مثالا آخر يضرب لإهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتى فى مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها طولها وعرضها من السماء إلى الأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتا أو ذهبا أو فضة أو زرعا أو غيرها من المتمولات ، ثم قدر فقيرا لا يملك مثلا غير خبزتين من دنيا فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له فى قلبه فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظما له ومحبا والملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذى لا حد له فوجودها عنده وعدمها على حد سواء ، ثم الملك لا تساع كرمه علم فقره وغاية جهده وعلم صدق حبه وتعظيمه فى قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك فلو قدر على أكثر من ذلك لأهداه فالملك يظهر الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة على هذا التقدير ، وضرب المثل تقدر إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم. وأما غناه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم ذكره فى ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولا وإمداده بنقطة القلم . وأما إثابته صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المثل لها بإهداء الخبزة للمذكور انظره (وينوى) من فضل الله عند ذلك (النجاة) والخلاص (من سهام) جمع سهم النبل (مصيبة) أى غير مخطئة بسبب ما اقترفه من الذنوب والآثام قال تعالى ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فله الحمد وله الشكر فى الأولى والآخرة ـ (ومن يالطيف) بياء النداء والضم أو اللطيف بالتعريف بدون ياء النداء وهو بيان لقوله (ألف) بالجر عطفا على مائة أى وليدم أيضا على ألف من يالطيف (إثر) بكسر همزة وسكون مثلثة أى بعد (الفرائض) أى الصلوات الخمس إذا كانت له قدرة على ذلك وسعة وفراغ ، وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » اللهم متعنا بهما متاعا حسنا إلى أجل مسمى بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين (ومن لم يطق) أى ومن لم يقدر على ذلك إثر كل فريضة (فغدوة) بضم معجمة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس فإنه ساعة نجاح وبركة وقسمة الأرزاق المحسوسة . وفى [جص]: « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح » وفيه : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » أى فليدم على ذلك غدوة (مع) بسكون العين (عشية) آخر النهار . وفى [جع] وليكن فى علمكم أن جميع العباد فى هذه الدار أغراض لسهام مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته فمن نزل به منكم مثل هذا فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فإنه لذلك نزل العباد فى هذه الدار ، ومن كبا به منكم جواده عن تحمل ثقلها ومقاومة ما يطرأ عليها من أعبائها فعليه بملازمة أحد هذين الأمرين أو هما معا وهو : أكمل الأول ملازمة يالطيف ألفا خلف كل صلاة إن قدر وإلا فألفا صباحا وألفا مساء أو فى الليل فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته. والثانى مائة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق ويهدى ثوابها إليه صلى الله عليه وسلم إن قدر مائة خلف كل صلاة وإلا

فمائة صباحا ومائة فى العشاء أو فى الليل ، وينوى بهما أعنى اللطيف والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أن ينقذه الله من جميع وحلته ويعجل خلاصه من كربته فإنه تسرع إليه الإغاثة فى أسرع وقت . وكذا من كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أسباب المعاش فليفعل ماذكرناه من أحد الأمرين أو هما معا فإنه يرى الفرج من الله عن قريب ، ومن دهاه خوف هلاك متوقع نزوله من خوف ظالم لا يقدر على مقاومته أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذرا ولا يجد من المال مايؤديه له أو إيراد كل خوف فليلازم ماذكرنا من أحد الأمرين أوهما معا فإنه ينقشع عنه عن قريب ، ولو أسرع مع ذلك بصدقة قلت أو كثرت بنية دفع مايتوقعه من الخوف أوبنية تعجيل الخلاص من الله وكربه كانت أجدر فى إسراع الخلاص والفرج - وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة - انتهى .

[فائدة] نقل أن أبا المواهب السائحى رضى الله عنه وعنابه آمين ذكر لهذا اللطيف زجرا وهو : أن تتلو ألفا من يالطيف فإذا كملته فاتل صلاة الفاتح مرة ثم يالطيف أربعا ثم اللهم بسرا سمك اللطيف الطف بى فى الأمور كلها واسلك بى مسالك النجا والطف بى يالطيف ، ثم يالطيف أربعا ثم اللهم بسر اسمك اللطيف الطف بى فيما جرت به المقادير عندك يالطيف ، ثم يالطيف أربعا ثم اللهم بسرا سمك اللطيف أدخلنى فى دائرة اللطف والحفظ والنجاة والأمان يالطيف ، ثم يالطيف أربعا ثم اللهم بسر اسمك اللطيف الطف بى لطفا خفيا من دقائق لطفك الخفى الذى إذا لطفت به لعبد كفى يالطيف ، ثم صلاة الفاتح ثلاثا أو سبعا أو أحد عشر اه . وعن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنابه آمين مانصه : ولسيدنا أبى العباس التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنابه آمين استعمال اللطيف : أن تصلى أربع ركعات فى كل ركعة الفاتحة والإخلاص خمسا وعشرين مرة ، وبعد الفراغ من الصلاة تقرأ « إنا أنزلناه » مع الدعاء الآتى متصلا سبع مرات ، ونص الدعاء : اللهم الطف بى فإنك بى بصير ودبر لى فإنى لا أحسن التدبير وخذ بيدى إليك ودلنى بك عليك ولا تحجبنى عنك ولا تقطعنى بقواطع الذنوب ياغنيا عن التفسير يامن العسير عليه يسير أشكو إليك مالا يخفى عليك يا الله ثلاثا يا أرحم الراحمين ثلاثا ، ثم تذكر يالطيف بياء النداء أربعة آلاف وعند اختتام كل ألف تقرأ الدعاء المذكور مرة واحدة ، ثم بعد تمام الأربعة آلاف تصلى بصلاة الفاتح عشر مرات ثم سورة القدر مرة واحدة ثم الدعاء المذكور مرة واحدة ، ومن شرط ذلك الخلوة مع الطهارة البدنية والمكاتبة كالصلاة ، والسلام اه . وعنه أيضا رضى الله عنه وعنابه آمين كيفية أخرى من اللطيف : تذكر الاسم اللطيف بحرف النداء أربعة وأربعين وأربعمائة وأربعة آلاف والزجر على رأس كل مائة وهو : اللهم يالطيف ياخبير ياخالق ياخلاق أغثنا بالفرج والنصر والتمكين والفتح المبين ، والطف بنافى قضائك السابق بحق لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق اسمك اللطيف يالطيف أربعا من غير العدد المذكور ، والسلام اه . وعنه أيضا رضى الله عنه وعنابه آمين . وكيفية اللطيف الصغير : تبدأ بالفاتحة أربعا بعد البسملة والفاتح مرة ثم آيات اللطيف وهى - لاتدركه الأبصار إلى الخبير - إن ربى لطيف لما يشاء - إلى الحكيم - ثم - الله لطيف بعباده - إلى العزيز - - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - ثم تبدأ بالأقل تسعة ثم عشرين ثم الفاتح مرة ثم زجره يالطيف أربع مرات سبحانك لا إله إلا أنت يالطيف أسألك اللهم بسر اسمك اللطيف الطف بى فيما جرت به المقادير عندك يالطيف واسلك بى مسالك النجا ، والطف بى لطفا خفيا من دقائق لطفك الخفى الذى إذا لطفت به

والمكانية

لعبد كفى وشفى وغنى يالطيف مائة ، وهذا القدر فيه كفاية وإن شئت كررته أربعا بجميع ماذكر أعلاه يقوم مقام الكبير والله أعلم ، ثم صلاة الفاتح ثلاثا ثم تقول : اللهم إنى ضعيف فقوفى رضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى وإنى ذليل فأعزنى وإنى فقير فأغننى يا أرحم الراحمين سبع مرات ، ثم تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم عشر مرات وتختم بالفاتح أيضا ثلاث مرات اهـ .وعن بعض أصحاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ومن خطه نقلت مانصه : ومن ذلك أن تصلى ركعتين فى جوف الليل ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ، ثم تقول يارب أربعين مرة فى نفس واحد ، ثم تقول اللهم الطف بى فإنك بى بصير ودبرلى فإنى لاأحسن التدبير وخذ بيدى إليك ودلنى بك عليك ولاتحجبنى عنك ولا تقطعنى بقواطع الذنوب ياغنيا عن التفسير يا من العسير عليه يسير أشكو إليك ما لا يخفى عليك يا الله يا ألله يا ألله يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين ، ثم يالطيف بياء النداء بالمد الطبيعى ألف مرة ، ثم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مائة أيضا ، وتكون النية لله وثوابه هدية للنبى صلى الله عليه وسلم ، فإن من دعا به فى أمرمهم جعل الله له فرجا لاسيما المداوم على ذلك والسلام اهـ . ورحم الله من قال :

يارب مازال لطف منك يشملنى	وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما	فمن سواك لهذا العبد يرحمه

ومن قال :

فكم لله من لطف خفى	يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر	ففرج روعة القلب الشجى [1]
وكم أمر تساء [2] به صباحا	فتعقبك المسرة فى العشى
إذا ضاقت بك الأسباب يوما	فثق بالواحد الصمد العلى
تشفع بالنبى فكل عبد	يغاث إذا تشفع بالنبى
ولا تيأس إذا ماجاء خطب	فكم لله من لطف خفى

قال رحمه الله :

(وَمَنْ كَثُرَتْ دُيُونُهُ أَوْ عِيَــالُهُ	أَوِ اشْتَدَّ فَقْرُهُ كَعُسْرِ الْمَعِيشَةِ
أَوِ انْسَدَّ بَابُ الْخَيْرِ أَوْ خَافَ ظَالِمًا	فَيلْزَمُ مَامَضَى بِصِدْقِ الطَّوِيَّةِ
يَرَى الْخَيْرَ وَالتَّيْسِيرَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ	تَصَدَّقْ أَخِي وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَالذِّكْرُ أَفْضَلُ مَابِهِ	تَصَدَّقَ شَخْصٌ وَهْوَ أَعْظَمُ جُنَّةِ)

(ومن كثرت ديونه) واشتدت عليه أربابها فى اقتضائها وسىء بهم وضاق بهم ذرعا فيلزم مامضى من ألف يالطيف ومائة من صلاة الفاتح أوأحدهما بنية صادقة وهمة نافذة يأتيه الفرج من حيث لايحتسب. وفى [جص] « الدين يشين الدين » أى لأنه يشغل القلب بهمه وقضائه والتذلل لربه فيشتغل بذلك عن

---

(١) بشين معجمة من شجى حزن اهـ . (٢) أى تحزن اهـ .

العباد، وفيه: « الدين راية الله فى الأرض فإذا أراد أن يذل عبدا وضعها فى عنقه» وفيه: « الدين هم بالليل ومذلة بالنهار » ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

إياك والدين فهى النهار مذلة فى الليل هم سار
سوى إذا كنت لدى استدانه تنوى أداءه مع الإعانه
وكان عبد الله ذا تكثير فى الدين للرغبة فى التيسير

وفيه: « إن الله تعالى مع الدائن حتى يقضى دينه ما لم يكن دينه فيما يكره الله » وفى الحفنى: فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فخذلى بدين فإنى أكره أن أبيت ليلة إلا والله معى، وفيه: « من كان عليه دين فهم بقضائه لم يزل معه من الله حارس » أى يحرسه من الشيطان أو السلطان أو منهما معا حتى يوفى دينه ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من مشى إلى غريمه بحقه صلت عليه دواب الأرض وحيتان الماء وكتبت له بكل خطوة شجرة فى الجنة وذنبه يغفر له » وفيه : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » وفيه «ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل صير [1] دينا أداه الله عنك قل: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغنى بفضلك عمن سواك » وفيه « ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى دينك قل إذا أصبحت وإذا مسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال العزيزى: سببه كما فى أبى داود عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالسا فيه فقال : يا أبا أمامة مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ قال هموم لزمتنى وديون يارسول الله ، فقال أفلا أعلمك كلاما فذكره » وفى آخره قال : فقلت ذلك أى لازمت هذا الدعاء صباحا ومساء فأذهب الله همى وقضى عنى ديونى وذلك ببركة الدعاء وصدق نيته وإخلاصه اه : وروى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك قل يامعاذ: اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء - إلى قوله - قدير - رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك» اه. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

رب تداينت كثير الدين عليك ياكريم دون مين
فأده من فضلك العميم بالمصطفى وقطبنا المكتوم

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننوى الوفاء لكل شىء استدناه من الناس ولو صداقا لامرأة خوفا أن لايعيننا الله تعالى عن الوفاء إذا نوينا عدم الوفاء ويصير علينا التبعة فى الآخرة ويزيد الصداق بكون الشارع جعل وطء تلك الزوجة التى نوينا عدم وفاء مهرها كالزنى ، ثم قال ثم إذا وقعت ياأخى فى الدين فإياك أن تظهر لصاحب الدين الفقر والأمر بخلاف ذلك فيسلطه الله عليك بالحبس ويقسى قلبه عليك، وإياك أن تتزوج وعليك دين أو تتسرى أو تعمل عرسا

---

(١) صير بالصاد المهملة والياء المثناة: اسم جبل لطيء قاله العزيزى اه مصححه .

أو سماطا بل قتر على نفسك كل التقتير وكل شىء دخل يدك مما زاد على ضرورتك فأعطه لصاحب الدين واشكر فضله فى صبره عليك وقل له بحق وصدق والله أنا فى خجل منك، ولكن ادع الله أن يوسع على حتى أوفيك وأوفى غيرك . وقد دخل جماعة كثيرة من إخواننا المحبوس بسبب الكلام المر لصاحب الدين وبسبب التزويج وعمل الأعراس والعزومات وقال أصحاب الديون أحق بذلك المال الذى ينفقه على شهوات نفسه وهو حق ، فإذا طلب صاحب الدين أن يحبس المديون فمن الأدب أن لايتوارى عنه بل يجىء بنفسه إليه ويقول أنا أسيرك فى الدنيا والآخرة فإن شئت فاحبس وإن شئت فأطلق، وكذا من الأدب أن يشكره بين الناس ويدعو له فيما بينه وبين الله بتوسعة الرزق وتعطيفه عليه حتى لايحبسه ولا يضيق عليه، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نلقى بالنا إلى الدنيا ولا إلى مطالبة من لنا عليه دين إكراما لمن هو عبده ولمن هو من أمته صلى الله عليه وسلم ، ولكن من أتى لنا بشىء من ذلك من غير سؤال قبلناه وصرفناه ومن لم يأت بشىء فلا نطالبه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ولما رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمال والغنم لخديجة فى أيام الجاهلية هو ورفيق له فكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طالب لنا خديجة ، ويقول صلى الله عليه وسلم « أنا أستحيى » وكان سيدى على الخواص يقول : للفقير أن يطالب بدينه على وجه تخليص ذمة ذلك المديون فى الآخرة إلا لمن تسمح نفسه بمسامحة المديون بذلك الدين لا على نية التمتع بالدينار . وكان رضى الله عنه إذا كان له على أحد من إخوانه درهم يشدد عليه فى المطالبة ويقول إنما أشدد عليه لئلا يتهاون فى ديون الناس ، وكان يقول : من تحقق بالعبودية كره أن يكون له فى الآخرة حق على أحد من عبيد الله انظره (أو) كثرت (عياله) جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزم الإنفاق عليه (أو اشتد) عليه (فقره) بفتح الفاء وضمها ضد الغنى (كعسر) كقفل ضد اليسر أسباب (المعيشة) عليه (أو انسد) وانغلق عليه (باب الخير) والتيسير وانصبت عليه الشرور ونوائب الدهور فيلزم مامضى من ألف باللطيف ومن مائة صلاة الفاتح أو هما معا بنية صادقة وهمة نافذة فعن قريب ينفتح له باب الخير والتيسير والفرح والسرور ؛ وليكثر من هذه الأدعية : اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى . اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقطاع عمرى . اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير فإن تيسير كل عسير عليك يسير وأسألك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة اهـ . وليكن ذلك ثلاثا أو سبعا بعد ما ذكر من اللطيف وصلاة الفاتح . وفى [جع] وشكى رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم الفقر فقال « إذا دخلت بيتك فسلم على ، واقرأ قل هو الله أحد » اهـ . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتعاطى أسباب تعسير الرزق كعدم الإيثار وكالمعاصى الظاهرة والباطنة من زنى وغيبة وحقد وحسد وتكبر وفخر وعجب ، وكالنوم فى الأسحار ووقت تفرقة الغنائم وكالنوم بعد الفجر حتى يتعالى النهار : وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إن الله تعالى يقسم الأرزاق المحسوسة بعد صلاة الصبح والأرزاق المعنوية بعد صلاة العصر . قال : ولذلك نهينا عن النوم فى هذين الوقتين لأن فيه إظهار عدم الفاقة وعدم الاعتناء بمشاهدة من يقسم الأرزاق من قبل الحق تعالى . وسمعته مرارا يقول : والله إنه ليصبح عندى نفقة الجمعة أو أكثر ويكون على النوم فلا أنام لأجل حضورى بقلبى مع الله تعالى وقت القسمة حتى لا أظهر عدم احتياجى إلى فضله فى وقت من الأوقات ، ثم قال : وأيضا فى النوم بعد الصبح علة أخرى وهو أنه يورث وجع الجنب

كما جربته وذلك أني كنت أسهر في ليلة الجمعة في مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من العشاء إلى صلاة الصبح فكنت أصلي صلاة الصبح وأنام فاعتراني وجع الجنب ولا أعرف سببه ، فرأيت شيخي الشيخ الصالح المحدث الشيخ أمين الدين بن النجار إمام جامع الغمرى بالقاهرة فروى لى حديثا سنده بالسريانى عن أنس بن مالك ومتنه بالعربى وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من واظب على النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله بالبعج » فقلت للشيخ وما هو البعج ؟ فقال هو وجع الجنب ، فتركت النوم بعد الصبح حتى تطلع الشمس فزال المرض بحمد الله تعالى ، انظره . ونقل أن رجلا شكى إلى يوسف بن عبيد ضيق حاله ، فقال له يوسف أيسرك أن لك ببصرك مائة ألف درهم فقال الشخص لا ، قال فبيديك؟ قال : لا قال فبرجليك ؟ قال لا ، وعدد نعم الله تعالى عليه ، فقال أرى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة اه . وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لوجاء العسر فدخل هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » قال تعالى ـ فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » ـ وقال صلى الله عليه وسلم : « لن يغلب عسر يسرين [1] » ورحم الله من قال :

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعدا ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... لله فى أعطافها ألطاف

ومن قال :

إذا اشتدت بك البلوى ... ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين ... إذا فكرته فافرح

قال ابن أبي جمرة رضى الله عنه : كان على رضى الله عنه إذا كان فى شدة استبشر وفرح ، وإذا كان فى رخاء قلق ، فقيل له فى ذلك؟ فقال : ما من ترحة إلا وتتبعها فرحة ، وما من فرحة إلا وتتبعها ترحة ، ثم تلا الآية قال تعالى ـ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ـ الآية ، ورحم الله من قال :

سيفتح باب إذا سد باب ... نعم وتلين الأمور الصعاب
ويتسع الحال من بعد ما ... تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هون عليك ... فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
إذا احتجب الناس من سائل ... فما دون سائل ربى حجاب

وفى [خل] وقع بعض الناس فى شدة كبيرة فشكى ذلك للشيخ رحمه الله ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشير على الشخص بأن يسبح مائة مرة ويحمد مائة مرة ويكبر مائة مرة ويقول : اللهم صل على محمد النبى الأمى مائة مرة ، ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة ، ثم يصلى اثنتى عشر ركعة ويدعو بعدها بما يظهر له ، ثم يصلى ركعتين ثم يقرأ فى الختمة خمسين آية من آخر سورة البقرة ، ثم يصلى أربعا وعشرين ركعة ثم يدعو بهذا الدعاء وهو : اللهم لا فرج إلا فرجك ففرج عنا كل شدة وكربة يا من بيده مفاتيح الفرج ، واكفنا شر من يريد ضرنا من إنس وجن وادفعه عنا بيدك القوية بإذنك وقدرتك إنك على كل شىء قدير ، ففعله فذهبت تلك الشدة التى كان فيها ذلك الشخص .

---

(١) قوله : يسرين بياء واحدة تثنية يسر ، وأما بيائين فهو تثنية يسرى ولا معنى لها فى الحديث اه مصححه .

وكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول فى النوم للذى أخبره بما تقدم من التسبيح والصلاة والدعاء إن من يفعل هذا صادقا فرج الله عنه شدته فى يومه ولو كانت أى شىء كان اه (أو خاف) على نفسه أو ماله (ظالما) لايراقب الله ولا يخافه قال تعالى - إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب - وفى [هب] الرابع : أى مما يوجب الانقطاع عن الله تعالى الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما ، فيقول فى نفسه لا أعصى هذا الظالم لأنى إن عصيته قتلنى أو منع رزقى أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه، ولو تحقق بوجود الحق تعالى معه وتصرفه فيه وفى ذلك الظالم لعلم أنه هو الفاعل وحده لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره فى فعل من الأفعال وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى ، وبقدر ما يقوى هذا النظر فى العبد يقوى قربه من ربه تعالى وبقدر مايقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه اه . وفى الحديث : « من دعا على ظالمه فقد انتصر » وقال ابن ميسرة : إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول : إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه : كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل . وقيل مكتوب فى الإنجيل : من استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل ندعو على الظلمة إذا جاروا ؟ فقال لا لأن جورهم لم يصدر عنهم أصالة وإنما صدر عن المظلوم فإنه ما ظلم حتى ظلم نفسه أو غيره والحكام مسلطون بحسب الأعمال -إن لكم لما تحكمون - وإنما هى أعمالكم ترد عليكم وفى الحديث : « الحاكم الجائر عدل الله فى أرضه ينتقم به من خلقه ثم يصير إلى الله فإن شاء عفا عنه وإن شاء انتقم منه » - ربك فعال لما يريد - وهو الغفور الودود - والله أعلم اه . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لا ندعو قط على من ظلمنا ولا نقول قط : اللهم من كادنا فكده ومن بغى علينا فخذه ونحو ذلك، وإنما نرجع إلى نفوسنا فننظر السبب الذى تحكم فينا ذلك الظالم بسببه فنتوب منه ونستغفر ونرجع إلى الله فإن لم يتيسر لنا توبة صبرنا واحتسبنا ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالهلاك فأنزل الله تعالى عليه - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فاستحيا من الله تعالى عز وجل وترك الدعاء عليهم وصار يدعو لهم بالهداية . واعلم يا أخى أن شأن كل عارف أن يرى نفسه قد استحقت الخسف به لولا عفو الله وأن جميع مايقع عليه من البلايا والمحن ، دون ما كان يستحق : ويرى جميع الظلمة فى هذه الدار كزبانية جهنم ، إلا أنهم خالفوا الزبانية فى هذه الدار فى ظلمهم للعباد فى كونهم تحت النهى بخلاف الزبانية فإنهم هناك تحت الأمر، ومعلوم عند كل عارف أن حكم الإرادة لامرد له لأنه لا يصح قط لأحد أن يخالف إرادة الله بخلاف أمره فيصح مخالفته لقوة سلطان الإرادة فافهم ، ومن هذا المشهد قل تكدير العارفين لمن ظلمهم وآذاهم فإن الظالم حكمه حكم السوط الذى يضرب به فالغيظ حقيقة إنما يكون من الضارب الظالم لا من السوط فمن اغتاظ من السوط فهو محجوب عن كمال العقل والسلام، وتأمل من استحق القتل فى بيت الوالى إذا صولح بالصفع على رقبته كيف يتلذذ لمشاهدته ألم القتل بالخوزقة مثلا ولولا هذه المشاهدة لتألم بالصفع فاعلم ذلك اه . وفيه : وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : الحاكم ظل والرعية شاخص فإن كان الشاخص أعوج كان ظله أعوج وإن كان مستقيما كان ظله مستقيما ، فلا يزال الأمير الأعوج يقيمه رعيته الصالحون بأعمالهم الصالحة شيئا فشيئا حتى يكون مستقيما كالرمح ، ولايزال الأمير المستقيم تعوجه أعمال رعيته المارقين الفاسقين حتى

يكون كالخطاف ، فكل من شكا لنا من عوج أميره أو حاشيته عرفنا عوجه هو . ولا يخفى أننا الآن فى زمان ظهور علامات الساعة فالعاقل يعذر أميره باطنا كما يعذر نفسه وينكر على الظالم برفق من غير عنف لأن ظلمه لم يقع إلا جزاء لأفعال صدرت من الخلق أحصاها الله ونسيها العباد قال تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فاعلم ذلك اه - إن الله بالناس لرؤف رحيم - وفيه : أخذ علينا العهود أن نسأل الله تعالى أن لا يستجيب لنا دعاء قط فى أحد من هذه الأمة المحمدية فضلا عن أولادنا وأهلينا وذلك حتى لا يستجيب دعاءنا فى المستقبل حال غضبنا على ولد أو خادم أو صاحب أو نحو ذلك ، والحق تعالى أولى من وفى بالسؤال فلا يجيب دعاءنا على أحد إذا غضبنا منه . وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وآخر الأمر إذا سألوه أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعاله وكان يقول: « اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر اللهم فمن سببته أو شتمته فاجعل ذلك له كفارة وطهورا » فاعلم ذلك فإنه نافع جدا اه ، والله لقد صدق ونصح فالله يجازيه أحسن الجزاء آمين . وفى [شب] فائدة . قال الدميرى : من دخل على من يخاف شره فليقرأ - الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - الذين قال لهم الناس إن الناس - إلى - عظيم - فإن الله ينجيه من شره ، وفى الحديث: « حسبنا الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » وفيه : قال الدميرى : من كتب هذه الآيات ووضعها فى متاع أو غيره حفظ بإذن الله تعالى، ومن حملها معه حفظ بإذن الله ولم ير فى نفسه ولا عياله مكروها ، وإذا علقت على صبى حفظ من القرائن والتوابع وأم الصبيان ونشأ منشأ صالحا . قال : وحيث وصلت إليك هذه الذخيرة فعض عليها بالنواجذ فمنافعها كثيرة وهى - ذلك تقدير العزيز العليم - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى - يوم لاينفع مال ولا بنون - إلا من أتى الله بقلب سليم - ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - وفى السماء رزقكم وماتوعدون - . وقال أيضا : ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين ويحملهما فإن الله تعالى يبارك له فى جميع أحواله وينصره على أعدائه وهما قوله تعالى - ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا - إلى قوله - عليم بذات الصدور - وقوله تعالى - محمد رسول الله - إلى آخر سورة الفتح . قال : وهما ينفعان أيضا للأمراض الباطنة والظاهرة التى تحدث فى البدن كالدماميل والقروح والنفخ والحرارة ونحو ذلك ، فيكتب الآيتين فى إناء نظيف ويمحوه بدهن ورد أو زيت طيب أو شيرج ويطلى به ذلك فإنه يبرأ . قال : وهما من الأسرار المخزونة اه (فيلزم مامضى) من المائة من صلاة الفاتح والألف من ياللطيف إثر كل فريضة أو صباحا ومساء (بصدق الطوية) أى النية أى بنية صادقة خالصة لله تعالى لا لأغراض نفسانية وشهوات ظلمانية (يرى) يبصر ويشاهد ببصره وبصيرته (الخير والتيسير) والتسهيل (فى الأمر كله) أى فى جميع أموره الدينية والدنيوية بمحض فضل الله وكرمه وجوده وإحسانه وامتنانه - وهو على كل شىء قدير.

وفى [جه] وأما ماجاء من الأذكار والعبادات لسعة الرزق ودفع الضرر وهلاك الظالم ودفع الفقر وقضاء الحوائج إلى غير ذلك فما كان من ذلك من جلب رزق ودفع فقر وقضاء حاجة مطلوبا لذاته بذلك الذكر أو العبادة فهو من شرك الأغراض وهو حرام بالإجماع ، وإن كان ذلك المطلوب ليعين على عبادة الله عز وجل فلا يخلو من أمرين أيضا : إما أن يكون قصده فى ذلك الذكر الخاص

أو العبادة الخاصة بمجرد غرضه من سعة الرزق وغيره من غير قصد وجه الله عز وجل بالذكر والعبادة فذلك من شرك الأغراض أيضا وهو حرام ، وإن قصد بالذكر والعبادة وجه الله عز وجل ورجا مع ذلك قضاء غرضه ليستعين به على عبادة ربه ويدعو عقب عبادته لله بقضاء حاجته فهو جائز لا حرج فيه لكن بعد اعتقاد أن الله هو الفاعل باختياره لا بذلك الذكر بل عنده لا به وطلب بالذكر وجه الله عز وجل وأن الأذكار والعبادات لا تأثير لها وخواصها من الثواب هنا وهناك ، وأن الله عز وجل هو الفاعل عندها لا بها بمحض اختياره لا لعلة فهذا وجه صحته ، وكل هذا تكشفه الأدلة النقلية والله الموفق .

والحاصل من هذا كله أن من عبد الله عز وجل لوجهه لم يخرج عن دائرة الشرع دون غيره إلا أنهم مختلفون فبعضهم الحامل له على عبادة الله تعالى وجهه أعنى الذى نورهم ونهضهم إليها رجاء فضل الله تعالى واتقاء عقابه وهؤلاء هم أهل الشريعة ، وبعضهم حملهم على عبادة الله تعالى ونهوضهم إليها معرفتهم بجلاله وكبريائه وعظمته فعبدوه على الحب والشوق إليه أداء لحق ربوبيته لا لغرض وهم العارفون ، وسوى ذين هالك لا عبادة له فضلا عن الثواب ، انظره ولابد . وفيه مما كتبه لبعض أحبائه رضى الله عنه وعنابه آمين : وبعد ، فتعلقك بالخواص فى طلب الدنيا وأغراضها وشهواتها وأنت مشغول بإطلاق لسانك فى الغيبة والنميمة وفيما لا يرضى الله ومنهمك فى البعد عن الله لا ربح فى هذه التجارة إلا التعب فلا تظفر منها بشىء وإن الخواص بحر الطمع متعلق بها كالذى يريد الظفر بسراب بقيعة ، إنما الخواص وأسرارها لا يتمكن منها أحد من خلق الله إلا أحد رجلين : إما رجل ظفر بالولاية وإما رجل جعل أكثر أوقاته فى ذكر الله وفى صحة التوجه إليه سبحانه وتعالى وفى الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم طلبا لوجه الله الكريم لا لغرض غير ذلك ، وداوم على هذا المنوال وصان لسانه عن الأقاويل التى لا ترتضى شرعا كالغيبة والنميمة والكذب والسخرية وسائر ما لا يرتضى ، وصان قلبه عما لا يرضى الله كالكبر والحسد وظلم الناس والبغض بغير أمر شرعى إلى غير ذلك وهو فى هذا كله قائم لله تعالى فهذا هو الذى لعله يدرك بعض أسرار الخواص ، ومن سوى هذين لا يفيده التعلق بالخواص إلا التعب والذى يليق به وقته أن يجعل وردين لله تعالى من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ورد فى الليل وورد فى النهار فى كل ورد من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة ثم تدرج كل ورد بالزيادة خمسين مرة فى كل أسبوع ، لا تزال كذلك حتى يصير الوردان ألف مرة فى كل ورد وداوم على الوردين هكذا أبدا سرمدا لا تزيد ولا تنقص واقصد بذلك صحة التوجه إلى الله تعالى لوجهه الكريم فقط لا لغير ذلك ، فإنك بالدوام على ذلك تنفرج عنك الأمور ، وزد مع ذلك وردا من قولك يالطيف ألف مرة بالليل أو بالنهار فقط واقصد بذلك الاستغاثة بالله من ضرر الفقر وداوم عليه يفرج الله عنك ما أنت فيه والسلام اه (تصدق) لوجه الله تعالى (أخى) أى يا أخى بما تيسر عندك من حلال طيب لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيب (ولو بشقة) بكسر معجمة (تمرة) أى ولو كان القدر المتصدق به نصف تمرة ، وفى مسلم عن عدى بن حاتم قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » وفى [جص] « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » وفيه : « تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من النار » وفيه : «تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » وفيه : « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة » وفيه : « الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات » وفيه : « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها

الجذام والبرص » وفيه : « الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة الرحم تحوّل الشقاء سعادة » قال الحفنى : ولذا احتطب شخص ففك حطبه فإذا فيه أفعى فقيل له ماذا صنعت حتى نجاك الله منها ؟ فقال تصدقت بكسرة . وحكى أن بعض السلاطين أمر بشخص ليقتله فجيء به وقد تصدق فى طريقه بنصف رغيف وقال إنه صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ونار السلطان أخف من نار جهنم فهذا يدفعها بالأولى ، فلما قدم عليه والناس مجتمعون أمره بالانصراف ، فسأله بعض أعوان السلطان ماذا صنع حتى نجا فأخبره بما وقع وقال إن نصف الرغيف أكبر من نصف التمرة ونار السلطان أخف من نار جهنم وهكذا شأن المخلصين ، انظره . ونقل أن رجلا وجه ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم ، فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله أبوه : هل أصابك فى سفرك بلاء ؟ فقال له غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت مع جملة الناس وإذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك ؟ وإنه كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا يانبى الله ادع الله عليه ، فقال اذهبوا فقد كفيتموه ، وكان يخرج كل يوم يحتطب فخرج ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر فاحتطب ورجع سالما . قال : فدعاه صالح وقال أى شيء صنعت اليوم ؟ قال خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر ؛ فقال صالح عليه السلام حل حطبك فحله فإذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع عاض على جذع من الحطب ، فقال بهذا دفع عنك : يعنى بالصدقة . وحكى أن بعض الوعاظ قال فى مجلسه : إن الرجل إذا أراد أن يتصدق فإنه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة ، فلما سمعه بعض من حضر مجلسه قال إنى أقاتل هؤلاء السبعين وخرج من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد أن يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خر ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا إلى المسجد ، فقال له الواعظ ماذا عملت ؟ فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتنى اه . وأخبرنى من أثق به أنه قلما أن يتصدق بشيء إلا بعد محاربة أمهم والحرب سجال ودول - ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا التجار وغيرهم بالصدقة ولا يخلوا يوما واحدا منها ولو رغيفا أو فلسا أو بصلة أو تمرة أو زبيبة أو صلاة ركعتين أو تسبيحة أو تهليلة ، وذلك لئلا ينزل عليهم فى ذلك اليوم بلاء قال صلى الله عليه وسلم : « باكروا بالصدقة فإن البلاء لايتخطاها » وكلما كثرت الصدقة كان البلاء مدفوعا أكثر والله أعلم اه . وفى [جه] وعليكم بالمحافظة على الصدقات فى كل يوم ولو فلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية فإن عناية الله تعالى بالعامل فى ذلك قريب من محافظة المفروضات فى الجماعات اه ، وسيأتى أن للمداوم عليها من الله عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ له بيده فى كل كبوة اه . وفى [جص] : « ابدأ نفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك ، فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا » ورحم الله من قال :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المال الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا منفق ... وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى ... يحق وإلا استهلكتك مهالكه

وفى الحديث : « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق بكل مافضل عن حاجتنا ولا ندخر منه شيئا إلا لضرورة شرعية سواء كان مالا أو طعاما أو ثيابا عملا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نخلى يوما واحدا من صدقة فإن لم نجد شيئا مماذكرناه تصدقنا بالتسبيح وقراءة القرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من صنائع المعروف ، وفى الحديث : « صنائع المعروف تقى مصارع السوء » ومعنى التصدق بالتسبيح وشبهه أن يجعل ثواب ذلك فى صحائف المسلمين ، وهذا العهد يتعين العمل به على كل من كان قدوة فى دين الله من العلماء والصالحين فينبغى لأحدهم أن يكون مقداما للناس فى كل خير . انظره (فإن لم تجد) ماتتصدق به من حلال طيب (فالذكر) أى فذكر الله بأى نوع من أنواع الأذكار (أفضل مابه تصدق) أى أفضل شىء تصدق به (شخص) ذكراً كان أو أنثى فإن النساء شقائق الرجال فى الأحكام الشرعية (وهو) بسكون الهاء لغة أى الذكر (أعظم) وأحصن وأقوى (جنة) بضم الجيم مايتقى به من السلاح جمعها جنن كغرفة وغرف . وفى [جص] « خذوا جنتكم من النار قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومنجيات وهن الباقيات الصالحات » وفيه : « الذكر خير من الصدقة والذكر خير من الصيام » وفيه : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » وفى رواية : « قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله » قال الحفنى : فهو أفضل شىء يتقرب به إليه تعالى والقرآن أفضل لمن يتدبر معانيه فيحصل له بتلاوته الزجر والتطهير ، أما الملوث بالمعاصى الذى يقرؤه بلسانه فقط فينبغى له الاشتغال بالذكر الذى يطهره من المعاصى ، وأفضل أنواع الذكر لاإله إلاالله أى للنفس الأمارة انظره ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا » وروى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « أى العباد أفضل عند الله يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيرا قلت يارسول الله : ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة » . وروى الطبرانى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل » وروى أيضا : « من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها » وروى النسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم هانىء : « سبحى الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ، واحمدى الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها فى سبيل الله ، وكبرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة ، وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسبه إلا قال تملأ مابين السموات والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك إلا أن يأتى بمثل ماأتيت » قال رحمه الله :

(عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ فِى كُلِّ حَالَةٍ ... فَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ وَلَا بِمُوَقَّتِ

وَلَا شَىْءَ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ لَظًى غَدًا ... مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ)

(عليك) اسم فعل للأمر بمعنى الزم (بذكر الله) عز وجل من تهليل وتسبيح وتحميد وتكبير واستغفار وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الله أفضل مايتقرب به المتقربون وأفضل ما أعطاه لعباده فى الدنيا، وهو عنوان الولاية وصحة البداية ودلالة صفاء النهاية. وذكر الإمام الرازى أن جميع العبادة تزول يوم القيامة إلا الذكر قال تعالى - فاذكرونى أذكركم - وقال - واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين - وقال - ولذكر الله أكبر - أى فى النهى عن الفحشاء والمنكر من غيره وفى [جص] «علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله» وفيه: «ذاكر الله فى الغافلين مثل الذى يقاتل عن الفارين وذاكر الله فى الغافلين كالمصباح فى البيت المظلم، وذاكر الله فى الغافلين كمثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر الذى قد تحات من الصريد، وذاكر الله فى الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله فى الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمى» وفى [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين» وقال صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى» وقال صلى الله عليه وسلم: «ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع» وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل» وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أى الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل» وقال صلى الله عليه وسلم: «أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة» وقال صلى الله عليه وسلم: «لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى» الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير من ملئه، وإذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا مشى إلى هرولت إليه» يعنى بالهرولة سرعة الإجابة، وقال صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله - يوم لاظل إلا ظله - من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله» انظره، وفى الحديث القدسى: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وفى آخر: «إن الله عز وجل قال: ياعبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما» وقال بعضهم: إن الله عز وجل يقول «أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه» ورحم الله من قال:

الذكر أفضل باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حراسا
والقلب أفضل بيت فيه تذكره ... فكن له فى جنان القلب غراسا

وفى الحكم: أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكراً له، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك، وفيه: الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لاتتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لاترحل إليه، انظره. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال: ليس يتحسر أهل الجنة على شىء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها» اهـ. وفى [مح] وقال سيدى إبراهيم المتبولى: الذكر أسرع فى الفتح من سائر

العبادات ، وقال : إن الحق تعالى لايقرب عبداً إلى حضرته إلا إن استحيى منه حق الحياء ، ولا يصح له أن يستحيي كذلك إلا إن حصل له الكشف ورفع الحجاب ، ولا يصح له الكشف ورفع الحجاب إلا بملازمة الذكر ، وقال : ولا يحصل لأحد مقام الإخلاص الكامل إلا بالذكر فإن أول مايتجلى للعبد إذا اشتغل بالذكر توحيد الفعل لله سبحانه ، فإذا تجلى له توحيد الفعل لله سبحانه خرج كشفاو يقينا عن شهود كون الفعل له وخرج أيضا عن طلب الثواب عليه وعن الكبر والعجب والرياء .

وقال سيدى على الخواص: بمداومة الذكر تخمد[1] الأمراض الباطنة من كبر وعجب ورياء ونفاق وسوء خلق وحسد وغل وحقد وحب رياسة وميل لتقبيل يد وقيام، فإن الغم والهم فيها إنما هما بقدر الغفلة عن الله تعالى فلايلومن العبد إلانفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم فإن ذلك إنماهو جزاء بقدر إعراضه عن الله تعالى فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر انظره، ثم قال: إذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور ، وإذا حصل له الذكر مع الحضور صار الحق مشهوده وهناك يستغنى عن ذكر اللسان فلا يذكر باللسان إلا فى محل يقتدى به فيه لاغيره ، لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بهت وخرس يستغنى صاحبها فى الجمعية بالمدلول، فقد استغنى العبد عن الدليل ، انظره فقد أفاد وأجاد رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [شب] اعلم أن الذكر عند العارفين لغير أرباب الشهود لما فى الحديث القدسى : « من ذكر لم يشهد ومن شهد لم يذكر » أى من كان يرى له وجودا فذكرنى به فإنه محجوب، والمحجوب لايشهد، ومن شهد أن الوجود لى ولا وجود لغيرى علم أنى الذاكر والمذكور والذكر فلم يذكر ، وبهذا يتضح قول ابن العربى رضى الله عنه :

بذكر الله تزداد الذنوب	وتنطمس السرائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شىء	فشمس الذات ليس لها غروب

وهذا من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين وقليل أهل هذا المقام الذين قال قائلهم :

الله يعلم أنى لست أذكره	وكيف أذكره إذ لست أنساه

ومنه قول بعضهم رضى الله عنه :

ما إن ذكرتك إلا هم يلعننى	سرى وجهرى وفكرى عند ذاكراك
حتى كأن رقيبا منك يهتف بى	إياك ويحك والتذكار إياك
فاجعل شهودك من لقياك تذكرة	والحق تذكاره إياك إياكا
أما ترى الحق قد لاحت شواهده	فواصل الكل من معناه معناكا

قال فى[جه] لأن تقادم الذكر فى جميع مراتبه كان وسيلة إلى الوصول إلى هذه المرتبة فإذا وصلها انقطع الذكر من أصله وصار ذاكرا على كل أحيانه استوى نومه ويقظته وحضوره وغيبته واستوى الأمر عنده أكان مع الخلق أم كان وحده وصاحب هذا الحال لو اجتمع فى مكان مع جميع الخلق شيئا ولا يسمع فى خطابهم وأكثروا اللغط والصخب لم يعلم من خطابهم إلاخطاب الحق سبحانه وتعالى يخاطبه انظره (فى كل حالة) من حالاتك وفى كل وقت من أوقاتك (فليس بمحدود) بحال من الأحوال ولابعدد من الأعداد (ولا بموقت) أى بوقت من الأوقات - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون. وعن عائشة رضى الله عنها وعنا بها آمين قالت: «كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه»

---

(١) من خمدت النار كقعد: سكنت وذهبت اهـ .

أى أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى متطهرا ومحدثا وجنبا وقائما وقاعدا ومضطجعا وماشيا فما من وقت إلا والعبد مأمور بذكر مولاه الذى خلقه فسواه ورزقه وأغناه ووفقه وهداه وأسبغ عليه نعماه - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وهذا من خصائص الذكر من بين العبادات . قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقوله تعالى - ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - لم يفرض الله فريضة إلا جعل الله لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به فى الأحوال كلها فقال - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال - اذكروا الله ذكرا كثيرا - أى بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال انظر الخازن (ولا شىء) من العبادات بأسرها (أنجى) أى أكثر نجاة (من عذاب لظى) اسم طبقة من طبقات النار أجارنا الله والمسلمين منها بمحض فضله وكرمه آمين (غدا) هو يوم القيامة (من الذكر) أى من ذكر الله تعالى أى من ذكر عذابه وعقابه وثوابه وإحسانه (عند أمر) ونهى (رب البرية) أى عند أمره بشىء بالامتثال أونهيه عن شىء بالاجتناب وكثيرا مايقول سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين : أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه . وفى [حى] وقال الحسن : الذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عندما حرم الله عز وجل اه . وفى [جص] « إن لكل شىء سقالة وإن سقالة القلوب ذكر الله ، وما من شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع » وفيه ماعمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » قال الحفنى : فجميع أعمال الخير تنجى من عذاب الله لكن الذكر أعظم نجاة من غيره بأى صيغة كان من صيغ الذكر اه : وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أوعظما عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » اه . فينبغى للعاقل أن يواظب كل يوم على هذا العدد من هذه الأذكار ولا يضرك بأيهن بدأت فقل أستغفر الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر حتى تعد ثلاثمائة وستين - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى السبحة]

قال رحمه الله :

(وَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا يُلَازِمُ سُبْحَةً وَإِنَّ اتِّخَاذَهَا شِعَارُ الْأَئِمَّةِ
وَفِى مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ جَا أَصْلُ سُبْحَةٍ وَأَطْنَبَ فِى ذَاكَ السُّيُوطِى بِمِنْحَةٍ
فَكَمْ مِنْ صَحَابِىٍّ يُسَبِّحُ بِالنَّوَى كَمِثْلِ أَبِى هُرَيْرَةَ وَصَفِيَّةٍ)

(وقد كان شيخنا) وسيدنا وسندنا وعدتنا أبو الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنايه آمين (يلازم) فى جل أوقاته وأحواله (سبحة) بضم السين خرزات تعد للذكر . وفى [جه] ويذكر الله عز وجل فى كل أحيانه لاتفارقه سبحته يحب الإكثار من ذكر الله ويحض عليه ويقول كل شىء حده الله لنا إلا ذكره فإنه قال جل وعز - ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا - الآية انظره (فإن اتخاذها) أى السبحة (شعار) بكسر شين معجمة ويفتح ماتحت الدثار من اللباس وما يلى شعر الجسد ، ودثار ككتاب ما فوق الشعار من الثياب وهو كناية عن ملازمة العبادات (الأئمة) الصوفية لها وهى من شعار وعلامة الصالحين . وفى [شب] وقيل للجنيد أنت مع شرفك تأخذ سبحة بيدك؟ فقال طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه: يعنى أنه لم يزل ملازما على ما اعتاده فى بدايته من الأوراد فإن المدد فى مداومتها وهى مجموع الأذكار والأدعية ونوافل الخيرات كما قال سيدى إبراهيم الدسوقى: ماقطع مريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد فى ذلك اليوم ، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وعمل وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان، فإن خالف شيئا من ذلك رفضته الطريق ولو كرها اه :

[تتمة] من شعار الصالحين أيضا حمل العصا لأنهم دائما مسافرون إلى الآخرة، وروى أن الشافعى رضى الله عنه كان يمشى على العصا فقيل له فى ذلك؟ فقال إنى أذكر أنى مسافر من الدنيا. ورحم الله من قال:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها   علىّ ولا أنى تحنيت من كبر
ولكننى ألزمت نفسى حملها   لأعلمها أن المقيم على سفر

وفى [جص] «حمل العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء» قال تعالى - وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى - وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم عنزة أى عصا يتكىء عليها إذا مشى ويغرسها إذا صلى فيسن حمل العصا لذلك لا لغرض فاسد ، وقد شوهدت لها بركات ورؤيت لها كرامات :

(١) وثم أمور ليس يمكن كشفها   ولكن أهل الله أدرى بحكمة

(وفى مسند الفردوس) لأبى منصور الديلمى (جا) قصره للوزن (أصل سبحة) فى الشرع ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نعم الذكر السبحة » وروى أيضا ابن أبى شيبة عن ابن عمر رضى الله عنهما وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يعقد السبحة بيده» (وأطنب) من الإطناب ضد الإيجاز (فى ذاك) أى فى أن لها أصلا فى الشرع والسنة خلافا لمن قال إنها محدثة وبدعة مستحسنة الإمام جلال الدين أبو الفضل سيدى عبد الرحمن (السيوطى)(٢) رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين (بمنحة) أى فى كتابه المسمى بالمنحة فى استعمال السبحة . وذكر فيه أن جمعا من الصحابة رضى الله عنهم منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء كانت لهم السبحة وكذلك جمع من الأولياء كالجنيد والجيلانى ومعروف الكرخى ، وذكر فيه عن مولانا على رضى الله عنه أنه قال : نعم الذكر السبحة ، وذكر عن زاذان أنه قال: أخذت عن أم يعفور تسابيح لها فلما أتيت عليا قال اردد على أم يعفور تسابيحها.

---

(١) وهذا البيت لم يوجد فى الأصل إلا صدره وأكملته بنظمى تتميما للفائدة اه مصححه .
(٢) بضم سين: نسبة لسيوط اسم قرية من مصر اه .

وذكر عن فاطمة بنت الحسين بن على أنها كانت تسبح بخيط معقود فى يدها انظر [غ] وفيها: وذكر الشيخ أبو الفضل العقبانى فى جواب له مسلسل للقاضى عياض بسنده إلى الحسن البصرى كل واحد يقول رأيت فلانا وفى يده سبحة فسألته عما سألتنى عنه إلى الحسن البصرى فقال للسائل: يابنى هذا شىء استعملناه فى البداية ما كنا لنتركه فى النهاية إنى أحب أن أذكر الله بقلبى ولسانى ويدى اه. وفيها: قال فى [المنحة] ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من عدم الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها اه. وأما مانقل عن بعضهم من أن عد الذكر بالأنامل أفضل للحديث الوارد فى ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما فهو مقيد بما إذا أمن من الغلط فى العدد، وقد قيل إن أكثر الذكر المعدود الذى جاءت به السنة الشريفة لاينحصر بالأنامل غالبا ولو أمكن حصرها لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع والسبحة يؤمن معها ذهاب الخشوع فهى معينة على الحضور أيضا، ورحم الله القائل فيها ونسبه فى المنحة لعماد الدين المنوى رحمه الله:

ومنظومة الشمل يلهو بها اللبيب فتجمع من همته
إذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق[1] من هيبته

(فكم من صحابى) أى فكم من واحد من الصحابة رضى الله عنهم (يسبح) الله تعالى بكرة وعشيا (بالنوى) مفرده نواة بلا حصر فى عدد بل كل واحد بحسب حاله ووقته (كمثل أبى هريرة) بالصرف للضرورة وأخرج الترمذى عن أبى عبد الله بن أبى رافع قال: قلت لأبى هريرة لم كنيت بأبى هريرة؟ قال كنت أرعى غنم أهلى وكانت لى هرة صغيرة فكنت أجعلها بالليل فى شجرة وإذا كان بالنهار ذهبت بها معى فكنيت بها فكنونى أبا هريرة. وروى ابن عبد البر عن أبى هريرة أنه قال: كنت أحمل يوما هرة فى كمى فرآنى النبى صلى الله عليه وسلم فقال «ماهذه فقلت هرة فقال لى يا أبا هريرة» فتحصل أنه كنى بها لأنه كان يصحبها إما صغيرا يلعب بها وإما كبيرا يحسن إليها لأنه الذى روى أن امرأة عذبت فى هرة فلعله أخذ بقياس العكس فرجا الثواب فى الإحسان إليها لحديث «فى كل ذى كبد رطب أجر» واسمه عبدالرحمن بن صخر الدوسى رضى الله عنه وعنابه آمين. وعن خالد بن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ذنوبى: وعن نعيم ابن المحرر عن أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به انظر بعض مناقبه فى الفتوحات الوهبية على الأربعين النووية، وروى عنه رضى الله عنه أنه كان له كيس فيه حصى أو نوى يسبح به وكذا روى عن أبى الدرداء أنه كان له نوى من العجوة فى كيس فإذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن، وروى البغوى فى معجم الصحابة عن أبى صفية مولى النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح حتى يمسى، وروى أيضا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه كان يسبح بالحصى أو النوى انظر [غ] (و) كمثل (صفية) بنت حيى أم المؤمنين رضى الله عنها وعن صواحباتها وعنا بها آمين، وروى الطبرانى عنها أنها قالت «دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يدى أربعة آلاف نوى أسبح بهن» وروى الحاكم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال «دخلت مع النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) كتخوف وزنا ومعنى اه.

على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بهن » يحتمل أنها صفية أو غيرها . وفى [جص] « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات ولا تغفلن فتنسين الرحمة » قال الحفنى : فالأفضل إذا أريد العدد الضبط بالأنامل وبالأصابع إلا إذا خيف الغلط فيضبط حينئذ بالسبحة أو بنحو خيط فيه عقد وذا أصل فى ندب السبحة لخوف الغلط ، وقد رؤى بعض الأكابر وبيده سبحة فقيل له مثلك فى مقام الشهود والكمال يحتاج للسبحة؟ فقال شىء تعودناه فى البداية فلا نتركه فى النهاية، أما من يتخذ السبحة لأجل التزين ويزخرفها ويتحدث مع الناس وهو يقلبها فى يده فذلك علامة على سوء حاله اه . وفى [م] :

واتخذ السبحة للإعانة وعمل الإمام ذى الديانه

وللساحلى رحمه الله :

ولابد ياهذا من إعمال سبحة تنظمها وترا فحافظ على الوتر

لحديث « إن الله وتر يحب الوتر » ولتوافق أسماء الله الحسنى فى كونهم تسعة وتسعين ، ولكن المعمول بها عندنا الكمال والتمام - ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير - قال رحمه الله :

(وَقَدْ سُمِّيَتْ حَبْلَ الْوُصُولِ فَكَمْ لَهَا مِنَ الْفَضْلِ كَاسْتِشْفَا بِأَصْدَقِ نِيَّةِ)

(وقد سميت) السبحة عندهم رضى الله عنهم (حبل الوصول) إلى الله تعالى كما سميت أيضا [رابطة القلوب على ذكر علام الغيوب] ومذكرة لصاحبها عند الفترة ومنبهة له عند الغفلة ومعينة لأنها تعين صاحبها على الحضور القلبى وعلى ضبط الأوراد وعلى نهوض الهمة للذكر (فكم لها) للسبحة (من الفضل) والشرف وذلك (كاستشفا) قصره للوزن أى كالاستشفاء من الأمراض الحسية والعلل المعنوية لكن (بأصدق نية) أى بنية صادقة « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » وفى [غ] ولا شك أنها آلة مباركة شريفة كيف وهى سبب موصل إلى دوام ذكر الله تعالى وقد شوهد فيها ولها بركات عظيمة: منها ما فى المنحة عن أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه أنه كان له تسبيحة فقام ليلة والسبحة بيده قال: فاستدارت السبحة والتفت على ذراعه وجعلت تسبح ،فالتفت أبو مسلم والسبحة فى ذراعه وهى تقول : سبحانك يامنبت النبات ويادائم الثبات . قال : هلمى يا أم سلمة فانظرى إلى أعجب الأعاجيب . قال : فجاءت أم سلمة والسبحة تدور وتسبح ، فلما جلست سكنت، ثم قال : وفى [المنحلة] أيضا أن سبحة الشيخ أبى الوفاء التى أعطاها للشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كانت إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة ، وفيها أيضا مانصه : أخبرنى من أثق بقوله أنه كان مع قافلة فى درب بيت المقدس فقام عليهم سرية عرب فجردوا القافلة كلهم وجردونى معهم، فلما أخذوا عمامتى سقطت سبحة من رأسى فلما رأوها قالوا هذا صاحب سبحة فردوا علىّ ماكان أخذلى وانصرفت سالما منهم . قال : فانظر يا أخى إلى هذه الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خير الدنيا والآخرة اه . ونقل أن سيدى عبد الله بن حسين القباب شيخ سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم كان إذا علق سبحة واشتغل بتجارته تدور بنفسها وتذكر الله . قال تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده - الآية :

وكن صادقا فى حبهم ومصدقا بأحوالهم واحذر مخالفة الشمس

قال رحمه الله :

(فَصُنْهَا بِكِيسٍ أَوْ بِجَيْبٍ وَلَا تَكُنْ بِهَا مُعْلِناً فِى الْعُنْقِ خَوْفاً لِشُهْرَةِ
بِهَا خَنَقَ الْفَارُوقُ مَنْ كَانَ مُعْلِناً وَقَالَ تَقُولُ فَاعْرِفُونِى بِسُبْحَتِى)

(فصنها) أى فاحفظ السبحة من الأقذار والأوساخ (بكيس) بكسر الكاف وعاء الدراهم (أو بجيب) بفتح الجيم طوق القميص ونحوه. وفى [غ] ولهذا تجد الصادقين من أهل الطريق يتحفظون بها عن القاذورات وكل مافيه امتهان لها ويتبركون بها فيضعونها على الألم بقصد الاستشفاء بها ، وقد رأيت الناظم رحمه الله تعالى يعظمها أشد التعظيم ويصونها عن الأقذار وعن وضعها بمحل يكون مظنة للامتهان حتى إنه كان إذا أصاب بيده بزاقا أو نخامة يغسلها لأجل أن يأخذ بها السبحة ، وربما كلم فى ذلك فيجيب بما حاصله ماتقدم من عمل الصديقين من أهل الطريق ، ثم بعد ذلك رأيت كلا ما للشيخ أبى الفضل العقبانى رحمه الله تعالى صرح فيه بذلك ونصه : وقد بلغنى أن هؤلاء الذاكرين بهذه السبحة يتحفظون بها عن القذر وعن كل مايظن به أذى تكريما وتشريفا لها وإن فعلهم لسداد لأن ما أعد لذكر الله تعالى من تكبير وتسبيح وتحميد وتمجيد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جدير بأن يصان عن الأخباث والأدران وأن يتبرك بلمسه ويستشفى به ويرفع غاية . قال : ومن ثم وضعها سحنون رضى الله عنه فى عنقه إلى آخر كلامه ، فليراجعه من أراد ذلك فى [النوازل المازونية] اهـ.
(ولا تكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (بها) أى بالسبحة (معلنا) من أعلن الشىء أظهره (فى العنق) كقفل الجيد ويقال عنق بضمتين وكأمير وصرد (خوفا لشهرة) بضم معجمة ظهور الشىء فى شناعة ، وعن إبراهيم بن أدهم : ماصدق الله من أحب الشهرة والظهور . وفى [خل] وأما الشهرة وإشارة الناس إلى العبد فإنها لن تضر إلا من أرادها والمرء يلبس بزى عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانه الله به ، وإنما يصلح ذلك ويفسده الضمير فإن أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وإن أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف ، انظره. وفى [غ] بعد مامر عن العقبانى قلت : فيؤخذ من هذا أن جعل السبحة فى العنق لابأس به بل هو حسن لمافيه من رفع هذه الآلة المباركة حسبما صرح به العقبانى من فعل الإمام سحنون رضى الله عنه وعلى هذا فيطلب حسبما نص عليه بعض شراح المباحث من فاعل ذلك إخفاؤها وجعلها تحت الثياب تجافيا عن المباهاة والتظاهر بدعوى الفقر وأسباب الشهرة وهذه طريقة المحققين من أهل الطريق ، وأما جعلها فى العنق فوق الثياب ظاهرا فهو جار على طريقة أهل الزى [1] والشهرة ، ثم قال : وهذه الطريقة الأخيرة ليس عليها عمل أهل طريقتنا فلا ينبغى أن يقر على ذلك من فعله لأن ربح المريد إنما هو فى متابعة أستاذه متابعة الظل شاخصه وليسلم لأهل الطرق ما أخذوه عن أساتذتهم . وبالجملة فطريقنا أن لانجعل السبحة فى العنق إلا بقصد رفعها وصونها تكريما وتشريفا لها وعليه يحمل عمل أصحابنا الذين بالصحراء ومن يتابعهم على ذلك وما عدا ذلك فليس من طريقنا فى شىء والله الموفق انظرها (بها) بالسبحة (خنق) أبو حفص سيدنا عمر رضى

---

(١) بكسر الزاى لابفتحها : الهيئة .

الله عنه وعنابه آمين (الفاروق) لقب بذلك لأنه فرق بين الحق والباطل وأظهر الإسلام بمكة ففرق بين الإسلام والكفر لقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » فسبقت السعادة لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعن حذيفة رضى الله عنه قال : لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لايزداد إلا قوة فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لايزداد إلا ضعفا . وفى [جص] «عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وماترك الحق لعمر من صديق » وعن مصعب بن سعد أن حفصة رضى الله عنها قالت له : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق وأكثر عليك من الخير ؟ فقال إنى سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش ، فمازال يذكرها حتى أبكاها ، فقال والله لأشاركنه فى مثل عيشه الشديد لعلى أدرك عيشه الرخى . ونقل أنها رضى الله عنها قدمت إليه مرقا باردا وصبت عليه زيتا ، فقال أدمان فى إناء ؟ لا آكله حتى ألقى الله عز وجل ، وكان لايجمع فى سماطه بين إدامين رضى الله عنه وعنابه آمين :

هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق الجد غير طرق المزاح

ونقل أن سيدنا العباس رضى الله عنه وعنابه آمين كان خليلا له فلما أصيب جعل يدعو ربه أن يريه إياه فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت؟ فقال هذا أوان فرغت من الحساب إن كاد عرشى ليهد لولا أنى لقيت رءوفا رحيما اه - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وعنه رضى الله عنه قال لبعض إخوانه : أوصيك بستة أشياء : إذا أردت أن تقع فى أحد وتذمه فذم نفسك فإنك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها ، وإن أردت أن تعادى أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها ، وإن أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه ، وإن أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا فإنك إن تركتها فإنك محمود وإلا تركتك وأنت مذموم ، وإن أردت أن تستعد لشىء فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة ، وإن أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها إلا بأن تطلبها اه (من كان معلنا) بسبحته فى عنقه وهو سيدنا تميم الدارى رضى الله عنه وقد وضعها فى عنقه فلقيه سيدنا عمر رضى الله عنه فزجره عن ذلك (وقال) له أنت (تقول) للناس بلسان الحال (فاعرفونى بسبحتى) وفى [خل] ومن هذا الباب مايفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه ، وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه : أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى ، وما كان مراده إلا أن يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور بإظهارها وإشاعتها وإظهار السبحة ، والتزين بها لا مدخل له فى ذلك ، بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية . وقريب من هذا مايفعله بعض من ينسب إلى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ، ويلازمها وهو يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ، ويرفع يده ويحركها فى ذراعه ، وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد مايذكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ، ومعلوم أنه ليس له إلا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل إذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار ، فلم يبق إلا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة ، انظره : فكل ماذكره رضى الله عنه صحيح مشاهد بالعيان بل اتسع الخرق على الراقع - إنا لله وإنا إليه راجعون ثم

قلت: اللهم إلا يكون من باب خرق العادة والكرامة وكثيرا مايقع ذلك لأكابر الأولياء، وقد مر عن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أنه كان يطالع الكتاب ويده تجذب عقد السبحة ويسبح بلسانه حتى يختم ورده فيجمع بينهما ولا يشغله واحد عن الآخر ، راجع مامر . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

من بدع شاعت لدى الآفاق	تعلق السبحة فى الأعناق
وجعلها فى اليد كالسوار	وسردها بين ذوى الأسمار
بالقيل والقال وبالأخبار	بما جرى فى الناس والأقطار
صنها أخى بالكيس أو بالجيب	والعنق تحت الثوب دون ريب
ومعلن بها من الطوائف	دعه وحاله ولا تخالف
إياك والجدال والمماره	معهم وجادل نفسك الأماره
بالسوء والذنوب والآثام	على ممر الدهر والأيام
فإنها لك عدو سرمدا	بالله فاستعن عليها أبدا
فإنه خير معين مقتدر	إنى مغلوب إلهى فانتصر

[تتمة] لو اتخذت للخيلاء والرياء حرمت كما لو نظمت فى حرير كذلك وإلا فلا حرمة كما أفتى بذلك ابن الصلاح وغيره من العلماء رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى مسائل شدد فيها سيدنا أبو الفيض أحمد بن محمد التجانى] رضى الله عنه وعنا به آمين. قال رحمه الله :

(وَشَدَّدَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَيْضِ فِي الإِمَا بِبَيْعٍ أَوْ انْكَاحٍ تَسَرٍّ لِشَهْوَةِ
وَرَخَّصَ بَعْضٌ قَالَ ذَاكَ تَوَرُّعٌ مِنَ الشَّيْخِ خُذْ بِرُخْصَةٍ أَوْ عَزِيمَةِ)

(وشدد) من التشديد ضد التخفيف (شيخنا أبو الفيض) أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنا به آمين النهى والزجر (فى) شأن (الإما) قصره للوزن جمع أمة لتهاون الناس وتساهلهم فى حقوقهن وعدم مبالاتهم بهن قال تعالى ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ـ إلى ـ وماملكت أيمانكم ـ وقال صلى الله عليه وسلم «إخوانكم خولكم جعلهم الله قنية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه مايغلبه فليعنه» . وفى [جص] «اتقوا الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم» وفيه «اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة» وفيه «خيركم خيركم للمماليك» وفيه «حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة والصدقة تدفع القضاء السوء» وفيه «للمملوك على سيده ثلاث خصال : لايعجله عن صلاته ، ولا يقيمه عن طعامه ، ويشبعه كل الإشباع» وفيه «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه ودخانه فليجلسه معه فإن لم يجلسه فليناوله أكلة أو أكلتين» وفى الحفنى : ونقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذى يأكل منه مثله فى تلك البلدة ، وكذلك القول فى الإدام والكسوة فإن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم فى ذلك ، انظره . وفيه «من ابتاع مملوكا فليحمد الله

وليكن أول ما يطعمه الحلواء فإنه أطيب لنفسه » (ببيع) لمن يتسرى بها أو ينكحها العبدأو لحر خشى العنت (أو إنكاح) لعبد أو حر كذلك قال تعالى - ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم - (تسر) أى أو بتسر بها يقال تسرى بأمته اتخذها سرية بضم السين نسبة إلى السر . وفى [جص] « عليكم بالسرارى فإنهن مباركات الأرحام » يعنى الحبشيات . قال العزيزى : قال (عمر) ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لأنهم يجمعون فصاحة العرب ودهاء العجم اه. فأولادهن نجباء ذو وحذق وفصاحة بخلاف أولاد الزوجات كما هو مشاهد اه . وفيه « تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشوه » قال الحفنى : أى صاحبات السواد وهن الزنج ، وفيه : « الزنجى إذا شبع زنى وإذا جاع سرق وإن فيهم لسماحة ونجدة » وفيه « الحرائر صلاح البيت والإماء فساد البيت » أى كما هو مشاهد بالعينان فبكثرة الإماء فى الدار يكثر فسادها وبقلتهن يقل فسادها ومن شك فليجرب (لشهوة) وهى اشتياق النفس إلى الشىء ، وفى [جص] « فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة ولكن الله ألقى عليهن الحياء » قال الحفنى : فالشهوة مائة جزء منها جزء فى الرجل والباق فى المرأة ولولا الحياء لتخطفن الرجال من الأسواق ، وفيه « فضل مابين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط فى الطين إلا أن الله تعالى سترهن بالحياء » وفيه « الحياء عشرة أجزاء فتسعة فى النساء وواحد فى الرجال » قال العزيزى : وتمامه « ولولا ذلك ماقوى الرجال على النساء » وفيه « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله تعالى إليهما نظر رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما » قال العزيزى : ويظهر أن محل ذلك إذا كان قصدهما الإعفاف أو الولد لتكثير الأمة اه . وفى [د] من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها لغيره أو يبيعها بهذا الشرط فليحط سبحتى مابينى وبينه شىء اه : وفى [غ] وأما المسألة الثانية فهى أن الشيخ رضى الله عنه كان فى مرض موته يتكلم مع أصحابه ويذكرهم على عادته عظمة أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر الرفيق فقال رضى الله عنه : من يملك أمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها من غيره أو يبيعها على هذين الشرطين فليطرح سبحتى من يده اه . ولا شك عندنا أن هذا خرج منه رضى الله عنه مخرج الزجر والتغليظ لما بلغه تساهل الناس فى ذلك مع مافيه من تضييع الحق الشرعى ومصادمة الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم «لاضرر ولاضرار» ثم قال: [لطيفة] سمعت بعض خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وفضلائهم يقول فى مسألة الأمة هذه إن سيدنا رضى الله عنه ذكر ذلك فى مرض موته حسبما سبق قريبا فهو نعى نعى به نفسه لأصحابه رضى الله عنه أخذا من الوارد عنه صلى الله عليه وسلم من أنه كان آخر ما أوصى به «الصلاة وماملكت أيمانكم» وللوارث قسط مما لموروثه ولله در هذا السيد فيما فهمه فى هذه المسألة ولا محالة أنه عثر على السر فيها بلاريب عند من أنصف وعقل - ومايعقلها إلا العالمون- اه. ولذا قال رحمه الله: (ورخص) من الترخيص وهو التسهيل والتخفيف (بعض) أى بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به آمين. (قال) أى حال كونه قائلا (ذاك) أى التشديد المروى عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى شأن الإماء إنما هو (تورع) من تورع من كذا تحرج وتأثم منه (من الشيخ) رضى الله عنه وعنابه آمين (خذ) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (برخصة) وهى ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه لحديث « الرخصة هدية الله فاقبلوها » وفى [جص] « إن الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه» قال العزيزى : فينبغى استعمال الرخص فى محلها سيما العالم يقتدى به اه : وفيه « إن الله

يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» وفيه: «أدوا العزائم واقبلوا الرخص ودعوا الناس فقد كفيتموهم» وفيه: «أفضل أمتى الذين يعملون بالرخص» وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نحب إتيان الرخص فى الشريعة فى بعض الأحيان إظهارا للضعف وتحصيلا لمقام محبة الله عز وجل لأعماله على يدينا قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» لكن مع مراعاة شرط الرخصة وهو حصول المشقة الشديدة فلا يتكلف فعل مالا يقدر عليه إلا بمشقة شديدة ولا يتنزل إلى الرخص مع القدرة على فعل الأعلى بسهولة فى العادة، فمن أظهر الضعف من نفسه أحبه الله وسارعت إليه الرحمة، والله تعالى أعلم اهـ (أو عزيمة) وعزائم الله فرائضه التى أوجبها على عباده. وفى [ثيق] ثم لا يخفى عليك يا أخى أن من مصطلح القوم أن يأخذوا العهد على المريد بالعزائم دون الرخص طلبا للترقى إذ الرخص لا ترقى فيها غالبا إلا بحسب النية الصالحة، فإياك أن تبادر إلى اعتراض على أحدهم فى أخذ العهد على مريد بأنه لا يفعل مباحا وتقول: كيف يمنعه مما أباحه الله تعالى لعباده فإنك فى واد والقوم فى واد آخر. وقد أجمعوا على أن من تمهد الرخص لا يفلح فى طريقهم إنما هى طريق جد واجتهاد وأخذ بالعزائم فإن المباح إنما شرعه الله تعالى تنفيسا للضعفاء من مشقة التكاليف، فمن لم يحصل عنده مشقة من التكاليف فليجعل موضع المباح واجبا أو مندوبا اهـ. وفى [غ] فمعلوم أن أهل الطريق رضى الله عنهم يأخذون بالاحتياط فى الدين بغاية الجهد فيجتنبون المكروه حتى كأنه حرام ويؤكدون العمل بالمندوب حتى كأنه واجب، انظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

وينبغى إحالة للعمل	للفرض والندب ابتغاء الأفضل
فالفرض والمندوب أولى مابه	يطلب إنسان رضاء ربه
حال الفقير بين باء وألف	فهو بالله إليه قد ألف
وفى حديث المصطفى تخلقوا	بخلق الله به تحققوا
واستغرق الأنفاس فى الأذكار	فإنها بضاعة الأعمار
فالليل والنهار ينهبان	منك وفى الموقف يشهدان
فكل ساعة خلت عن ذكر	فهى حسرة بيوم الحشر
لا تقربن ما كان من حرام	وجنب المكروه بالتمام
ألحقه بالحرام عند القوم	إذ لا سبيل لاقتحام اللوم
قد صيروا المباح فرضا يمتثل	إذ ليس عندهم مباح فى العمل
وصيروا النفل من المفروض	لنيل أجر عمل مفروض
وسامحوا فى مالهم والعرض	بدينهم ضنوا (١) ليوم العرض
واسلك سبيلهم أخى فى العمل	والجد والتشمير من غير كسل

وفى [جه] فأما سيرته فتجده رضى الله عنه شديد الحزم فى الدين عالى الهمة فيه شديد الحرص على مهماته بعد القيام بواجباته، وقافا على الحدود والأحكام غاية حاثا للوقوف عليها ويقول كثيرا: أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه حافظا لحقوق الله مراعيا لها شديد التحرز والورع فى الدين كثير التحفظ فيه والتحرز للأحوط ما رأيت أشد حزما وأعظم ورعا منه، كله حزم وعزم، لا يحب

---

(١) أى بخلوا.

التأويلات ولا يميل إلى ارتكاب الرخص ويغرى على فعل المأمورات ويحذر من الوقوع فى المنهيات ويعظم أمر الشرع العزيز ويجل أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يخالف ، وكثيرا مايستشهد بقول الله تعالى - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - ويحب أن يفعل مافعله النبى صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فعله على سبيل الأمر لنا ويقول : ينبغى للإنسان إذا سمع شيئا من هذه الآداب النبوية والمباحات التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعلها بقصد الموافقة ولو مرة واحدة ، ويحافظ على السنة فى محاولاته ومناولاته لله ويحب موافقتها فى كل شىء ولا يحب الخروج عنها فى شىء من الأشياء ولودعت إليه الضرورة وكان لابأس به ويقول الخير كله فى اتباع السنة والشر كله فى مخالفتها ، ويحض على العمل بالعلم كثيرا وخصوصا لمن يشتغل به فعلى قدر رباح السفينة جريانها وعلى قدر طبخ الحديد إحكام الصنعة فيه وإتقانها ، انظره . وفى [خل] وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول : إنى لا أتكلم بالورع فى هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا ، وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهى أنهم ينسبون كثيرا من الشريعة إلى الورع فيتركون بسبب ذلك الإتباع ، وباب الورع ضيق لايدخله إلا الأفذاذ إذ ليس هذا زمان الورع غالبا ، وما يتعللون به من ذكر الورع إنما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط[1] عن بركة الاتباع ، انظره . قال رحمه الله :

(وَنُكْحِ بَنَاتِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ... فِرَاراً مِنَ التَّقْصِيرِ فِى حُسْنِ عِشْرَةِ
فَذَاكَ إِذَايَةُ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... وَفَاطِمَةِ الْفُضْلَى عَلَى كُلِّ نِسْوَةِ
وَلَوْ مَرْيَمِ الْفُضْلَى وَبِنْتِ خُوَيْلِدٍ ... فَمَا خُلِقَتْ أُنْثَى تُقَاسُ بِبِضْعَةِ
وَقَالَ بَرِىءٌ مِنْكَ إِنْ أَنْتَ حُزْتَهَا ... لِمَنِ اسْتِشَارَهُ بِنُكْحِ شَرِيفَةِ)

(ونكح) بضم النون وكسرها النكاح والتزوج وبفتحها البضع : أى وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين النهى عن نكاح (بنات أهل بيت نبينا) محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهن كل من لسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وعنا بها آمين عليها ولادة إلى يوم القيامة (فرارا) وهروبا (من التقصير) والتفريط (فى حسن عشرة) بكسر العين : المخالطة والصحبة المأمور به شرعا وطبعا قال تعالى - ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف - وقال - فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان - وقال - فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » (فذاك) أى التقصير والتفريط فى حسن عشرتهن رضى الله عنهن (إذاية النبى) بتشديد تحتية أو بهمزة (محمد) صلى الله عليه وسلم (و) إذاية لابنته سيدتنا (فاطمة) رضى الله عنها وعنابها آمين اللهم شفعها وأبويها وابنيها وبعلها فينا وفى أصولنا وفصولنا دينا وبدنا وفى كل من أحبنا ومن أحسن إلينا ولو بشطر كلمة آمين (الفضلى) بضم الفاء تأنيث الأفضل (على كل نسوة) بكسر النون وضمها . وفى : [جص] «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى»

---

(١) أى ليكسل ويتأخر اه .

وفيه: «فاطمة منى يقبضنى مايقبضها ويبسطنى مايبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى» وفيه: «أتانى ملك فسلم على نزل من السماء لم ينزل قبلها فبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» قال الحفنى: هى أحب أولاده صلى الله عليه وسلم، وكانت إذا قدمت عليه قام لها تعظيما لها ومحبة، وكان يقبلها فى فمها ويطلب منها أن تخرج لسانها ليمصه، وكانت أحسن الناس شعرا. ويؤخذ من الحديث تفضيلها على جميع النساء حتى المختلف فى نبوتها كسيدتنا مريم وهو كذلك لكن لا مطلقا بل من حيث أنها بضعة وجزء منه صلى الله عليه وسلم وسلم وسيدتنا مريم أفضل من حيث أوصاف أخر قامت بها لقوله تعالى - واصطفاك على نساء العالمين - وترتيبهن فى الفضل كما فى البيت:

أفضل النسا بنت عمران ففاطمة ... خديجة ثم من قد برأ الله انظره اه

والصحيح عندنا أنها أفضل من جميع النساء على الإطلاق لما سيأتى والله أعلم، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

وأفضل النسا على الإطلاق	فاطمة الزهراء بالإطباق
ثم من بشرت ببيت من قصب	فى جنة من لؤلؤ ومن ذهبُ
ثم التى قد برأ الرحمن	من قول أهل الإفك ذا بهتان
ثم التى قد اصطفاها الأكرم	على نساء عالمها مريم
بنت مزاحم فأم موسى	والفضل بالتقى بعيد فى النسا

وفيه: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران» قال العزيزى: قال السبكى: الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة اه. والحديث: «فاطمة خير نساء عالمها» قال العلقمى: يؤخذ منه أن فاطمة أفضل من مريم اه. وقوله تعالى - واصطفاك على نساء العالمين - أى عالمى زمانها (ولو) كانت المفضل عليها سيدتنا (مريم الفضلى) الصديقة بنت عمران رضى الله عنها (و) لو كانت سيدتنا خديجة المبشرة على لسان جبريل عليه السلام ببيت فى الجنة (بنت خويلد) رضى الله عنها وعنا بها آمين. وفى [جص]: «خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها» وفيه: «خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» اه (فما خلقت) ولا وجدت على وفق ما اقتضته الإرادة الربانية وحكمت به المشيئة الصمدانية سبحانه وتعالى - لا يسئل عما يفعل - (أنثى) جمعها إناث (تقاس) من قاسه بكذا وعليه قدره على مثاله (ببضعة) أى ببضعته صلى الله عليه وسلم وهى بفتح موحدة وتكسر وتضم قطعة من اللحم، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

وبضعة بفتح با وكسرها ... وقد تضم قطعة اللحم اه

وفى [جع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن الأخبار الواردة فى السيدات الطاهرات: سيدتنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وأمنا خديجة وأمنا عائشة رضى الله عن جميعهن: فكل واحدة ورد فى حقها أنها أفضل من غيرها من النساء، وعن القول بنبوة مريم وأم موسى؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله: أما نبوة مريم واحتجاج القائل بقوله تعالى - وإذ قالت الملائكة يامريم - والقول بنبوة أم موسى تمسكا بقوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - فكل هذه

الأقاويل باطلة لايعول منها على شيء : والقول الحق الذى يجب المصير إليه أن النبوة مستحيلة على الإناث لاسبيل لهن إليها ، ثم إن آسية ومريم قال فيهما صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران » والمراد بذلك أنهن أدركن مقام الصديقية التى ليس فوقها فى المعرفة بالله والعلم به والرسوخ فى العلم إلا القطبانية فهذا غاية ما أدركن .

وأما خديجة فقد صرح صلى الله عليه وسلم بفضلها فى أحاديث حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ماكنت أغار من امرأة من نسائه صلى الله عليه وسلم إلا من خديجة بنت خويلد من كثرة مايذكرها صلى الله عليه وسلم ويعظمها. وقد نقل ابن سبع فى [شفاه] أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما للناس: «ألا إن صفوتى من نسائى عائشة بنت الصديق إلا ماجعل الله من الفضل لخديجة بنت خويلد » فأظهر فضلها هنا عليها ، وقد نقل ابن سبع أيضا حديثا أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لفاطمة رضى الله عنها: «أنت سيدة نساء العالمين، فوضعت يدها على رأسها حياء فقالت له: أين آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ؟فقال لها صلى الله عليه وسلم: آسية سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك » وقد قال يوما لعلى رضى الله عنه بعد ماعقد له على فاطمة «زوجتك سيدة نساء العالمين» .

وأما عائشة فقال صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد تعارضت أقاويل العلماء فى التفضيل بين فاطمة وعائشة كل طائفة مالت إلى تفضيل إحداهن محتجين بهذين الحديثين . وقد قال مالك رضى الله عنه : أما أنا فلا أفضل أحدا على بضعته صلى الله عليه وسلم ، مع كون جماعة من العارفين أجمعوا من طريق الكشف لامن طريق السمع على أن فاطمة أدركت بعد أبيها صلى الله عليه وسلم مرتبة القطبانية العظمى ، وحيث كان هكذا فلا نسبة بين فاطمة وعائشة قال تعالى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ وليس فى خلق الله كله عموما وإطلاقا من بعد الأنبياء من البشر والملائكة من يتأتى منه أن يصل إلى جزء من ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب ولو بلغ مابلغ فهو أفضل جماعة المسلمين فى كل عصر إلا ما كان من مفاتيح الكنوز فهو أفضل منهم فى أمور وهم أفضل منه فى أمور .

فإذا تعقلت هذا ففاطمة أفضل من عائشة قطعا ومن مريم وآسية ، وكونها رضى الله عنها أدركت القطبانية دون سائر النساء لكونها لا تحيض ، ومن كونها أعطيت مرتبة الكمال من أبيها مما لامطمع للنساء فيه فلذلك أدركت القطبانية ، والقطب سيد الوجود فى كل عصر إلا ماكان من مفاتيح الكنوز ، وسبب عدم حيضها تكوين نطفتها التى تكونت فى صلبه صلى الله عليه وسلم تكونت من أكله تفاحة من تفاح الجنة ، فلذا قال أبوها فيها : « هى حوراء آدمية » وكونها حوراء لم تخلق من فضلات التراب التى مادتها سارية فى جسد آدم عليه السلام إلى سائر بنيه فإنما كانت مادة نطفتها من معانى الجنة وأسرارها التى خلق الله منها الحور فكملت طهارتها من ملابسة أحوال البشرية التى تلابس النساء فكانت بذلك حوراء آدمية ، وبذلك وصلت المرتبة العليا بين يدى الحق سبحانه التى ليس فوقها إلا النبوة وعائشة وغيرها لامطمع لهن فى هذا فبان لك حينئذ أنها أفضل من جميع النساء الفاضلات .

وأما القول بنبوة مريم فقلنا إنه باطل . ووجه إبطاله أن القطب فى كل عصر له وجاهة إلى كل ذرة من الموجودات يمدها ويقيمها كل الوجود ذرة ذرة مستمدون فى ذلك ، فما من ساجد سجد لله تعالى

فى الوجود أو راكع ركع لله أوقائم قام لله أومتحرك تحرك لله أو ذاكر ذكر لله بأى ذكر فى جميع الوجود ، فالقطب فى ذلك هو المقيم له فبه سبح المسبح وبه عبد العابد وبه سجد الساجد وبه وقعت الوجاهة الأخرى التى لاتذكر. فحاصل الأمر فيه أنه للوجود كله بمنزلة الروح للجسد كما أن الجسد لاقيام له إلا بالروح ولا تعقل له إلا بالروح ، ولا حركة له إلا بالروح وجميع خواص الجسم الظاهرة والباطنة من حيث ماهى هى كلها بالروح الحيوانى المتعلق به فإذا انعدمت الروح منه انعدمت جميع خواص الجسد وصار ميتا معدوما كذلك جميع أجساد الوجود فى نسبتها إلى القطب هو لها كالروح للجسد فلو زالت روحانيته منها لانعدم الوجود كله فهو روح الوجود ، وكل خواص الوجود بأسرها على التئامها وافتراقها وعمومها وخواصها وإطلاقها وتقيدها كلها لا تلازم ذوات الوجود إلا بوجود روحانية القطب فيها فإذا أزال القطب روحانيته عنها انعدم الوجود كله وصار ميتا وهذه القوة بها تحمل سر الاسم الأعظم وسريانه فى كلية عوالمه ، وبسر الاسم الأعظم صار بين يدى الله تعالى قائما مستكملا آداب الحضرة الإلهية ومستكملا آداب حقوق الله تعالى فى جميع تجلياته الأسمائية والصفاتية والذاتية فى كل آن وفى كل مقدار طرفة عين ، ولانهاية لما يتجلى به ربنا سبحانه فى كل مقدار طرفة عين من استمرار الزمان من أسمائه وصفاته وتقلب شؤونه ، والقطب فى ذلك بين يدى الله تعالى يعطى جميع التجليات ماتستحقه من الآداب والوظائف والخدمة فى كل مقدار طرفة عين وإن كثرت التجليات إلى غير نهاية فهو يوفى جميع حقوقها وآدابها فليس فى الوجود من يقدر على تحمل جميع ما يتجلى به الحق سبحانه فى جميع الوجود غيره فهو فى هذا فى كل مقدار طرفة عين من عمره، ولو أن جميع الصديقين وقفوا مع الله فى هذا الموقف لانعدموا فى أسرع من طرفة عين وهذا دأبه وديدنه . فإذا عرفت هذا فالنساء لا قدرة لهن على هذا التحمل لضعفهن ولكون الحيض شاغلا لهن عن إقامة الحقوق الإلهية ، فلو أن امرأة قامت مقام القطبانية لتعطل القيام بحقوق الله فى تجلياته فى أيام من عمرها وهى أيام الحيض فإذا تعطل القيام بواجبات حقوق الله انهدمت المرتبة أعنى القطبانية وبهدمها ينهدم الوجود . فإذا عرفت هذا علمت أنه لانسبة للنساء فى تحمل مرتبة القطبانية ، هذا فى القطبانية فانقطاع طمعهن فى النبوة أحرى وأولى لأن النبوة أكبر من القطبانية . وأما فاطمة رضى الله عنها فإنها وصلت مرتبة القطبانية لأنها استمدت الكمالات الإلهية التى تتحمل بها سر الاسم الأعظم والثبوت فى مرتبة القطبانية ، ولا مطمع للنساء فى استمداد تلك الكمالات منه صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة فقط فلذلك كانت أفضل النساء على الإطلاق .

وإذا عرفت هذا عرفت منه أنه لامطمع للنساء فى درك الاسم الأعظم وأما مااستدلوا به على نبوة السيدة مريم بنت عمران بكلام الملائكة وعلى نبوة أم موسى بالوحى . فالجواب أن الله كلم إبليس بذاته ولايقال فيه نبوة إذ الرب سبحانه وتعالى أعلى وأولى من الملك وليس نبوة فى حق إبليس ، وأما أم موسى فوجه إبطال نبوتها بالوحى قال سبحانه وتعالى ـ وأوحى ربك إلى النحل ـ وليست بنبوة فى النحل ـ وقوله تعالى ـ وأوحى فى كل سماء أمرها ـ ولا قائل بنبوة السماوات ، وقوله سبحانه وتعالى ـ بأن ربك أوحى لها ـ يعنى الأرض ولا قائل بنبوتها، فدل على أن الوحى لايستلزم النبوة ، انظره : وفى [هب] لما سئل عن اختلاف العلماء فى نبوة من ذكر من النساء مانصه : الصواب مع أرباب القول الثانى وهو نفى النبوة عن نوع النساء ولم تكن لله نبوة فى ذلك النوع أبدا وإنما كانت مريم صديقة ، والنبوة والولاية إن اشتركتا فى أن كلا منهما نور وسر من أسرار الله عز وجل فنور النبوة

مباين لنور الولاية ومابه المباينة لا يدرك على الحقيقة إلا بالكشف غير أن نور النبوة أصل ذاتى حقيقى مخلوق مع الذات فى أصل نشأتها ولذا كان النبى معصوما فى كل أحواله ونور الولاية بخلاف ذلك ، ثم قال : وأما ما ذكروه فى الفرق بين النبى والولى من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان نبيا أو وليا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه ، وكل من قال : إن الولى لا يشاهد ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه ، انظره ولا بد .

(وقال) رضى الله عنه وعنا به آمين أنا (برىء منك) فى الدنيا والآخرة (إن أنت حزتها) أى الشريفة بالتزوج بها (لمن استشاره) من الأصحاب فى ذلك لحديث : « ماخاب من استخار ولا ندم من استشار » وفى آخر : « المستشار مؤتمن فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه » ونقل أن الشافعى رضى الله عنه كان يقول : لا تشاور من ليس فى بيته دقيق : أى لأنه مشتت الذهن والبال . وفى [جص] « استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا » . قال المناوى : فيشاور فى شأن الدنيا من جرب الأمور ومارس المخبور والمحذور ، وفى أمور الدين من عقل عن الله أمره ونهيه . قال الحفنى : ولا يسأل أهل الآخرة عن أمور الدنيا إذ لا تعلق لهم بذلك ، ولذا فى قصة النخل قال صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » للتشريع بأن يعلم أن أمور الدنيا لا يسئل عنها أهل الآخرة وهو قبل إعلامه صلى الله عليه وسلم بذلك . ويؤخذ من كون المستشار لابد أن يكون عاقلا أنه لا يطلب مشاورة النساء لنقص عقلهن وكذا ورد « لاخير فى مشورتهن » فإن وقعت مشورتهن فينبغى مخالفتهن لحديث « شاوروهن وخالفوهن فإن فى مخالفتهن البركة » اهـ . وفى [جه] وإذا جاءه أحد يستشيره فى أمر دينى أو دنيوى كأمر المعاش مثلا بين له مرابحه وأرشده مصالحه وندبه لما فيه نجاح حاله وفلاح مآله فينجمع مطلوبه ويحصل مرغوبه ويبين له حسن العاقبة وما كان راجيه ومراقبه فتقع بصيرته رضى الله عنه على الأمور كلها كما هى لأنها ناشئة عما كمن فيه من النور الإلهى . ومن المعلوم منه فى الاستشارة أن المعتبر عنده الذى عليه المعول هو مانطق به من الكلام الأول ، وبذلك صرح أيضا غير مامرة إذ علم هؤلاء القوم رضى الله عنهم ليس عن رواية ولا فكرة وإنما هو العلم اللدنى والفتح الربانى ، وماحصل أولا فهو ذاك ولا يحصل إلا عن الحكمة والصواب فإن التقطه المستشير عثر على حكمة الاستشارة وانقلب بغنيمة وتجارة ، وإن لم يأخذ به وراجعه فى الكلام فإنه يجاريه فيه حتى ينصرف فإن عمل بمقتضى الكلام الأخير كان بمعزل عن إصابة التدبير ومضيعا للفائدة المقصودة فلم ينجح عمله ولا أمله ، وقد لا يتيسر له ذلك العمل أصلا فيرجع لمقتضى الإشارة فى الكلام الأول ويعلم أن حكمة الله فيه ويتبين الأمر تبيانا ويقف عليه عيانا ، وهذا مما اشتهر وشاع ذاع عند جل الأصحاب فى المنع والانتفاع ، انظره . وفى [مح] وأما كيفية استشارته رضى الله تعالى عنه فإنه قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : من أراد أن يشاورنى وكان بينى وبينه بعد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ، ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدى ، فالجواب مايقع فى قلبه اهـ (بنكح) بضم النون وكسرها : أى فى نكاح امرأة (شريفة) من أهل بيته صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين اهـ . وفى [جه] عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين أنه كان يحب آل البيت النبوى المحبة العظيمة ويودهم المودة الجسيمة ويهتم بأمورهم ، لا يزال حريصا على إيصال الخير لهم ويضرع إلى الله فيما

يصلحهم ويكرمهم غاية الإكرام ويبرهم أشد البر ويتواضع لهم أشد التواضع ويتأدب معهم أحسن الأدب ، وينصحهم ويذكرهم ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته ويقول : الشرفاء أولى الناس بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحض الناس على محبتهم وتوقيرهم والتواضع لهم والأدب معهم ، ويبين عظيم مجدهم ورفيع قدرهم ويرى أن التوانى فى أمورهم ومحبتهم نقص فى الإيمان ، ولا يحب من يناوئهم [1] أو يباريهم أو يخل بالأدب معهم وشدد النكير على من فعل ذلك معهم رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه آمين .

ومن عظيم محبته إياهم وأدبه معهم وتواضعه لعلى قدرهم أن لا يترك من استشاره من أصحابه أن يصاهرهم مخافة تقصيرهم فى شىء من الحقوق التى تجب عليه لهم أو وقوعه فى بعض الحقوق ، ورأيته يوما شدد على بعض أصحابه حين أراد تزويج شريفة فمنعه من ذلك وقال له إن فعلت فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة ، نعوذ بالله من مخالفته فى غيبته وحضرته وذلك لئلا يقع منه ما يغضبهم ويسوءهم ، فيغضب بذلك فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ويغضب أباها صلى الله عليه وسلم ما أغضبها للحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى والحاكم فى المستدرك والبيهقى عن المسور ابن مخرمة رضى الله عنه حيث خطب ابنته الحسن المثنى على ابنة عمه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فاعتل له بحديث « فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ويبسطنى ما يبسطها » وبأن عنده ابنتها وذلك يغضبها ويغضب جدتها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فوافق فعل سيدنا رضى الله عنه فيمن استشاره فعل هذا الصحابى الكريم وسلك مسلكه فى الإجلال والتعظيم ، وإن المصاهر لهم قد يرى فى نفسه شيئا من المساواة فيخل بالوقار ، وكثيرا ما يوصى بتوقيرهم واحترامهم والاحتياط فى تعظيم مقامهم بعدم المصاهرة لهم مخافة أن يرى الإنسان نفسه أهلا لذلك فينكح منهم كما نكحوا منه فلا يرى لهم مزية ويستخف بمرتبتهم العلية ، وهذه آفة قلبية وعلة خفية لا يراعيها أو يحترز منها إلا أرباب القلوب ، ومن شدة تعظيمه لقدرهم وغيرته عليهم أنه لا يحب من يخالطهم على حظ ويخادعهم فى شىء أو يكتم عنهم نصيحة ويقبح ذلك غاية التقبيح ويكره فاعله . والحاصل أن محبته لآل البيت النبوى وتعظيمه إياهم أمر عظيم لم نر مثله لأحد من أهل زماننا ولا سمعنا به ، بل هو شىء انفرد به وتحقق منه تحقيقا ويقينا ، والمحبة وإن كانت وصفا قلبيا تعلم زيادتها بالأحوال الدالة عليها والأمارات المرشدة إليها ، وإنا لا نعلم من يحب الشرفاء ويعظمهم فى هذا الزمان مثل محبته وتعظيمه وليس ذلك بمستغرب فى أمثاله ، ومحبة آل النبى صلى الله عليه وسلم رزقنا الله منها أوفر حظ ونصيب من نتائج الإيمان الحقيقى وثمراته ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتزوج قط شريفة إلا إن كنا نعد أنفسنا من خدامها لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان يرى نفسه رقيقا لها ويعتقد أنه متى خرج عن طاعتها أبق وأساء فليتزوج ومن لا فلا ينبغى له ذلك ، ويقال لمن تزوجها للتبرك السلامة مقدمة على الغنيمة لاسيما إن تزوج عليها أو تسرى أو غيرها أو آذاها ببخله وشحه ويمكن للمؤمن التبرك بها بالإحسان إليها وزيارتها من غير تزويج . وبالجملة فلا يقدر على القيام بحق الشريفة وإكرامها إلا من ماتت نفسه وصح له مقام الزهد فى الدنيا وباشر الإيمان قلبه بحيث صار أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أهله وولده وماله ، فإن كل شىء يؤذى الشرفاء فإنه

---

(١) أى يعاديهم من ناوأه عاداه

يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سيدى على الخواص ينهى من ينظر للشريفة وهى فى الإزار والنقاب والخف ، ويقول للرائى أنت لو رأيت شخصا يمعن النظر إلى بنتك فى الإزار أما كنت تتشوف فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وينبغى للمتدين إذا بايع الشريفة أو فصدها أو داواها أن لا يفعل ذلك إلا وهو فى غاية الخجل والحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما بائع الأخفاف ، ثم قال : وإن كنت يا أخى كامل المحبة لأولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهد إليهم ما يريدون يشترونه منك فإن الهدية لا تتوقف على رؤية والله تعالى أعلم ، وفيه : أخذ علينا العهود إذا كان لنا بنت أو أخت لها جهاز كبير وخطبها شريف فقير لايملك غير مهرها وقوت يومه وليلته أن نزوجه ولا نرده ، وذلك أن الفقر ليس بعيب نرد به الخطبة بل هو شرف ، وقد تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سأل ربه عز وجل أن يحشره فى زمرة الفقراء والمساكين وقال: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » أى لا يفضل منه لا فى غداء ولا عشاء ، فشىء اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لذريته وأهل بيته فهو غاية الشرف ، ومن رد شريفا فقيرا طلب تزويج ابنته يخاف عليه من المقت والله غنى حميد انظره ، وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نرى نفسنا على أحد من الشرفاء ولو كان جاهلا ونحن علماء وكذلك لا نتزوج له مطلقة ولو ثلاثا ولا نستخدمه فى حاجة ، هذا هو الأدب مع كل شريف فإن الله تعالى فضل الشرفاء علينا لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل بسابق عناية من الله عز وجل لهم . ثم اعلم يا أخى أن تعظيمنا للشريف الذى طعن بعض الناس فى صحة نسبه ربما كان أوجه لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيم الشريف الذى صح نسبه لأن المحقق شرفه يتعين على كل أحد تعظيمه بالطريق الشرعى ، انظره . وفى الحديث « كيف وقد قيل » فافهم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وأخبرنى من أثق به من أهل العلم والشرف أن بعض الشرفاء أتى بعض الولاة ليعطيه شيئا من بيت المال فاستثقله وقال له ائت ببينة تشهد على شرفك لنعطيك فمنعه من العطاء ، ولما نام الوالى رأى النبى صلى الله عليه وسلم رؤية إهانة فقال له : هل أنت مسلم؟ فقال : نعم أنا مسلم يارسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ائت ببينة تشهد أنك مسلم أو كما قال صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم . قال رحمه الله :

(وسُكَّرِ قَالِبٍ لِمَا قِيلَ إِنَّهُ يُصَفَّى بِخِنْزِيرٍ وَأَعْظُمِ جِيفَةِ
وَلَمَّا أَتَى الْيَقِينُ عِنْدَ جُهَيْنَةٍ فَقَالَ نَبَذْنَاهُ لِرَبِّ الْبَرِيَّةِ
فَمِنْ صَحْبِهِ شَرْبٌ بِمَرْتَبَةِ جَهْرَةً وَتَارِكُهُ رَأْساً وَمُسْتَفٍّ غَبْرَةِ
فَمَا لَامَ شَارِباً عَلَى شُرْبِهِ وَلَا عَلَى تَارِكٍ قَدْ عَابَ إِبْقَاءَ فُسْحَةِ)

(وسكر) بضم مهملة وتشديد الكاف كصلب . وفى [س] السكر بالضم وشد الكاف معرب شكر [1] واحدته بهاء اهـ: أى وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين النهى عن سكر (قالب) بكسر اللام وفتحها مثال يفرغ فيه الجواهر ونحوها (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم (قيل) أى لأجل قولهم (إنه) أى السكر (يصفى) من التصفية يقال صفى الشىء إذا هذبه وخلصه من الكدر

---

(١) بفتح شين معجمة وكاف اهـ .

والقذر (بخنزير) أى بدمه المسفوح (وأعظم) جمع عظم وهو قصب الحيوان كان عليه اللحم أم لا (جيفة) بكسر الجيم جثة الميتة جمعها جيف وأجياف . وفى [د] هو عندى يعنى سكر القالب بمنزلة الخمر وذلك لما ثبت عنده من استعمالهم الدم فيه لأجل التصفية وذكر ذلك تشديدا وتهديدا لشاربه اهـ. وفيها سكر القالب حرام أكله وبيعه ، ثبت عندى أنه مصفى بالدم ، وثبت عند أصحابه رضى الله عنه رفع الإذن فى الورد عمن شربه بعد إعلامه لهم بتحريمه حتى تاب منه وطلب منه تجديد الإذن فجدده اهـ. وفى [غ] واعلم أرشدنى الله وإياك إلى سلوك مناهج التحقيق وهدانا جميعا بفضله وكرمه لأقوم طريق أن الناظم جدد الله عليه سحائب رحماته وأعاد علينا من عميم بركاته قد أتى فى هذا المحل بأبيات خمسة عقد فيها مسئلتين أجنبيتين مما ترجم له [المسئلة الأولى] مسئلة تورع سيدنا الشيخ رضى الله عنه عن سكر القالب ولا شك عندنا أن تركه لذلك رضى الله عنه إنما هو لما كان عليه من التحقق بمقام الورع وما سمع منه رضى الله عنه فيه من الذم خارج مخرج الزجر والتغليظ لمن كان يراوده على التساهل فيه بعد الخروج عنه لله تعالى وغير خاف أن هذا حال من رسخت قدمه فى مقام الورع ، وإذا كان لا ينكر على الشيوخ الكاملين والعلماء العاملين تورعهم عن المباح البين الذى لا شبهة تطرق إليه بحال فكيف ينكر على سيدنا رضى الله عنه تورعه عما كثر فيه فى ذلك الوقت بين عامة الناس وخاصتهم القيل والقال ، وقد ذكر فى العوارف عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه ترك أكل البطيخ لأنه لم تبلغه الكيفية التى عليها كان أكله صلى الله عليه وسلم له ، وأما السكر فقد وقع فيه بين علماء ذلك الوقت نزاع كثير إلى أن ألف كل بما ظهر له ، وكاد الخلاف بينهم فيه أن يكون كالخلاف فى الجبن الرومى قبل هذه الأزمنة وبسبب ذلك تورع عنه الشيخ رضى الله عنه هذا الذى عندنا فى هذه المسئلة اهـ. وفى [حاشية ميارة على ابن عاشر] وأما سكر القالب الذى يجلب من بلاد الروم فقد أخبر بعض الثقات ممن له مزيد فطنة وتيقظ أن الروم يجعلون الدم المسفوح فيه عند طبخه للتصفية ثم يبالغون فيه بالعمل طبخا وتصفية إلى أن يصير فى نهاية من البياض والصلابة مفرغا فى القوالب على الشكل الواصل إلينا ، ولما أخبر الوالد قدس الله سره بذلك أفتى بأنه لا ينتفع به أكلا ولا شربا لأن المشهور فى المذهب أن الطعام المائع إذا حلته نجاسة ولو يسيرة يمكن أن يتحلل منها شىء فيه أنه يتنجس ولا يقبل التطهير للزوجته ومخالطة النجاسة لجميع أجزائه . وفى [المختصر] وينجس كثير طعام مائع بنجس قل ، ثم نظم فى ذلك سؤالا نصه :

أسادتنا أهل العلى فى المواكب ... ومن زاحموا بدر الدجى بالمناكب
وسعد التقى فى حبهم واضح الطلا ... وطالعهم فى أفقهم غير غارب
أسائلكم سؤال مسترشد فإن ... أجبتم فقد وفيتم حق واجب
وإلا وقيتم فاللجام لكاتم ... معد وحق الله أدعى لراغب
لقد حدثوا بأن سكر قالب ... بصافى الدم المسفوح يصفو لشارب
فبعضهم عمن رآه وبعضهم ... رآه عيانا ليس عنه بغائب
وليس بزعم مابه قد تحدثوا ... وما زعموا إلا مطية كاذب
لقد حدثوا بالحق والحق أبلج ... وما الحق عن سمع الذكى بعازب
وفى تونس من قبل هذا تحققوا ... به إذ أتاهم ذاك من كل جانب

فجنبه أهل العلوم تورعا — وذلك عادة النجوم الثواقب
وهب أن منه ما يصفى بدونه — أما الحق أن الحكم نيط بغالب
فإن قلتم الذى ادعيته غالبا — يعارضه الأصل الأصيل لذاهب
إذا حكمة عند النصارى تحققت — ولا مانع منها يلوح لطالب
يصيرها أصلا أصيلا لديهم — وذلك أمر واضح غير عازب
على أنه لو سلم الأمر جملة — فتلك حدود الله ردع لراهب
كذاك الحلال والحرام مبين — وبينهما ما فيه ريب لرائب
وماذا الذى يدعو اللبيب إلى صلا — ة شك وما أدى إلى عتب عاتب
وعنه يرى مندوحة بوجود ما — يصفى صفاء خالصا من شوائب
فهذا الذى يبدو لنا ، ولعله — لديكم ما فيه قضاء المآرب
أجيبوا بما فيه كفاية طالب — وماليس فيه مطعن للطوالب
وخلوا تعاليل العوام فإنه — بكم يقتدى فى الدين ليس بحاطب
فحاطب ليل ما تأمل قوله — فويل لهم مما وويل لكاسب
وللناس فيما يعشقون مذاهب — وحكمة ربى فى اختلاف المشارب
وما عجزت خرقاء عن علة بها — تلبس وجه الحق ردا لواجب

وأجاب عن ذلك العلامة ابن عبدالسلام الناصرى وأبو الربيع الحوات برسالة محصلها : يتعين فى هذا الخبر أنه غلط نشأ عن توهم أن الحمرة التى فى السكر أول طبخه هى حمرة دم يخالطه حينئذ وليس الأمر كذلك ، بل ذلك الاحمرار الذى توهم أنه دم إنما هو عين السكر فى أول أطوار طبخه فإنه يكون إذ ذاك أحمر كأنه عين دم وحمرته أصالة لا أنها عن دم ، ربما عاد إليه شىء من أثرها بعد استقصاء أعماله إذا قابلته نار أو أصابته رطوبة باردة ، وقد استوفى الحكماء فى تآليفهم الكلام على السكر طبعا وطبخا وإفراداً وتركيبا وكلهم يذكر أنه أحمر فى أول أطواره ولم يذكر أحد منهم أنه يشاب بشىء من الدم فى قسم من أقسامه ، ولو قيل : إن طبخه بالدم خاص بصنعة النصارى كلا أو بعضا لقلنا : إن علماء الملة الإسلامية فى المعمور كله أكثروا من التنفير عما يصل إلينا للانتفاع به من صنائعهم ثم لم يقفوا إلا على أفراد نادرة بطريق الشك فضلا عن غلبة الظن المعتبرة شرعا وما ذكر أحد منهم السكر مع أنه لا يستغنى عنه فى الأطعمة الفاخرة ولاقوام الأشربة والمعاجين والجوارش والسفوف العجيبة الفعل ، إلا أنه وإن ادعى هذا المخبر نفى الغلط عنه بسماعه من النصارى لهذه الخيانة وقد كانت قبله عندهم مما يتوارى ، فهو غمر إمعة لا يعرف المضرة من المنفعة ، وليته لم يسأل وترك هذا الأمر من جملة مايجهل ، هل المسلم عندهم إلا مسخرة فأخبارهم له لاتحتمل إلا الكذب ، أنظره. ونقل العلماء أن صنائع الكفار ولو مجوسا كلها تحمل على الطهارة لأنهم يتوقون فيها بعض التوقى لئلا يجتنبهم الناس فتكسد صنائعهم ، هذا فيما صنعوا لغيرهم وكذا لأنفسهم كما للبرزلى ، وهب أن تنجيس النصارى للسكر بماذكر صحيح فلا يحرم بيعه ولا أكله إما لطهارته بعد الاستحالة إلى صلاح وعدم الاستقذار كالمسك فإنه دم منعقد طاهر لاستحالته إلى صلاح وإن كان جزء حيوان لاتصافه بنقيض علة النجاسة وهى الاستقذار ، وعن ابن عمر « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبنة فى تبوك فدعا بالسكين فسمى

وقطع وأكل» وسئل مالك رضى الله عنه عن جبن الروم الذى يوجد فى بيوتهم وقد قيل: إنهم يجعلون عليه أنفحة[1] الخنزير فقال ما أحب أن أحرم حلالا وأما أن يكرهه الرجل فى خاصة نفسه فلا أرى فى ذلك بأسا ، أنظر الحاشية المذكورة . وفى مضمن ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بدأت ببسم الله رب البرية	به مستعينا فى جميع المطالب
وللمصطفى والآل أهدى تحيتى	أنال بها خير المنى والمواهب
رأيت سؤالا فائقا نظم جوهر	لسيدنا حمدون بدر الغياهب
عليه من الرحمن وبل السحائب	من الرحمات الصيبات الجوانب
أقول فما المسئول أعلم سائل	بنظمه عن حلال سكر قالب
لقول أناس قد رأوا بعيونهم	نصارى تصفى بالدماء السواكب
تبالغ فى صفائه وبياضه	بذا صار أبيضا[2] بوسط القوالب
فأفتى بما فيه كفاية سائل	ثقات أهمة بدور الكواكب
وقد ألف الحوات فى ذا رسالة	ففيها كفاية وغنية طالب
فما قد توهموه من حمرة دماً	بأول طبخه فليس بصائب
فما هى إلا عينه وطواره	وأصلية فيه بدون الشوائب
وما زعموا من أنها عن دم بدت	فذلك زعم وهو مركب كاذب
فإن صنائع النصارى بأسرهم	مطهرة ، أفتى بذا كل ثاقب
فهم يتحفظون من كل دانس	يدنسها خوف انقطاع الرغائب
وهب أن ماقلتم صحيح المساند	وإن كان نقل ناقل غير لازب
سواء رأى أو أخبروه بما أتى	به من وساوس الظنون الكواذب
فما مسلم لديهم غير ضحكة	ومسخرة ولعبة فى المواكب
يقاس بمسك فى إحالته إلى	صلاح بلا استقذاره كل[3] راغب
وقد كان أصله دما متجمدا	فصار بذاك من خيار المكاسب
وجىء رسول الله يوما بجبنة	من اعمال أهل الكفر من غير رائب
فسمى عليها آكلا صاح بعضها	به قد تأسى كل أهل المذاهب
وقد سئل الإمام عنها فقال ما	أحرم ماقد حل من وهم شائب
وأما رماد النجس إذ قيل إنه	بمحروقه التبييض عن عين راقب
فقد حرر اللخمى فيه طهارة	كذا غيره من النجوم الثواقب
كما حررت طهارة فى وقيدهم	وشمعهم أجب بذا كل طالب
ختمت بحمد الله ثم صلاته	على المصطفى وآله والأصاحب

وكذا قال رحمه الله (ولما أتى) الخبر (اليقين) من أن ماقيل من تصفيته بالدم المفسوح وتبييضه برماد

(١) بكسر الهمزة وفتح الفاء وقد تكسر: كرش الجمل أو الجدى، انظر [س] .
(٢) بتنوين للضرورة . (٣) كل برفع فاعل بالمصدر اه .

النجس غير صحيح (عند جهينة) بالصرف للقافية وهم ساداتنا العلماء مصابيح الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم، وهذا من أمثال العرب، فإن حصين بن عمرو الكلابي سافر ومعه رجل من جهينة يقال له الأخنس، فنزلا منزلا فقتل الجهيني الكلابي وأخذ ماله، وكانت صخرة بنت عمرو تبكيه فى المواسم، فقال الأخنس:

تسائل عن حصين كل ركب ... وعند جهينة الخبر اليقين

(فقال) سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لمن سأل منه الرجوع إلى شربه وأكله (نبذناه طرحناه (لرب البرية) أى لوجه الله تعالى فلانعود إليه ولو كان حلالا وكثيرا ما كان يتمثل رضى الله عنه وعنابه آمين بقول الشاعر:

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكن ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

(فمن صحبه) أى فصارت أصحابه بعد ذلك على ثلاث فرق فنهم (شرب) بفتح معجمة كفلس جماعة يجتمعون على شرب الخمر وهو اسم جمع شارب عند سيبويه، وجمع عند الأخفش كراكب وركب وصاحب وصحب: أى فنهم قوم يشربونه (بمرئه) رضى الله عنه وعنابه آمين: أى بحيث يراهم يقال أنت منى بمرأى ومسمع: أى بحيث أراك وأسمعك (جهرة) أى عيانا غير مستترين ولا مستخفين (و) منهم (تاركه رأسا) أى أصالة: أى ومنهم من يترك السكر شربا وأكلا تأسيابه رضى الله عنه وعنابه آمين (و) منهم (مستف) من استففت الدواء قمحته وأخذته غير ملتوت (غبرة) بضم معجمة وفتحها الغبار. وفى [س] الغبرة كتمرة الغبار، كالغبرة بالضم والغبر كسبب التراب اهـ (فلام) سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (شاربا) للسكر (على شربه) بضم معجمة وفتحها مصدر شرب كعلم (ولا على تارك) له بالكلية تأسيا به (قد عاب) يستعمل لازما ومتعديا (إبقاء فسحة) بضم الفاء السعة لأصحابه إذ هو رضى الله عنه وعنا به آمين أرأف وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا وراثة محمدية قال تعالى - بالمؤمنين رءوف رحيم - وللعلامة الحوات رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه فى مدح الأتاى والحض على شربه والنهى عن الخمر وكل مسكر مانصه:

دعوا شربكم للخمر فالخمر مسكر ... وفى الشرع كل المسكرات حرام
وهيموا بشربكم أتاى فإنه ... حلال وليس فى الحلال ملام
وكونوا عليه مدمنين فإنه ... شفاء النفوس إن عراها سقام[1]
يثير[2] نشاطا يبسط الكف بالندى ... فمن ثم كل شاربيه كرام
ويكشف غم النفس سرا وجهرة ... ويوقظ جفن الأنس حين ينام
ويفتح باب الشهوتين وخير ما أشـ ... ـتهته الطباع باءة وطعام
ويكسو الوجوه حمرة ونعومة ... كأن بها وردا سقاه غمام
ويصقل[3] جوهر العقول لطاعة ... فيكشف عنها فى الفهوم ظلام
ويدفع نتن الأنف والفم دائما ... فطابت به ذات وطاب كلام
ويبطئ بالإنزال فى الوطء باعثا ... على لذة هى المنى والمرام

---

(١) سقام كغراب وسحاب اهـ. (٢) من أثارت الريح الغبار اهـ.

(٣) بفتح تحتية وضم قاف من صقل كنصر اهـ.

ويمنع من حر الظما ويدرما[1] | من البول فى احتباسه لك سام
ولو ان فى الامعاء ريحا تعقدت | يحللها بالطبع حيث يرام
وأفعاله فى المهضم حدث بها ولا | تخف لومة اللوام[2] فهى عظام
يوافق جملة الطباع ملطلقا | بتعديله فكان فيه قوام
فإن شئت فاصطبح وإن شئت فاغتبق | به فله فى الجالسين نظام
إلى غير هذا من منافع جربت | وقال بها فى السالفين إمام
وآدابه شتى ويزداد حسنه | إذراق تلمان[3] ورقت أجام[4]
هو النعمة الكبرى على كل شارب | وإكسيره لا قهوة ومدام
ومذهبنا أن لا يشاب بغيره | سوى عنبر الشحر[5] فهو ختام اهـ

ورحم الله من قال فى مدحه أيضا :

ألا قل لمن رام كل المنى | وجلب السرور ودفع العنا
عليك بشرب الأتاى تفز | بجسم خصيب طويل الهنا
ولا سيما إن تحافظ على | شروط أتتنا عن أهل الفنا
كعنبر زيد وسمن صنى | وخل وفى من أهل الثنا اهـ

[تتمة] وأما القهوة فقد مدحها وحض على شربها من قال رحمه الله :

عليك بشرب البن فى كل ساعة | ففى شربه ياصاح خمس فوائد
نشاط وإهباط وإذهاب بلغم | ونور لأبصار وعون لعابد اهـ

ورحم الله من قال فيها أيضا :

قهوة البن حلال وشفا | أيد الله بها أهل الصفا
إن يكن فى شربها من ريبة | ماسقوها عند قبر المصطفى إهـ

ولما سئل عنها العلامة اليوسى : أهى حلال أم حرام ؟ أجاب بقوله : ولا أقول لكم فيها إلا ماقال الإمام البكرى المصرى رحمه الله لأصحابه حين قيل له ماتقول فى هذه القهوة فقال :

ألا قل لأصحابى عن القهوة انتهوا | ولا تجلسوا بمجلس هى فيه
فليست بمكروه ولا بمحرم | ولكن غدت شراب كل سفيه

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ولو قيل : هذا فى الأتاى لقيل طا | بق النعل نعلا عند كل نبيه
فأواه مأوى غيبة ونميمة | وكل ذى لب لا يرتضيه
فكم صحف تطوى من الذنب وقته | وكم ساعة ضاعت على شاربيه

ولذا قال بعضهم رحمه الله لما سئل عن شرب الأتاى :

أرى شرب الأتاى اليوم جرحه | فلا تبقى إذا معه عداله
فلم يحرم ولم يكره ولكن | رأيت كل ذى سفه عدا له

---

(١) يدر بضم تحتية وكسر دال من أدر الشىء أخرجه اهـ . (٢) جمع لائم اهـ . (٣) بتنوين للضرورة اهـ .
(٤) جمع جام : إناء من فضة يشرب منه اهـ . (٥) ساحل بين عمان وعدن .

قال رحمه الله :

(وَفِى طَابَةَ الْخَبِيثَةِ الطَّبْعِ مُطْلَقًا فَمَنْ لَمْ يَغِبْ مِنْهَا بِقَلْ سُوءُ خَتْمَةِ
وَلَا تَكُ مُغْتَرًّا بِمَدْحِ صِحَابِهَا بِنَظْمٍ وَنَثْرٍ : إِنَّهَا كَالْحَشِيشَةِ)

(وفى طابة) أى وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين النهى أيضا عن العشبة المسماة عند أهلها بطابة سموها باسم من أسماء الخمر . وفى [س] الطابة : الخمر اه . وعليه فيجوز تسميتها بذلك وباسم مدينته صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيحرم تسميتها بهذا الاسم كما أفتى به غير واحد من العلماء رضى الله عنهم ، وأولى ماسميت به عند كل فطن نبيه: خابة من الخيبة ، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حمداً لمن يهدى إلى الرشاد	وهو الموفق إلى السداد
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
فهاك ما عمت به البلواء	وسولته النفس والأهواء
عشبة تعرف بالتنباك	والنتن وهى شرك الهلاك
وتابغا بالتاء أو بالطاء	قد كثروا لها من الأسماء
ولا تسمها أخى بطابه	بل سمها من خيبة بخابه
لأن طابة مدينة الرسول	وحرم اسمها بذاك بالنقول
وصادف الصواب من لقبها	بالنتن ما أنتنها وأنتن بها
فإنها منتنة الدخان	تؤذى بنتنها ذوى العرفان
وكل مؤمن وكل ملك	فريحها أنتن كل سهك
لكنها عند ذوى الخسران	أطيب من مسك ومن ريحان
لا تعجبوا فى ذاك يا إخوان	الخبث للخبيث فى القرآن
ولتنظروا لحالة الخنافس	وما لها فى الخبث من تنافس
فالنتن من روائح الشيطان	وحزبه من جن أو إنسان
مفسدة للفم والأسنان	مضرة الأمعاء والأبدان
مذهبة مروءة الإنسان	مجلبة الهلاك والخسران
تبا لها ولبنها مطلقا	شما وشربا قل بذاك مطلقا
فإنها من المفترات	بذاك قال سائر الثقات
من أولياء ربنا العزيز	كختمهم وصاحب الإبريز
وكالعياشى وكابن ناصر	وكالتلمسان وكابن طاهر
وغيرهم من أولياء الله	ممن ينفر عن الملاهى
فقدروى الحفاظ عن خير الورى	النهى عن مفتر بلا مرا
وعن مخدر وكل مسكر	وعن مرقد بدون منكر
فحرمت صاح إذا بالشرع	لأنها خبيثة بالطبع

وقل لمن قال بفقد النص ... فيها فنصها كمثل الفص
والنهج واضح لمن قد اهتدى ... لكنما الأهواء أعمت الهدى
إياكم وسبل الشيطان ... وحزبه من إنس او من جان
إياكم والتتن يا إخوانى ... فإنها مذهبة الإيمان
وكم لها من ضرر معجل ... فى الدين والدنيا بدون مهل
وليس إذن عند من شربها ... فى وردنا إن لم يتب أو شمها
إلا إذا تاب من الدخان ... والشم جدده بلا توان
فكيف بالدخان أو بالشم ... فيمن يلقن طريق الختم
ويح ملقن بكسر انكسر ... عسى ملقن بفتح انجبر
وكل من لقنه ذو التتن ... يلزمه التجديد دون مين
وكم مقدم بذا الزمان ... ولع بالشم وبالدخان
وكل من كان على ذا الحال ... فإنه ضال وذو إضلال
ياويله إن لم يتب من الدخان ... يكسى غدا سرابلا من قطران
أما يخاف سطوة الجبار ... والطرد عن حوض النبى المختار
وكيف يلقى أحمد التجانى ... ذو الشم والشرب لذا الدخان
فإنها شنشنة الأشرار ... ومشرب الرعاع والأغمار
شاربها ليست له شهاده ... إن لم يتب منها ولا عداله
بل إنها تذهب بالإيمان ... وتجلب الكفر مع العصيان
توبوا إلى التواب يا إخوانى ... من هذه البلوى مدى الأزمان
فذى نصيحة لسائر الورى ... إياك إياك الجدال والمرا
سميتها بالطعن بالسنان ... فى نحر أهل التتن والدخان
يارب نجنا من الدخان ... وكل ما يجر للنيران
بجاه سيد الورى محمد ... صلى عليه الله دون عدد
وآله وصحبه الكرام ... وكل مؤمن من الأنام
وجاه شيخنا التجانى أحمدا ... ممد سائر الوجود أبدا
عليه دائما من الرحمن ... سحائب السلام والرضوان
أمين آمين ختام الله ... على لسان عبده الأواه

ولها أسماء أخر : تابغا بألف بعد معجمة ، وتبغ كسبب ، وتبغة كقصبة ، وطابغا بطاء مهملة مشالة بدل فوقية ، والتتن بفتح نون وسكون فوقية ، والتنباك بفتح فوقية وسكون نون ، وكان القطب سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه يسميها تبخ بخاء معجمة مشددة كراهية وذما لها (الخبيثة الطبع) ماجبل عليه الإنسان (مطلقا) شما وشربا . وفى [د] تبغة حرام والأصل فى تحريمها قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مفتر حرام » وهى من المفترات ، وكان رضى الله عنه يشدد فيها غاية التشديد . ويسلم قول من قال : إن صاحبها الذى لم يتب من استعمالها لا يموت

على حسن الخاتمة ونسب ذلك لبعض الناصريين انتهى ، وفيها : سئل الشيخ محمود الكردى عن القهوة والدخان ؟ فقال للسائل ائتنى غدا إن شاء الله، فلما أتاه أخبره أنه رآه صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل بقهوة فشربها صلى الله عليه وسلم ، وأتاه رجل من أهل الدخان فطرده حتى غاب عن أعينهم يعنى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين اه .وأخبرنى بعض الخاصة أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، كان يأمر أصحابه أن يجروا من الحلقة من يستعملها ويخرجوه منها اه . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : الدخان المعروف بطابة حرام لأنه يضر بالبدن ولأن لأهله ولاعة به تشغلهم عن عبادة الله وتقطعهم عنه، ولأنا إذا شككنا فى شىء أحرام هو أم حلال ولم نجد فيه نصا عن النبى صلى الله عليه وسلم نظرنا إلى أهل الديوان من أولياء الله تعالى وهم أهل الدائرة والعدد فإن وجدناهم يتعاطون ذلك الشىء علمنا أنه حلال وإن وجدناهم لا يتعاطونه ويتحامون عنه علمنا أنه حرام ، وإن كان بعضهم يتعاطاه وبعضهم لا يتعاطاه نظرنا إلى الأكثر فإن الحق معه ، وأهل الديوان لايتعاطون هذا الدخان فإن الملائكة تتأذى بريحه ، ثم قال مؤلفه : فقلت فالثوم والبصل ونحوهما لها رائحة كريهة وأكلها ليس بحرام ؟ فقال رضى الله عنه : إذا اجتمع حق الآدمى وحق الملك قدم الآدمى لأن كل شىء إنما خلق من أجل بنى آدم فما فيه منفعة لبنى آدم لا يحرم وإن كان فيه مضرة للملك وفى الثوم والبصل منافع لاتخفى ، بخلاف الدخان فإنه لا منفعة فيه ، ثم يحدث بسبب شربه ضرر فى الذات ويصير الدخان بعد ذلك قاطعا له فهو بمنزلة من قطع ورقع ولو لم يشربه صاحبه لم يحصل فيه قطع حتى يحتاج إلى ترقيع فيظن أربابه أن فيه نفعا وليس فيه إلا هذا اه . وأخبرنى من أثق به أنه لام البعض على شربها فقال: له كنت تركتها فأصابنى رمد سنة فما تركت دواء إلا وقد استعملته فلم ينفعنى إلا شربها فلذلك كنت أشربها اه - إنا لله وإنا إليه راجعون - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا - الآية :

يغمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

وعن القطب الربانى سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين : اتفقت كلمة علماء الظاهر وجميع أهل الباطن على تحريمها ، ولم يتكلم فيها بالحلية إلا أهل الأهواء ولايشربها إلا المهتوفون ومن يشرب تبغا أو يشم الشم فليس عندنا بشىء اه . وعن مولاى عبد الله بن على بن طاهر أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن عشبة الدخان ،وكان ممن يراه يقظة ؟ فقال له : هى حرام هى حرام اه ونقل أن العلامة ابن زكرى رحمه الله لما وصل مصر وتحاجج مع علمائها فيها كان مما أفحمهم به أن قال لهم : أرأيتم لو دخل عليكم النبى صلى الله عليه وسلم أتشربونها أو تتركونها ؟ فقالوا ننزعها من أيدينا ونخفيها منه حياء وأدبا ، فقال كل مايستحيي به من النبى صلى الله عليه وسلم ويخبأ عنه حرام ، لأن الحياء فى الحق بدعة ،والبدعة وصاحبها فى النار ، وإخفاء المعصية وإظهار غيرها نفاق ،فسكتوا وأذعنوا اه وعن العلامة المحقق «بنانى» أنه قال : العمدة فيها حديث أبى داود المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومخدر ومفتر» وعشبة تابغا هى المفتر والإفتار عندهم رخاوة وفتارة تحصل لمن شمها أو شربها فتتلاشى أعضاؤه وربما غاب عن إحساسه بلذة ذلك، ولايجد الصبر عنها من أولع بها اه . ومما استدل به من قال بتحريمها قوله تعالى - شواظ من نار ونحاس - فقال اللهب والدخان من أوصاف أهل النار

فينبغى أن يجتنب ، ولأنه محروق والمحروق حرام باتفاق العلماء ، وللعلامة الخرشى رحمه الله فى ذمها وذم شاربيها ما نصه :

فى الناس قوم سخاف لا عقول لهم استبدلوا عوض التسبيح دخانا
أنبوبة فى فم والنار داخلها تجر للجوف دخانا ونيرانا
لو كان ذلك ذكر الله ما قربت إليهم النار إجلالا لمولانا
شتان فى الحسن ما بين ذاك وذا هذا يشين وذاك للورى زانا
حر ونار وتسعير للحيته لكن من جهلهم قد كان ما كانا

ولبعضهم رحمه الله فى ذمها أيضا :

الزم طريق الهدى وامش على السنن وخالف النفس وأنقذها من المحن
إياك من بدع تلقيك فى عطب لا سيما ما فشا فى الناس من نتن
مفتر الجسم لا نفع به أبدا بل يورث الضر والأسقام بالبدن
أف لشاربه كيف المقام على ما ريحه يشبه السرجين فى العطن
أفتى بحرمته جمع بلا شطط فاحذر مقالة من يوديك للوهن
فلا يغرنك من فى الناس يشربه فالناس فى غفلة عن واضح السنن
يغمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وفى العمل الفاسى :

وحرموا طابا للاستعمال وللتجارة على المنوال

وممن أفتى بإباحتها سيدى على الأجهورى ، والعلامة سيدى أحمد بابا السودانى ، والعلامة الشيخ سيدى عبد الغنى النابلسى . وفى [حاشية ميارة على ابن عاشر] ما نصه : وحاصل كلامه أنها مما سكت عنه المولى فى كتابه وهى مما عفا الله عنه لحديث الترمذى وابن ماجه « الحلال ما أحل الله فى كتابه العزيز والحرام ما حرم الله فى كتابه الكريم وما سكت عنه من غير نسيان رحمة لكم فهو مما عفا الله عنه » قال المناوى فى شرح قوله : وما سكت : أى لم ينص على حله ولا على حرمته نصا جليا ولا خفيا فهو مما عفى عنه فيحل تناوله بما لم يرد النهى عنه : وفى إباحته والحض عليه قال النابلسى :

اشرب التتن حلالا طيبا ودع السفساف ممن عذلك
إنه والله نبت طاهر لكن الأغراض ترمى فى الهلك

ونظم فيهما قصيدة نبه فيها على أصلها وحكمها وما فيها من المنافع ، انظرها فى الحاشية المذكورة إن شئت :

وللناس فيما يعشقون مذاهب وحكمة ربى فى اختلاف المشارب

ثم قال : لكن قال اللقانى فى [شرح الجوهرة] لا أعلم من تكلم على الدخان من أطباء الإسلام ولا غيرهم ممن يعول عليه ، وإنما أحدث القول فيها يهودى بالمغرب الأقصى وأبرز فيه نظما زاد فيه السفهاء ونقصوا ولعبوا به فصفقوا ورقصوا وقد صرح الفقهاء فى باب الشركة أن الأدخنة والروائح

الكريهة مضرة بالأمعاء والأكباد . وفى [الرحلة العياشية] لامنفعة فيه أى فى الدخان أصلا ، واتفق أرباب العقول شرقا وغربا على التنفير منه و كراهيته اهـ. ثم قال: ومنها أى ومن مفاسدها خبث ريحها فيؤدى ذلك إلى إذاية المسلمين والملائكة المحتفين به ولا يعلم عددهم إلا الله ، ومنها التشبه بالمجوس عبدة النار فى ملازمتها وبالشياطين فى ملازمة الدخان والخبيث من الروائح ومن تشبه بقوم فهو منهم، ومنها أن صاحبها غير مقبول لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ، ومنها أن صاحبها إن كان سوداويا أو صفراويا يفسدمزاجه وينحرف طبعه وتكثر فيه الوساوس والشكوك والأوهام وقبول الأمور التى لا حقيقه لها وكثرة الاحتمالات فى كل ما يرى ويسمع وإن كان بلغميا ربما سلم من ذلك ، ومنها ما نقل أن سيدى محمد العربى التلمسانى كان لا يأذن فى قراءة دلائل الخيرات إلا لمن كان غير شارب للدخان وكان يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم شرط عليه ذلك و كان ممن يراه يقظة اهـ (فمن لم يتب منها) أى من استعمالها شربا وشما (ينل) يصب ويدرك (سوء) بفتح مهملة وضمها (ختمة) أى بشر الخاتمة والعياذ بالله من كل ما يؤدى إلى سوء الخاتمة . ونقل عن أبى العباس المشتوكى رحمه الله : أنه توفى رجل فى زمن القطب سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه وغسل وكفن ، فلما أرادوا حمله خرج من أنفه ماء أسود وأصفر فراقبوه لينقطع فدام حتى ابتل منه بعض الكفن وله رائحة كريهة ، وكان الميت ممن يشرب تابغا ، وأنكر الشيخ رضى الله عنه عليه وقال : لاحول ولا قوة الا بالله كيف يلقى ربه بهذه الحالة فأوصاهم أن لا يشموها . ولبعض أصحابه رحمه الله :

وقد تبرأ من فقير ضربا أخاه ظلما وكذا إن حربا
إلا إذا تبغ كان يشرب فهو لأنواع القلى مستجلب

(ولاتك مغترا) من اغتر بكذا انخدع به (بمدح صحابها) لها (بنظم) أى بكلام منظوم (ونثر) أى وبكلام منثور . ونقل أن أول من أحدثها بالمغرب رجل يهودى يزعم أنه حكيم وله فيها نظم ونثر فدحها ، وزاد عليه أرباب البطالة بتقولاتهم وافتراءاتهم ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ـ (إنها كالحشيشة) فى كل شىء ، وتسمى اليوم بالكيف بكسر الكاف، وللمتأخرين فيها قولان: هل هى من المسكرات ؟ وهو ما اختاره المنوفى قائلا : لأنا رأينا من يتعاطاها يبيع أمواله لأجلها فلولا أن لهم فيها طربا ما فعلوا ذلك ، أو هى من المخدرات، وهو ما اختاره القرافى قائلا : لأنى لم أرهم يميلون إلى القتال والنصرة بل عليهم الذلة والمسكنة ، وربما عرض لهم البكاء مع اتفاق الجميع على المنع من أكلها . وفى الحاشية السابقة : واعلم أن هذه الحشيشة لم يتكلم عليها الأئمة المجتهدون ولا غيرهم من علماء السلف لأنها لم تكن فى زمنهم ، وإنما ظهرت فى أواخر المائة السادسة وانتشرت فى دولة التتار[1] قال القسطلانى فى [المواهب اللدنية] قد جمع فيها بعضهم مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم : كل مافى الخمر من المذمومات موجود فى الحشيشة وزيادة، فإن أكثر ضرر الخمر فى الدين لا فى البدن وضررها فيهما ، فمن ذلك فساد العقل وعدم المروءة وكشف العورة وترك الصلاة والوقوع فى المحرمات وقطع النسل ، والبرص والجذام والأسقام والرعشة والأبنة ونتن الفم وسقوط شعر الأجفان وحفر الأسنان وتسويدها وضيق النفس وتصفير الألوان ، وتجعل الأسد كالجعل[2] وتورث الكسل وتصير العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح أبكم وتذهب السعادة وتنسى الشهادة ، فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة ، وقد أحسن القائل:

---

(١) جيل من الناس اهـ . (٢) كصرد: الحرباء اهـ .

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا ‏ ‏ ‏ ‏ ياخسيسا قد عشت شر معيشه
دية العقل بدرة[1] فلماذا ‏ ‏ ‏ ‏ ياسفيها قد بعتها بحشيشه ‏ ‏ اه

وطوى هنا بيت وهو :

فما صحبها إلا رعاع أسافل ‏ ‏ ‏ ‏ أراذل خلق الله فى كل بلدة

ورعاع كسحاب سقطة الناس وسفلتهم وأوغادهم ومن لاخير فيه قال تعالى - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - .

[فصل فى شروط المقدم لتلقين الورد الأحمدى والنور المحمدى]

هذا الفصل ومابعده إلى التمام هو زبدة الكتاب للإخوان والأحباب بمحض فضل الملك الوهاب، كما أن ماقبله هولب اللباب عند أولى الألباب - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير . قال رحمه الله :

(وَأَمَّا شُرُوطُ مَنْ يَكُونُ مُقَدَّماً ‏ ‏ ‏ ‏ وَمَا قَدْ يُرَاعَى مِنْ أُمُورٍ أَكِيدَةِ
فَإِذْنٌ صَحِيحٌ ثُمَّ أَهْلِيَّةٌ لَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَعِلْمٌ بِأَرْكَانٍ لِوِرْدٍ وَظِيفَةِ
وَمَا يَلْزَمُ الْمُرِيدَ عِنْدَ دُخُولِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَبَعْدُ وَمَا يَقْضِى لِإِبْرَاءِ ذِمَّةِ)

(وأما شروط) جمع شرط ، وهو إما شرط صحة أو شرط كمال (من يكون) أى من يستحق أن يكون (مقدما) لتلقين الورد الأحمدى والنور المحمدى (وما قد يراعى) أى يلاحظ ويراقب فيه (من أمور أكيدة) أى وثيقة منها ماينبغى له أن يتخلى عنها ومنها ما ينبغى له أن يتحلى بها . فمن شروط الصحة قوله (فإذن) بكسر الهمزة مصدر أذن له فى الشىء كسمع أباحه له (صحيح) بلفظ صريح من سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين ، أو ممن ثبت له الإذن منه ولو بوسائط عديدة مع دهور مديدة إذ الطريقة الأحمدية بمحض العناية الصمدية باقية بقاء الدهر حتى يأتى أمر الله ، فلله الحمد ومزيد الشكر فى الأولى والآخرة ، وهى أحق بقوله :

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله ‏ ‏ ‏ ‏ وهذا دعاء للبرية شامل

وفى [م] :

وليس يخلو الدهر من مقدم ‏ ‏ ‏ ‏ ملقن أوراد هذا العلم

(ثم) منها (أهلية) أى صلاحية وقابلية لأن يكون أهلا (له) أى الإذن فى التلقين للورد الأحمدى والنور المحمدى لتخليته من الرذائل وتحليته بالفضائل ولو فى الجملة إذ الأبقع خير من الأسود كله :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ‏ ‏ ‏ ‏ كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وفى [غ] ثم إن الإذن فى التقديم : أى فى تلقين الورد تشترط فيه الأهلية على السنن المعروف والنهج المألوف ؛ فليس الإذن عندنا فى تلقين الورد جاريا على نهج الإذن فى ذكره فقط كما يفهمه من لا علم عنده ؛ فإن الإذن فى ذكر الورد لايشترط فيه عندنا إلا عرض الشروط المشروطة فيه على

(١) بدرة : كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار اه

مريد الدخول فى الطريق ويقررها له حتى يتعقلها فإذا قبلها أذن له فى الورد أياكان من المسلمين ذكرا كان أو أنثى كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا طائعا أو عاصيا من غير توقف فى شىء ولا نظر إلى شىء إلا إلى ماذكر من قبوله الشروط فقط ، وأما الإذن فى تلقينه فيشترط فيه مراعاة الأهلية فلا يؤذن فى ذلك إلا لمن ظهر عليه من الشواهد الحالية مايفيد غلبة الظن فى تأهيله لذلك ، وقد صرح سيدنا رضى الله عنه بهذا فيما وقفنا عليه من الإجازات بخط يده المباركة وهو من المتفق عليه من جميع أئمة الطريق قديما وحديثا ، واستأنسوا رضى الله عنهم فيما استندوا إليه فيه بنحو قوله تعالى ـ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ـ الآية ، ونحو قوله تعالى ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ونحو قوله تعالى ـ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ـ وغير ذلك ، فاتباع الحق وترك اتباع الهوى والدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى بصيرة هو معنى الأهلية المشروطة عند أهل الطريق اه ولله دره ما أغزر علمه وأدق فهمه رضى الله عنه وعنا به آمين :

هذه علتى وأنت طبيبى ليس يخفى عليك فى القلب داء
الأمان الأمان إن فؤادى من ذنوب أتيتهن هباء

قال تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ـ الآية ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (و) منها (علم بأركان) وشروط (لورد) أحمدى معلوم لازم فى الأحمدية وعلم بأركان وشروط (وظيفة) معلومة لازمة فى الأحمدية وكذا أركان وشروط الهيللة اللازمة يوم الجمعة (و) منها أن يعلم (مايلزم المريد) أن ينخرط فى سلك الأحمدية (عند) إرادة (دخوله) فيها (وبعد) أى وما يلزمه بعد دخوله فيها (و) منها أن يعلم (مايقضى) وجوبا إذا فات وقته وما لايقضى (لإبراء) وإخلاص (ذمة) بكسر معجمة العهد والكفالة ، وفى العاصمية :

والشرح للذمة وصف قاما يقبل الالتزام والإلزاما

وفى [غ] ومعنى الأهلية عندنا تقريبا معرفة مالابد منه مما يتعلق بالورد كأركانه التى لايقوم إلا منها ومعرفة وقته الاختيارى والضرورى ومعرفة شروطه التى لايصح إلا معها ، وكذلك الكمالية منها أيضا ، ولا أقل من معرفة شروط الصحة ، ثم معرفة مايبطله وما يدخله من النقص والخلل وما ينجبر به ذلك ثم مايلزم مريد الدخول فى الطريق عند إرادة الدخول وبعده ، ثم معرفة الأذكار اللازمة بلزوم الورد الأصلى وما لها من الأوقات وما يقضى منها كالورد ومالا يقضى إذا فات وقته ، فبمعرفة هذه الأمور يصح رجوع إخوانه إليه فيما يشكل عليهم أو يعرض لهم فى أمر طريقهم اه . قال رحمه الله:

(وَيَعْلَمَ أَنَّ صُحْبَةَ الشَّيْخِ تَجْذِبُ إِلَى حَضْرَةِ الْمَوْلَى بِصِدْقِ مَحَبَّةِ
وَأَنَّهُ مِنْ عَبِيدِهَا وَخَبِيرِهَا وَكُنْ حَذِرًا مِنْ غَيْرِ ذَا فِي الْعَقِيدَةِ)

(ويعلم) أى ومنها أن يعلم المقدم بالفتح (أن صحبة) والمراد بالصحبة هنا الخدمة (الشيخ) من حيث هو شيخ (تجذب) بكسر معجمة من جذب الشىء كضرب حوله عن موضعه (إلى حضرة) بفتح الحاء وفى [نيل الأرب فى مثلثات العرب] :

القرب والمشهد يدعى حضرة   وذكر غائب بخير حضرة
أو ضم والغيبة ضد الحضرة   بالضم أو بالفتح أو بالكسرة

(المولى) جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته ، وعن بعض العارفين رضى الله عنه : اعلم أن المراد بحضرة الله تعالى حيث أطلقت فى لسان القوم شهود العبد أنه بين يدى الله تعالى فادام هذا مشهده فهو فى حضرة الله فإذا حجب عن هذا المشهد فقد خرج عنها اه . وفى [هب] وسمعته يقول : إذا ذهب خاطر العبد مع غير الله فقد انقطع عن الله عز وجل ، ثم من الناس من يرجع إلى الله عز وجل عن ساعة ومنهم من يرجع عن ساعتين ومنهم من يرجع عن أقل ومنهم من يرجع عن أكثر ، فلينظر العبد كيف قلبه مع الله عز وجل ، انظره - رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فى ذلك :

فلج حضرة المولى شهودك دائما   بأنك عنده بعين البصيرة
متى جلت فى سواه أو غير حبه   فمنقطع عنه ولست بحضرة
فدونك ميزانا يطيش بذرة   لتدرى أفى الوصال أم فى القطيعة

وفى [ثيق] واعلم يا أخى أن مرادهم بحضرة القرب حيثما أطلقت شهود القلب أنه بين يدى ربه عز وجل وكل قلب لا يشهد هذا المشهد فى وقت فهو فى ذلك الوقت فى حضرة الشياطين ، لأنه ماثم لنا إلا حضرتان متى دخل فى إحداهما خرج من الأخرى كالصلاة وخارجها ، وكأن لسان الحق تعالى يقول لإبليس وجنوده كل من خرج من حضرتى فعليكم به وهو قوله تعالى - وأجلب عليهم بخيلك ورجلك - الآية ؛ وفى بعض الهواتف الربانية التى سمعتها فى المنام من خرج من حضرتى سلطت عليه أعدائى اه فلا يلومن الخارج من الحضرة الإلهية إلا نفسه ، إذ مامن سكة من سكك الحضرة الإلهية إلا وعلى بابها شيطان ينتظر من يخرج لغير مرضاة ربه فيركبه كما يركب الإنسان الحمار ويصرفه كيف أراد ، ولا يخفى أن المباح داخل فى حضرة الله ولا يحمى صاحبه من إبليس كما يحميه التلبس بما قبله من الواجب والمستحب والأولى ، وإنما كان المباح ليس فى مباعدة صاحبه عن الشيطان لأنه أدنى مراتب مرضاة الله تعالى إذ مابعده إلا مالا يراد من العبد ارتكابه فهو كالباب لحضرة مالا يرضى الله تعالى من العبد وليس بعد الباب إلا الخروج من تلك الحضرة فافهم اه . وعن سيدى على الخواص رحمه الله : فوالله لقد فاز أهل الله تعالى بمجاهدتهم لنفوسهم حتى لم يبق لهم مانع يمنعهم من دخول حضرة الله تعالى فى ليل أو نهار ، ووالله لو سجدوا على الجمر ما أدوا شكر الحق تعالى على إذنه لهم فى الدخول إلى حضرته لحظة واحدة فى عمرهم اه . وفسرها سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين كما فى [جه] بمعنى عزيز لا يعرف إلا بالذوق وكل إناء بالذى فيه يرشح ونصه : حقيقتها هى محق الغير والغيرية فلا أين ولا كيف ولا رسم ولا وهم ولا خيال ولا عقل ولا تمييز إلا الطمس والعمى حيث لم يعقل هناك إلا الله بالله لله فى الله عن الله فهذه هى نسبة الحضرة الإلهية. انظره (بصدق محبة) أى بمحبة صادقة وهمة نافذة لا لأغراض فاسدة وأهواء مبيدة دينية أو دنيوية ، فلا يصحبه لنيل سر أو فتح أو كشف أو ولاية أو أسماء البركة أو كيمياء أو إكسير ، فإن ذلك مما يقطع المريد عن الله وعن شيخه وليس فى كده إلا الخيبة والخسارة - قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه - قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة - الآية . وفى [جه] وذلك أن الشيخ لا يصحب إلا الله عز وجل لا لشىء وهو فى أمرين ، يعنى الصحبة :

فإما أن يواليه لله بأن يقول هذا ولى الله وأنا أواليه ، وسر ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب» وفى طيه : من والى لى وليا لأجل أنه وليى اصطفيته واتخذته وليا ، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى ، والأمر الثانى : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الآداب ومايفسد المرء منها من الأوطار والآراب فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وما يقربه إليه ، والصحبة فى هذين الأمرين لا غير ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة . فإذا عرفت هذا فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يعبد لالغرض بل لكونه إلها يستحق الألوهية والعبادة من ذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية وهذه هى العبادة العليا ، وكذلك الشيخ يصحب لا لغرض بل لتجذبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد فى حضرة الله تعالى ، وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محمودا فهو شين على العبد فى حضرة الله تعالى ، ولذا أمر الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى فى أقل قليل لأن المريد فى وقت متابعة الهوى كافر بالله عند العارفين لكونه نصب نفسه إلها وعصى أمر الله وخالفه فهو بعيد من الله على الحقيقة ليس من الله فى شىء ، وإن قال لا إله إلا الله فى هذا الحال قال له لسان الحال كذبت بل أنت مشرك ، ومن هذا القبيل خرج قوله صلى الله عليه وسلم «ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع» فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغير إذا لم يوافق هواه فى غرضه فإن الشيخ أعرف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهل بذلك ، فإذا طلب منه غرضا من أى فن كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه لأجل مصلحته ودفع مفسدته ، فإذا عود نفسه التغير على الشيخ فى مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ ، فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره انقطع انقطاعا كليا لارجوع له أصلا اهـ . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننبه الإخوان على آداب صحبتهم للأولياء وذلك بأن يصحبوهم لله تعالى أو ليأخذوا بيدهم فى مواقف القيامة لا ليحموهم إذا ظلموا من مصائب الدنيا كما عليه جماعة من أكابر الدولة فيقصرون نيتهم فى الصحبة للأولياء على أنهم يتوجهون فى حوائجهم وفى منع من يسعى على وظيفتهم مع تماديهم فى ظلمهم وإدخالهم الغم على الرعية ، ولعمرى إن ذلك لايصح لأكابر الأولياء اليوم أن يفعله لأن البلاء قد صب صبا فافهم . ثم من الأدب على من يصحب الأولياء أن لا يخص نفسه عنهم بمأكل ولاملبس ولامنكح ولايبخل على عيالهم ولا أولادهم ولا أصحابهم بشىء من حطام الدنيا ، وليعلم هذا المصاحب للأولياء أن ذلك الشىء الذى يعطيه لذلك الولى لايساوى فلسا بالنسبة لما يحصل له على يديه من خير الدنيا والآخرة وعدم تخلفه عنه فى الشدائد . وليحذر أن ينكر على ذلك الولى إذا قال له إن لم تبرنا وتحسن إلى جماعتنا فلا تصحبنا لأن ذلك ربما يكون امتحانا من الشيخ له لا محبة للدنيا إذ لو كان محبة للدنيا ما كان وليا ولارفعه الله على غيره ، ثم قال : وقد كان سيدى الشيخ يوسف العجمى رضى الله عنه يقول لبواب زاويته بالقرافة : إذا دق شخص الباب فانظر من الشق فإن رأيت معه شيئا للفقراء فافتح له وإلا فهى زيارات فشارات ، فقيل للشيخ فى ذلك فقال أعز ماعندنا وقتنا وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فإن بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا ، والله غنى حميد اهـ . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : علامة كون المريد يحب الشيخ المحبة الصادقة النافعة أن تقدر زوال الأسرار والخيرات التى فى ذات الشيخ حتى تكون ذات الشيخ مجردة من ذلك كله وتكون

كلوات سائر العوام ، فإن بقيت المحبة على حالها فهى محبة صادقة وإن تزحزحت المحبة وزالت بزوال الأسرار فهى محبة كاذبة والله أعلم . وسمعته رضى الله عنه يقول : علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة فى نظر المريد فافهم له وجهافذاك ومالم يفهم له سرا وكله إلى الله تعالى مع جزمه بأن الشيخ على صواب ، ومتى جوز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل فى زمرة الكاذبين ، وفيه : لما سئل عن المريد الذى يزيد إذا حضر الشيخ وينقص إذا غاب فأجاب رضى الله عنه بأن همة الشيخ الكامل هى نور إيمانه بالله عز وجل وبه يربى المريد ويرقيه من حالة إلى حالة ، فإن كانت محبة المريد للشيخ من نور إيمانه أمده الشيخ حضر أوغاب بل ولو مات ومرت عليه آلاف من السنين ، ومن هنا كان أولياء كل قرن يستمدون من نور إيمان النبى صلى الله عليه وسلم ويربيهم ويرقيهم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لأن محبتهم فيه محبة صافية خالصة من نور إيمانهم ، وإن كانت محبة المريد فى الشيخ من ذات المريد لا من إيمانه انتفع به مادام حاضرا فإذا غابت الذات عن الذات وقع الانقطاع ، وعلامة محبة الذات أن تكون محبته فى الشيخ لتحصيل نفع أو دفع ضر دنيوى أو أخروى ، وعلامة محبة الإيمان أن تكون خالصة لوجه الله لا لغرض من الأغراض ، فالمريد إذا وجد النقص من نفسه عند غيبة الشيخ فالتقصير منه لا من الشيخ والله أعلم اه . وفى [جه] وأما قول السائل : مامعنى قول ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ؟ معناه هو ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل من أولياء الله؟ قال لهم : « هم الذين إذا رءوا ذكر الله » لكن هذا الحديث لايصدق إلا فى طائفة خاصة وهم مفاتيح الكنوز لا من عداهم حتى القطب ، ومعنى الحكمة هو أنه إذا أوصل الله عبدا إلى ولى وأقر سبحانه فى قلب ذلك العبد أن هذا من الأولياء قطعا لا يتردد ولايشك ثم خدمه بالصدق والأدب وأشرقت محبة ذلك الولى فى قلبه ، ولكن المحبة فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه فيحبه لأجل هذا الغرض من غير هذه المحبة ، فلا شك أن هذا يصل إلى الله ولو بعدحين ، وأما إذا وصل إلى الولى وأقبل على أغراضه وشهواته ولم ينل من الولى إلا ما طابق أغراضه فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ولا من أهل الوصول إلى الولى ، غاية الولى فى هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان للخلق الذى أمره الله به ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسراره ، فهذا لو بقى مع الولى ألف عام لم ينل منه شيئا لأن لسان حال الولى يقول له : ماوصلتنا لله ولاوصلتنا لأجلنا وإنما وصلتنا لغرضك الذى كنت تناله لانسبة بيننا وبينك والسلام اه (و) منها أن يعلم (أنه) أى الشيخ من حيث هو شيخ (من عبيدها) بفتح العين جمع عبد أى من عبيد حضرة المولى سبحانه وتعالى (وخبيرها) أى وأنه عالم بها وبأحوالها وأوصافها ومسالكها وعوائقها ، ولابن الفارض رضى الله عنه :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير ، أجل عندى بأوصافها علم

وفى [غ] ثم بعد هذا معرفة مايراد من الدخول فى طرق المشايخ وفى أى شىء ولأى شىء يصحبون وأن النفع فى صحبتهم مقصور على شهود أمرين ، الأول : أن يعلم أن الشيخ المراد صحبته والدخول فى طريقه ولى لله تعالى فيصحبه ويدخل فى طريقه لتجذبه موالاته لموالاة الله تعالى ، والأمر الثانى : أن يعلم أنه من عبيد الحضرة الإلهية وأنه عارف من طريق التعريف الإلهى مكاشفة ومنازلة

بما للحضرة من الآداب فيصحبه ليدله على ذلك ، ومن صحب المشايخ ودخل فى طريقهم لغير هذين الأمرين فقد خسر الدنيا والآخرة قاله سيدنا رضى الله عنه اه (وكن حذرا) كـكتف من حذر كعلم احترز (من) اعتقاد (غير ذا) الذى ذكر فى العقيدة أى فى معتقدك ونيتك . وفى [هب] إن الغرض من الولى هو الدلالة على الله تعالى والجمع عليه والتزهيد فيما سواه ، فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه هذا الأمر فإنه يربح معه ، وإذا جعل يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار ولايسأله عن ربه ولا كيف يعرفه مقته الولى وأبغضه وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به ، وذلك لأمور. منها: أن محبته للولى ليست لوجه الله تعالى وإنما هى على حرف والمحبة على حرف خسران مبين لا ينزل عليها نور الحق أبدا ، ومنها : أن الولى يراه فى تعلقه بغير الله تعالى فى عين القطيعة وهو يريد أن ينقذه منها والعبد يريد منه أن يزيده منها فإن الولى يراه ترك الثمرة وأخذ الجمرة ، فالثمرة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه ، والجمرة هى القطيعة عنه والقبض فى غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها ، ومنها : أن الولى إذا ساعده فى قضاء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أن هذا هوالذى ينبغى أن تقع المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل ذلك ضلال وموجب لمقت الولى له .

[قلت] ومن مقته له ومكره به أن يظهر على ذاته بعض المخالفات أو يخبره بشىء لا يكون أنه يكون ليطرده بذلك عنه، والله أعلم اه . وفيه : إن بعض الأكابر كان له عدة أصحاب وكان لا يتخيل النجابة إلا من واحد منهم ، فأراد أن يختبرهم يوما فاختبرهم ففروا بجملتهم سوى ذلك الواحد ، وذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فأظهر لهم صورة امرأة جاءته فدخلت الخلوة فقام الشيخ ودخل معها ، فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم وخسرت نيتهم إلا ذلك الواحد فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه بقصد أن يغتسل به الشيخ ، فخرج عليه الشيخ فقال ماهذا الذى تفعل؟ فقال رأيت المرأة قد دخلت فقلت لعلك تحتاج إلى غسل فسخنت لك الماء، فقال له الشيخ وتتبعنى بعد أن رأيتنى على المعصية؟ فقال ولم لاأتبعك والمعصية لاتستحيل عليك، وإنما تستحيل فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم أخالطك على أنك نبى لاتعصى وإنما خالطتك على أنك بشر وأنك أعرف منى بالطريق ومعرفتك بالطريق باقية فيك فالوصف الذى عرفتك عليه لم يزل فلا تتبدل لى نية ولا تتحرف ، فقال له الشيخ ياولدى تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنافعلت ذلك عمدا لينقطع عنى أولئك القوم ، فادخل ياولدى وفقك الله معى إلى الخلوة فهل ترى امرأة فيها ؟ فدخل فلم يجد امرأة فازداد محبة على محبته والله الموفق اه ، وفيه : وسمعته رضى الله عنه يقول : كان لبعض العارفين بالله عز وجل مريد صادق وهو وارث سره فأشهده الله تعالى من شيخه أمورا كثيرة منكرة ومع ذلك فلم يتحرك له وسواس ، فلما مات شيخه وفتح الله عليه شاهد تلك الأمور وعلم أن الصواب مع الشيخ فيها وليس فيها ما ينكر شرعا إلا أنها اشتبهت عليه ، فمن ذلك أن امرأة كانت من جيران الشيخ وكانت تذكر بالسوء وكان المريد يعرف شخصها وكان للشيخ امرأة على صورتها وكان المريد لايعرفها وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت وكان المريد لايبلغ إليه وإنما يقف بالباب واتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت للدار ، واتفق أن خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان الشيخ أرسل إليها ليقضى حاجته منها فدخلت وقام إليها الشيخ ومرت الشبيهة بها نحو البيوت ، فرمى المريد ببصره نحو الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ

وهو يقضى حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء وربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان، ثم خرجت المرأة وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ يتيمم من غير ضرر وربط الله على قلب المريد . وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء القلنبص عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر وربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس ، فلما فتح الله عليه علم أن المرأة التى وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء وعلم أن التيمم الذى فعله الشيخ لضرر كان بجلده وعلم أن الماء الذى شربه الشيخ ماء قلنبص لاماء خمر ، والله الموفق انظره : وفى [جه] وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية ، وذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلى فى كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به فى غيرها من المراتب ، وذلك التجلى تارة يكون كمالا فى نسب الحكمة الإلهية وتارة يكون صورته صورة نقص فى نسب الحكمة الإلهية ، ثم إن ذلك التجلى وإن كانت صورته صورة النقص فى نسب الحكمة الإلهية فلا محيد لتلك المرتبة من ظهور التجلى فيها بصورة ذلك النقص ، لأن ذلك ناشىء عن المشيئة الربانية وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به فلابد لكل عارف من ظهور النقص فى ذاته ، ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال للدقائق التى بينه وبين ربه وتارة يلابسه متعمدا أنه نقص وليس له فى هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهى الذى مقتضاه القهر والغلبة بحيث أن لامحيد للعبد عنه ، فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضى النقص إما شرعيا وإما مما يخل بالمروءة قليلا حظ هذه المعانى التى ذكرناها وليعلم أن ذلك لايخرج الشيخ عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطه عن كمال أدبه ، فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية . وكل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب والوصول يريد أن لايظهر فيها نقص كأن لسان حاله ينادى لامطمع لك فى دخول حضرة الله تعالى ، لأن كل المراتب لابد لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئا من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا فى ثلاث مراتب فقط لاماعداها وهى : الرسالة لمن دخل حضرتها ، والنبوة لمن دخل حضرتها ، والقطبانية لمن دخل حضرتها فإن هذه الثلاث لاصورة للنقص فيها والباقى من المراتب يظهر فيه النقص فى الغالب وقد لايظهر ، فإن هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرء فيها صورة نقص فذلك النقص هو غاية الكمال وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أفعله فوالله إنى لأعلمهم بالله وأخشاهم له » اه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة رضى الله عنهم لما تثبطوا على الحل فى حجة الوداع : « قد علمتم أنى أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديى لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمرى مااستدبرت لم أسق الهدى فحلوا » قال جابر : فحللنا وسمعنا وأطعناه . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لاينقص اعتقادنا فى شيخنا إذا رأيناه نقص عن مقامه بكثرة نومه فى الأسحار مثلا أو قلة ورعه أو غير ذلك ، فقد يوقع الله تعالى من ذلك الولى ذلك التقصير فى حال غفلة أو سهو ثم يوجد له اليقظة من تلك الغفلة فيتنبه لما وقع منه زمن غفلته فيتدارك ذلك بما ينبغى تداركه به مما يسد ذلك الخلل ، كل ذلك من الله تعالى إرشاد لمريديه ليبصروا باطلاعهم على مافرط من أستاذهم وعلى ماتداركه به يعرفون كيف يتخلصون من ورطات زلاتهم إذا فرط منهم أمر نظير ماوقع من أستاذهم ، لأن للأشياخ رائحة

من مقام ، إنما أنس بى ليستن بى ، وقد يطلع الله الولى بما سيوقعه فيه من النقائص النسبية على كثرة صدقه فى مقام الرضا بقضاء الله تعالى وقدره أو قلته ، فيعرف الله تعالى أولياءه بتغير الأحوال عليهم صدقهم معه أو كذبهم ليشكروا الله تعالى أو يستغفروه إذا انتبه أحدهم من غفلته، فنحن لاندرى فى حالة نقصهم ماذا يراد بهم ، لأن ذلك لايعلم إلا بعاقبة أمرهم فينبغى أن لاينقص اعتقادنا فيهم بمجرد وقوع أحدهم فى النقص بل ندوم على اعتقادنا فى أحدهم حتى نرى عاقبة أمره، فقد يكون من الكمل الذين يريد الله بوقوع أحدهم فيما ذكر إظهار مامنحه الله تعالى به من مقام كمال الرضى بتقدير الله عز وجل ليعظم شكره كما تقدم ،وقالوا : زلات المقربين رفعة لمقامهم، واستدلوا على ذلك بالأكل من الشجرة ثم كان الاجتباء والاصطفاء بعد ذلك، فإياك ياأخى أن تقيس حال شيخك على حالك فتهلك ولا ينبئك مثل خبير اه . وفيه : أخذ علينا العهود أن نرى كل شىء ظهر من أستاذنا من سائر النقائص إنما هو لنا لأنه مرآتنا ، ولشيخنا فى نفسه حال آخر من الكمال لانعرفه ولو صفت مرآتنا لعرفناه، وكذلك لايجوز لنا أن نرى توقف الفتح علينا من فتور همتنا. وفى كتب الطب أن برد الرحم سبب فى الحمل ، فهكذا نفس المريد متى لم تجد لوعة البرد وحرقة الطلب والتشوق إلى المقصود لم تجد هى من أستاذها فيضا فهو مثل الوقود البارد لايؤثر فيه القبس إلادخانا كالدعاوى والرعونات الحاصلة بين القوم. وكان سيدى على بن وفا يقول : لايأمرك أستاذك بأمر ويتعذر عليك فعله إلا لعدم كمال قبولك لذلك ونقص استعدادك : وكان يقول: أنت على الصورة التى تشهد أستاذك عليها فاشهد ماشئت وانظر ماذا ترى ، والله أعلم اه . قال رحمه الله :

(وَهَذَا أَقَلُّ مَا يُرَاعِى الْمُقَدَّمُ مَزِيداً عَلَى طَهَارَةٍ وَالْفَرِيضَةِ
وَزِدْ ذَا دِيَانَةٍ وَعَقْلٍ أَمَانَةٍ وَحِلْمٍ سِيَاسَةٍ وَرَفْعِ لِهِمَّةٍ)

(وهذا) الذى ذكر (أقل مايراعى) يلاحظ ويراقب ويشترطه (المقدم) بالكسر فى حق المقدم بالفتح وقت التقديم (مزيدا) أى زائدا (على) معرفة شروط (طهارة) حدثية مائية أو ترابية وخبثية بدنية وثوبية ومكانية (و) على معرفة شروط (الفريضة) والنافلة صحة وكمالا . وفى [غ] ومن نقص عن هذا القدر فى العلم لايصلح للتقديم لأنه لم يحصل على حقيقة ماهو بصدد أن ينقله لغيره كمية وكيفية وقتا وغير ذلك مما يتعلق بالورد ، لأنه لم يعرف المراد والمقصود من هذا الأمر الذى يريد أن يدخل غيره إليه ويدله عليه وربما دله على غير المراد وسلك به فى مقصده غير طريق السداد بل وربما أوقعه فى مهواة الطرد والبعاد ، وقد شوهد فى بعض من ينتحل طريق الإرشاد والدلالة على الله تعالى من غير معرفة بل ولا حق ولا حقيقة ماهو مباين صورة ومعنى غاية المباينة لمناهج الشريعة والطريقة، وذلك أنه يقول لمن يريد استمالته إليه وإلى حزبه إن من أخذ عنا وانحاز إلى جانبنا يدرك الكلمة الرياسية فى الأمور المخزية كفلان وفلان ويذكر له بعض من اتفق له شىء من ذلك، فيتعاون عليه هو وشيطانه وهواه فيضله عن طريق الهدى وهو يظن أنه انخرط فى سلك أهل الله ، وهذه والعياذ بالله من أعظم الفتن الموعود بها فى آخر الزمن ،ولهذا حذروا من صحبة المتصوفة الجاهلين اه (وزد) فى شروط المقدم على وجه الكمال كونه (ذا) صاحب (ديانة) وعبادة لحديث « العلم دين والصلاة دين فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تسئلون يوم القيامة » قال تعالى - فوربك لنسئلنهم

أجمعين عما كانوا يعملون - وفى مسلم: « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وفى [جص] « سلوا أهل الشرف عن العلم فإن كان عندهم علم فاكتبوه فإنهم لايكذبون » وأهل الشرف أهل الأصول الطيبة ومن جملتهم الأتقياء : أى ولا تسئلوا أهل الفجور الذين علمهم حجة عليهم فإن نفوسهم تسول لهم الإفتاء بما تهواه نفوسهم ، قاله الحفنى . وعن على رضى الله عنه وعنابه آمين : « لقد رأيتنا يوم بدر مافينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصلى إلى شجرة يدعو حتى أصبح » اه .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانتصدى لتلقين الذكر وأخذ العهد ونحن مرتكبون أمرا مذموما فى الباطن كما أننا لانأخذ العهد على أحد ونحن نعلم أن فى بلدنا من هو أقدم منا هجرة وأولى ، بل نرغب المريد فى ذلك القديم الهجرة إذا رأيناهم لايعتقدون فيه ونرسلهم له قياما بحق الأدب مع أهل الطريق ، وهذا العهد قد صار غالب الفقراء يخلون به ويريد كل واحد أن يكون جميع فقراء بلده تلامذته ، وما هكذا كان الأشياخ الذين أدركناهم رضى الله عنهم بل كان كل واحد منهم يعظم أخاه فى غيبته ويحفظ حرمته ، وذلك لعدم فطام أهل عصرنا عن الرعونات على أيدى أشياخهم فإن من لم يفطم على يد شيخ فمن لازمه غالبا الحسد والحقد فى الأقران حبا للانفراد . ثم قالوا : وقد قالوا : كثرة الأشياخ فى بلد تدل على رخص الطريق عند الناس ، وولو أن الأشياخ فتشوا المريدين فى مقام الصدق لوجدوهم أقل من القليل ، فكان يكفى فى مثل مصر كلها مسلك واحد . قال : ولما دخل الشيخ يوسف العجمى رحمه الله تعالى فى سلسلة الطريق بمصر بعد أن سمع الهاتف ثلاث مرات يقول له : اذهب إلى مصر وهو يرده ، فقال فى الثالثة اللهم إن كان هذا وارد حق فاقلب هذا النهر لبنا حتى أشرب منه بقصعتى فانقلب النهر لبنا فشرب منه وأسقى من حضر من الناس ، ثم سافر إلى مصر على أثره فوجد سيدى حسنا التسترى قد سبقه إلى مصر فقال له ياحسن الطريق فى مصر لواحد ، فإما أن تبرز أنت وأكون أنا الخادم ، وإما أن أبرز أنا وتكون أنت الخادم فرد كل منهما على الآخر ، ثم إن سيدى حسنا انتصب قائما ووقف بين يدى سيدى يوسف خادما بجد واجتهاد وعزم وصدق فلم يزل يخدمه حتى مات سيدى يوسف فبرز سيدى حسن بعده هكذا كان الأشياخ رضى الله عنهم فبهداهم اقتده ، وافهم ياأخى ذلك والله يتولى هداك اه . هذا فى زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون -

رفقا بها قد بلغ السيل الزبى واتسع الخرق على المرتق

وفيه أخذ علينا العهود أن نفرح بكل شيخ أو واعظ برز فى بلدنا وأن نقلب إليه جميع أصحابنا حتى لايبقى حولنا فقير واحد ، ومتى تكدرنا من ذلك الذى برز وضاق صدرنا منه فهو دليل على حبنا للرياسة على عباد الله دون إرادة الخير لهم والمراتب كلها بيد الله يفرقها على من يشاء من عباده ، وليس لعبد أن يقول لسيده لم عطلتنى من الشىء الفلانى وأعطيته عبدك الفلانى وربما كان ذلك الشيخ أعلم منا بالشرائع والحقائق فتكدرنا منه حمق . وبالجملة فيجب علينا أن ندور مع الحق حيثما دار ونتلمذ لذلك الشيخ موافقة للناس الذين أقبلوا عليه ، ثم قال : وقال فى [الخلاصة المرضية] ويجب على الشيخ إذا رأى شيخا فوقه أن ينصح نفسه ويلزم الخدمة لذلك الشيخ وتلامذته فإنه صلاح فى حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل فليس بمنصف ولا ناصح نفسه ولاصاحب همة بل هو ساقط الهمة بل إنما هو محب للرياسة والتقديم ، وهذا فى طريق الله نقص ؛ ألا ترى إلى محمد صلى الله عليه وسلم

كيف قال « لو كان موسى حيا ماوسعه إلا أن يتبعنى » وإلياس وعيسى عليهما السلام تحت حكم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبغى أن يكون شيوخ هذه الطائفة اه : أى وراثة نبوية ، ولذا قال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لمن رغب فى ورده وقال له خفت من ابن ناصر : لو كان ابن ناصر هنا وقلت له تحيد لتحيد: أى لا يسعه إلا اتباع أمره لعلمه علم يقين أنه شيخه وممده حيا وميتا، وكذا غيره من الأقطاب فضلا عن غيرهم رضى الله عن الجميع الرضا الأبدى . وفيه : وكان من وصية سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله : من تمشيخ عليكم فتلمذوا له، ومن مد إليكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله ، وكونوا آخر شعرة فى الذنب فإن الضربة أول ماتقع فى الرأس اه . وفى [عم] ويتعين على كل عالم أو شيخ حصلت عنده حزازة فى صدره بكثرة المريدين لأحد من أقرانه أو تركهم درسه واجتماعهم على غيره بحيث لم يكن عنده أحد من الطلبة أو المريدين أن يتخذ شيخا يسلك على يديه حتى يرقيه إلى درجة الإخلاص بحيث ينشرح لكل من تحول من طلبته إلى غيره ، فمتى تكدر من طلبته إذا تحولوا إلى غيره فليس له فى الإخلاص نصيب كما صرحت به الأخبار والله يتولى هداك اه .

وللبوصيرى رحمه الله :

يحسد الأول الآخر فمازا ... ل كذا المحدثون والقدماء

قال تعالى ـ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ـ الآية ، وقليل ماهم (و) ذا (عقل) وهو منبع العلم والسعادة فى الدارين ، وفى الحديث « أطع ربك تسمى عاقلا ، ولا تعصه فتسمى جاهلا » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب » وفيه : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ، ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ، ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح ونجح » وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء « ازدد عقلا تزدد من ربك قربا ، فقال بأبى أنت وأمى وكيف لى ذلك ـ فقال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز » وعن سعيد بن المسيب « أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العاقل ، قالوا فمن أعبد الناس ؟ قال العاقل ، قالوا فمن أفضل الناس ؟ قال العاقل ، قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا ذليلا » قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « إنما العاقل

من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته » وفيه : وقال صلى الله عليه وسلم « يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به ونهيتم عنه ، واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر دنئ المنزلة رث الهيئة، وأن الجاهل من عصا الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ، ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين » اه . ورحم الله من قال :

لا تركنن إلى ذى منظر حسن ... فرب رائقة قد ساء مخبرها
ما كل أصفر دينار لصفرته ... صفر العقارب أدناها وأنكرها

ومن قال :

ياقلب غرتك من أهل الهوى غرر ... فسرت يغريك فى ليل الهوى غرر
لا تأسفن إذا ماهمت فى قمر ... ما أنت أول سار غره القمر

وللحريرى رضى الله عنه لما استصغره من وفد عليه للأخذ عنه لقبح منظره :

لست بأول سار غره قمر ... ورائد أعجبته خضرة الدمن
اختر لنفسك غيرى إننى رجل ... مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

ورحم الله من قال من بحر المنسرح :

ماوهب الله لامرئ هبة ... أفضل من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فإن فقدا ... ففقده للحياة أحسن به

وزد كونه ذا (أمانة) ضد الخيانة ، وفى [جص] « الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر » وفيه « الأمانة غنى » : أى لأن من عرف بها يرغب الناس فى معاملته ، وفيه: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » وفيه : « أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك » وفيه « إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه [(١)] : الحياء والأمانة والصدق ، وإذا لم ترها فيه فلا ترجه » وفيه « أول مارفع من هذه الأمة الحياء والأمانة» وتمامه «فسلوهما الله عز وجل » وفيه: « ثلاث ليس لأحد فيهن رخصة : بر الوالدين مسلما كان أو كافرا والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافرا ، وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافر » وفيه : « كفى بالمرء سعادة أن يوثق به أمر دينه ودنياه » وفى مسلم وغيره « إن الأمانة نزلت فى جذر [(٢)] قلوب الرجال ، ثم حدثنا عن الأمانة ورفعها فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها ، فيصبح الناس فيتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان » اه. وقيل : إن الله خلق الدنيا كالبستان وزينها بخمسة أشياء : علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة الصلحاء ونصيحة المستشار وأداء الأمانة» فقرن إبليس مع أهل العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الأمانة الخيانة . وفى [د] يقول صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له » سببه أن رجلا من أصحابه

---

(١) ارجه من رجا كدعا أمل اه . (٢) جذر كفلس اه .

اؤتمن على مال فصرفه فى مصلحة نفسه بغير إذن صاحبه فشكى عليه فجعل يزجره بهذا الحديث الشريف اه وأخبرنى بعض الإخوان أنه أودع عند من لقنه الورد الأحمدى لثقته به وحسن ظنه فيه مائة ريال، فلما طلبه بها أنكره وأغلظ عليه وقال له لقنتك الورد الشريف وأنت تطلب منى العرض الفانى ، فوقع بينهما نزاع وخصام وشنآن فى ذلك واقتطع مال أخيه بيمين فاجرة وسيلقى ربه وهو عليه غضبان، وإياك ثم إياك يا أخى أن تثق بأبناء الوقت فقد نصحتك نصح أخ مجرب ، ورحم الله من قال :

جربهم بالمنقوش والكنبوش　　يظهر لك الصافى من المغشوش

وذيله بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه قال :

فإننى جربت بالمنقوش　　فلم يبن لى سوى المغشوش
وما تأتى ذاك بالكنبوش　　لاسيما فى زمن المكدوش اه

واستمسك بقوله صلى الله عليه وسلم « احترس من الناس بسوء الظن وفرمنهم فرارك من الأسد ، ولا يستخفنك الذين لايوقنون بالمزوقات والمزعفرات والمخمرات والمعنبرات والتمشدقات بألسنة حداد - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - » .

بل زنهم بالصدق والأمانه　　والحفظ للحدود والديانه
وباتباع محكم الكتاب　　وسنة النبى بلا ارتياب

- ربنا اغفرلنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين (و) كونه ذا (حلم) بالكسر الأناة والعقل ، وفى [جص] « الحليم سيدفى الدنيا وسيد فى الآخرة» قال العزيزى : قال الحسن: مانحل الله عباده شيئا أفضل من الحلم ،والمراد حلم لايجر إلى محذور شرعى أوعقلى اه. وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم« إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه» وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر » وقال على كرم الله وجهه: قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم ، وإنه ليكتب جبارا عنيدا وما علك إلا أهل بيته » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ، قالوا وما أبو ضمضم ؟ قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى » وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله : تقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إنا نراكم سراعا إلى الجنة ؟ فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون لهم ما كان فضلكم - فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسىء إلينا عفونا ،وإذا جهل علينا حلمنا [١] . فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» وقال على رضى الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لاتباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى ، وقال رضى الله عنه : إن أول ماعوض الحليم من أن الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا يغفر الله

---

(١) من حلم كنصر .

لك وإن كنت صادقا فغفر الله لى. وسب رجل ابن عباس ، فلما فرغ من سبه قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا. وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم ، فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم ، اشترى جميع ذلك بشىء من الدنانير . وقال لقمان : ثلاثة لايعرفون إلا عند ثلاثة: لايعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.وقال سيدنامعاوية رضى الله عنه لعرابة بن أوس : سدت ياعرابة قومك ؟ قال ياأمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى ، ومن قصر عنى فأنا خير منه ، انظره :

بيذل وحلم ساد فى قومه الفتى وكونك إياه عليك يسير

وفى [جه] وأما صبره رضى الله عنه فلا خفاء بما له من الثبات فى مركز الصبر ، فلا يزال رضى الله عنه يقابل من أساء إليه بالإحسان حتى صار كل من ينكر عليه يقر له بالفضل والعلم والحلم والولاية الكبرى وعظيم المكانة وكمال الإحسان ، فلما رأوا ذلك منه وصار له ذلك عادة ولم يلتفت إلى ماهم عليه من الإذاية وعدم الإحسان رجعوا عما كانوا عليه من الإذاية والإضرار وتابوا إلى الله وسألوا منه الصفح والعفو والاستغفار ، فعادوا إلى أحسن حال وأكمل مقال يطلبون من سيدنا رضى الله عنه أن يسامحهم ويعفو عنهم ويتجاوز عنهم ويسامحهم ويدعو لهم ويحن عليهم ويشفق منهم ويتودد إليهم ويتعاهدهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ، فهذا حاله رضى الله عنه الذى لايقدر عليه أحد إلا أكابر الصديقين والأصفياء، ومع كثرة اشتغاله بهذه الأمور لايفرط فى أنواع الطاعات ، فإذا أتى وقته الذى يتفرغ فيه للعبادة نبذ كل السوى وراءه وأقبل على الله بما أهله له ولما أراده ، انظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

بمنواله فانسج تنل خير رتبة ودع كل من يرى لنفسه نصرة

فإنه لم يزل مع النفس والهوى فكيف يداوى وهو أعضل علة

وزد كونه ذا (سياسة) من ساس الرعية يسومها أمرها ونهاها ، ومنه قوله :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وفى [عف] ومن وظيفة الشيخ : حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب ، والنزول عن حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع . حكى الرقى قال : كنت بمصر وكنا فى المسجد جماعة من الفقراء جلوسا فدخل الدقاق فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه ، فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا ، فقلنا نحن كنا أولى بهذا من الشيخ، فقال ماعذب الله قلبى بهذا قط : يعنى ماتقيدت بأن أحترم وأقصد .ومن آداب الشيوخ : النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم . قال بعضهم: إذا رأيت الفقير الفه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه، فإذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ، ثم قال : ومن آداب الشيوخ : أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة أن يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة ففى ذلك خير كثير ، ومادام العبد لايتخطى حريم الرخصة فهو حر . ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرب فى لزوم الرخصة تدرج بالرفق

إلى أوطان العزيمة . قال أبو سعيد بن الأعرابى : كان شاب يعرف بإبراهيم الصائغ ، وكان لأبيه نعمة فانقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسى ، فربما كان يقع بيد أبى أحمد شىء من الدراهم فكان يشترى له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول : هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب أن نرفق به ونؤثره على غيره ، انظره . قال تعالى ـ حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ـ وما من وارث إلا وله قسط ومشرب من الموروث صلى الله عليه وسلم كل بحسب ماسبق له فى الأزل :

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(و) زد كونه ذا (رفع لهمة) بكسر الهاء وبفتح : وفى [شب] قال السيد الشريف : الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره ؛ وسئل سيدى عبدالقادر الجيلى عن الهمة فقال : هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا : وبروحه عن التعلق بالعقبى ، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ، ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره اه . وفى [جه] قال سيدنا رضى الله عنه : همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت فى ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة بحيث أن لاينالها فى طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ولا تصعب عليه صعوبة طلبه ولم ينلها شك ولا تردد ، بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت فى طلبه اتصلت بمطلوبه ولو كان وراء العرش اه . وفيه : وأما رفع همته عن الخلق فإنه رضى الله عنه فى غاية من الانقطاع عنهم إلى الله سبحانه لايرجو إلا أفضاله وإحسانه ، قد أعرض عنهم لما أقبل على مولاه ، وخلفهم فيما خلف وراءه لايبالى بإقبال منهم ولا بإعراض ولا بسخط ولا بتراض ، سواء المقبل والشارد والمقارب والمباعد والذامّ والحامد والمقر والجاحد ، لاركون له إليهم ولا معرج له عليهم ، غنى بمولاه واكتفاء بما به تولاه ولا يواليهم ظاهرا كما لايشاركهم فيما هم فيه باطنا ، قد قطع عنهم منتهم بمرة ونبذ كل أحد نفعه وضره ، فلا يقبل من أحد كائنا من كان من قريب أو بعيد قليلا ولا كثيرا ولا جليلا ولا حقيرا ، حتى لايقدر أحد أن يسومه بعطية ولا بهدية ، نشأ رضى الله عنه على هذه السيرة السنية والأحوال المنيفة السنية ، ولم يزل على ذلك حتى وقع له الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول وعدم الرد فعند ذلك صار لم يرد ، لكن هناك من يقبضه ويتصرف فيه كما شاء فى داره وغير ذلك من سائر التصرفات ، وبعض يقبضه لكن يصرفه فيما يظهر له من المواساة للمساكين وذوى الفاقات اه .

وفى [غ] وكلام المشايخ رضى الله عنهم فيما يشير إلى تأكيد رفع الهمة عن الخلق فى الطريق وكونه من أركانها المعتمدة فيها كثير ، وغرضنا التنبيه على أنه فى طريقتنا من الأمر الآكد فيها بل هو من أوصاف أهلها التى يعرفون بها . ورأيت فى بعض المؤلفات نقلا عن تذكرة المحبين للرصاع مانصه : قال بعض العارفين : رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ، وقبيح بالفقراء أن ينزلوا حاجاتهم بغير مولاهم ، ويذلوا أنفسهم لأرباب الدنيا بالسعى إليهم وكثرة الوقوف على أبوابهم موافقين لهم على مآربهم ، تراهم يتزينون كما تتزين العروس معتنين بإصلاح ظواهرهم غافلين عن إصلاح سرائرهم ، لقد كان أحدهم لو صدق فى فقره أن يسمى عبد الكبير فخرج عن هذه الإضافة فصار يضاف لعدم صدقه إلى الذليل الحقير ، أولئك هم الكاذبون الصادون العباد عن محبة أولياء الله ، ثم قال : قال ابن عطاء الله : رفع الهمة عن الخلق هى زينة أهل الطريق وسيمى أهل التحقيق ، وقال بعضهم فى ذلك :

الله يعلم أننى ذو همة ... تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتى ... وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم أنى الفقير إليهم ... وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من غيره ؟ ... هذا لعمرى إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله ... عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى إحسانه ... عم البرية منة وتلطفا اه

وإذا عرفت القدر الذى هو أقل ما يراعى فى حصول الأهلية للتقديم من جهة العلم ، فينبغى أن تعرف أنه لابد فى حصول ذلك من أن يكون من يراد لذلك بعد تحصيله للقدر المذكور من أهل العلم ذاديانة وعقل وحلم وأمانة ورفع همة عن الخلق ثقة بالملك الحق، ومن نقص فى شىء من هذه المذكورات وكان محصلا للقدر المذكور من العلم ولم يوجد غيره ممن هو أكمل منه اعتمد فيما معه من العلم والمعرفة بحسب ذلك ، فأصل أركان الأهلية وأساسها هو تحصيل القدر المذكور من العلم بما تقدم ، وباقى الأركان تدور على مركز مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة بقدر الاستطاعة ، وميزان ذلك كله هو رفع الهمة عن التشوف لما فى أيدى إخوانه من العرض الفانى وعن تكليفهم بما فيه حظ له كيفما كان ، وإنما كان هذا الأخير ميزانا لما عداه من أركان الأهلية ليزن به الموفق حال نفسه ، فكلما وجد فيه رائحة من الطمع فى رفق يأتيه من إخوانه الذين يلقنهم عرف بأنه ليس بأهل لذلك ولامرادا فيكون اشتغاله بالإقبال على إصلاح أمر نفسه أهم الأشياء إليه، فلا يقبل التقدم على أحد وأحرى أن لايتعرض له بطلب أو استجلاب بشىء ، فإن فعل فقد أخسر الميزان والعياذ بالله تعالى من أسباب الخسران اه .

وفى [عف] أهم الآداب أن لايتعرض الصادق للتقدم على قوم ولايتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع ، فإذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الإرادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة إقبال الخلق والشهرة ، وفى الخمول السلامة ، فإذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالإرشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الوالد الناصح المشفق لولده بما ينفعه فى دينه ودنياه ، وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى فى معناه ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفى القول معه، ولايتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعيناً به فى الهداية للصواب من القول . سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردى رحمه الله يوصى بعض أصحابه ويقول : لا تكلم أحدا من الفقراء إلا فى أصفى أوقاتك ، وهذه وصية نافعة لأن الكلمة تقع فى سمع المريد الصادق كالحبة تقع فى الأرض، وقدذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى، وقطرة من الهوى تكدر بحراً من العلم . انظره .

[لطيفة] وأخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه لما ساقته العناية الصمدية للدخول فى الأحمدية طلب منه صديق حميم وحبيب كريم أن يسأل التقديم فأبى وامتنع لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إنا لا نستعمل على أمرنا هذا من طلبه » وقوله : « أخونكم للعمل من طلبه » وقوله : « ياعبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ،

ويجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية حتى يقع فيه ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فلولا فضل الله علينا ورحمته بمحض كرمه ومنته ما كنا أهلا لأن نلقَّن بالفتح ، فكيف نطلب أن نلقِّن بالكسر ، ورحم الله من قال :

فلا تمدن للعلياء منك يدا حتى تقول لك العلياء هات يدك

ومن قال :

إذا اصطفاك لأمر هيأتك له يد العناية حتى تبلغ الأربا

ومن قال :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبالة واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وكم من واحد من الإخوان - بصرنا الله وإياهم بعيوبنا وشرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وسلك بنا وبهم مسلك المرادين المصطفين الأخيار آمين - طلب منه التقديم تصريحا وتلويحا كتابة ومشافهة فأجابه بأننا لسنا أهلا أن نقدَّم - بالفتح - فكيف أن نكون أهلا أن نقدِّم بالكسر ، وماقدمنا أحداً منذ قدمنا فرارا من المقت فى هذا الوقت ، وفى وقت آخر يفعل الله ما يشاء ويختار ؛ ورحم الله من قال :

رفقا بها قد بلغ السيل الزبى واتسع الخرق على المرتق

وفى الحديث : « يا أنجشة رويدك بالقوارير » وأحق الناس من ترك ما عنده من اليقين اعتمادا على ماعند الناس من الظنون :

يظنون بى خيرا ومابى من خير ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
فلا تفضحنّى بينهم يوم مشهد ولاتخزنى يوم القيامة فى الحشر
وشفع رسول الله فينا وفى الورى وأتحف عبيدا بالجميل من الستر

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فويحك يانفسى تعديت طورك وتوبى من التلقين فى الأحمدية
فلست من أهله لجهلك بالدوا تطفلت فيه عن أساة الطريقة
أما تتقين الله فى ذا التطبب أماتذكرين يوم بعث وحسرة
فلست وربى من دعاة أطبة ولكن من المرضى بأعضل علة
ومن جملة الحمقى بلامس جنة ومن جملة السكرى بأهوا مضلة
أمن عنده الشفا اشف دائى وعلتى بمن قد جعلته شفاء البرية
عليه الصلاة والسلام بلاانتها وبالختم أحمد التجانى عدتى
عليه من الرحمن سحب تحية وأصحابه طرا من انس وجنة

وله أيضا رحمه الله ورضى عنه :

ولما أردت نبذ أحمال ثقلها لمابى من عجز ومن ضعف قوة
وخفت على نفسى من إعطاء ذا الدوا لكثرة جهلها بموضع علتى
أتتنى مراء بالبشارة بالمنى تبشرنى بالإذن فى الأحمدية
فنهافقم صف الورى ياابن فاطمة فقمت ألقن اسم ذات بهجة

ومنها فقم فازرع فهذى زريعة … فقلت فما لى آلة للزريعة
فقيل فقم فازرع فهذه آلة … وأرض وقوت فازرعن دون منة
فحينئذ أسلمت وجهى طالبا … من الله عونا فى تحمل كلفة
ومستمدا من النبى وأحمد التجانى … دائما بسر وجهرة
عليه صلاة الله ثم سلامه … ورضوانه على التجانى قدوتى

ومن أجل ذلك قال رحمه الله ورضى عنه :

يارب صق من صفوة العباد … من يعبد الله مع الآباد
ملتمسا بذا رضا الرحمن … ومخلصا فى السر والإعلان
وراغبا فى ذكر ورد أحمدا … فى كل وقت أبدا مؤبدا
واجعله من أفضل خلق الله … فى الدين والدنيا بفضل الله
واجعل إخاءنا لرب الناس … واحفظه من وساوس الخناس
واصبب علينا وابل الرضوان … وامنن بعفوك والغفران
وحفنا بلطفك الخفى … وعمنا ببرك الحفى
واحم جميعنا من الأنكاد … ومن شرور الدهر والأوغاد
بجاه أحمد رسول الله … عليه والآل صلاة الله
وجاه ختم أولياء الله … عليه سحب رحمات الله
آمين آمين استجب بالفضل … وشفعن نبينا فى الكل

ورحم الله من قال :

وكيف تريد أن تدعى حكيما … وأنت لكل ماتهوى ركوب
وتعبث دائما ظهراً لبطن … وترتكب الذنوب ولا تتوب

ومن تعرض لهداية غيره بغير معرفة فهو خائن - إن الله لا يحب الخائنين - ومن طب غيره بغير علم فهو ضامن إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها وعدل عن مقاديرها فساق المريض إلى الهلكة وعاجله بالمنية: « ومن غشنا فليس منا » - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا - الآية . وفى [مح] عن الخلاصة المرضية: ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر ، وأن يكونوا لهم تلميذاً أو مريداً فإن المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته وآفته فهو محجوب لا تنفع أحدا إشارته وتعليمه اهـ. وفى [عم] وقد رأيت أشخاصا كثيرين ممن أذن لهم أشياخهم بالتربية عادوا أشياخهم وهجروهم وادعوا أنهم أعلم بالطريق منهم فمقتوا ولم ينجح على أيديهم أحد ، وكل ذلك لوقوع الإذن لهم من أشياخهم قبل خمود نار بشريتهم ، فكان اللوم على الأشياخ لا عليهم . وقد كان سيدى على المرصفى عزيز الإذن فى المشيخة إلا أن يأتيه إذن بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا ، فلما مات انحل نظام الطريق فى مصر وقراها ، وماظهر بعده سوى الأخ الصالح سيدى أبى العباس الحريثى رحمه الله تعالى ، انظره . وفى [د] ماخلفت أحداً سوى سيدى الحاج على حرازم ، أمرنى صلى الله عليه وسلم بذلك فخلفته :

هكذا هكذا وإلا فلا لا … طرق الجد غير طرق المزاح

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وكن مرصنى الوقت فى الأحمدية ... وفى غيرها من طرق كمل الأئمة
فكان عزيز الإذن لايأذن الورى ... سوى بعد إذن من رسول البرية
قد انحلت الأزرار يومامن العرى ... فألفت رياح النفس سبلا لمهجة
قد اتسع الخرق على كل راقع ... لكثرة من يعطى الدوا دون خبرة
فكل لنفسه يريد استمالها ... بإعجابه برأى نفس خبيثة
يقول أنا لها جذيل محكك ... وغيرى كعشوا أو كحاطب ليلة
لذاك تنافسوا كمثل بنى الدنا ... عليها تغايروا تغاير نسوة
فكم واحد يسعى لنيل التقدم ... ببينة وليس من أهل رتبة
فواعجبا لمن يقول أنا لها ... وقد عزلته رتبة فى الحقيقة
فيا ويح من يبغى مقام المشايخ ... برسم الشهود والقضاة وشوكة
أيا سادتى المقدمين وقيتم ... هوى النفس والردى وكل بلية
فما كان هكذا دعاء الأطبة ... فكل يحيلها على أهل حكمة
يقولون نفسى نفسى لست من أهلها ... ولكن عليك بالدعاة الأطبة
بهديهم اقتدوا تفوزوا بحكمة ... ولكنما الأهواء عمت فأعمت
فيارب شفع فى الجميع نبينا ... عليه وآله وصحب تحيتى
وشفع أبا الفيض التجانى أحمدا ... وأصحابه فينا بفضل ومنة
عليه من الرحمن فى كل لمحة ... سحائب رضوان ووابل رحمة

ولمثل هذا كتب العارف الربانى العلامة الصمدانى سيدى الحاج الحسين الأفرانى لبعض المقدمين مانصه : استدراك خير كتبه شيخنا أبو المواهب السائحى رضى الله عنه لبعض الإخوان فكونوا عند مضمنه بحيث لاتخالفوه رأسا فإنه زبدة مايجب على المقدمين فى الطريق الأحمدية المحمدية التجانية ، وراعوا مبانيه ، ثم نبهوا غيركم من المقدمين بالعمل فإن بذلك يفوزون برضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورضا الشيخ رضى الله عنه ، وليس الغرض من هذا الاستدراك إلا التنبيه لسيادتكم ومزيد التأكيد على نباهتكم فى مراعاة الأهلية المعتبرة بوجوهها المقررة كلا وبعضا ممن ترشحونه للتقديم والانتصاب لتلقين الأوراد ، والتثبت التام فى ذلك وعدم التساهل فيه بتمكينكم من عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم ، والكمل من أهل الله من يشترى به ثمنا قليلا فإن وبال ذلك عظيم ومرتعه وخيم لما ينشأ عنه من التلاعب بالدين وإدخال الفتن فى الطريق على عباد الله المؤمنين بما يزلزل نياتهم ويفسد عليهم طوياتهم مع مايدخله على الطريق من الاختلال بتغيير مراسمها وهدم قواعدها وإخراجها عن نهج الحنيفية البيضاء وسنن الاعتدال ، فيسجل على المتساهل فى ذلك بأنه ممن اتخذ دينه هزؤا ولعبا وغرته الحياة الدنيا فيذوق عن قريب وبال أمره وتكون عاقبته خسرا لامحالة ، أعاذنا الله من بلائه ، وعليه : فعليكم أيها الإخوان الأماجد بالتثبت التام والتحرى فى أمر التقديم بغاية جهدكم ، ولا أقل من أن يكون المراد عندكم بالتقديم مستور الحال منزها عن ردية الطمع والتشوف والتملق للرجال ، وأن لا يكون متجاهرا بشىء مما يسقط العدالة ولامهينا دنيا لا يبالى بما هي عليه من سمات الخسة والنذالة ،

وقد فصل ذلك تفصيلا فى [بغية المستفيد] مع بيان مآخذه من كلام سيدنا رضى الله عنه فراجعوه فيه . ويكون التثبت والتحرى بأمور كان عليها عمل سيدنا رضى الله عنه وعمل المعتبرين من نوابه رضى الله عنهم أجمعين ، منها : إذا أتاك أحد من بلد مثلا وطلب منك التقديم فى بلده أن تسوّفه ، ثم تنظر فى بلده أو من بإزائها فإن كان بها مقدم مجمع على رسوخ قدمه فرده إليه حتما، فإن أبى فاقطع عليه بأنه صاحب هوى وحرص لا خير لك ولا له فى مساعدته ، وإن لم يكن فى بلده ولا بإزائها مقدم فانظر أنت رجلا مستور الحال ممن لا رغبة له فى التقديم وقدمه بعد الاستخارة النبوية وادفع ذلك الراغب بما يظهر لك فى الحال ، وإذا أتاك من يريد أن يستخرج منك الإذن فى إعطاء الأوراد بالتحيل بأن يقول لك مثلا إنى مسافر إلى بيت الله الحرام، وإلى غير ذلك، وربما يرغب إلىّ راغب فى الورد فأذن له فى إعطاء الورد مادام فى سفره ذلك ذهابا وإيابا لاغير ، واشترط عليه أن لايتصدى لذلك فى بلد فيه مقدم أمكن منه وأقدم هجرة فى الطريق بل يكف عن إعطاء الورد حتى يخرج منها، كل هذا ليتفصى الإنسان من عهدة التلاعب وليأخذ بحجز [1] إخوانه عن الوقوع فى مهواة الردى ، وكل هذه قضايا اتفقت لسيدنا رضى الله عنه ولخاصة المقدمين بعده لا يمكننا بسط القول فيها الآن . وبالجملة فإن استطعتم أن لا تأذنوا فى إعطاء الورد إلا لمن تختارون أنتم ممن لم تظهر عليه رغبة بل ولاتشوّف لذلك فهو أولى وإن امتنع فراودوه على القبول بعد الاستخارة النبوية وتكررها مرارا ، وإن كان ولابد من تقديم من يطلبه ويرغب فيه فالميزان فى ذلك أن تثبتوا وتنظروا فى أحواله فإن ظهر من حاله أنه يريد بذلك أن يكون خديما للشيخ وأصحابه والمنتسبين إليه بإيصال الخير إليهم والأخذ بيدهم رجاء أن يحصل له الجزاء من الله تعالى فى العاجل والآجل من خزائن فضله وجوده سبحانه فساعدوه بطلبته [2] وأسعفوه برغبته ، وإن ظهر لكم من قرائن أحواله أنه يريد أن يكون مخدوما لا خادما ، وأحرى مع ظهور أثر التشوف منه إلى مافى أيدى إخوانه ، وأحرى مع التظاهر فى الدعاوى الكاذبة واعتماد الخرافات الباطلة ، فلا يحل لكم أن تغروا عليه نفسه وهواه وتعينوا عليه شيطانه ، فامنعوه من ذلك ولو أدى منعكم إياه إلى انقطاعه عنكم، فإنه لاخير فى رؤيته فضلا عن صحبته ، ولم يبق له حق عليكم إلا فى دعاء الخير، فلا تتركوه له بظهر الغيب، وهذا كله فى التقديم لإعطاء الورد اللازم فقط : وأما الإذن للغير بمثل الإطلاق والتعميم الذى كتبنا لبعضكم به فلابد فيه من الاحتياط التام بغاية الجهد ، وإن أدى الحال إلى أن لا تقدموا بمثل ذلك إلا واحدا فى الإقليم مثلا أو واحدا فى عمركم كله أو لا تقدموا بمثله أحدا أصلا فلا عليكم، وسلامة أنفسكم أولى لكم ولاسيا وهذا فيه سلامة أنفسكم وسلامة إخوانكم معكم ولاسيما أيضا وهذه الطريق المحمدية الأحمدية مضمونة من الانقطاع ومحفوظة من الانتساخ، وإنما هذا التحفظ والتحرز مما هو جائز الوقوع فى الطريق من ظهور المتلاعبين والدجاجلة الكذابين ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فالأمر للمقدمين بمراعاة الأهلية والتحفظ إنما هو من فتن الضالين الذين يضل بضلالهم خلق كثير ، لا أنه تحرز من انقطاع الطريق وانتساخها بعد ضمان النبى صلى الله عليه وسلم لها أنها باقية ببقاء الدين المحمدى فى الأرض ، فافهموا ذلك الخ وفيما ذكرنا منه غنية لكل ذى نهية . وممن رأيناه كان عزيز الإذن فى التقديم والتلقين أبو محمد صالح سيدى أحمد محمود أبقى الله الصلاح والبركة

---

(١) حجز بضم حاء مهملة : جمع حجزة ، كغرفة وغرف اهـ . (٢) طلبة بكسر اللام : الشىء اهـ .

فى ذريته حتى أن بعض الإخوان رحمه الله أخبرنى أنه راوده قرب وفاته على تقديم ولده فأبى وقال إن شأن التقديم صعب وأمره كبير وخطره خطير . وكان رضى الله عنه ممن لا يخاف فى الله لومة لائم - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننهى الفقراء من إخواننا عن فتح باب الرياسة على إخوانهم وذلك لأنهم لا ينقادون لهم فى العادة وربما جرهم ذلك إلى الخصام فيتعطلون عن الترقى ، وإن كان ولا بد لهم من الرياسة فليكونوا أمام إخوانهم فى الزهد والورع وقيام الليل وحفظ الوقت فإن طريق انقياد الخلق لبعضهم بعضا ثلاثة أمور لاغير : إما الصلاح ، وإما البر والإحسان ، وإما الشوكة ، فمن طلب إنقياد الخلق له من غير هذه الطرق فقد أخطأ الطريق ، ثم إذا تشوش فقير من شيخه حين قدم أحدا من أقرانه عليه قلنا له انظر الصفات التى استحق بها ذلك الفقير التقديم عليك وافعل نظيرها يقدمونك أنت الآخر على أقرانك فاعلم ذلك اه . قال رحمه الله :

(بِبَعْضِ وَصَايَا الشَّيْخِ أَوصِى مُقَدَّمًا   بِعَفْوٍ عَنِ الْإِخْوَانِ أَهْلِ الْجَرِيمَةِ
وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ لِلَّهِ قَاصِداً   وَيَرْغَبُ عَنْ حُظُوظِ دُنْيَا دَنِيَّةِ
وَيَنْهَى السُّعَاةَ بَيْنَهُمْ بِنَمِيمَةٍ   بِرِفْقٍ وَلِينٍ لَا بِعُنْفٍ وَشِدَّةِ
يُرَاعِى الْحَدِيثَ «يَسِّرُوا لَا تُعَسِّرُوا»   وَيَبْذُلَ مَالَهُ لِصَاحِبِ خَلَّةِ)

(ببعض وصايا) جمع وصية (الشيخ) سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنابه آمين ونصها كما فى [جه] وأوصى من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل ، وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل ، وأن يجتنب مايوجب فى قلوبهم ضغينة أوشينا أوحقدا ، وأن يسعى فى إصلاح ذات بينهم وفى كل ما يوجب فى قلوبهم بغضهم على بعض ، وإن اشتعلت نار بينهم سارع فى إطفائها وليكن سعيه فى ذلك لمرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك ، وأن ينهى من رآه يسعى فى النميمة بينهم وأن يزجره برفق وكلام لين ، وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير فى كل مايأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان ، ويراعى فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وأن لايلتفت لما فى أيديهم معتقدا أن الله تعالى هو المعطى والمانع والخافض والرافع ، وليجعل همته فى تحرير دنياهم فيما فى أيديهم من التشتيت والتبذير ، وأن لا يطلبهم بإعطاء شىء لا من القليل ولا من الكثير إلا ماسمحت نفوسهم ببذله من غير طلب ، فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور ، وعلى هذا المقدار يجرى بهم فى جميع الأمور اه : وفى [غ] وهذه الوصية من سيدنا رضى الله عنه كافية فى الإشارة إلى الأهلية المشروطة فى هذا المقام على هذا الباب كما أنها كفيلة بجميع معظم مايطلب من المقدم التمسك به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، وذلك لأن العفو عن الزلل والصفح عن الخلل هو أعظم ماترسخ به المودة فى القلوب وتستنزل به أرواح الرضا من خزائن الغيوب انظرها (أوصى) من الإيصاء (مقدما) لتلقين الورد الأحمدى والنور المحمدى (بعفو) وصفح (عن الإخوان) فى الأحمدية وفى الإسلام (أهل الجريمة) الذنب والنقيصة لقوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - وأن تعفوا أقرب

للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاث والذى نفسى بيده لوكنت حلافا لحلفت عليهن: مانقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة، ولافتح رجل على نفسه باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر » وقال صلى الله عليه وسلم: « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات: يامعشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض » وقال صلى الله عليه وسلم: « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قيل ومن الذى له على الله أجر؟ قال: العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب » وقال جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء، وزوج من الحور العين حيث شاء: من أدى دينا خفيا، وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد أحد عشر مرة، وعفا عن قاتله، قال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله؟ » انظر [حى]. وفى [جه] وأكثروا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكل مؤمن وآكد ذلك لمن آخاكم فى الطريقة فإن من عفا عن زلة عفا الله عنه عن زلات كثيرة، ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره وسامحوه لكى يقبل الله أعذاركم ويسامحكم فى زلاتكم فإن شر الإخوان عند الله من لايقبل عذرا ولا يقيل عثرة، وتأملوا قوله سبحانه وتعالى - سارعوا إلى مغفرة من ربكم - إلى قوله - والله يحب المحسنين - اه (وإصلاح) أى وأوصيه بإصلاح (ذات البين) الفرقة والفتنة بين القوم قال تعالى - فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم - وأنشدوا:

فما أدع السفارة بين قومى ... ولا أمشى بغش إن مشيت

(الله قاصدا) أى قاصدا لوجه الله العظيم وامتثالا لقول نبيه الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » وروى الأصبهانى: « من أصلح بين الناس أصلح الله تعالى أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ماتقدم من ذنبه » وورد: « إن الله تبارك وتعالى يأمر مناديا ينادى يوم القيامة إن الله عفا عنكم ورضى عنكم فليرض بعضكم عن بعض » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يارسول الله؟ قال: رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجل، فقال أحدهما: يارب خذ مظلمتى من أخى، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يارب مابقى من حسناتى شىء، فقال: يارب فليحمل من أوزارى، وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم عظيم، يحتاج فيه الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ماأعجبه من الخير والنعمة، فقال لمن هذا يارب؟ فقال: لمن أعطانى ثمنه، قال: ومن يملك ثمن ذلك؟ قال: أنت، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك هذا، قال: يارب فإنى قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » اه. وفى [جه] وربما يتوجه لإصلاح ذات البين فمابينهم إذا طلبوه فى ذلك، لكنه لايكلف أحدا بإسقاط حقه، وينبه على ذلك بأنه لاينبغى لمحافظته رضى الله عنه على حدود الشريعة اه. وفى [مح] عن سيدى محمد الغالى رضى الله عنه وعنابه آمين: ونأمر كل واحد من المقدمين أن ينظر إخوانه بعين

العناية والتعظيم وأن يحفظ نفسه من تغيير قلوبهم ، وأن يجتهد فى إصلاح أمورهم وقضاء حوائجهم الدنيوية والآخروية كزيارة صحيحهم وعيادة مريضهم والشفقة على ضعيفهم ، ويكون هذا كله لابتغاء مرضاة الله ورضا رسوله ، أنظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلح بين المسلمين ونبذل فى الصلح بينهم المال ، ولا نتوقف فى إعطاء عمامتنا وثيابنا للمظلوم حتى يصفح أو للظالم حتى يرجع عن ظلمه ، ثم لانطلب على ذلك عوضا لافى الدنيا ولا فى الآخرة : ثم قال : ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يخرجه عن محبة الدنيا ويطلعه على عظيم مقام المسلمين ، وأن بذل الدنيا كلها فى الصلح بينهم من بعض حقوقهم عليه ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فمن لازمه الإخلال بهذا العهد فلايهون عليه بذل نصف فضة فى الصلح بين المتخاصمين ولو أدى إلى رواحهم (١) إلى بيت الوالى ، وإن سمح بالنصف سمح وعنده حزازة أو بلا حزازة ، لكنه يطلب على ذلك عوضا من رد مثله أو شكر الناس له أو يطلب به الثواب ، وليس ذلك من أخلاق الكاملين ، انظره . وعن بعض الصحابة : من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس قال تعالى - لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - ورحم الله من قال :

إن الفضائل كلها لوجمعت ... رجعت بأجمعها إلى شيئين
تعظيم أمر الله جلا جلاله ... والسعى فى إصلاح ذات البين

(ويرغب) من رغب عن كذا كرهه ولم يرده (عن) التشوف والتطلع إلى ما بأيدى إخوانه (من حظوظ دنيا دنية) خسيسة وفانية قال تعالى - ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم - قال قتادة أعلمنا الله أن الإحفاء بمسألة الأموال يخرج للأضغان اه . وهذا تأديب من الله تعالى والأدب أدب الله تعالى :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(وينهى السعاة) جمع ساع كوشاة جمع واش وزنا ومعنى (بينهم) أى بين الإخوان فى الأحمدية وفى الإسلام (بنميمة) لأنها منهى عنها شرعا وطبعا قال تعالى - ويل لكل همزة لمزة - الآية ، وقال - هماز مشاء بنميم - الآية ، وقال - ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - الآية . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نسل سيف المقاطعة فى وجه كل من نقل إلينا عيب أحد من المسلمين كائنا من كان وهذا العهد يخل به غالب الناس فيجب التنبه له وطرد كل من نقل كلام الناس وذلك لأنه نمام والنمام من شر الناس كما صرحت به الشريعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لاتبلغونى عن أصحابى إلا خيرا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » وكان عمر بن عبد العزيز يشترط على من يريد أن يصحبه أن لا يغتاب أحداً عنده ، ولكن مقاطعتك يا أخى للنمام مسارقة شيئا فشيئا حتى يبعده الله عنك فإنه بئس الرفيق والإنسان فى نفسه كفاية من حيث أوزاره فكيف بمن يريد أن يحمل أوزار الناس زيادة على أوزاره هو انظره (برفق) ولطف وهو نتيجة حسن الخلق . وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أُعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ،

---

(١) رواح كذهاب وزنا ومعنى اه .

ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة » وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق ، وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله » وقال صلى الله عليه وسلم: « الرفق يمن والخرق شؤم » وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال : أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة ، قال : فما الخرق ؟ قال : معاداة إمامك ومناوأة [1] من يقدر على ضررك ؛ وقال سفيان لأصحابه : أتدرون ما الرفق؟ قالوا : قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الأمور فى مواضعها : الشدة فى موضعها ، واللين فى موضعه ، والسيف فى موضعه ، والسوط فى موضعه ؛

ورحم الله من قال :

عليك بالرفق لتحظى بما	ترجو وتجنى من ثمار النجاح
وجانب العنف تزد بهجة	فالرفق بين الناس زين الملاح [2]

(ولين) بكسر اللام السهولة (لا بعنف) بالضم ضد الرفق وهو نتيجة سوء الخلق (وشدة) وغلظة ضد الليونة . وفى [عف] ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى أنه دخله عجب أن لايصرح له بالمكروه ، بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذى يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى المداراة وأكثر أثرا لتألف القلوب : وإذا رأى من المريد تقصيرا فى خدمة ندبه إليها يتحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين ،وإلى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسنده عن بن عمر قال: « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ قال : كل يوم سبعين مرة » وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أحق الناس بإحياء سنته فى كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب اه (يراعى) يلاحظ المقدم فى ذلك كله (الحديث) أى امتثال قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث (يسروا) أى على الناس بذكر مايؤلفهم لقبول الموعظة والتعليم (ولاتعسروا) أى ولا تعسروا عليهم . وفى [جص] « علموا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولاتنفروا فإذا غضب أحدكم فليسكت » وفيه «علموا ولاتعنفوا فإن المعلم خير من المعنف » أى فإن الخير كله فى الرفق والشر كله فى ضده ، وفيه « إن الله تعالى يرضى لهذه الأمة اليسر وكره لهم العسر » وفيه « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » : وروى « حببوا الله إلى عباده يحببكم الله » ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام « ذكر عبادى بنعمتى فإنهم إن ذكروا بها أحبونى » وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نحبب العباد إلى بعضهم بعضا كما نحبب ربهم إليهم ونود أن لايبقى بين اثنين منهم عداوة ولا شحناء قط وذلك بأن نذكر لهم محاسن بعضهم بعضا ونبلغ بعضهم عن بعض أنهم ينشرون محاسنهم فى المجالس ، ونأمرهم بأن يتهادوا ويتفقدوا بعضهم بعضا بالمرقة ونحو ذلك ، ونذكر لهم كثرة نعم ربهم عليهم مع مخالفتهم له وتقصيرهم فى شكره وعبادته ليلا ونهارا ، فإنهم إذا عرفوا ذلك مالوا بقلوبهم إلى محبة ربهم ضرورة ورضوا عنه فأحبهم وأحبوه ، وهذا من

---

(١) من ناوأه : عاداه . (٢) بكسر ميم : جمع مليح .

السياسات الإلهية فى العالم انظره (ويبذل) بضم معجمة وكسرها من بذل كضرب ونصر : أعطى وجاد (ماله) لإخوانه لوجه الله تعالى ، قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكورا - وقال - وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى - (لصاحب خلة) بفتح المعجمة الفاقة والفقر والخصاصة ، وفى المثل الخلة تدعو إلى السلة أى السرقة . وفى [عف] ومن أدبهم التعطف على الأصاغر . قيل : كان إبراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام ، وربما كان يتأخر فى بعض الأيام فى العمل فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع فأفطروا وناموا ، فرجع إبراهيم فوجدهم نياما فقال : مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام ، فعمد إلى شىء من الدقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب ، فقالوا له فى ذلك فقال : قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمتم ، فقالوا انظروا بأى شىء عاملناه وبأى شىء يعاملنا اه : وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا صرنا من علماء المسلمين أن نكون أكرم أهل بلدنا وأكثر إيثارا ليقتدى بنا فى ذلك ، ويقبح على من يقول أنا من أهل العلم ، بل لا أعلم فى بلدى أحدا أعلم منى ولا أفقه أن يكون بخيلا قليل البر لطلبته ، بل الواجب عليه الإحسان إليهم جهده والسعى لهم فى تحصيل مابه معاشهم ليتفرغوا لحضور درسه ، فإن من طبع الإنسان إذا لم يرحول صاحبه برا ولاحسنة تحول بقلبه عنه فأكثر يا أخى من الإيثار والمواساة لطلبتك إن أردت أنهم يتقيدون عليك وإلا طلبوا لهم شيخا غيرك اه : والشيوخ أولى بالإحسان لتلامذتهم إذهم العلماء حقيقة ، قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم - وفى [عم] وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : يجب على الشيخ أن يكون كريما حمالا للأذى وإلا لم يفلح له مريد اه . وفيه : وكان أبو الحسن الشاذلى يقول فى تفسير قوله تعالى - وماتلك بيمينك ياموسى - الآية : بلسان الإشارة المعروفة بين القوم يقال للولى وماتلك بيمينك فيقول هى دنياى أنفق بعضها على نفسى وأهلى وإخوانى ، فيقال له ألقها فيلقيها فيجدها حية تسعى فى هلاك قابضها فيأخذ حذره منها فإذا حذر منها يقال له خذها ولاتخف ، فكما ألقاها أولا بإذن حال بدايته فكذلك أخذها بإذن حال نهايته ، وهذا الأخذ الثانى متعين على كل شيخ داع إلى الله تعالى ليحمل كلفته عن المريدين ويرتفع عندهم مقامه فإن كل من احتاج إلى إنسان هان فى عينه لأنه حينئذ يصير معدودا من عائلته فيقل نفع ذلك الشيخ ، انظره . قال رحمه الله :

(وَيَحْذَرُ مِنْ تَغْرِيمِ دُنْيَا دَنِيَّةٍ   وَعَمَّتْ بِذَا الْبَلْوَى خَلَائِفَ شِيْخَةِ

فَكَمْ مُتَمَشْيِخٍ بِأَنْسَابِ جَدِّهِ   وَكَانَ مِنْ أَجْهَلِ الْعِبَادِ بِسُفَةِ

وَكَمْ مِنْ زَوَايَا أَسَّسُوهَا حُبَالَةً   لِقَنْصِ مَعِيشَةٍ بِهَا وَالْهَدِيَّةِ

وَقَدْ صَارَتِ الْأَوْرَادُ وَفْقَ مَتْجَرًا   فَهُمْ فِي ضَلَالٍ يَعْمَهُونَ وَكُلْفَةِ

وَمَاجَا بِلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ وَسُؤْلِهِ   حَلَالٌ وَرِزْقٌ سِيقَ مِنْ غَيْرِ مِنَّةِ)

(ويحذر) من حذر كعلم احترز (من تغريم دنيادنية) أى من اتخاذه دنيا إخوانه غرامة : ومن أسوإ الأحوال فى المقدم الأحمدى أن يسترق ويستعبد من يلقنه الورد من الإخوان بالاستخدام مجانا حياء منهم أو كرها ، وأن يسخرهم فى شهواته النفسانية وأهوائه الشيطانية ، وأن يوظف عليهم ولو بلسان

الحال مثل الوظائف المخزنية ويغرمونه(١) ذلك رغما على أنوفهم وتسترا لأعراضهم وإتقاء من شره ، ومن تخلف ولم يؤدما عليه يرمى بألسنة حدادو بأسوإ الارتداد وبالطرد والإبعاد وسوء الاعتقاد - إنا لله وإنا إليه راجعون - قال تعالى - قل لاأسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الله - وقال - ولايسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغالكم - وهذا مشاهد بالعيان فى هذا الزمان قد استعبدت فيه الإخوان واستخدمت فيه النسوان واستولى فيه على الإخوان - اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم - :

يارب فاحفظها من الشيطان	وحزبه من انس أو من جان
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

مقدم الشيخ فلا يوظف	على عباد الله لايكلف
فمن يوظف على العباد	تالله مايصلح للإرشاد
بل هو معزول عن التقديم	بما جنى من فعله الذميم
تالله مايليق بالدعاة	أن يأخذوا المغرم كالولاة
ثم يسمونه بالزكاة	أو بالفتوح أو بكالإعانة
فذلك والله من الغلول	كما أتى عن أحمد الرسول
آخذه يأتى به للحشر	فويق ظهره بدون نكر
أين شريعة النبى محمد	أين طريقة التجانى أحمد
يامدعى التقديم والتلقين	فتب من الذنوب كل حين
وإن توظف على الإخوان	فضلا عن الأيتام والنسوان
وهل أتى يوما عن التجانى	أنه وظف على الإخوان
أو أخذ المغرم عند الناس	كلا فذا من طرق الخناس
ورفع همة عن الأوساخ	هو أساس طرق الأشياخ
هلا رفعتها عن الأقران	رضيت بالدون وبالهوان
فبئست الحرفة للإنسان	أن يتشوف إلى الأقران
والحر لايلتمس الهدايا	لأنها من وسخ البرايا
والحر تأبى نفسه الدنايا	أشنعها التماسه العطايا
بل يركب الأخطار والمنايا	وليس يرضى العيش بالهدايا
أمالك الأسوة بالتجانى	وكل صادق من الإخوان
فى العيش بالكسب وبالصناعة	وبالتجارة وبالزراعة
وكل ما أباحت الشريعة	لنا من الأسباب فى المعيشة
وكل ما أتى بلا سؤال	وغير إشراف من الحلال

(١) بفتح راء من غرم كعلم اه .

كل وتصدق منه أو خذ مالا ... ولا ترد ما أتى حلالا
وبالقناعة استعن على الدنا ... إن كنت تأمن النجاة والمنى
وابك على الذنوب كل وقت ... علك تسلم غدا من مقت
وفر من خلطة أبناء الزمن ... فإنها من البلاء والفتن
وقل إلهى نجنا من الفتن ... فى الدين والدنيا ومن كل محن
آمين آمين ختـام الحق ... جعله على لسان الخلق اهـ

وفى [عف] ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لأنه جاء لله تعالى فيجعل نفعه وإرشاده خالصا لوجه الله تعالى فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات ، وقد ورد « ماتصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه فى الناس » وقد قال الله تعالى تنبيها على خلوص مالله وحراسته من الشوائب - إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا - فلا ينبغى للشيخ أن يطلب على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شىء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه ، أو صلاح يتراءى للشيخ فى حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مأمونة الغائلة من جانب الشيخ ، انظره . قال الله - والله يعلم المفسد من المصلح - فيما عمت به البلوى أبناء الوقت والدعوى وسلم تسلم واشتغل بنفسك تغنم وإياك والفضول فتندم - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - وفى [غ] وأما قول سيدنا رضى الله عنه : وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم فقد تقدم آنفا أن ميزان طريق الإرشاد والدعوة إلى الله هو الاستغناء عما فى أيدى المدعوين وهو أعظم الأركان عندهم ، فالواجب التنزه عن الطمع فيما فى أيديهم بحيث يعد التشوف إلى ذلك إن ابتلى به فى باطنه بلية عظيمة وعقوبة معجلة من الله تعالى فليلجأ إلى الله ويتضرع إليه فى رفعها عنه ويجتهد فى صرف ذلك عنه بمجاهدة نفسه وتذكيرها بما أشار إليه سيدنا رضى الله عنه بقوله معتقداً أن الله هو المعطى والمانع الخ فإن غلبته نفسه وخرج إلى حد السؤال لذلك منهم فليعلم أنه قد أخسر الميزان وطغى فيه غاية الطغيان ، وهو الناجى إن سلم له رأس المال ولم يعاقب بالحرمان لأنه خرج إلى التلبس بالدعاوى الكاذبة ، ومعلوم ماهو الجزاء على ذلك والعياذ بالله تعالى ، انظره . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانقبل لأنفسنا شيئا من مال تلامذتنا إلا إن كان ذلك التلميذ يرى ماله ملكالنا نتصرف فيه كيف شئنا وذلك لأن قبول الرفق من المريد يورث الإدلال على الشيخ ويصير الشيخ من جملة عيال المريد فيقل النفع ، لاسيما إن كان الشيخ لاقدم له كاملا فى الطريق فإن قلبه يفسد كما يفسد قلب الطاحون فيتعطل منه النفع بالكلية والله غنى حميد اهـ (وعمت بذا) أى بتغريمهم لمريديهم دنياهم كرها منهم ورغما على أنوفهم كما هو مشاهد بالعيان نعوذ بالله من الخسران والخذلان (البلوى) أى المحنة (خلائف) جمع خليفة (شيخة) بكسر فسكون جمع شيخ جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم ، ومن مخالطة أمثال هؤلاء سرى ماسرى من الداء العضال لمن لايراقب الله من المقدمين الذين اتخذا الورد المحمدى شبكة ومصيدة ، جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم ، وقد قيل: ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ، وما فسد من فسد إلا بصحبة من فسد :

اختر لصحبتك من أطاعا ... إن الطباع تسرق الطباعا

قال الله تعالى - ورحمت ربك خير مما يجمعون - وما عند الله خير للأبرار - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ؟

فمن كان هكذا فدعه فإنه مريد وشيطان مضل الخلائق

[لطيفة] أخبرنى من أثق به أنه قال : اتفق لى مع بعض أبناء المشايخ ممن يشار له بالعلم والصلاح أن أهل بلدنا أصلحهم الله وحفظهم لما نزل بهم وجمعوا له مايسمونه بمعروف الشيخ استقلله واستصغره فصار يدعو عليهم بالويل والثبور والهلكة وقلة النمو والخير والبركة ، فأتانى وهو على تلك الحالة فوجدنى أسرد صحيح البخارى فقال لى : أين وصلت يافلان ؟ فقلت له قد وصلت «كان سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يأكل من عمل يده» وأنا فى سرد هذا الحديث الشريف العظيم القدر المنيف فانكسرت بذلك سورته وانطفأت به جمرته واستيقظ من رقدته ومن سنة غفلته فرجع لقبول معروفه اه .
وكان بعض الموفقين يقول : إنما هو معرة أف ، ولا شك أن المعرة تلحق من يطلبه أف له ولما طلبه وبئست الحرفة هى . وفى [عم] ثم لايخفى أنه يتعين على كل من ادعى المشيخة فى الطريق أن يتظاهر برمى الدنيا وترك مطاعمها اللذيذة وملابسها النفيسة وفرشها الرفيعة ومراكبها المسومة ، وذلك لئلا يتبعه المقلدون فيهلكوا فإنهم لايتعقلون مشهده بتقدير صدقه ، وربما كذبوه فى دعواه حين يرون أفعاله تخالف أقواله فيحجبهم شاهد الفعل عن شاهد القول وكذلك يتعين على الشيخ أن يكون أكثر من المريدين سهرا لليل وأكثرهم جوعا وأقلهم لغوا وأكثرهم صدقة وذلك ليكون إماما يقتدى به فى الأفعال وأما إذا كان أكثرهم نوما وأكثرهم أكلا حتى صار بطنه كبطن الدب وأكثرهم لغوا وأقلهم صدقة خيرا فإنهم يرون نفوسهم عليه ضرورة ، فلا يثبت له قدم فى الإمامة وتطرده المرتبة عنها ودعواه المشيخة زور وبهتان لا برهان عليه . وقد دخلت امرأة على الشيخ عبد القادر الجيلى فرأته فى ملابس ومآكل وفرش ودخلت على ولدها عنده فوجدته على فرش وعنده كسرة يابسة وملح فرجعت إلى الشيخ وقالت : ياسيدى لا يطيب خاطرى بإقامة ولدى عندك إلا إن أطعمته مما تأكل ، وكان بين يديه دجاجة فقال : إذا صار ولدك يحيى الموتى بإذن الله تعالى أطعمه من طعامى ، ثم أمر الدجاجة فانتفضت من الإناء وصارت حية ، ثم ذهبت إلى حال سبيلها اه ؛ فلولا أن الشيخ أقام البرهان على طعامه اللذيذ لفارقته تلك المرأة وهى منكرة عليه اه : وعن الشيخ زروق رضى الله عنه : إذا رأيت من يدعى المشيخة ملتبسا بخمس فاحذره بغاية جهدك ، أولها : الموالاة للسلاطين بالكلية أو معاداتهم بالكلية لأنه فى الأول متهم وفى الثانى مشغول بمالا يعنيه ، الثانى : غلبة الهوى عليه بالانتصار لنفسه واتساعه فى التأويل لشهواته ووقائعه بوجوه من العلم تشبه الحق وليست به ، الثالث : التوسع فى الدنيا بمضاهاة أهلها والاقتداء بهم إلا أن يكون بفيض إلهى ؛ الرابع : حب الرياسة وعلامته الاستتباع وطلب الناس لنفسه بما أمكن من غير توقف على أمر دينى ولاغرض شرعى يظهر وجهه ، الخامس : اتساع اللسان بالدعوى والقدح فى أقرانه ونظرائه من أهل الطريقة وكل من دخل فيما هو فيه والثناء على نفسه وعلى سلفه اه (فكم متمشيخ) من تمشيخ تكلف المشيخة وليس لها أهلا (بأنساب) أى بمجرد أنساب أبيه أو (جده) الصالح لزعمه بجهله وقلة عقله أن المشيخة والولاية بالنسب والحسب واعتمادا على ألسنة العامة الجهلة ومن عادتهم أن يسموا ولد من مات من أولياء الله بالشيخ ولو كان

لايصلى، بل ولو كان من أفسق الفسقة لاينادونه إلا بالشيخ ويعتقدون فيه مع ذلك الخير والصلاح - إنا لله وإنا إليه راجعون - ورحم الله من قال :

لئن فخرت بآباء ذوى نسب لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

قال تعالى - إنه عمل غير صالح - ويخرج الميت من الحى - فافهم (و) قد (كان) هذا المتمشيخ (من أجهل العباد) بماله وعليه من الحقوق الحقية والخلقية وبكتاب الله و (بسنة) نبيه صلى الله عليه وسلم : وفى [نخل] ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادئ دينهم فكيف بالانتماء إلى المشيخة، وقدقال العلماء : إذا صلى المكلف وهو لايعرف المفروض والمسنون فلا تصح صلاته ، وكذا لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها ، وكذا لوسألته عن حكم السهو إذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه، فإذا كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما، فإذا كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يعجبه أو بمن يجيزه .
انظره ، وطوى هنا :

وكم متمشيخ بجاه وسطوة وأضلاعه حوت على خبث مضغة
وكم متمشيخ برثة هيئة وهمته قنص النضار وفضة
وكم متمشيخ بإبداء التباله وليس يرى بأبله فى الحقيقة

وفيه أيضا: وإياك ثم إياك والتزين بترك التزين وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وإنما يريد بذلك كله التزين، فإن فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق، وإن عرفت نفسك بشىء من ذلك ولم تسارع إلى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله فى جميع أمورك واعمل له كأنك تراه ، انظره . وفيه : وبعضهم يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صورلها وجها وعينا وأنفا وفاوبأخذ بيده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خيط كأنه لجام لها ويضربها ويجرى ، وبعضهم يعلق فيها جرسا فإذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا ، وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفى منهم أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم، ويعيبون على من استتر منه ويقولون هذا موله وهذا أشد قبحا وشناعة لأنه قد ينفرد وحده فيجد السبيل إلى ماتسوله له نفسه من الرذائل - إنا لله وإنا إليه راجعون - من الحماقة والسخافة والمسخ ، على أن إمام الصوفية الجنيد رحمه الله قال : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلا تلتفتوا إليه فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب ويمشى على الماء ، ولكن انظروا فى اتباعه الكتاب والسنة فإن الشيطان لايقدر على ذلك أبدا اه . ورحم الله من قال:

بل زنهم بالصدق والأمانه والحفظ للحدود والديانه
وباتباع محكم الكتاب وسنة النبى بلا ارتياب
فإن ذاصعب على الشيطان وحزبه من انس او من جان

وفى [ثيق] وينبغى للشيخ أن يكون عنده من العلم ما يكفى المجاورين من سائر العلوم الشرعية حتى لايحوجهم إلى الخروج إلى غيره ممن هو ليس من أهل الخرقة فإن اختلاف المشارب مضر جدا كما جرب ، ومن هنا عمل سيدى يوسف العجمى فى زاويته بالقرافة منبرا وخطب لهم الجمعة فيها حين رأى خروجهم إلى جامع عمرو بن العاص يفرق قلوبهم ، وليحذر الشيخ أن يعمل شيخا على الفقراء

وهو جاهل بالكتاب والسنة فإنه لا يستقيم له مشيخة ، ويقبح على شيخ الزاوية أن يكون محتاجا إلى الخروج من زاويته ليتعلم العلم فإنهم قالوا تفقه فى دينك ثم الزم بيتك واعتزل ، وليعلم أن المجاورين إذا رأوا نفوسهم أفقه منه ازدروه فى أعينهم ضرورة وعدموا الانتفاع بتربيته . وبالجملة فلا تكمل مشيخة شيخ على جماعة إلا إن كان أعلم منهم بطريق الظاهر وطريق الباطن وإلا فلا ينقادون له انظره : وفيه : ومما ينبغى فى شيخ الجماعة ومقدمهم أن يكون أزهدهم فى الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة ، وأما من يتقدم على الفقراء محبة فى الاستتباع ورغبة فى طلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام فى الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية ، وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلى تحصيل مآرب النفس، ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض فى الغيبة والدخول فى المداخل المكروهة والتنقل فى الربط والاستماع والنزهة : وكلما كثر المعلوم فى الرباط أطالوا المقام وإن تعذرت أسباب الدين وكلما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين وليس هذا طريق الصوفية اه. ولسيدى محمد العمروسى[1] رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين .

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه ... رؤس المعاصى واتخذ منه جوشنا[2]

وبادر إلى إنكار ماكان خارجا ... عن الحق واحذر أن تكون مداهنا

ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة ... إلى عرض الدنيا المعرض للفنا

ولا تجعل المقصود منه تكسبا ... فتنحط قدرا من علاك وتفتنا

ولا تتخذه للرياسة سلما ... فتغضب مربوبا وربا مهيمنا

وتأتى ماتأتى رياء وسمعة ... وتتخذ الشرك الخفى تدينا

وليست بإرخاء الشعور ولاية ... إذا كان منك القلب أسود عاطنا

وليست بإظهار التباله خدعة ... إذا كان فيك الغش والمكر كامنا

وغير مفيد لبس تاج وخرقة ... إذا كان إبليس بجسمك ساكنا

فوحد هوى ليلى لتحظى بوصلها ... وترقى بلقياها وتظفر بالمنى

ومادمت مأسوراً لنفسك والهوى ... فازلت فى سجن القطيعة قاطنا

فطلق هداك الله نفسا خؤنة ... طلاقا صريحا بالثلاثة بائنا

فما هى إلا ذات سم مخبأ ... وأعدى عدو فى الحشا متوطنا

وإلا فدع دعوى الصلاح ولا تكن ... بغير فلاح للولاية معلنا

وخل مقدمات الرجال لأهلها ... وعش خاليًا فالحب راحته عنا

ثم قال : فكن عالما بالشرع واعمل به فمن ... أراد طريقا دون علم فقد جنى

ولا ينبغى للجاهلين تصدر ... ولا نشر أعلام الشريعة بيننا

ألم يعلموا أن الطريق كناية ... عن العمل الجارى على وفق شرعنا

---

(١) العمروسى بضم عين كعصفور وفتحها لحن اه.   (٢) كجعفر: الدرع اه .

وذبح النفوس الضاريات بمدية ... من الخلف حتى لاتميل إلى الخنى
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها ... وعمن يراها أكبر الهم مقتنى
وجوع وصمت واعتزال وفكرة ... بها حضرة الرحمن تدخل آمنا
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا ... ويغرق[1] فى بحر المدامع أعينا
يكون بجد واجتهاد وهمة ... مشمرة لا بالتكاسل والونى
وعلم وحلم واقتداء بعارف ... دسائس للشيطان والنفس والدنى
فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن ... يكون له الشيطان شيخا ملقنا
فأخلص هداك الله تخلص فهذه ... طريقتنا الغراء دانية الجنى اه

ورحم الله من قال فى بسيط مجزوء مقطوع :

نعوذ بالله من أناس ... تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء ... فاحذرهم إنهم فخوخ[2]

وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن هؤلاء الذين قصدوا التسليك للناس من الفقراء فى أرض مصر مع جهلهم ببعض أحكام الشريعة هل يقدح ذلك فى كمالهم ؟ فقال : نعم ، لاينبغى للفقير التصدر فى الطريق إلا إن كان عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومبينها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها بحيث لو انفرد فى جميع الأقاليم لكفى أهلها فى جميع ما يطلبونه من العلم ، ومن لم يبلغ إلى هذه الدرجة فليس هو من كمل الرجال وليس له التصدر فى الطريق وإنما حكمه حكم بعض طلبة العلم يرشد الناس من العوام إلى بعض أحكام دينهم الظاهرة وليس له فى طريق القوم قدم لأنها كلها طريق غيب غير محسوس للناس ، وما تميز الفقراء عن الفقهاء إلا بهذه الطريقة فأحاطوا علما بأحكام الشريعة وأسرارها والله تعالى أعلم . وفيها عن أفضل الدين لما سئل عن المشايخ الظاهرين بأنفسهم الجالسين فى الزوايا بغير إذن من مشايخهم ؟ وبعد ، فقد قال الله الحكيم - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون - قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين - والسلام عليكم أيها المشايخ الظاهرون فى القرن العاشر الجالسون للناس بغير إذن إلهى سلام سنة الإسلام رضى وأسأل الله تعالى أن يعينكم على تحصيل مقام الإيمان أو بعضه فى مثل هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت إلا بالموت ، واعلموا أن السعيد من اتعظ فى نفسه ولم يجعله الله عظة لغيره وتعفف عن الأكل من بيوت إخوانه فى الولائم التى لم يرد بها وجه الله ولم يجمع لهم المجموع على طعامهم حتى يفضحهم فلا يكملوا عشاء الأصحاب إلا من السوق . وقد قال سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه : وعزة ربى كل فقير لايمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه ويحمل عنه بلاء تلك السنة كلها ليس له أن يمد يديه إلى طعامه ، وقد مالت بكم أيها المشايخ نفوسكم الغوية إلى حب الظهور الذى لم يرض به إبليس فى هذه الدار مع أمانه فى دار الدنيا من نزول البلاء عليه بالوعد الذى وعده الله به من الإنظار إلى يوم القيامة ، وتصدرتم لأمور لم يخلقكم الله لها ولا أنتم من أهلها ، وحسنت لكم أنفسكم أحوالا شيطانية

---

(١) من أغرق اه . (٢) فخوخ جمع فخ آلة تصطاد بها الطيور اه .

وأمورا نفسانية منشؤها الوهم والخيال بواسطة الاستدراج الكامن بين صفحتى المحو والإثبات ، وأعمى الله تعالى قلوبكم عن طريق الهداية وأمال نفوسكم إلى طريق الغواية حتى ظهر أثر ذلك على وجوهكم، فتنبهوا أيها الإخوان لنفوسكم قبل أن يحل بكم الدمار وتوبوا إلى الله تعالى عن أكل الحرام والشبهات واحترفوا وكلوا من كسبكم ولا تأكلوا بدينكم ولباسكم الصوف واخفوا نفوسكم حتى يضطركم الحق تعالى إلى الظهور إما بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة وإما بإذن شيخ عارف قد خبر الطريق ، واعلموا أن من نازع أوصاف الربوبية لأجل هواه وقنع بما يظهر فى سره ونجواه من خطاب ومعارف وكشوف ومواقف وإلقاء نفسانى ونعت شيطانى فليس من الله فى شىء بل هو من الله فى فىء ، نعوذ بالله من الضلال بعد العرفان ومن النكران بعد الإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم: انظرها (وكم من زوايا) جمع زاوية وهى فى الأصل ركن البيت لانزواء وانجماع القلب فيها (أسسوها) ورفعوا بنيانها وزخرفوها بمزخرفات وزوقوها بمزوقات ونمقوها بمنمقات للمباهاة والافتخار ثم لا يعمرونها بالصلوات والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، بل كثيرا ما يعمرونها بالقيل والقال وذلك من أسوإ الأحوال والعياذ بالله ، وفى البخارى « وقال أبو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس ، وقال أنس : يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلا ، وقال ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى » انظره ، وفى [خل] قال ابن القاسم : سمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق فى قبلته فقال : كره الناس ذلك حين فعله لأنه يشغلهم بالنظر إليه ، وسئل مالك عن المساجد هل يكره أن يكتب فى قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسى وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوه ؟ فقال : أكره أن يكتب فى قبلة المسجد شىء من القرآن والتزويق وقال إن ذلك يشغل المصلى اه : أى وكل ماشغل عن الله باطل والباطل لايتقرب به إلى الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - (حبالة) ككتابة آلة الصيد (لقنص) من قنص الصيد صاده (معيشة) مايتمعش به (بهاو) لقنص (الهدية) وهى مايتحف به وهى من عطف الخاص على العام لأن الهدايا أكثر ماتبنى عليها والعياذ بالله ، وطوى هنا :

وسوق الهدايا دون مكة بدعة ... وعمت بذا البلوى جميع البرية
جرى عمل بذاك ممن تأخرا ... إذا كان مهديها سليم الطوية
فكم من هدايا قد أريقت دماؤها ... لغير الإله حكمها حكم جيفة
رأوا أن تأثير الأمور بقدرة الـ ... ـولى تعالى الله عن ذى العقيدة
فللسيد البوسى فى ذا مؤلف ... مفيد مجيد مطنب فى القضية
ومن زار صالحا وينوى توسعا ... بما معه من هدية أو ذبيحة
على جيرة له وينوى ثوابها ... لروح الولى فهو فاز بسنة

وفى [جص] « نهى عن ذبائح الجن » قال فى النهاية : كانوا إذا اشتروا دارا أو استخرجوا عينا أو بنوا بنيانا ذبحوا ذبيحة مخافة أن يصيبهم الجن فأضيفت الذبائح إليهم لذلك ، نقله العزيزى . ولقد أخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه لما أراد أن يشرع فى بناء دار قال له المعلم على العادة احتجنا لإهراق الدم أولا ؟ فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم أول كل شىء فهو خير لك من إهراق الدم والعادة وأهلها فى النار ، ولما كملها طلب منه مثل ذلك وأن يجعل فيها نزهة ، فأبى وقال: التصدق

على مسكين بكسرة أفضل من ذلك ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .
وفى [هب] وسألته رضى الله عنه لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد إذا جهد فى يمينه يقول وحق سيدى فلان كسيدى عبدالقادر الجيلانى أو سيدى يعزى أو سيدى أبى العباس السبتى وغيرهم نفعنا الله بهم ؟ وإذا أراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه فى يمينه يقول احلف لى بسيدى فلان ؟ وإذا أصابه ضر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتكففون الناس صرح باسم سيدى فلان وهم فى ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل ، وإذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا فما السبب فى ذلك ؟ فقال رضى الله عنه : أهل الديوان من أولياء الله فعلوا ذلك عمدا لقوة الظلام فى الذوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة ، وأولياء الله يحبون الذين يذكرون سيدهم وخالقهم سبحانه أن تكون ذاته طاهرة لأنه تعالى يجيب من دعاه إذا انقطع إليه باطنا وقت الدعاء ، وإجابته تكون بأحد أمرين إما أن يعطيه ماسأل وإما أن يبين له سر القدر فى المنع إذا منعه ، وهذا لا يكون إلا للأولياء ولا يكون للبعداء المحجوبين فلو توجهت الذات الظلمانية إليه تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يطلعها على سر القدر فى المنع لربما وقع لها وسواس فى وجود الحق سبحانه فتقع فيما هو أدهى وأمر من عدم قضاء حاجتها ، فكان من المصلحة مافعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين لأنه إذا وقع لهم وسواس فى كونهم أولياء الله فإن ذلك لا يضرهم اه . وفيه : وقد يكون الرجل مشهورا بالولاية عند الناس وتقضى بالتوسل به إلى الله تعالى الحوائج ولا نصيب له فى الولاية وإنما قضيت حاجة المتوسل به إلى الله على يد أهل التصرف ، وهم رضى الله تعالى عنهم الذين أقاموا ذلك الرجل فى صورة الولى ليجتمع عليه أهل الظلام مثله ، وهم الذين يتصرفون تبعا للقدر فهو عندهم بمنزلة الصورة التى يجعلها صاحب الزرع فى فدانه ليطرد بها العصافير تظن الصورة رجلا فتهرب منه وذلك فى الحقيقة من فعل صاحب الفدان لامن فعل الصورة ، فكذلك أهل التصرف رضى الله تعالى عنهم يقيمون ذلك الرجل ويجمعون عليه أهل الظلام مثله والمتصرف فيه خفى عندهم وهو لا يظهر لهم لأنه حق وهم لا يطيقون الحق اه . وفيه : ومما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام فى ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا ويذهب بها إلى ضريح ولى من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته ، وكم من فقير محتاج يلقاه فى الطريق ويطلب منه متاع الله فى سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ الولى فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون وسببه أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم وجوده العظيم ، إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه ؛ لكن لما كان الحامل عليها والداعى إلى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحظوظه خص بها موضعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما . قال رضى الله عنه : وقد رأيت فى هذا اليوم ما أهدى للصالحين على باب تلمسان إلى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير ثمانون دينارا ومن الغنم ثلاثمائة وستون شاة ومن البقر اثنان وسبعون ثورا أخرج هذا كله فى يوم واحد للصالحين وما أخرج لله تعالى فى ذلك عشرة دراهم . قال رضى الله عنه : وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها ، وهى منحصرة فى ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل ، فقلت وهل حضر كم الآن

متناهى ؟ فقال رضى الله عنه اكتب الأول : الهدية للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل ، الثانى : التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة فيقول الزائر قدمت لك وجه الله ياسيدى فلان إلا ما قضيت لى حاجة وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب ، وعكس القضية فإنه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس ، الثالث : زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض كعدد صلوات وجب قضاؤها عليه فترك قضاءها الذى هو حق الله وفيه نور الله وسره تعالى الذى يرحمه به وذهب إلى زيارة صالح ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام انظره (فقد صارت الأوراد) التى رتبها المشايخ بإذن من الله أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زواياهم المؤسسة البنيان على تقوى من الله ورضوان ليتعبد بها الإنسان ويتقرب بها إلى الرحمن ويجاهد بها النفس والشيطان بين تلك الحيطان والجدران (وقتى) أى فى هذا الزمان الذى هو آخر عجب الذنب (متجرا) أى بضاعة يتجر فيها من وسد إليه أمرها من المقدمين والمتمشيخين - أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - الآية : فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - الآية (فهم) جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم (فى ضلال) ضد الهداية (يعمهون) من عمه كمنع وفرح تردد فى ضلال وتحير فى طريق (و) فى (كلفة) إلزام مافيه مشقة بل هم اليوم والعياذ بالله أسوأ حالا وأشد كلفة وفتنة وظلما وجورا من ولاة السوء فولاة الظلم أفضل منهم وأرجى منهم خيرا لاعتقادهم أنهم ظلموا الناس و ظلموا أنفسهم فترجى توبتهم ، وأولئك يزعمون أنهم على هدى واهتداء وأنهم أتقى الناس وأخشاهم لله فلا ترجى توبتهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى [خل] ومن أقبح ما أحدثه المتشبهون بالمشايخ اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق فى شىء بل هو عكس حالهم ولو لم يكن فيه إلا أنه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التى وقعت بسبب الأعلام إذ أنهم يجتمعون رجالا وشبانا فإذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك أصواتهم ولايقصدون به الذكر ليس إلا بل الإعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا إلى تلقيهم فإذا سمعوا ذكرهم خرجوا إليهم رجالا ونساء واختلطوا فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا ، وهذا فيه مافيه من مخالفة الشرع الشريف ، والنساء يرفعن أصواتهن بالزغاريد ويسمع لهن إذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى من الشيخ وعلمه به فما أقبح هذا وأبعده ممن ينتمى إلى طريق الدين والصلاح ، فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس إلى الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - على انعكاس الأمور ثم مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذى معه ومفاسده قل أن تنحصر فمن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك ، وبعضهم يعيب على من أتى بطعام لايختارونه ، وليت هذه الضيافة كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون ماينفقونه فى تلك الضيافة على الرؤس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج ، وأكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شىء يعطيه وعمن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ إلى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن ، ومن عجز عن الهروب يقع فى الامتحان مع كبراء البلد بما يوجبون عليه مما لا قدرة له به ، وتفاصيل أحوالهم فى هذا المعنى تعجز عنها الأقلام والطروس ، ثم لم يقتصروا على هذا التكالف المنهى عنه شرعا وطبعا بل أضافوا إليه ما يأخذونه من

الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولأصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذى نزلوا عنده، فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بدله منها حتما ثم مع هذه الأحوال الردية يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا ، فإذا علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والإذاية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل فلا يأكل إلا من إقطاعه ، انظره : وفيه : بل بعضهم مغموس فى الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين إلى الله وليس له ذوق فى طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه اه ؛ وهذا فى زمنه فى القرن الثامن فكيف بزمننا هذا فى القرن الرابع عشر لو أدركه رضى الله عنه لبكى دما أو مات غما لتلاطم أمواج الفتن وتراكم بحور المحن وعموم الفساد والخيانة وفقد الرشاد والأمانة ، لا سيما فى متمشيخى الوقت ومتصلحيه وبنيهم وخلائفهم عموما وخصوصا - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - وطوى هنا :

فمن لم ينلهم من دراهمه المنى ... ينل منهم شرا وأسوأ غلظة

فيدعون بالردى على من تلمذوا ... إذا لم يساعدهم بأهوا مضلة

فلا ترج منهم توبة وإنابة ... لأنهم ضلوا وأضلوا بنسبة

قال تعالى - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل - وقال - ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون - الآية - قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون - وفى [ثيق] وليحذر شيخ الزاوية أو الحذقة أن يأخذ شيئا من معلوم الفقراء ليتوسع به فى نفقته ونفقة أولاده وعياله من ورائهم فإن ذلك غلول فإنه ما اصطاد ذلك إلا بهم وعلى اسمهم ولولاهم ما كان يعطى شيئا من ذلك ، فلا ينبغى له ولا لآخذ من أعوانه أن يعمل له من ذلك مضربة ولا جوخة ولا صوفا رفيعا ولا شاشا ، ولا بد ماطا ولا غطاء ولا يبنى به بيتا ولا خلوة ولا يكسو به أولاده ولا يشترى به حمارا ولا بغلة ولا يزرع به زرعا ولا يغرس به بستانا ، ويجعل ذلك على اسمه واسم أولاده فإن ذلك كله ممحقة للبركة فى رزقه ورزق زاويته ولو صار له كل يوم نحو ثلاثمائة نصف فهو مكشوف الحال ومن شك فليجرب : وفيه : وينبغى للشيخ إذا وقع على يديه قسمة دنيا بين الفقراء أن لا يخص أحدا منهم بشىء زائد على غيره إلا أن تكون حاجته ظاهرة للفقراء كلهم بحيث يحنون عليه ويرقون لحالته ويقول له منصفوهم أعطه زائدا علينا بطيبة نفس وليحذر أن يأخذ لنفسه أو لولده نصيبا مع الفقراء ، فيكون كأحدهم فى دناءة المروءة والأخلاق وتذهب رياسته عليهم ، بل يفرق كل ما وقع فى يديه على الفقراء والمساكين وأولادهم وعيالهم وغيرهم ولا يلحس منه لحسة ولا يأخذ منه فلسا ولا يدخله فى بيته أبدا بل يضعه فى الزاوية حتى يفرقه النقيب لئلا يتهموه إذا أدخله بيته ويقولون إنه أخذ منه لعياله وأولاده قياسا على أنفسهم لو كانت التفرقة على يديهم وخلوا بهاهم ؛ فمن فعل ذلك وتعفف عن مزاحمة الفقراء عظم فى عينهم ضرورة وعظموه بين الناس وأحبوه أكثر ممن يرشدهم إلى طريق الله عز وجل ، ومن ادعى منهم أنه يحب الشيخ ولو لم يعطه شيئا من الدنيا فليمتحن نفسه إذا كلمه شيخه بكلمة أدب فإن كان يستلذ بها أكثر مما لو أعطاه دينارا ذهبا مثلا فهو صادق وإلا فهو كاذب ، انظره . وفيه : ومن شرط رهبان الكنائس فضلا عن المسلمين أن كل راهب أحب الدنيا أخرجوه من الكنيسة ، وقد صارت الزوايا

الآن مصيدة للدنيا لاغير . انظره لقد صدق ونصح ، وقد قال هذا فى زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب فلو أدركه لبكى دما أو مات غما - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

كم من زوايا بليت فى الوقت حبالة ومركزا للمقت
فإنها والله للشيطان لأنها لم تبن للرضوان
والذكر والصلاة والقرآن ونشر علم الدين للإخوان
بل لا قتناص المال والهدايا ولاقتنا النضار والعطايا
والحر لا يعيش بالزوايا لأنها مجلبة الدنايا
والحر لا يلتمس الهدايا لأنها من وسخ البرايا
أعاقل يرضى بهذا الحال تالله مايرضى به ذو البال
وبئست الحرفة للإنسان أن يتشوف إلى الأقران
وقل زوايا وقتنا من الفتن ومنبع الردى ومركز الإحن [1]
فقد غدت فتانة الأقوام لاسيما بين ذوى الأرحام
كم من تشاحن ومن تشاجر يقع بينهم ومن تفاخر
لأنها حبالة الشيطان ولم يكن فيها رضا الرحمن
يا رب نجنا من الشيطان وكل ما يجر لافتتان
آمين آمين ختام الله على لسان عبده الأواه

(وماجا) قصره للوزن أى وماجاءك من إخوانك المؤمنين بطيب أنفسهم إذ لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفسه (بلا إشراف) من أشرف على الشىء أشفى عليه (نفس) قال تعالى - إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى - (وسؤله) أى وبلا سؤاله وطلبه (حلال) طيب سيق إليك من فضل الله الكريم (ورزق) بكسر الراء ما ينتفع به (سيق) أى ساقه إليك المولى الكريم بمحض فضله العميم (من غير منة) بكسر الميم فى ذلك لغير الله سبحانه وتعالى فى الحقيقة ، ومن أجرى ذلك على يديه من إخوانك المؤمنين فكافئه ولو بالدعاء كما مر . وفى [جص] « ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف فخذه فتموله أو تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك » وفيه « وما آتاك الله من أموال السلطان من غير مسألة ولا إشراف فكله وتموله » أى حيث لم يكن من عين الحرام أو مافى يده كله حرام وإلا فلا كما هو قضية الوقت ، ولاسيما فى زماننا الذى هو عين المقت جبر الله الحال والمآل آمين :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وفى شرح النووى على مسلم اختلف العلماء فيمن جاءه مال هل يجب قبوله أم يندب على ثلاثة مذاهب حكاها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وآخرون ، والصحيح المشهور الذى عليه الجمهور أنه يستحب فى غير عطية السلطان ، وأما عطية السلطان فحرمها قوم وأباحها قوم وكرهها قوم ، والصحيح أنه إن غلب الحرام فيما فى يد السلطان حرمت وكذا إن أعطى من لا يستحق ، وإن لم يغلب الحرام فمباح إن لم

---

(١) جمع إحنة كضغنة وزنا ومعنى اه .

يكن فى القابض مانع يمنعه من استحقاق الأخذ، وقالت طائفة الأخذ واجب من السلطان وغيره، وقال آخرون هو مندوب فى عطية السلطان دون غيره والله أعلم اهـ. وفى [عف] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من وجه إليه شىء من هذا الرزق من غير مسألة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به فى رزقه فإن كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه» انظره، وفيه: عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك» قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لايسأل أحدا شيئا ولايرد شيئا أعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى، وسئل سهل بن عبد الله التسترى عن علم الحال قال: هو ترك التدبير ولو كان هذا فى واحد لكان من أوتاد الأرض، وروى زيد بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فإنما هو شىء من رزق الله ساقه الله إليه» وهذا العبد الواقف مع الله تعالى فى قبول ماساق الحق آمن ما يخشى عليه إنما يخشى على من يرد، لأن من رد لايأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد ففى أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والإخلاص وفى إخراجه إلى الغير إثبات حقيقته، فلا يزال فى كلا الحالين زاهد يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفى هذا المقام يتحقق الزهد فى الزهد انظره، وقوله إنما يخشى على من يرد أى ماليس بحرام وأما الحرام المحض أو ماسيق لعلل فاسدة وأغراض مبيدة فيجب رده ويحرم قبوله على كل مؤمن بالله واليوم الآخر ويثاب على ذلك دنيا وأخرى - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - وفيه: وروى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن فى ذلك الموضع من يحمله، فوافى أيوب الحمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته، فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ماكان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما، قال أحمد ضعهما، ثم صبر قليلا ثم قال، خذهما فالحقه فلحقه بهما فأخذهما، فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه؟ قال نعم، قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده، ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس فقبل، هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم، فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا فى وقت الضرورة فليس من الصوفية بشىء، سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل، فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل، فقال قد عشيته، فنظر عمر فإذا تحت إبطه مخلاة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال؟ فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم، نثر (١) مخلاته بين أهل الصدقة وضربه بالدرة، انظره. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقبل كل ماجاءنا من الحلال من غير استشراف نفس ولانرده وذلك لأنه جاءنا من عند الله تعالى من غير تعمل وقع منا واجتلاب قال تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - ولا يمتن الحق تعالى على العبد إلا بما هو حلال محمود، وكانت طريقة

---

(١) نثر بمثلثة: أى فرق اهـ.

سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه لا يسأل ولا يرد ولا يدخر ، وكذلك كانت طريقة سيدى أحمد بن الرفاعى رحمهم الله ، وفى الحديث « من تورع عن الحلال وقع فى الحرام » وهذا أمر ربما يخل به كثير من المشايخ فضلا عن غيرهم ، وكذلك كان دأب سيدى على الخواص إلى أواخر عمره ، ثم قبل من الناس قبل موته و صار يضع الدنانير والدراهم عنده فى قدرة فكل من مر عليه من العميان والعاجزين والمديونين يعطيه من ذلك ويقول : ما فى الكون مال إلا وله ناس يستحقون الأكل واللبس منه من أصحاب الضرورات ، وسمعته رضى الله عنه يقول : لو كشف للمحجوبين لرأوا جميع ما يأتيهم من الناس إنما هو هدية من الحق تعالى وهو الذى قدمه إليهم فكيف يصح لصاحب هذا المشهد أن يرد ؟ فقلت : فأين ميزان الشريعة حينئذ ؟ فقال : موجود ، وهو أنه لو شهد أن الحق تعالى هو المعطى لا يقبله إلا إن رأى وجه رضاه به ، فإن المعاصى كلها بتقدير الله وإرادته ومع ذلك فيردها العبد وجوبا ويدافعها جهده حتى لا يقع فى هلاكه ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نرد شيئا جاءنا من غير سؤال ولا استشراف نفس ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير ممن يحب أن يشتهر بالزهد ويرد ما أعطيه خوفا أن يجرح مقامه عند الناس ، وغاب عليه أنه جرح بذلك مقامه عند الله تعالى ، فخذ من الله وأعط لله والله يتولى هداك ، وروى الطبرانى « ما المعطى من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً » وفى رواية ، لابن حبان « ما الذى يعطى من سعة بأعظم أجرا من الذى يقبل إذا كان محتاجا » والله أعلم انظره ، وروى « اقبلوا الكرامة وأفضل الكرامة الطيب أخفه محملا وأطيبه رائحة » ولبعضهم رحمه الله :

عن المصطفى سبع يسن قبولها — إذا ما بها قد أتحف المرء خلان

دهان وحلوى ثم در وسادة — وآلة تنظيف وطيب وريحان

وفى [خل] إن ما يأتى على يد مخلوق على أربعة أقسام : قسم يسر ويضر ، وهو ما أتى من الفتوح على يد فقير محتاج معتقد فإن أنت قبلته منسر بذلك ويتضرر فى نفسه لأجل فقره ، فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزأه فى شىء ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره ، أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون إشعار له بذلك ، والثانى عكسه : لا يسر ولا يضر ، وهو ما أتى على يد غنى غير معتقد فإن أخذته منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذك منه فأنت فى هذا مخير إن شئت أخذت وإن شئت تركت وهو الأولى ، لأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، والثالث : يسر ولا يضر ، وهو ما أتى على يد غنى معتقد فإن أخذته منه دخل عليه السرور بذلك ولا يتضرر به ، فهذا أحسن الأقسام وأسلمها من الآفات المتوقعة ، والرابع عكسه : يضر ولا يسر ، وهو ما أتى على يد محتاج غير معتقد فإن أخذت منه تضرر بذلك لحاجته إليه ولا يسر بذلك لعدم اعتقاده فيك اهـ (بخ) . وفى [غ] وقول سيدنا رضى الله عنه إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب يحقق ما أشرنا إليه من أن المذموم هو التشوف والطمع فإن انتهى الحال إلى السؤال أعنى سؤال المقدم من إخوانه فقد أفضى إلى بلاء عظيم وفتنة كبيرة فى الدين نسأل الله العافية من كل بلية بمنه وكرمه ، فقام من هذا ميزان عظيم وقسطاس مستقيم فيما يجريه الله تعالى من الإرفاق للإخوان على أيدى بعضهم لبعض ، فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال فهو لا بأس به شريعة وطريقة وذلك لأن الهدية مباحة فى الجملة بل هى محسوبة فى الفقه من وجوه الحلال ، فإن عرض عارض فى المعطى أو فى وجه الإعطاء فالآخذ أعرف بما يأتى وما يذر وهذا

بالنسبة لمطلق الإخوان وبحسب أحوال العامة منهم ، وأما أهل التمكين فأحوالهم فى الأخذ مختلفة تبعا لما اقتضته الواردات والتحفظ عن الآفات وهى فى كل أمر من الأخذ والترك كما قاله الأستاذ السرى السقطى رضى الله عنه للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ ؛ والحاصل أن كل من عرف بصحة العلم والعمل ومتابعة الديانة فأمره موكول إلى دينه ولا سبيل للانتقاد عليه : قال العلامة اليوسى رضى الله عنه : ومثل الحكم فيما سمحت به نفوس الإخوان لإخوانهم كالمقدم ومن فى معناه من غير طلب الحكم فيما إذا اضطر المقدم ونحوه فله الأخذ من مال إخوانه ولو بالتعرض لذلك ويتصرف فيه بحكم الصدقة على الوجه الذى أبيح له من أجله بقدره فى وقت الاحتياج لا غير ، ثم إن هذا أيضا فى غير المشايخ الكاملين أماهم رضى الله عنهم فهم بحكم مايرد عليهم من الله تعالى فى ذلك فقد يظهر لهم قبول الرفق من المريد لصلاح يتراءى لهم فى ذلك من الله تعالى لذلك المريد فيكون أخذهم لماله والارتفاق بخدمته مثلا لمصلحة تعود عليه منهم مأمونة الغائلة من جانبهم ، وقد يظهر للواحد منهم أن يقبل من بعض المريدين خروجه عن جميع ماله وذلك إذا علم أن خروجه عنه يكسبه حالا لا يتطلع معها إلى مال ولا غيره ، ويكون فى ذلك مقتفيا لأثر النبى صلى الله عليه وسلم فى قبوله من الصديق الأكبر رضى الله عنه جميع ماله ، وقد يظهر له قبول البعض منه دون البعض وقد يظهر له عدم القبول فى الكل معاملة منه لكل بما فيه صلاحه لأنهم أساة النفوس وأطباء العيوب رضى الله عنهم ، وهذا إنما ذكرناه تتميما لتقرير هذه المسئلة حتى لا يرد علينا ما اتفق لكمل المشايخ رضى الله عنهم ، وإلا فالمدار فيما نحن بصدده على ما ذكره سيدنا رضى الله عنه فى وصيته السابقة آنفا فوقوفنا عنده لازم ألهمنا الله رشدنا ووفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه آمين ، انظرها . قال رحمه الله :

(وَلَا تُثْبِتَنْ لِلنَّفْسِ قَدْراً مَزِيَّةً ... بِتَلْقِينِ وِرْدِ الْخَتْمِ تَاجِ الأَئِمَّةِ)

(ولا تثبتن) أيها المقدم لتلقين الورد الأحدى وللنور المحمدى (للنفس) أى لنفسك الأمارة بالسوء (قدرا) القدر القوة والمنزلة والغنى واليسار (مزية) أى ولا تثبتن لها أيضا مزية وفضيلة على إخوانك فى الطريقة وغيرهم (بتلقين) أى بسبب تلقينك لهم (ورد) سيدنا أبى الفيض (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنابه آمين (تاج) هو الإكليل بكسرة الهمزة شبه عصابة تزين بالجواهر تلبسه الملوك (الأئمة) رضى الله عنهم أجمعين : وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا عملنا أشياخا على طلبة علم أو مريدين أن لا نرى نفوسنا قط أرفع درجة منهم عند الله تعالى ولا نجلس قط على سجادة ولا مضربة إلا لعذر شرعى ولا نمكن أحدا منهم يقف بين أيدينا غاضا طرفه كما يفعله بعضهم ، فإن هذه كلها أحوال لا تليق بمقام العبيد لاسيما إن كانوا سواء كأمثالنا والله ربما خلبوص (١) المغانى أقرب إلى حضرة الحق منا وأكثر أدبا منا مع الله ، وتأمل يا أخى من غضب عليه السلطان من أركان الدولة كيف يأمر الناس بعدم الاجتماع عليه خوفا من بلوغ ذلك للسطان ويقول من أحبنى لا يجتمع على هذه الأيام ، وهذا الأمر هو حال كل عارف على الدوام ، وقد كان السرى السقطى يقول لى منذ ثلاثين سنة وأنا أظن أن الله تعالى ينظر إلى نظر الغضب فما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم إلا بأن ننظر المسلمين بعين الأخوة فننصحهم ونرشدهم ونسألهم بالله تعالى أن ينصحونا ويرشدونا كذلك ، هكذا كان السلف

---

(١) بفتح معجمة ولام اهـ .

الصالح رضى الله تعالى عنهم فبهداهم اقتده يا أخى ، والله يتولى هداك اه . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نرى قط نفوسنا على قدم أحد من أشياخنا إذا تخلفنا من بعدهم فضلا عن رؤية نفوسنا على قدم أحد من السلف الصالح وذلك لأن فى دعوى أمثالنا ذلك إزراءاً بمقام أشياخنا أو الأشياخ الذين مضوا قبلهم وقد قيل مرة للإمام أبى حنيفة رضى الله عنه أيما الأفضل الأسود أم علقمة؟ فقال والله مانحن بأهل أن نذكرهما فكيف نفاضل بينهما ، ويقولون فى المثل إذا أردت أن تعرف مقام إنسان فانظر حال أصحابه فإنهم يدلون عليه ، وقد دخل وفد من العرب على السيد عمر بن عبد العزيز ، فقال : من سيدكم؟ فقال واحد : أنا ، فقال : لو كنت سيدهم لما قلت ذلك ، فعلم أنه لاينبغى لأمثالنا قط أن يقول أنا خليفة الشيخ الفلانى أو من أصحابه وإنما يقول أنا من خدامه أو من معارفه لئلا نزرى بمقام شيخنا بين الناس ، فإن شرط الخليفة أن يكون على صورة من استخلفه ومن شرط الصاحب أن يقتدى بجميع صفات صاحبه ، ولو أننا ادعينا أننا على قدم شيخنا مثلا فأفعالنا تكذب ذلك ، وقد كان الحسن البصرى يقول : والله لقد أدركنا أقواما كنا فى جنبهم لصوصا ولو رأوكم اليوم لقالوا : هؤلاء لايؤمنون بيوم الحساب ، وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله يقول : لوشم أحدنا أحوال فسقة الزمان الماضى لادعى مقام الولاية الآن ، فاعلم ذلك اه : وفى [غ] ويطلب يعنى من المقدم أيضا النزول إلى إخوانه عن حقه فيما يجب له من التبجيل والتعظيم فيستعمل التواضع معهم فلا يثبت لنفسه قدرا ولا مزية عليهم ، ثم قال : وهذا كله ما لم يخرج فيه إلى حد المداهنة بأن يتجاوز فيه حد المداراة وإلا صار فتنة على التابع والمتبوع والعياذ بالله تعالى ، ولا بد من إقامة ميزان الاعتدال فيما ذكر من النزول والانبساط للانبساط للإخوان لأنه إنما وضع للحاجة والشىء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدرها من غير إفراط ولا تفريط ، هذا والناس فى هذا الميدان باعتبار مايتجلى لقلوبهم من آثار الجلال والجمال فلا كلام مع واحد من الفريقين فيما اقتضاه حاله فى ذلك ويحمل كل على ما اعتيد منه وغلب عليه ، وروى عن بعضهم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول : ونمزح عنده ويمازحنا فيما نحن عليه فكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا نخرج من عند الحسن ونحن نكاد نبكى . وبالجملة فلا يقف على حد الاعتدال فى هذا الانبساط إلا من قهر نفسه وكان عالما بأخلاقها وطباعها سائسا لها بوفور العلم حتى يقف على حد الاعتدال فيه . قالوا : ولا يصلح النزول والانبساط بالمداعبة للإخوان لمن لم يرتق فى باطنه عن حالهم فى الصفاء ورسوخ القدم فى الإقبال على الله تعالى بأن صارت العزيمة غالب أوقاته ، لئلا تجره ممازجة طبعه بطبعهم إلى الإخلاد إلى الرخصة وعدم التشوف لطلب الحق ، وبسط القول فى هذا وتحقيقه يطول بنا ، وقد أشرنا إلى محل الحاجة لمن يفهم ، والله الموفق اه . قال رحمه الله :

(تَأَنَّ لَدَى التَّلْقِينِ كُنْ ذَا تَثَبُّتٍ ... إِلَى أَنْ تَرَى حَقًّا مَصَادِيقَ رَغْبَةِ
وَبَالِغْ لَدَيْهِ فِي الدُّعَا وَاسْتِخَارَةٍ ... وَذِكْرِ شَرَائِطِ الْكَمَالِ وَصِحَّةِ
وَأَحْضِرْ لَدَيْهِ هِمَّةَ الْخَتْمِ وَاعْتَقِدْ ... بِأَنَّكَ مِرْآةٌ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ
وَلَقِّنْ جَمِيعَ مَنْ أَتَى فِيهِ رَاغِبًا ... مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذُكُورٍ وَنِسْوَةِ)

(تأن) بفتح فوقية ونون مشددة من تأنى تثبت وترك العجلة ، والتثبت فى كل شىء فضل ونعمة من الله يعطيها لمن يشاء من عباده . وفى [جص] « التأنى من الله والعجلة من الشيطان » وفيه « التؤدة فى كل شىء خير إلا فى عمل الآخرة » اه . قال تعالى - فاستبقوا الخيرات - ومدح أقواما بذلك فقال - أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون - وفيه : « إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج » وفيه : « إذا أردت أن تفعل أمرا فتدبر عاقبته فإن كان خيرا فأمضه وإن كان شرا فانته» وروى : « من تأنى أصاب أوكاد ومن عجّل أخطأ أو كاد » ورحم الله من قال:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقد يكون التأنى مذموما كما فى الطاعات والخيرات لقولهم : للحزم بركات وللتسويف آفات ، وينشد على ذلك :

وربما فات قوما جل أمرهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

فالمسارعة إلى الخيرات مطلوبة وممدوحة قال تعالى - أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون - (لدى التلقين) للورد الأحمدى والنور المحمدى . وفى [شب] ومن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن شداد بن أوس أنه قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب؟ يعنى من أهل الكتاب ، قلنا لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن الله قد غفر لكم » وأما بتلقين الذكر فرادى فروى أن عليا كرم الله وجهه قال «يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها عبادة فقال صلى الله عليه وسلم : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ، ثم قال على رضى الله عنه : كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال : غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا اسمع ، فقال صلى الله عليه وسلم : «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ، ثم قال على رضى الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع » قلت : وهذا أصل سند القوم فى التلقين ، انظره . وأخبرنى من أثق به أنه لما جلس بين يدى بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به آمين لقنه الورد هكذا ولم يفهم مراده إلا بعد حين . وفى [مح] وقال السيد محمد الغوث رضى الله عنه فى جواهره : فذكر العامة كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات والذكر الخاص مما يكون بتلقين شيخ مرشد عارف بأدواء النفوس يكون أقوى فى إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر ، وفيه عن الخلاصة المرضية : وههنا أصل أصيل تجب رعايته فإن الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود وإن كان لا يخلو عن فائدة ما ، وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، فإن الذكر بدون التلقين مثل النشاب الذى يشترى من صانعه ، ومثل الذكر الذى يكون بتلقين الشيخ مثل النشاب الذى يؤخذ من السلطان فإنهما وإن تساويا فى النشابية ودفع الخصم لكن أين نشاب النبال من نشاب السلطان فى الناس ، والواقع وحماية صاحبه وولايته وكل من يتعلق به والله تعالى أعلم اه . وفى الأجوبة الناصرية : ذكر الله على اختلافه حسن ولكن لا تتخذ منه وظيفة راتبة إلا بإذن الشيخ وكذلك أحزاب السادات ، ومن اتخذ وردا من غير إذن فهو غار مغرور . قال : والذى تشترك الناس فى منفعته التهليل والصلاة على النبى صلى

الله عليه وسلم ، وإن أوراد الأولياء تكون لبعض الناس منفعة ولبعضهم مضرة اه . وفى [هب] وسئل عن فائدة تلقين الورد الذى يعطيه الأشياخ ، فقال رضى الله تعالى عنه للسائل : تسألنى عن الصادقين أو عن الكاذبين ؟ فقال عن الصادقين ، فقال رضى الله تعالى عنه : فائدته أن الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التى إذا فعلت فى الظاهر حفظت الإيمان فى الباطن ، وإن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى إن المريد إذا قال لا إله إلا الله قبل أن يلقى الشيخ يقولها بلسانه وقلبه غافل ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق فإذا لقن المريد سرت(١) حالته فى المريد فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ إن قدر الله تعالى ذلك له ، ثم قال رضى الله عنه : وأيضا فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتا طاهرة قابلة لحمل سرهم مطيقة له فإنهم لا يزالون معها بالتربية بتلقين الذكر وغيره ويكون هذا المطيق للسر هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن هو ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنه لا يمتنع لأنه لا يقطع على أحد ، فلذا تجد الشيوخ يلقنون كل أحد مطيقا كان أولا ، مع فائدة أخرى تظهر فى الآخرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد وهو نور الإيمان وجميع الخلائق خلفه من أمته ومن غير أمته مع سائر الأنبياء ، وتكون كل أمة تحت لواء نبيها ولواء نبيها يستمد من لواء النبى صلى الله عليه وسلم وهم مع أممهم على أحد كتفيه وأمته المطهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ولهم ألوية مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ويستمدون من النبى صلى الله عليه وسلم ويستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالمريد إذا لم يكن مطيقا فإنه ينتفع فى الآخرة بشيخه الذى لقنه : قال رضى الله عنه : ولا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وينتفع منه بعض النفع فى الباطن اه . وفى [غص] فقلت له رضى الله عنه فما شرط تلقين الذكر عندكم ؟ فقال شرطه أن يعطى الله الشيخ من العزم أنه يخلع على المريد حال تلقينه الذكر جميع علوم لا إله الا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت وما علومها ؟ فقال : هى علوم الشريعة المطهرة فلا يصير بعد التلقين يجهل شيئا من أحكام الشريعة المطهرة يستغنى عن سؤال الناس وعن النظر فى كتاب ، ولما لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى عنه وخلع عليه ذلك صار يقول عندى من العلم الذى أسره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل وميكائيل ، فقال له ابن عباس كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قال - وما منا إلا له مقام معلوم - فلا يدرى ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فهذا هو التلقين الحقيقى ، انظره وفى الحديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » (كن ذا تثبت) وتمهل وتراخ عند التلقين (إلى أن ترى) ببصرك وبصيرتك ممن طلب تلقين الورد الأحمدى (حقا) بلا شك ولا ترديد (ومصاديق) جمع مصداق (رغبة) أى مخايل وعلامات صدق رغبته فى الدخول فى الأحمدية ، ورحم الله من قال :

دلائل الصدق لا تخفى على أحد	إلا على جاهل بالشمس والقمر
إفراط حب ولوعة الغرام وبذ	ل الجهد والجد فى إدراك ذا الوطر
هى مخايل صدق إن جهلت بها	فلتنبها واستعن ببارىء القدر

---

(١) سرت من السريان اه .

مخافة أن يكون ممن قال الله فيهم ـ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ـ الآية ، وهذا حكم من أخذ الأحمدية ونبذها والعياذ بالله تعالى والمدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها ، وبلغنى عن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنابه آمين أنه لقن بعض العربان ، ثم جاءه يستقيله فأبى أن يقيله وراثة محمدية ، وقد بايع صلى الله عليه وسلم بعض الأعراب فوعك الأعرابى فاستقال النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقله فقال : « المدينة كالكير » الحديث . وفى [غ] فربما يرى بعض المتصدرين للتلقين إذا كان غرا بمدارك الأمور ما فى كتاب [جواهر المعانى] وغيره من أن هذا الورد الشريف يلقن لكل من طلبه من المسلمين على أى حالة كان كبيرا أو صغيرا ذكرا أو أنثى طائعا أو عاصيا ؛ فيظهر له بهذا الكلام الأمر بالمسارعة إلى التلقين من غير تثبت ولا تأن ولا قيام بآداب المقام ، وليس الأمر كذلك بل لابد من التثبت والتأنى فلا يلقن الطالب لذلك إلا بعد عرضه الشروط المشروطة فى ذلك عليه وإيناسه منه قبولها القبول التام كيف وهو يرى بإزاء هذا الكلام من [جواهر المعانى] قول سيدنا رضى الله عنه : ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كليا أو متهاونا به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك فى الدنيا والآخرة ، إلى آخر كلامه رضى الله عنه المؤكد بالوصية التى هى من لفظ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فالعمل على هذا الأدب من آكد الأمور فى هذه الطريقة وأهمها لما يفضى إليه ترك العمل عليه من التسبب فى العقوبة والهلاك والعياذ بالله تعالى ، والله يلهمنا الرشد والصواب ويختار لنا من الحركات والسكنات فى جميع التقلبات ما تحمد به العاقبة فى الحياة وعند المآب إنه الكريم الجواد الفتاح الوهاب اهـ .

اعلم أرشدنا الله وإياك بنور التأييد والتحقيق ونور بصائرنا وبصائرك بإثمد التسديد والتوفيق أن الأحمدية مرغوبة لا راغبة ومطلوبة لا طالبة ؛ ولذا كان من حق ساداتنا المقدمين الأكياس أن لا يتعرضوا لأحد من الناس باستجلاب واستئناس ولو كان من أحب الأحباء وأقرب الأقرباء ، بل يكلون أمره إلى مولاه الذى هو أرحم به من كل ماسواه وأرأف به من أمه وأبيه حتى يسوقه سائق السعادة الأبدية ويقوده قائد العناية الصمدية إلى الدخول فى الأحمدية ، فعند ذلك ينشرح لها صدره ويتيسر أمره ويثمر شجره وينفتح زهره ويفوح نوره فيرجع القهقرى ويولى وراء ورى أو يبقى كحمار الرحى كما هو مشاهد بالعيان قال تعالى ـ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ـ وقال ـ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ـ الآية ، وفى الحديث « لا تطعم طعامك لمن لا يشتهيه » وفى [مح] عن بغية السالك . وأما الحقوق المرتبة له أى للتلميذ فأربعة : الأول أن لا يتعرض له القدوة أولا باستجلاب واستئلاف وحسن كلام حتى إذا رأى أن الله عز وجل بعث إليه التلميذ مسترشدا بحسن ظن وصدق إرادة ضم عليه جناح التعليم والإشفاق والنصيحة بكل شىء ينفعه فى رضاربه ، وكل تلميذ مسترشد ساقه الله تعالى إلى القدوة فليراجع القدوة النظر فى معناه وليكثر اللجأ إلى الله تعالى أن يتولاه فيه و فى القول معه بحسن هداية وجميل سياسة ، ثم لا يتكلم مع التلميذ إلا وقلبه ناظر إلى الله تعالى مستعينا به على الهداية لصواب القول والعمل ، انظره (وبالغ) جهدك وطاقتك (لديه) أى عند التلقين (فى الدعا) قصره للوزن بالتأييد والتسديد وصلاح الحال والمآل لك ولإخوانك المؤمنين (و) فى طلب (استخارة) أى طلب الخيرة من الله الكريم بجاه نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم وفى [جص] « ماخاب من استخار ولا ندم من استشار » وفيه « من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه

استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له وفيه «إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه » اهـ . وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه قال: «كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن أن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به . قال : ويسمى حاجته» اهـ . وفى [مح] وأما كيفية الاستخارة فإنك تصلى ركعتين بالفاتحة والكافرون والإخلاص ، فإذا سلمت فاقرأ الفاتحة مرة ثم الإخلاص مرة ثم صلاة الفاتح مرة ثم دعاء الاستخارة المشهور وهو : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أنه شر لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » وتسمى حاجتك فإذا أكملت الدعاء فصل بصلاة الفاتح مرة واحدة ، ثم أعد الدعاء ، ثم صل على النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مرة وافعل هكذا حتى تكمل الدعاء مخللا بصلاة الفاتح ، فإذا أكملت سبعا على الوصف المتقدم فاقرأ الإخلاص ثلاثا ثم أعد الركعتين ثانيا بالوصف المتقدم من أوله إلى آخره ، ثم أعدهما ثالثا كذلك ، وقد تم العمل اهـ عن شيخنا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مشافهة ، ولا يقع بعد هذه الاستخارة إلا الخير التام اهـ .

واعلم أن الاستخارة لا تكون فى واجب ولا محرم ولا مكروه ولا فعل مندوب وتركه ، وإنما تطلب فى الجائز وفى تقديم بعض المندوبات على بعض . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لفهم إشارات الحق تعالى بتلطيف الكثائف حتى نحس إذا استخرنا ربنا بما هو الأولى لنا من فعل ذلك الأمر أو تركه ، فإن من كان غليظ الحجاب لا يحس بشىء من ذلك ، ولهذا نقول له استخر ربك فيقول قد استخرته فلم يترجح عندى أمر ولو أنه كان رقيق الحجاب لأدرك مافيه الخير له من فعل أو ترك ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لاينبغى لمن كان مشغوفا بحب الدنيا أن يفعل شيئا برأيه ولا باستخارته ، بل يسأل أهل الخير عن ذلك ويفعل مايشيرون به عليه : انظره ولابد ، وفيه : وقد رأيت بعض الأكابر من العارفين يستخير الله تعالى كل يوم فى جميع مايتحرك فيه أو يسكن يقول : اللهم إن كنت تعلم أن جميع حركاتى وسكناتى فى هذا اليوم خير لى فاقدرها لى ويسرها لى ، وإن كنت تعلم أنها شر لى فاصرفها عنى واصرفنى عنها ، وقال لى من واظب على ذلك كان فى أمان الله تعالى أن يمكر به اهـ . وكان بعضهم رحمه الله إذا وصل فى دعاء الاستخارة: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر يقول وهو مافى قلبى وما سيخطر فيه فى هذا اليوم وفيما

بعده من الحركات والسكنات خير لى الخ . قال البيهقى : ويعيد صلاة الاستخارة والدعاء ثانيا وثالثا أو أكثر حتى ينشرح صدره لشىء اه .

[تنبيه] وأما استعمال التفاؤل لاسيما فى المصحف فلا يجوز ، وعن الطرطوشى رحمه الله إن أخذ الفأل من المصحف وضرب الرمل حرام ، وهو من باب الاستقسام بالأزلام ، والتفاؤل الممدوح فى الشرع هو الذى لايقصد الإنسان حتى يسمعه ابتداء كمن خرج لسفر فسمع من ينادى ياسالم يارابح ، وأما من يقصد ابتداء فليس من التفاؤل بشىء . والحاصل أن الفأل الحسن هو ما يعرض من غير كسب والتفاؤل المكتسب حرام ، انظر [خل] وينبغى لمن سمع مالا يعجبه أن يقول : «اللهم لاخير إلا خيرك ولا ضير إلا ضيرك اللهم لاعدوى ولا طيرة ولا هامة » ، وليمض لحاجته ولا يرجع ولينبذ وساوس الشيطان وليستعن بالله الرحمن الرحيم ، ولمن سمع ما يعجبه أن يقول لبيك أخذنا فألك الحسن من فيك (و) بالغ لديه أيضاً فى (ذكر شرائط) جمع شريطة بمعنى شرط (الكمالو) شرائط (صحة) للورد الأحمدى والنور المحمدى حتى يتعقلها ويستأنس بها (واحضر) بقلب منكسر (لديه) أى عند تلقينك اه (همة) سيدنا أبى الفيض (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنا به آمين وأحضر أيضا هم من بينك وبينه من السادات الكرام والأجلة الأعلام (واعتقد) بقلبك وقالبك (بأنك مرآة) أى بمنزلتها (له) أى للختم (فى الحقيقة) ونائب عنه فى أداء الأمانة ، ولا شىء لك فى تلقين الورد الأحمدى إلا تبليغ الأمانة وثواب من يبلغها قال تعالى - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وقال صلى الله عليه وسلم «الدال على الخير كفاعله ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » وفى [هب] ثم إن كان الملقن لقن لا عن الشيخ أو مقدمه فقد أخطرا بأنفسهما وإلا فقد أصابا ، ثم إن لقن وترك ولم يعن فى كيفية السلوك فهذا له على ملقنه بالفتح حق أخوة الشيخ ، وإن لقن وأعان وكانت عيناه من ورائه فهذا له عليه ماللشيخ من الحرمة ، ثم إن الأوراد تؤخذ والمراد الانخراط فى سلك ملقنها وتؤخذ لصفاء القلب ، فأما المريد الأول فمقصوده الأجر والتحصين ، وعليه اعتقاد حرمة الشيخ والسلامة من إضمار قادح يقدح فيه وإحكام الألفاظ ومبانيها على نحو مالقن ، والمحافظة على ذلك كمية وكيفية ، ومقامه العموم وجزاؤه الجنة ، وأما المريد الثانى فقصده المعرفة ، وعليه زيادة على ما على الأول ، تلمح معانى الألفاظ واستحضار صورة المقدم وشيخه الأقدم ونبيه الأكرم ، ويتقيد حتى يكون بحيث لايتحرك حركة إلا بمرأى منهم تخيلا أولا وتحققا آخرا ، ولايأتيه مدد إلا واعتقد أنه إنما ناله على أيديهم فهذا مقامه الخصوص ومآله المعرفة وجزاؤه الرؤية ، فإن الرؤية فى الآخرة بحسب المعرفة انظره . وفى [غ] وما رأيت ولا سمعت أكثر قياما بهذا الأدب ولا أشد اعتناء به من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين صحبوه قيد [1] حياته وحصل لهم التأهل لتلقين ورده ، فإنهم كانوا إذا أتاهم من يريد الدخول فى الصحبة والأخوة يظهر عليهم مزيد من الاهتمام بشأنه والاجتهاد فى الدعاء له ولهم معه بالثبات فى الأمر مع إسناد الأمر منهم فى ذلك إلى همة الشيخ رضى الله عنه بإظهارهم أن يدهم فيه إنما هى يد نيابة لاغير ، وأنهم ليس لهم فضل على من يلقنونه ولاحظ لهم فيما يعاملونه به من بذل النصيحة وكمال الإرشاد إلا مايرجونه من

---

(١) قيد بكسر قاف كقيل اه .

من فضل الله تعالى بسبب التبليغ ظاهراً لا غير ، ورأيت منهم من لا يلقن أحدا إلا بعد الإستخارة النبوية وصدق اللجأ إلى الله تعالى على أكمل ما يمكن ، ومنهم من كان يزيد مع الاستخارة قراءة ماتيسر من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدى ثوابها إلى الشيخ رضى الله عنه ويستأذنه فى تلقين ورده لذلك الإنسان الذى طلبه منه بقلبه أو بقلبه ولسانه بأن يقول هذا فلان طلب منى أن ألقنه وردك ها أنا ألقنه عن إذنك وببركة همتك ونحو ذلك ، ثم قال : ومنهم من كنت أراه إذا أراد أن يلقن أحداً يأمره أن يحضر الوظيفه مع الفقراء بالزاوية فى وقتها المعلوم فإذا ختمت الوظيفة يظهر على وجهه من أثر الحضور ما يعلم منه أنه يستأذن فى ذلك الحضرة الشريفة ، ثم بعد الفراغ من القراءة والدعاء يتوسم وجوه الحاضرين كالمستمد من بركاتهم ويقول لهم : هذا فلان قد أراد الدخول فى عهد الشيخ رضى الله عنه ثم يلقنه ويجتهد هو والحاضرون فى الدعاء له ، وإنما أطلت النفس فى هذا الأدب تنبيها ونصيحة للإخوان وإرشاداً إلى العمل على هذا الأدب والقيام به بقدر الإمكان ، انظرها . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

يارب وفقنا لمنهج الأدب	ونجنا من اقتفا سبل العطب
واسلك بنا مسالك الرشّاد	فى الدين والدنيا وفى المعاد
يارب فاحمنا من الشيطان	وحزبه من انس او من جان
آمين آمين ختام الحق	جعله على لسان الخلق

(ولقن) بعدذلك مستعينا بالله تعالى ومستحضراً همة النبى صلى الله عليه وسلم وهمة سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (جميع من أتى) أى جاءك وطلبه منك حال كونه (فيه راغبا) دون من لم يطلبه ولم يرغب فيه ولو كان من أحب الأحباب وأقرب الأقارب ، وكل أمره إلى مولاه الذى هو أرحم وأرأف به منك ومن غيرك ، وادع له فى الغيب بما تحب لنفسك ـ وربك يخلق ما يشاء ويختار ـ (من المسلمين من ذكور ونسوة) أما الذكور فلقنهم مباشرة والنساء الأجنبيات فبواسطة الأزواج والمحارم بأن تأمر كل واحد أن يلقن محرمه بعد تبيين الشروط وقبولها كما سيأتى : وفى [جه] أما أوراده رضى الله عنه التى تلقن لكافة الخلق التى رتبها له سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم هو : استغفر الله مائة مرة ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة كانت مائة مرة ، ثم الهيللة مائة مرة ، وهذه الأذكار بعينها هى التى رتبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بتلقينها لكل من طلبها من المسلمين على أى حالة كان ، كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى طائعا أو عاصيا لا يمنعه من أحد طلبه منه ، انظره وكثيرا مايقول بعض الخاصة متعنا الله وإياه برضاه الأبدى وبسره الصمدى وبنوره الفردى آمين : لوجاءنى إنسان وبيده كأس خمر وطلب منى ورد سيدنا للقنته ولا أمنعه منه ، وذلك لعزة مذاقه ومشربه وغزارة علمه وفهمه رضى الله عنه وعنابه آمين ، اللهم اغمسنا فى هذه الدائرة الفضلية التى لاتتوقف على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع غير التمسك بحبلها القوى وعهدها الوفى ، فمن تعلق بها ولو بأدنى تعلق فقد فاز بالسعادة فى الدارين وحاز راية السبق بدون مين.

قال رحمه الله :

(وَمَنْ يَدَّعِي تَمْشِيخاً فَهُوَ مُفْتَرٍ وَمُسْتَجْلِبٌ بِذَاكَ كُلَّ بَلِيَةٍ)

(ومن يدعى) بزعمه وافترائه وتلبسه وتسويلات هواه ونفسه (تمشيخا) أى التصدر للمشيخة بالتربية فى الطريقة الأحمدية استقلالا وتظاهرا بها (فهو) بسكون الهاء لغة (مفتر) من افترى اختلق الكذب من قبل نفسه وهواه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (ومستجلب) لنفسه ولمن تبعه (بذلك) أى بادعاء المشيخة والتظاهر بها (كل بلية) دينا ودنيا وأخرى وبرزخا وعن أبى عبد الله سيدى محمد الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين : واعلم أن الواسطة الذى يلقن الذكر عن المشايخ لاحظ له فى المشيخة ، وبينه وبينها بون [1] بعيد وإن ادعاها لنفسه أو أظهر من نفسه مايتوهم به الإخوان أن له حرمة كحرمة الشيخ أو مكانة كمكانته فقد كذب على الله تعالى وتعرض لمقت الله وغضبه ، وإنما هو كأحد الإخوان مافاتهم بشىء إلا بالإذن فى التلقين لا غير إلا أن يعمل بعمل المشايخ ، ويجد كل الجد فى التشمير على نفسه وسلوك السبيل على النمط المعروف حتى يحصل القرب من حضرة الله وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم ويؤذن له إذنا خاصا فى تربية الخلق ، فيكون حينئذ شيخا يتلقى الفيض من حضرة الرسول بلا واسطة ، نعم ذلك الواسطة الأول الذى هو المقدم للتلقين له أجر الوساطة وحرمة من هدى أخاه إلى الخير وأعانه عليه ، والملقن : أى بالفتح ، يجب عليه أن يراعى له ذلك ويعطى كل مرتبة حقها فحق الشيخ بالتعظيم التام الذى مافوقه إلا تعظيم النبوة والألوهية ، وحق الواسطة دون ذلك بكثير ، وذلك بالشكر والدعاء بإشارة قوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقوله « شكر الوسائط واجب إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط » اه وراجع مامر عن [هب] وفى [غ] إن التربية ليست ممنوعة فى طريقنا كما يتوهمه بعض الأصحاب وإنما الممنوع التظاهر بدعواها على رسم المتمشيخين فى هذه الأزمنة وقبلها حسبما أشار إلى ذم التظاهر بذلك وفتح باب التسليك به الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وقال : إن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب المتنازعين عليها اه . وكيف يتوهم وجود منع التربية فى الطريق مع مانقل صريحا عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى وصف هذه الطائفة المخصوصة ومع ماذكره فى [جع] عنه رضى الله عنه ، ونص المراد منه سمعته رضى الله عنه يوما يقول : إذا فتح الله يوما على أصحابى فالذى يجلس منهم فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك ، فقال له بعض أصحابه منك أو من الله : فأجابه بقوله من الله تعالى من غير اختيار منى ، ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام خمسة ومائتين وألف ، ثم قال - فى يوم الإثنين: الخوف المذكور على من أذن له من أصحابى فى التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلاخوف عليه من جانبى اه المراد منه هنا بلفظه وهو صريح فيما ذكرناه ، ثم قال : وإنما آثرنا ذكر ماهو الحق إن شاء الله تعالى فى مسألة التربية هنا لما أفضى به منع المانعين لها فى الطريق بناء على ماتوهموه فقط من قيام بعض الناس على أصحابنا فى هذا وقولهم لهم إن طريقكم ليس فيها تربية ولا إمام يقتدى به فيها حتى دخل التشويش على بعض الأصحاب من أجل ذلك ، وزاده تشويشا وحيرة كون سيدنا رضى الله عنه ذكر حسبما فى [جواهر المعانى] وغيره أن الفتح والوصول لايجرى إلا على يد الأولياء الأحياء الخ فلو اهتدى إلى أن التربية موجودة فى طريقنا إما بوصفها الأكمل الذى هو حصول الإذن من الله ورسوله

---

(١) بضم موحدة وتفتح اه .

أو بالإذن الصحيح من الشيخ ولو بالوسائط فى الدلالة والإرشاد لما دخل عليه ماذكر من التشويش والحيرة ، وقد قيدنا فى هذه المسألة ماتيسر مما يكفى إن شاء الله تعالى ويشفى لمن سألنا عن ذلك . ومحصل هذه المسألة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد فى أفرادهم من يفتح عليه فى التربية بها : أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لايخرج عما حده الشيخ فى ذلك مما تلقاه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنها طريق محمدية أعطاها النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ منه إليه وضمن لأهلها ماضمنه من الأسرار والخيرات والبركات ، ولاسبيل إلى الخروج عما أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم وترتب ضمانه عليه فافهم ذلك ، ثم قال : وقد تقدم أن من المقدمين من يكون فى مرتبة التربية والترقية بحصول الإذن له فى ذلك من الله تعالى له فى سره من طريق الإلهام المعروف عند أهل هذا الشأن ، أو من حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو على يد بعض أهل الفتح الأكبر من الإخوان الكرام ، إلا أن أهل هذه الطريق لا يتظاهرون بالتصدى للتربية والانتصاب للمشيخة أدبا مع الله تعالى ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومع سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولذلك جرى اصطلاحهم فى غالب البلاد على تسمية المرشد مقدما فقط ، وفى بعض البلاد الجنوبية وصحارى المغرب الأقصى تلقيب من تأهل للتربية منهم بالشيخ ومن دونه بالمقدم جريا على اصطلاح الأقدمين من أهل الطريق المشهورة بالمغرب ، ولامشاحة فى الاصطلاح بعد معرفة مواقع الإشارات منه فافهم والله تعالى أعلم اه . وعن الشيخ زروق رحمه الله فى [شرح المباحث] التربية لا ترتفع أبدا لكنها تارة تجرى بالاصطلاح من الخلوات والتربية ونحوها ، وتارة بحفظ الأصول فقط ، وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا ، وتارة بعلوا لهمة ، وتارة بمجرد التلقى والإلقاء ، وهذه أمور لا تزول أبد الآبدين غير أن الاصطلاح قد انقرض فى هذه الأزمنة اه وفى [جع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن قول القطب سيدى أحمد زروق : انقطع شيخ التربية ، وعن قول سيدى إبراهيم التازى رضى الله عنه فى قصيدته اللامية :

وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا ... وآخرهم شيخى ومعظم إجلالى
وقد قال لى لم يبق شيخ بغربنا ... وذا منذ أعوام خلون وأحوال

قال الشيخ زروق : سألت شيخنا أبا العباس الحضرمى رضى الله عنه ؟ فقال لى : انقطعت التربية بالاصطلاح ورجع الأمر كما كان فى الصدر الأول بالإفادة والهمة والحال (١) ، وهذا كان فى سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع وأما الآن فما بقى إلا الإفادة بالهمة والحال لكون الله تعالى سامح النفوس فيما تخوض فيه وغفر لها ، ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول مع أن الأوائل كانوا لايسامحون التلميذ فى أقل قليل ولو وقع منه فلتة لطردوه إلا أن تدركه عناية إلهية يعامل بالتوبة ، غير أن أهل هذا الوقت فإنهم يسامحون فى الأمور العظيمة ولم يقع لهم طرد ويقع لهم مع هذا الفتح والوصول إلى الله جل جلاله ، فسبحان المتفضل على من يشاء بما يشاء من عباده - لايسئل عما يفعل - لا لعلة سبقت ولا لأجل مانع بل بمحض الفضل والجود والكرم ، جعلنا الله منهم بمنه بمحض فضله وكرمه آمين اه. وفى [غص] جميع الأولياء الأحياء والأموات قد تزحزحت أبوابهم للغلق وما بقى مفتوحا إلا باب رسول

(١) وإلى هذا التاريخ أشار بعضهم بقوله :
وفقدت تربية بالإصطلاح ... سنه كد قرن طسنه فارع الصحاح اه مصححه .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل كل شيء توجه به الناس إليك برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه شيخ الناس كلهم وحكم الخلق كلهم بالنسبة إليه كالعبيد والغلمان الذين فى خدمته فهو يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اه. وفى [جد] قلت لشيخنا رضى الله عنه : هل آخذ عن أحد بعدكم العهد إن سبقتم بالوفاة؟ فقال رضى الله عنه ، لاتتقيد بعدى على صحبة أحد من هؤلاء المشايخ الظاهرين فى النصف الثانى من القرن العاشر لتعذر الوفاء بحق كل منكما على صاحبه لكن لابأس بزيارتهم كل قليل ، فقلت له فهل آمر بذلك جميع أصحابكم من بعدكم ؟ فقال رضى الله عنه : لاتقيده على أحد منهم فإن لله تعالى خواص فى كل عصر يقبلون الترقى على يد من شاء الله تعالى ، على أن الطريق الآن قد صارت اسما لارسما وتزيى المريدون بزى الأشياخ وتلبس على أكثر الناس أمر الشيخ وتمييزه عن المريد ، بل ربما ادعى المريد أنه أعرف من شيخه بالطريق وتبعه أكثر الناس على دعواه . قال : ولما علم سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله انحلال القلوب من بعضنا بعضا لم يأمر مريدا بالتقيد عليه ولا على غيره ، وكذلك تلامذته من بعده كالشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد النامولى والشيخ يوسف الكروى والشيخ أبى العباس العمرى ، فلم يتصدر أحد منهم لتلقين يدين وقالوا : لاينبغى للفقراء فى هذا الزمان أن يتصدر أحد منهم للطريق لعدم اجتماع الشروط فيهم وفى مريدهم ، فقلت له فما الدليل على ذلك؟ فقال رضى الله عنه : الدليل على ذلك الوجود المشاهد فيلقن الواحد لألف مريد فأكثر فلا ينتج منهم واحد لتخرق أو عيهم عن مكث شيء من الأدب فيها فحكمهم كحكم من يفتح المكتب بعد عصر يوم الخميس ليقرىء الأطفال ، ثم قال : وبتقدير أن الأطفال يأتونهم إلى الفقيه بعد عصر يوم الخميس فلا يقدرون على جمعية قلوبهم على الفقيه بل قلوبهم شاتة ومامع الفقيه إلا أجسامهم من غير روح فافهم ، انظره . ثم قال : وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبروه بوقت ظهوره وأنه قرب وقت ظهوره ورفع ستوره وأنه يخرج حين تملأ الأرض ظلما وجورا كما كانت ملئت قسطا وعدلا . قال الشيخ : وقد وجد الظلم والجور حتى فى خواص الناس وعوامهم إلا ماشاء الله ، وكثرت الدعوى فى خواصنا بغير حق وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق إلى غير الحق كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لايخافون الآخرة - وكيف يخاف من صمت أذناه وعميت عيناه بحلول الشيطان ووساوس الحرمان حتى لايسمع قول الحق على لسان رسول الحق - قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين - وكيف يدعى الوصول من هو عن عبوديته الكاملة مفصول؟ وكيف اتصال من هو على الحقيقة فى انفصال ؟ اه والله أعلم .

قال رحمه الله :

(وَلاَ بُدَّ مِنْ تَعْظِيمِ كُلِّ مُقَدَّمٍ ... وَكُلِّ خَلِيفَةٍ مِنْ انْسٍ وَجِنَّةٍ

لَهُمْ حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ الشَّيْخِ فَارْعَهَا ... وَكُنْ بَاذِلاً لَهُمْ صَفَاءَ مَوَدَّةٍ

فَهُمْ مِثْلُ آبَاءٍ بَلْ أَعْظَمُ مِنَّةً ... فَقَامُوا الْمَقَامَ فِي الدُّعَاءِ بِحِكْمَةٍ)

(ولا بد) لامندوحة ولا محالة (من تعظيم) وتبجيل وتوقير (كل مقدم) لتلقين الورد الأحمدى والنور المحمدى (و) تعظيم وتبجيل وتوقير (كل خليفة) من خلائف سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، وفى الحديث « البركة مع أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ولم يجل كبيرنا فليس منا » وفى آخر

« الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب » أى فى الإكرام والاحترام والرجوع إليه والتعويل عليه وتقديمه فى المهمات ، والمراد الأكبر دينا وعلما وإلا فسنا . وقد قيل من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب . وفى [مح] اعلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الخلافة عبارة عن نيابة الشيخ الذى كان الخليفة خليفة عنه لأنه يوصل إلى التلاميذ ما كان الشيخ يوصله إليهم من الأذكار والأوراد والأحزاب والأسرار والتوجيهات والمقاصد والخلوات والآداب والعلوم والمعارف ، والحاصل أنه يفعل لهم وبهم ما كان الشيخ يفعله ، وله عليهم من الحقوق جميع ما كان للشيخ عليهم بحكم الخلافة والنيابة . فإن قلت : ما الفرق بين الخليفة والمقدم ؟ فالجواب : أن المقدم من أمره أو أذن له بالإذن وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بتلقين الأذكار اللازمة مع بعض الأذكار التى يختص بها الخواص ومن له حد ينتهى إليه ، ولكل مقدم صادق مرتبة عظيمة تجب بها طاعته واحترامه ، ثم قال : وليس الخليفة كذلك بل هو نائب عن الشيخ مطلقا ، فلذلك كان المقدمون وتلامذتهم من جملة رعية الخليفة تجب عليهم طاعة الخليفة لأن وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته تجب على جميع أهل الطريقة يستوى فيه من لقنه الخليفة ومن لقنه غيره لمرتبة الخلافة ، فاعلم هذا واعمل عليه ترشد والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم اهـ . وفيه : وإياك أن تظن أن مرتبة الخليفة ومرتبة المقدم فى إعطاء الورد من غير أن يجعل خليفة على حد سواء ، بل المقدم من جملة رعية الخليفة تجب عليه طاعة الخليفة هو وجماعته كما يجب على جماعته طاعته ، وهذا الحكم وهو وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته يجب على جميع أهل الطريقة يستوى فيه من لقنه الخليفة ومن لم يلقنه لمرتبة الخلافة ، انظره . وفى [جه] وعليكم بطاعة المقدم بإعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى فى إصلاح ذات بينكم اهـ . وفى الحديث « إنما الطاعة فى المعروف ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وفى [مح] اعلم أن الشيوخ رضى الله تعالى عنهم كما كانوا وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوابه فى تبليغ شريعته المطهرة إلى أمته وجب على الأمة تعظيمهم وتوقيرهم وطاعتهم وحرم على كل متدين مخالفتهم بحكم الوراثة لأن للوارث ما للموروث . ولما كان الأمر كذلك كان من قدمه الشيخ من التلاميذ والمريدين بحكم النيابة يجب على من سواه طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وتحرم عليه مخالفته وعصيانه واحتقاره وعدم المبالاة به لأن من خالفه فإنما خالف الشيخ الذى قدمه ، ثم قال : قال السيد محمد بن المختار الكنتى : قلما أفلح مريد فطم قبل أوان فطامه ، بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعين عليه ملازمته برسم ما كان عليه من الشيخ ، ومتى لم يخلف نائبا ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه فى بقية سيره اهـ . قلت : كلام هذا الإمام هو فص المقام لأنه لما تعين على المريد طاعة من كان نائب شيخه الذى مات أو فصله عليه عارض والحال أن شيخه ما أمره تصريحا بطاعة ذلك النائب والخليفة بل إنما تتعين عليه طاعته لكونه نائب شيخه أو خليفته ، فما ظنك بشيخ أمرك شيخك بطاعته أو كان المقدم هو الذى لقنك الأذكار ونظمك فى سلك أهل الطريقة ، انظره :

يارب جازهم بالرضوان	والخير والإحسان والغفران
وبجوار أحمد التجانى	مع جوار المصطفى العدنان
عن سائر الأحباب والإخوان	فاجمع بهم شملى بالامتنان
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

وفى [جد] فقلت له أى لشيخه سيدى على الخواص رحمه الله : إن طائفة من أهل زماننا يدعون أنهم خلفاء أشياخ من الأكابر وهم على طائفة من الجهل؟ فقال رضى الله عنه : لاينبغى لمريد أن يتشرف بشيخه إنما ينبغى له أن يتشرف به شيخه ، ومن كان جاهلا وانتسب بأنه خليفة ولى فقد أزرى فإنهم يقولون من لم يجتمع بشيخ مات فليجتمع على تلامذته يحيط به علما. على أن طريق الولاية لاتؤخذ بالخلافة والاستخلاف . وقد حكى أن سيدى أبا الحسن النورى رضى الله عنه قال لبعض الفقراء : من أنت ؟ قال من أصحاب الشبلى ، فنظر إليه نظر الغضب وقال : قل خادمه فإن مقام الصحبة عزيز، انظره (من إنس وجنة) بكسر الجيم أى سواء كانوا من الإنس أو من الجن رضى الله عنهم وعنابهم آمين .
وفى [غ] عن بعض الأصحاب رضى الله عنه: أن الكمل أهل التربية والإرشاد من أهل طريقة يبلغ عددهم ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجن ، ثم قال أو قريبا من هذا والذهن خوار اه [1] . والظاهر أن قوله أو قريبا من هذا راجع لعدد الكمل من الجن ، وقال السيد المذكور عقب هذا مانصه : ثم قال رضى الله عنه : يعنى سيدنا جعلنا الله فى حماه : كلها منى وإلىّ : يعنى الطرائق التى يربى بها الكمل المذكورون ، انظرها . ومن مطالبه رضى الله عنه وعنابه آمين كما فى [جه] يارب أن توصل على يدى إلى المعرفة كذا وكذا من الإنس والجن عددا كثيرا ماطلبه أحد من أولياء الله تعالى فيما سمعنا اه وفى [جع] ومن كراماته رضى الله عنه أنه قال: ضمن لى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم من الأصحاب كرامة من الله وفضلا ألف ألف ألف ألف من الرجال إلى أن تعد أربع مراتب ، ومائة ألف ألف ألف من النساء اه: يعنى إلى أن تعد ثلاث مراتب ، وقد مر أن طرق الكمل من أصحاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق كل طريق لتلميذ من تلامذته، وكل طريق تتفرع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة - وما يعلم جنود ربك إلا هو - ويخلق مالا تعلمون - (لهم) أى لساداتنا المقدمين والخلفاء رضى الله عنهم وعنابهم آمين علينا معشر الإخوان (حرمة) عظيمة لأنهم نواب وأمناء سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (كحرمة) سيدنا (الشيخ) رضى الله عنه وعنابه آمين :

ظلمتك إذ شبهت ثغرك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى

(فارعها) أى احفظها وصنها .وفى [جه] وأما سقوط حرمته فهى أكبر قاطع عن الله وسقوط الحرمة هى عدم ظهور المبالاة إذا أمره أو نهاه اه . وفى [مح] اعلم أنه لاشىء أضر على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضى الله تعالى عنهم ، وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشاراتهم فيما يشيرون به عليه . قال فى[تحفة الاخوان] فالآداب التى تطلب من المريد فى حق الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا وعدم الاعتراض عليه فى شىء فعله ولو كان ظاهره أنه حرام ويؤول ماانبهم عليه وتقديمه على غيره وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، ثم قال : ومنها أن يحفظه فى غيبته كحفظه فى حضوره وأن يلاحظه بقلبه فى جميع أحواله سفرا أوحضرا لتعمه بركته، ومنها أن لايعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرده الشيخ عنه .وبالجملة يجب أن يحب من أحبه الشيخ ويكره من يكرهه . ومنها أن يرى أن كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته ، ثم قال : وأن لايكلفه شيئا ،حتى لو قدم من سفر لكان هو الذى يسعى ليسلم على الشيخ لاينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه اه. وقال فى [الخلاصة المرضية] ومن شرط المريد أن لايصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة

---

(١) خوار كشداد ضعيف اه.

فى قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره ، وأن لايكتم عن شيخه شيئا مما يخطر له وأن لايعترض عليه فيما يكون منه ، انظره . ومما يجب عليه أيضا أن يراعى حرمته فى ذريته وزوجاته وأقاربه فى غيبته كحضوره فى حياته وبعد مماته . وفى [جه] وأما الاعتراض بالقلب أو باللسان فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده ، فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ ، فإن لم توافق ماعنده من ظواهر العلم أو باطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وربه لايدريها التلميذ ، والشيخ يجرى على منوال تلك الدقائق التى بينه وبين ربه فإذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه فى باطن الأمر يجرى على منوال الشرع من حيث لايدريه الخلق اه . وللشريشى رضى الله عنه :

ولا تعترض يوما عليه فإنه ... كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل ... يرى النقص فى عين الكمال ولايدرى

وفى [شب] وقد قالوا إن مخالفة المريد لشيخه فى قوله أو فعله سم قاتل ، فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة ، ثم قال : وقد قال الجنيد لبعض تلامذته حين سأله عن مسألة وأجابه عنها فعارضه - فإن لم تؤمنوا لى فاعتزلونى - وما ألطف قول الإمام الجيلى رحمه الله :

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا ... إلى شيخ حق فى الحقيقة بارع
فقم فى رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ماشاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من امره ... عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه وإن يكن ... على غير مشروع فثم مخادع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره ... وسل حساما للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه ... كذلك علم القوم فيه بدائع اه

وفيه : وقال ابن عباد فى شرح الحكم نقلا عن أبى القاسم القشيرى : ورد فى الخبر « الشيخ فى أهله كالنبى فى أمته » وقال ابن العربى فى الفتوحات :

ماحرمة الشيخ إلا حرمة الله ... فقم بها أدبا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم ... على الدلالة تأييد على الله
الوارثون هم للرسل أجمعهم ... فما حديثهم إلا عن الله
كالأنبياء تراهم فى محاربهم ... لايسألون من الله سوى الله اه

[تنبيه] ومما يجب على المريد كتمان ماأسر شيخه إليه من الأسرار الإلهية أو الأمور العادية إذ لايوهب ذلك عندهم إلا للأمناء ، ويرحم الله من قال :

من ساررُوه فأبدى السر منكشفا ... لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا
وأبغضوه فلا يحظى بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

ثم قال : فالشيوخ نواب الحق فى العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام فى زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء ، غير أنهم لايشرعون فلهم رضى الله عنهم حفظ الشريعة

فى العموم ومالهم التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب فى الخصوص اه . وفى [عف] فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله ، وأن الذى يعتمده مع الشيخ عوض مالو كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ . قال أبو عثمان : الأدب عند الأكابر وفى مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخيرات فى الأولى والعقبى ؛ ألا ترى إلى قول الله تعالى ـ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ـ ثم قال : وفى هذا تأديب للمريد فى الدخول على الشيخ والإقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته . سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر يخبر بالفقر فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته ، وإذا جاءه أحد ممن ليس فى زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى ماخطر للفقير إلى الشيخ فقال : رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أجنبية فنكتفى معه بموافقة القلوب وتقنع بها عن ملاقاة الظاهر بهذا القدر ، وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش ، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ . قيل لأبى منصور المغربى كم صحبت أبا عثمان ؟ قال خدمته لاصحبته ، فالصحبة مع الإخوان والأقران ومع الشيخ الخدمة انظره. وقد كان سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لايزيد على : السلام عليكم مع أصحابه بخلاف الأجانب فإنه يجالسهم ويلاطفهم غاية الملاطفة بالمؤمنين رءوف رحيم وراثة محمدية انظر [جه] وفى [عف] أيضا : ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ فى شىء من أمر دينه أو أمر دنياه لايستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه ، وقوله متفرغ ؛ فكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه من معاملة الله تعالى ، ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يحبه من الآداب ، وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مخاطبته فقال ـ ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ـ يعنى أمام مناجاتكم ، انظره .

[تنبيه] اعلم أن مناجاته بعد وفاته كمناجاته فى حياته صلى الله عليه وسلم فى الأمر بذلك ، ولهذا كان بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه لايقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا بعد تقديم ماتيسر من الصدقة ولو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وفيه وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردنى وقال لاتجلس عندى فلم أجعل مكافأتى له على كلامه واعتقدت أن أحفر لنفسى بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه ؛ فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله . وفيه . ومن مهام الأدب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لايتعدى ربه وشيخه ، ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد مايجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شىء من خوارق العادات ، ويعرفه أن الوقوف مع شىء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد ، ويعرفه أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لاتحصى ، ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولايذيع سره فإذاعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لإذاعة السر يوصف به

النسوان وضعفاء العقول من الرجال ، ثم قال : وينبغي للمريد أن يحفظ سره من بثه ، ففي ذلك صحته وسلامته وتأييد الله سبحانه وتعالى بتدارك المريدين الصادقين فى موردهم ومصدرهم اه (وكن باذلا) من بذل الشيء بذال معجمة أعطاه (لهم) أى لساداتنا المقدمين والخلفاء رضى الله عنهم وعنابهم آمين (صفاء مودة) أى مودة صافية من الأغراض النفسانية والأهواء الشيطانية إذ هى التى عليها المدار فى هذه الدار وفى تلك الدار . وفى [هب] والشيخ لايطلب من مريده خدمة ظاهرية ولا دنيا ينفقها عليه ولا شيئا من الأعمال البدنية وإنما يطلب منه هذا الحرف لاغير وهو أن يعتقد فى الشيخ الكمال والتوفيق والمعرفة والبصيرة والقرب من الله عز وجل ، ويدوم على هذا الاعتقاد اليوم على أخيه والشهر على أخيه والسنة على أختها ، فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل مايخدم به الشيخ بعد ذلك وإن لم يوجد هذا الاعتقاد أو وجد ولم يدم فإن عرضت فيه الوساوس فالمريد على غير شيء ، وكنت ذات يوم معه بقرب باب الحديد أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى ومعنا بعض الناس وكان يخدم الشيخ كثيرا ويتسخر له فى كل مايعن ويعرض حتى إنه لايبلغه فى ذلك أحد من أصحابه رضى الله عنه فقال له الشيخ رضى الله عنه أتحبنى يافلان لله عز وجل ؟ فقال نعم ياسيدى محبتى خالصة لوجه الله الكريم لارياء فيها ولا سمعة فغير فى ذلك حين سمعته ، فقال له الشيخ أفرأيت إن سمعت أنى سلبت وزالت الأسرار التى فى ذاتى أتبقى على محبتك ؟ قال نعم ، فقال الشيخ فإن قالوا لك رجعت طراحا أو زبالا أو نحو ذلك أتبقى على محبتك ؟ قال نعم ياسيدى ، قال الشيخ فإن قالوا لك إنى رجعت عاصيا أرتكب المخالفات ولا أبالى أتبقى على محبتك ؟ قال نعم قال الشيخ وإن مرت على وأنا على ذلك سنة ثم سنة ثم سنة إلى أن عد عشرين سنة ؟ قال نعم ولا يدخلنى شك ولا ارتياب ، فقلت للرجل ويحك إن هذا أمر لاتطيقه ، فقال له الشيخ إنى سأختبرك ، فقلت للرجل ويحك هذا أول الحرف عليك ، وكيف يطيق الأعمى أن يختبره البصير فاطلب من الشيخ العفو والعافية واعترف له بالعجز والتقصير وأنا معك فى ذلك ، ثم تضرعنا إليه جميعا فى الإقالة والعفو فسبق ماسبق إلى أن اختبره بأمر فيه صلاحه فلم يظهر له وجه فلم يطقه فتبدلت نيته فى الشيخ رضى الله عنه .

قلت : وسر الله لايطيقه إلا من كان فخاره صحيحا بأن يكون صحيح الجزم نافذ العزم ماضى الاعتقاد ، لا يصغى لأحد من العباد قد صلى على من عدا من شيخه صلاته على الجنازة اه . وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من سوء أدب المريد أن يقول لشيخه اجعلنى على بالك ، فقلت له ماوجه سوء أدبه ؟ فقال رضى الله عنه : فى ذلك استخدام للشيخ وتهمة له وأمر له أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير . فإن قلت : العارف لايسعه غير الاشتغال بالحق تعالى . قلت له : أما قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أسألك مرافقتك فى الجنة » فقال رضى الله عنه أماترى قوله للسائل « أعنى على نفسك بكثرة السجود » فحوله صلى الله عليه وسلم إلى غير ماقصد من الراحة فى الدنيا والاعتماد على رسول الله صلى الله عليه وسلم دون العمل فقلت له كيف ولابد للمريد من التحبب إلى شيخه بالأدب والخدمة وكل ذلك مما يميل قلب شيخه إليه وإذا مال قلب الشيخ لغير الله انقطع مدد المريد ؟ فقال رضى الله عنه : الواجب على المريد الخدمة والحق تعالى مطلع على قلب وليه فإذا رأى فيه محبة لهذا المريد قضى حاجته التى يطلبها من شيخه غيرة على قلب وليه أن يدخله محبة لسواه والله عليم حكيم اه (فهم) رضى الله عنهم وعنابهم آمين فى التبجيل والتوقير (مثل آباء) أى مثل آبائنا فى وجوب

طاعتهم والبر بهم، قال تعالى - وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا - الآية - ووصينا الإنسان بوالديه حسنا - الآية . وفى [عف] عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة » اه . والرمة بكسر الراء : العظام البالية . وفى [مح] عن الخلاصة المرضية. والشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى به الطالبين ، فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريد ظاهرا وباطنا قال تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - والمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ، فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ كما أن الولد جزء من الوالد فى الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة الثانية ولادة معنوية كما روى عن عيسى عليه السلام : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين ، ومن صرف اليقين على الكمال يصل لهذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصل ميراث الأنبياء ماولد اه . أى وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء لأن الفطنة والذكاء نتيجة العقل، والعقل إذا كان يابسا من نور الشرع لايدخل الملكوت ولا يزال مترددا فى الملك ، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف فى الملك ولم يرتق إلى الملكوت ، والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون ، انظر [عف] وفيه الولادة الظاهرة يطرق إليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لا شجرة الحنطة التى سماها إبليس شجرة الخلد فإبليس يرى الشىء بضده ، فتبين أن الشيخ هو الأب معنى انظره ، فقد أطنب فى القضية رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين (بل) هم رضى الله عنهم وعنابهم آمين (أعظم) وأكثر (منة) وحرمة وحقوقا علينا من آبائنا وأمهاتنا أدى الله عنا حقوق الجميع بمنه وكرمه آمين - رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا - رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب - وهم أحق بقوله :

فما آباؤنا بأمنّ منه علينا اللائى قد مهدوا الحجورا

وفى [مح] عن القشيرى : واعلم أن بر الأصاغر من تلامذة الشيوخ والأساتيذ يكون أكثر من برهم لوالديهم لأن الوالد يحمى ولده من آفات الدنيا والشيخ يحمى تلميذه من آفات الآخرة ، والأب يربى ولده باللقمة الفانية والشيخ يربى تلميذه بالهمة الدائمة ، ورحم الله من قال :

فررت إلى الرحمن مما جنت يدى وأولى أولى الألباب من مهجتى فضلا
هم خير خلق الله فانعم بقربهم وقر بهم عينا وأكرم بهم نزلا
فحياهم الرحمن كل تحية فأكرم بهم فرعا وأكرم بهم أصلا

تذييل : مشايخنا يدعون للرشد والهدى بنصح وهمة فقل مرحبا أهلا
ويارب جازهم بعفو وبالرضا وبالخير والإحسان فى منزل أعلى

ومن قال : لئن كنت برا فزت بالبر والتقى ووافيت تقوى الله فى السر والجهر
وفزت مع الأبرار فى كل موطن وذاك سرور دائم أبدا يسرى انظره

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بمخالفة أغراض

والدينا ولو مباحة فنفعلها كأنها واجبة أو مندوبة ونتجنب كل مايكرهونه كأنه حرام أو مكروه، وذلك لأن الشارع لم يذكر للعقوق ضابطا يرجع إليه وإنما ذكر أننا لا نخالفهم فيما يطلبونه منا ، ويحتاج العامل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حتى يعرفه مقام الوالدين عند الله تعالى ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا يأكل مع والدته قط فى إناء واحد خوفا أن يسبق بصرها إلى لحمة أو رطبة (١) أو عنبة أو تينة فيأكلها وهو لا يشعر ، ثم قال : واعلم يا أخى أن لا فرق فى النهى عن مخالفة الوالدين بين والد الجسم ووالد القلب ، بل مخالفة والد القلب أشد لأنه ينقذ من النار أو مما يقرب من النار ، وأما والد الجسم فإنه كان سببا فى إيجاده فى أسفل المراتب فكأنه أوجده كالطينة أو الحديدة المصدأة فلم يزل والد القلب يلطفه حتى صار كالبلور الأبيض أو كالذهب المصفى ، وأيضا قالوا: أبو الجسم كان سببا فى مجاورته للحيوانات والبهائم وأبو الروح كان سببا فى مجاورته لأهل حضرة الله تعالى من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين : وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : لا يقدر أحد أن يجازى شيخه على تعليمه أدبا واحدا فى الطريق ولو خدمه ليلا ونهاراً إلى أن يموت ، انظره . وفى [مح] والفرق بين شفقة الشيخ على التلميذ وبين شفقة الوالدين على الولد جلى ظاهر لأن الشيخ يدل التلاميذ على طريق السداد ويسلك بهم سبيل النجاة والرشاد ويجنبهم عن طريق الشر والفساد ، فإن هذه الشفقة من شفقة الوالدين على ولدهما التى غايتها الموت ولابدمنه ، وشفقة الشيخ على التلاميذ مما يوجب الطرد والإبعاد والعطب أبد الآباد ، وما أحسن قول القائل رحمه الله :

فضل المعلم قدر ليس يبلغه ... حنو أم ولا يحويه فضل أب
فذا يدبر فى الدنيا معيشته ... وذا يمكنه من أفضل الرتب

ثم قال: قال السيد محمد بن المختار الكنتى رضى الله عنه مجيبا من سأله: وأما حديث «من علمك حرفا فهو مولاك» فصحيح صريح فى تعظيم المعلمين ووجوب توقيرهم وبرهم والإحسان إليهم وإنافة منزلتهم والتنويه بمكانتهم وإنزالهم من المتعلمين منزلة الموالى الواجب احترامهم وخدمتهم على العبيد المتعين عليهم الإجلال والخدمة لمواليهم كما يشهد له حديث «بجلوا المشايخ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله تعالى» على أنهم متفاوتون فى الرتب فرتبة معلم الخير دون مرتبة المربى إذ المعلم إنما هو مرشد إلى إقامة رسوم التعبد برعاية حدود الشريعة الظاهرة وإقامة الأحكام المتعلقة بالحلال والمربى مرشد إلى الإخلاص فى التعبد والقيام بحقوق العبودية وتهذيب الأخلاق وتنقيح الأحوال وتزكية الأعمال وتخلية النفوس من العيوب والأكدار وتحليتها بنفائس الأسرار والأنوار وتصفية القلوب من الحجب المانعة لها عن مطالعة الغيوب ، فهذا الشيخ الوارث لنبيه الراشد الداعى إلى السنن المستقيم والمهيع السديد المخرج من ظلمات الأهواء المضلة والآراء المزلة إلى أنوار التوفيق ومسالك التحقيق . فالأول دون الوالد فى مرتبة البرور ، والثانى : أرفع منه وأولى بالبرور والتوقير من وجوه أغفلناها خوف التطويل ، وفيه عن الجنيد: أمرنى أبى بأمر وأمرنى السرى بأمر فقدمت أمر السرى على أمر أبى وكل ماوجدته فهو من بركاته ، انظره : وفى [عم] والله لو وقف المريدون على الجمر بين يدى أشياخهم منذ خلق الله الدنيا إلى انقضائها لم يقوموا بواجب حق معلميهم فى إرشادهم إلى إزالة تلك الموانع التى تمنعهم من دخول حضرة الله تعالى ، وإذا كان العبد يحب من أعطاه العزيمة والبخور حتى فتح المطالب ولا يكاد يبغضه مع كون

(١) بضم راء وفتح طاء اهـ .

ذلك مكروها لله عز وجل، فكيف بمن يعطيه الاستعداد الذى يدخل به حضرة الله عز وجل حتى يصير معدودا من أهلها بل من ملوك الحضرة ، والله إن أكثر الناس اليوم فى غمرة ساهون، نسأل الله تعالى اللطف بنا وبهم . وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يطلب من غالب أهل هذا الزمان كمال مقام الإيمان فإنه متعذر جدا ، وإنما السعيد كل السعيد من خرج من الدنيا ومعه رائحة الإيمان ، ومن ادعى منهم كمال الإيمان كذبته أفعاله من الانهماك على الدنيا وندمه على فواتها أكثر من ندمه على فوات مجالسته الله عز وجل ،وسمعته يقول :من علامة نقص الإيمان فى العبد عدم تأثره على فوات شىء من مرضات الله عز وجل ، وعدم حفظه لجوارحه مع علمه بأنه يحاسب على جميع ما فعل ، انظره ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فيما كتب به لبعض الخاصة متعنا الله وإياه بالرضا الأبدى والسر السرمدى آمين :

ودع مذنبا أرخى الخمول ذيوله	عليه ولم يرد سواه لحكمة
ولم يبغ شيئا من مقامات أوليا	فياليته يفوز يومابتوبة
أمن صاب أن يكون فى الوقت مسلما	فياويح من يبغى مراتب شيخة
فيارب فارحمنا بمحض العناية	وشفع رسول الله فينا بمنة

وفى [عف] عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من علم عبدا آية من من كتاب الله فهو مولاه ينبغى له أن لا يخذله ولا يستأثر عليه ، فن فعل ذلك فقد عصم عروة من عرى الإسلام » اه :

هذه علتى وأنت طبيبى	ليس يخفى عليك فى القلب داء
الأمانَ الأمانَ إنّ فؤادى	من ذنوب أتيتهن هباء

- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين :

يارب جازهم بالغفران	والخير والإحسان والرضوان
وبجوار المصطفى العدنانى	فى مقعد الصدق لدى الرحمن
وبجوار أحمد التجانى	عن ذا العبيد وعن الإخوان
واعف عن الجميع فى التقصير	بمحض فضل العفو والغفران
وامنن على الجميع بالرضوان	بمحض فضل الله والرحمن
تحت لواء أحمد التجانى	تحت جناح المصطفى العدنانى
صلى عليه الله دون عدد	والآل والصحب وكل مهتد
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

(فقاموا) رضى الله عنهم وعنابهم آمين (المقام) أى مقام سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (فى الدعاء) للخلق إلى طريق الرشاد الموصلة إلى رب العباد (بحكمة) وهى العلم والعدل والقرآن. قال الحفنى : وهى كل كلمة وعظتك وزجرتك ، أودعتك إلى مكرمة ، أونهتك عن قبيح ، فهى أخص من مطلق العلم اه . قال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - الآية. وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانقطع برنا وصلتنا عمن عصى أمرنا أو وقع فى عرضنا ، بل نعامل الله تعالى المعاملة

الحسنة فى عباده كما يعاملنا هو تعالى ولايقطع بره وإحسانه عنا، وربما وقعنا فى أمور نستحق بها الخسف بنا فى قعر بيوتنا، وقدكان مالك بن دينار رضى الله عنه يقول : والله لو أن الناس اطلعوا على مايستره الله منا لرجمونا ، وكان يقول : والله لوكان للذنوب رائحة ما استطاع أحد من الناس أن يجالسنى من نتن ريحى ، فإذا كان هذا حال خيار التابعين فى اتهام نفوسهم بالسوء فكيف بأمثالنا عبيد الفروج والبطون . فعلم أن الواجب على كل داع إلى الله تعالى مداراة المارقين عن الأدب بالبر والإحسان لاالحرمان والكلام المر، فإنه راع وكل راع مسئول عن رعيته، وقد نفرت نفسى من الفقراء المجاورين مرة فأردت مفارقتهم فرأيت سيدى عليا الخواص تلك الليلة وهو يقول لى : قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصبر على أصحابك طالبا وجه الله وتعهدهم بالموعظة الحسنة كل حين ، ولا تكن كمن غضب على غنمه فى البرية حين انتشرت معه فى أرض وعرة فرجع إلى البلد وتركها للذئب يفترسها اه.

وفى [عم] يتعين على الشخص أن يوطن نفسه على تحمل أذى من يأمره من إخوانه بترك الدنيا وهو لم يشرف على الدار الآخرة بقلبه، فإنه كالكلب العاكف على الجيفة كل من منعه من الأكل منها يكشر أسنانه ويهبهب عليه وربما عضه حتى يرجع عنه ، فليكن الشيخ إذا أمر إخوانه بترك الدنيا بسياسة ورحمة ورفق وتقديم مقدمات وذكر ماكان السلف الصالح عليه ثم يقول : يرحم الله تعالى من اقتدى بهم وليحذر من التكدر منهم بالباطن إذا عصوا أمره ،وليس عليه إلا أن يظهر لهم عدم الرضا بكثرة رغبتهم فى الدنيا لا غير كما يظهر الوالد غضبه لولده إذا خالفه ويعبس فى وجهه وقلبه راحم له مشفق عليه ، وربما ضربه بالعصا وربما نخست الأم ولدها بالإبرة فى يده حتى أخرجت له دمه ، ومع ذلك فيقضى العقل بأن ذلك كله ليس ببغض للولد، وإنما هو لوفور شفقة والدته عليه ، فليوطن الداعى إلى الله عز وجل نفسه على سماع كل كلام مكروه فيمن يدعوهم لأنهم عمى يدعوهم إليه ثم إن انجلى حجابهم فسيشكرون النصح والجهاد فيهم ، انظره . وفيه : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول: ينبغى لكل من ولاه الله ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لأوامره لاسيا فى أوائل الولاية حتى ترتاض نفسه ويتمكن فى مقام الصبر والحلم، فإن من كانت رعيته منقادة له فهو خداع لا يظهر مقامه فى الحلم ، فليقل من ضجر ممن ولاه الله لنفسه إن لم تتحملى أنت عوج رعيتك فمن يحمله اه .

ثم قال: وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للأدب مع الشيخ من كل وجه ليعرض الشيخ للنفرة منهم فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمك ويصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا: حكم الشيخ حكم الصياد الذى يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم ، وقد وقع لى مرة أن جميع إخوانى المقيمين فى الزاوية تغيرت أحوالهم وثقل الذكر والخير على نفوسهم حتى لم يبق تحت حكمى منهم شعرة واحدة ، فأردت الانتقال من الزاوية إلى مكان ليس فيه فقراء، فلما أردت الخروج من الزاوية تمثل لى إبليس تجاهها وهو يصفق ويرقص ويقول لى غلب غلب غلب ، فرجعت فزاد عليهم الأمر، وطلبوا أن يحترفوا بالقرآن فى ليالى الجمع وغيرها ويتركوا مجلس ذكر الله والصلاة على نبيهم صلى الله عليه وسلم احتسابا ، فتوجهت للنبى صلى الله عليه وسلم فى الاستئذان فى ذلك ، فرأيت سيدى عليا الخواص رحمه الله وهو واقف خلف باب لا أرى من وجهه إلا أنفه وهو يقول لى : قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصبر على إخوانك طالبا وجه الله ولاتبال بمخالفتهم لأوامر الله عز وجل وتخولهم بالموعظة كل حين اه . فعلمت أن ذلك إنما كان امتحانا لى فى الصبر حين وسوس لى

إبليس وقال لى: ليس لتربيتك فيهم ثمرة والإنسان إنما يزرع فى أرض تنبت الزرع ومن بذر فى السباخ فهو قليل العقل، وغاب عنى أن الله تعالى ماطلب منى إلجاءهم إلى امتثال أمره وإنما طلب منى ماطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - إن عليك إلا البلاغ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وفور شفقته يود أن لو دخل الناس كلهم الجنة فقال الله تعالى له - ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وماكان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله - وقال تعالى - ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين - فكل داع إلى الله تعالى لا بد أن يقع له كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة محمدية فيحجبه الله تعالى عن شهود انقسام أهل القبضتين إلى شقى وسعيد، وعن كون ذلك حتما لابد منه فلذلك يضيق صدر الداعى إذا عصوا أمره فيحتاج الداعى إلى الله إلى مراقبة شديدة على الدوام عرفا لأنهم قالوا مراقبة الله على الدوام من غير تخلل فترة ليس من مقدور البشر فافهم. وقد قال لى مرة شخص من حذاق المريدين المقيمين عندى: لولا كثرة مخالفتنا لك ماعظم الله أجرك، فأنت مأجور على كل حال إن أطعناك أو عصيناك فلك الأجر من الجهتين، فالله يزيده توفيقا كما أيدنى آمين فإنه نبهنى على أن ذوق الأمور ليس هو كالسماع بها وثبتنى حين تزلزلت، ثم قال: فلا يوجد أحد أتعب قلبا ولابد ناممن يتولى أمور المسلمين لغلبة وقوع الملل منه وعدم تحمله ذم رعيته له، لاسيما نظار المساجد فإن جميع المستحقين يؤذونهم بلسانهم ويشكونهم للحكام ويحملونهم على المحامل السيئة وأنهم يأكلون مال الوقف، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع جيرانه بكاء وعويلا فى داره، فسألوا فقالوا: إن عمر قد خير زوجاته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت وبين أن يعتقهن أو يطلقهن وقال: قد جاءنى أمر شغلنى عنكن فلا أقدر ألتفت إلى واحدة منكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة رضى الله تعالى عنه. وبلغنا أنه كان لاينام ليلا ولانهارا إلا بعض خفقات وهو جالس ويقول: إن نمت الليل ضيعت نفسى وإن نمت النهار ضيعت حقوق الرعية، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول: يحاسب المؤمن الذى لم يتول ولاية عن نفسه فى يوم كان مقداره قدر وقت صلاة يصليها، ويحاسب من تولى ولاية عن نفسه وعن جميع رعيته ويسأل عن جميع حقوقهم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، انظره. وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نلين القول ونخفض الجناح لجميع أصحاب الكتب كالظلمة والخمارين والحشاشين والمقامرين وأصحاب المكوس وجباة الظلم، فإن ذلك أسرع لا نقيادهم لنا وأقرب طريق إلى حصول التوبة منهم وإلى تقويم عوجهم: وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام حين أنفت نفسه من مجالسة العصاة: «ياداود المستقيم لايحتاج إليك، والأعوج أعرضت عن تقويم عوجه فلماذا أرسلت؟» ثم قال فارحم ياأخى أهل المعاصى بقلبك وعظهم باللين من قولك تكن حكيم الزمان، وخالطهم إن وجدت من قلبك ثباتا على الدين مع خلطتهم وإن نفروا منك فاتبعهم، ثم لاتزال تسارق أحدهم وتصرعه عن كتبته من حيث لا يشعر حتى يقوم عوجه إن شاء الله وأما إذا هجرت أهل المعاصى ونفرت منهم أو لم تتبعهم فمن يقوم عوجهم ومن يبغضهم فى كتبهم، وقد قالوا أحوج مايكون أخوك إليك إذا عثرت دابته، فعلم أن أصحاب الكتب ضالة كل داع إلى الله عز وجل، ولو أن الداعى ترك سياستهم وتركهم يتمادون فى غيهم لربما آخذه الله بهم يوم القيامة فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه.

[تتمة] لابد فى هذه الدعوة الخاصة من إذن خاص من الله تعالى أومن رسوله صلى الله عليه وسلم

أو من كل ورثته صلى الله عليه وسلم. وفى [جع] وأما قول السائل إن دائرة الولى أوسع من دائرة النبى ، فالمراد بالولى أولياء هذه الأمة فقط ، والمراد منهم من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء واتساع الدائرة وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى ، فكل رسول من الرسل غير نبينا صلى الله عليه وسلم رسالته خاصة بوطن أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غيره ورسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة فى جميع البلدان والأقطار وفى جميع الأجناس والأمم وفى جميع الأعصار ، فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلا تختص ببلد ولا بجنس ولا أمة ، بل هى عامة كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فهذا اتساع دائرة الولى على دائرة النبى ، ثم هذه الدعوة إلى الله تعالى فى حق الأولياء هى ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عنى ولو آية » الحديث ولقوله صلى الله عليه وسلم : «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر» لكن هذه الدعوة المذكورة إنما هى بالإذن الخاص كإذن الرسالة . فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته فى جميع القلوب ووقع الإقبال من الخلق عليه والاستجابة له ، ووقع امتثال أمره واجتناب نهيه فى الخلق وأطيع ، وحلّى كلامه فى القلوب ، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له من الإذن الخاص شىء لم ينتفع بكلامه ولم يقع عليه إقبال ، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال فى بساط الحقائق « ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولى » فمن وقف هذا الموقف ابتلى بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنع وليس من الله فى شىء قال ابن الفارض رحمه الله :

فعالمنا منهم نبى ومن دعا ... إلى الحق منا قائم بالرسالة

وعارفنا فى وقتنا الأحمدى من ... أولى العزم منهم آخذ بالعزيمة

قال ابن عطـاء الله : من أذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته ، وجليت لديهم إشارته اه ؛

ومن معنى ما تقدم [قاعدة] اعلم أن الفتح والوصول إلى الله فى حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص كإذن الرسالة ومتى فقد الإذن الخاص لم يوجد من الله فتح ولا وصول وليس لصاحبه إلا التعب ، ومن تعلق بمطالعة كتب التصوف وسار إلى الله بالنقل عنها والأخذ منها والرجوع إليها والتعويل عليها ليس له من سيره إلا التعب ولا يحصل له من الله شىء ، يعنى من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص ، وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه .

قلت : والمراد بأصحاب الإذن الخاص فى كلام سيدنا رضى الله عنه الأولياء الأحياء فى كل عصر لا الأموات كما يأتى فى كلام الشيخ رضى الله عنه ، ثم قال رضى الله عنه [قاعدة] إن الله سبحانه وتعالى جعل فى سابق مشيئته أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته هو فى كل عصر يجرى مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين ، فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوى الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله ، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان ، وكان مثله كمن أعرض عن نبى زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيين الذين خلوا قبله فيسجل عليه بطابع الكفر ، ثم قال رضى الله عنه : والدليل على أن الصحبة لا تكون إلا للحى قوله صلى الله عليه وسلم لأبى جحيفة رضى الله عنه

وصل العلماء ، وخالط الحكماء ، واصحب الكبراء ، فالعالم دلالته على الأمر العام أمراً ونهيا بما يوجب المدح عند الله وسقوط الملامة على العبد ونهايته الجنة ، والحكيم دلالته على التقرب إلى الله تعالى بالطهارة من أهوية النفوس ومتابعة الهوى ونهايته منازل القربة ، والكبير دلالته على الله من حيث محو النفوس والبراءة من التدبير للنفس بكل ما يجلب المصلحة لها دنيا وأخرى وبكل ما يدفع المضرة عنها دنيا وأخرى ونهايته الله ، ثم قال : يؤخذ من هذا أن الصحبة لاتكون إلا للحى إذ الميت لايصحب ولا يكلم ولا يخاطب ، انظره . وقد كشف النقاب عن هذا الخطاب وأشفى فيه الغليل وأبرأ العليل أبو المواهب السائحى رضى الله عنه وعنابه آمين فى الجواب التونسى راجع مامر عنه فى [البغية] ففيه الغنية على أن الأحدية أويسية لأنها تلقيت عن الذات المحمدية يقظة بلا واسطة ولذا غلب على أهلها هذا الحال وراثة أحدية والله يهدى من يشاء إلى صرط مستقيم ، وأختم هذا الفصل بأبيات لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فى شروط المقدم وهى :

أقول ببسم الله بدءا مصليا ... على المصطفى وآله والصحابة

فهاك نظاما فى شروط مقدم ... وما قد يراعى من أمور الديانة

فإذن صحيح ثم أهلية له ... ومعرفة بما لهذى العبادة

من أركانها ووقتها وشروطها ... وما يعترى نقصا وجبراً لآفة

وما يلزم المريد عند دخوله ... وبعد وما يقضى بدون سآمة

بذاك يصير ملجأ للأحبة ... وضوءا ونبراسا لأهل استفادة

ويعلم أن صحبة الشيخ تجذب ... لحضرة قدس الله جذب عناية

وأنه من خيرها وعبيدها ... وكن حذرا من غير دين وعاهة

وهذا أقل ما يراعى المقدم ... مزيدا على شرط الصلاة طهارة

ومن قد خلا عن ذا فدعه لجهله ... وليس من الدعاة للرشد سادة

وزد ذا ديانة وعقل أمانة ... وحلم ورفع همة وسياسة

وميزان ذاك كله رفع همة ... عن الناس والإخوان أهل الرفادة

ببعض وصايا الشيخ أوصى مقدما ... بعفو عن الإخوان ترك عداوة

وأسباب شين ثم حقد ضغينة ... وإطفاء نيران وطرد إساءة

وإصلاح ذات البين لله قاصدا ... ويرغب عن حظوظ دنيا رياسة

وينهى السعاة بينهم بنميمة ... بلين ورفق بل ولو بإشارة

يراعى الحديث يسروا لاتعسروا ... ويبذل ماله لصاحب فاقة

ويحذر من تغريم دنياهم كما ... جرى به عرف من أهيل إجازة

وذاك بلاء فتنة وبلية ... حذار حذار من أمور وعادة

وما جاءه من غير إشراف نفسه ... حلال ولا إثم لأهل الزهادة

كما فى الصحيحين البخارى ومسلم ... وغيرهما فذا صحيح الرواية

يرى لهم عليه مالا عليهم ... له من حقوق فاستغث بإغاثة

فهم مثل أولاد صغار ضعيفة ... ولا سيما من كان من أهل حاجة

ولا تبقى للنفس قدرا مزية ويعلم أنه من أهل الجناية
علينا بتبجيل الدعاة المقدمين لتلقين أوراد على أى حالة
فحرمتهم كحرمة الشيخ عندنا فقاموا المقام فى أداء الأمانة
فطاعتهم فرض كطاعة والد بنى أمروا نسعى بقلب وقامة
ونحفظهم فى غيبة كحضورهم ونرعى بهم حقوق ختم الولاية
فمن بابهم دخولنا ووصالنا على يدهم فضلا من أهل الكرامة
خذوا يد عبد قعدته ذنوبه مع النفس والهوى وأهل الغواية
فجودوا بفضلكم على بدعوة توصلنى المنى بمحض العناية
أبا الفيض سيدى تفضل بفيضة أنال بها خير المعالى ورؤية
فمن رسول الله عنى بوصلة بها نختم المنى وكل سعادة
عليك صلاة الله ثم سلامه وآلك والأصحاب دون نهاية

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم.

[فصل فى شروط مريد الدخول فى الأحمدية]

وفى [مح] اعلم أن شروط طريقتنا هذه ثلاث وعشرون شرطا فمن استكملها كلها ولم يتخلف عنه واحد منها فهو من أهل الطريقة الفائزين المحبوبين المقربين الأعلين ، ومن لم يستكملها واستكمل إحدى وعشرين شرطا من الشروط التى أعدها على الترتيب الذى ستراه فهو من الراجين المحبوبين وإن لم يساو الأولين ، ومن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة ، انظرها فيه إن شئت ، وقوله رضى الله عنه وعنا به آمين ومن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة : أى من أهلها الكاملين الراسخين فيها وإلا فمن تمسك بورد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ونبذ غيره من أوراد المشايخ وراءه ظهريا وأعرض عن التوسل بهم والالتفات إليهم إعراضا كليا إلى يوم الممات فهو من أهلها المصطفين الأخيار ، فبهذه الشروط الثلاثة يصير الإنسان أحمد يا تجانيا ، وإن شئت قلت فكل من تمسك بالشيخ توسلا وأخذا وأعرض عن غيره توسلا وأخذا فهو تجانى محض إلى يوم العرض ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فكل من قدلاذ بالتجانى أخذا توسلا بلا توان
ومعرض عن غيره بالرفض فهو تجانى ليوم العرض
وإن تشأ فقل فشرط ورده تعلق به ورفض غيره
وقل بهذا القول صاح أبدا من شاء فليؤمن ومن شاألحدا

وفى [الزهر الفائح] بعد ذكره ما فى الرماح [تنبيه] اعلم أن جميع هذه الشروط كلها شروط كمال ماعدى ثلاثة ، فإنها شروط صحة كما أشار لها شيخنا وسيدنا أبى العباس مولانا أحمد التجانى كما فى الإفادة الأحمدية ، ثلاثة تقطع التلميذ عنا : أخذ ورد على وردنا ، وزيارة الأولياء ، وترك الورد: يعنى نبذه أو أخذ ورد آخر معه ولو كان قبله ، لأن الانفراد به شرط فى طريقه ، وقوله : الأولياء شامل للأحياء والأموات اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه .

بأخذ ورد للتجانى أحمدا وترك ورد كل شيخ أبدا
وترك زور الأولياء مطلقا تسمى تجانيا بذا محققا
بفقد ذى ينقطع المريد عن شيخنا ويلزم التجديد
وما سوى ذاك من الشروط إلى الكمال اعز بلا تفريط
هذا الذى رأيت للسفيانى نقله عن شيخنا التجانى

قال رحمه الله :

(فَإِنْ رُمْتَ أَخْذَ الوِرْدِ فَاخْتَرْ مُقَدَّماً تَقِيًّا صَحِيحَ الإِذْنِ خَيْرَ الأَجِلَّةِ)

(فإن رمت) بمحض فضل سائق العناية الصمدية وسابق السعادة الأبدية (أخذ الورد) الأحمدى والنور المحمدى (فاختر) بعد استخارة الله تعالى واستشارة لمن يرجى خيره وأمن ضيره (مقدما) لتلقينه إن لم تظفر بخليفة من خلائف سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (تقيا) وله أربع علامات كما قال بعض الثقات : حفظ الحدود، وبذل المجهود ،والوفاء بالعهود، والقناعة بالموجود ، ولبعضهم رحمه الله :

ألذ من التلذذ بالغوانى إذا أقبلن فى حلل حسان
منيب فر من أهل ومال يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ويظفر فى العبادة بالأمانى
تلذذه التلاوة أين ولى وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى من الراحات فى غرف الجنان اه

تذييل .

فذا وصف التقى بلا مراء وغيره تاه فى تيه التوان

وفى [الكوكب الوقاد] ولا ينبغى أن تؤخذ الأوراد إلا من كامل فى نفسه مكمل لغيره كالمشايخ المربين لأنهم يربون الناس بأنوار العلم والحكمة كما يربى الوالد ولده بأنواع الأطعمة والأشربة، حتى انعقد إجماع السلف على أن حق الشيخ المربى أعظم من حق الوالد لأن الوالد تسبب فى الحياة الفانية والشيخ قد تسبب فى الحياة الباقية وهى حياة القلب والسر اه (صحيح الإذن) فى التقديم والتقلين ممن له الإذن الصحيح كذلك ولو تعددت الوسائط . وفى [جع] وأخبرنا الشيخ رضى الله عنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا الفضل خاص بمن أخذعنى الذكر ، مشافهة أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة ، فقال له كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم ، وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآنى أولم يرنى ، انظره وانظر [جه] . وفى [مح] الأول : أى من الشروط كون الشيخ الذى يلقن الأذكار مأذونا له بالتلقين من القدوة أوممن أذن له إذنا صحيحا اه (خير) أى أفضل ساداتنا المقدمين (الأجلة) فى وقتك وزمنك بحسب اعتقادك وجزمك لئلا تتشوف إلى غيره بعد التقيد به فينسد عنك باب سره وخيره ولا تأمن من شره وضيره ، وأخبرلى من أثق به أن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به آمين كتب لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه حين استبطأ زيارته ما ألغز به سيدى حمدون الفاسى رحمه الله :

إذا كان منك اختصاص بى قويت على ماشئت منى بتفصيل وإجمال
وإذ غدوت مشاركا ضعفت فلم تعمل وأهملت عندى كل إهمال
كالحرف عند اختصاصه له عمل وفى التشارك لم يفز بأعمال

فأجابه رحمه الله ورضى عنه :

أبا عبيدة لو غيرك فاه بها فالظن أكذب شىء حل بالبال
كيف التشارك والأقدار قد حكمت بالاختصاص بكم بمحض إفضال
تالله فالقلب لم يمل لغيركم ولن يميل له بالقال والحال
أرواحنا فى مكان واحد أبدا أجسامنا بقصور وبأيلال
وقل لمن قد سعى موتوا بغيظكم فنحن بالله لابالقيل والقال
ليس التلبس والتزويق من شيمى ويل لساع بتفصيل وإجمال
إن السلامة لم أظفر بها بسوى سكنى زوايا خمول مع إهمال
لذاك قلت بإغباب زيارتكم ولم يقل به قلبى بل بإيصال
لم يصلح الوقت للأعمال للفتى لذاك آثرت إهمالا عن[1] اعمال
فالله يختار للكل ويرزقه بالفضل رضوانه من غير إعمال

شعر : هواى مع الركب اليمانى مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق

ولما ورد عليه الجواب كتب رضى الله عنه وعنابه آمين :

والله ماخطرت فى القلب جفوتكم ولا سعى ناعق بالغى والإهمال
كلا ولا شبهة تلج فى عقدنا حمدا لخالقنا ذى المن والإفضال

وفى [عف] ومن الأدب أن لايدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر لاتصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فإن المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته ، والمحبة التآلف وهى الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله ، انظره : وفى [غ] وأعظم الذنوب الالتفات لغير شيخه لما فيه من صورة المكر الخفى بالمريد فإنه لايظن أنه يبلغ به ذلك فيسترسل فيه ولهذا اعتنى المشايخ بالتحذير منه والتنبيه عليه وخصوصا لمن تفرسوا فيه النجابة وأنه من المرادين لحمل سرهم فإنهم لايسامحونه فى ذلك أصلا ، ومن أعجب الأمور فى هذا الباب ماذكره الشيخ الإمام المتفنن أبو زيد سيدى عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سيدى عبد القادر الفاسى رضى الله عنه فى كتابه [ابتهاج القلوب] عن الشيخ الشهير العارف بالله سيدى محمد بن عبدالله الشهير بابن معن الأندلسى رضى الله عنه أنه ذكر عن الشيخ الكامل سيدى أبى المحاسن الفاسى رضى الله عنه أنه منع بعض مريديه من مجالسة أخيه العارف بالله سيدى عبد الرحمن ، وذلك حين ظهرت على أخيه المذكور آثار الفتح وأنه - أعنى الشيخ أبا المحاسن - قال لذلك المريد يافلان رد روحك لجهة واحدة

---

(١) بكسر الهمزة مصدر أعمل ، بفتح الهمزة جمع عمل .

خوفا عليه من الشتات وجمعا له عن الالتفات، ثم قال: وهذا مع كون أخيه العارف بالله معه فى دائرة تجمعهما طريقة واحدة وسلسلة واحدة بحيث لا يكون التفات عن أحدهما التفاتا عن الآخر ولهذا قلت فى هذه الحكاية إنها من أعجب الأمور انظرها ، ومامر عن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنابه آمين هو عين قضية أبى المحاسن ، واستشهاد أبى المواهب السائحى رضى الله عنه وعنابه آمين، بها يرشد إلى أن ذلك معتبر عندنا فى الأحمدية، ولذا بلغنى عن بعض ساداتنا المقدمين الصادقين أنه يقول لمن استزاره من الإخوان ارجع لملقنك واطلب منه ماشئت وليس لك عندنا شىء ؛ فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ؛ وفى [جع] وذكر رضى الله عنه شرطا آخر مما يطرد به المريد عن حضرة الشيخ وهو الطمع مما فى أيدى الشيخ من دنياه ولو بقرض . قال لى فى يوم الثلاثاء الآخر من شهر الله صفر عام سبعة ومائتين وألف حذر أصحابى من أن يطلبونى سلفا أو غيره من الدنيا فإنه من أسباب قطع المشيخة بين المريد وشيخه، ثم قال : ربما يأتى وقت على الشيخ يحتاج إلى ذلك القرض الذى أقرضه أو للحاجة التى أعطاها له ولم توجد فينقبض قلب الشيخ فيتغير فيهلك الآخذ له من غير قصد من قدوته اهـ . وفى [جه] اعلم أيدك الله بروحه أن المريد الصادق هو الذى عرف جلال الربوبية ومالها من الحقوق فى مرتبة الألوهية على كل مخلوق وأنها مستوجبة مع جميع عبيده دوام الدؤوب بالخضوع والتذلل إليه والعكوف على محبته وتعظيمه ودوام الانحياش إليه وعكوف القلب عليه معرضا عن كل ما سواه حبا وإرادة ، فلا غرض له ولا إرادة فى شىء سواه لعلمه أن ماسواه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فلما عرف هذا وعرف ماعليه من دوام العكوف على الانقطاع إلى الحضرة الإلهية وعرف خسة نفسه وكثرة شؤمها وشرها وأنها فى جميع توجهاتها مضادة لحضرة الألوهية وأن جميع حظوظها ومراداتها مناقضة للحقوق الربانية ، وعرف مافيها من التثبط والتثبيط عن النهوض بالقيام بحقوق الحق ومعرفة مايجب له من الخدمة والأدب لما ألفته من الميل إلى الراحات والعكوف على الشهوات والانقطاع عن خالق الأرض والسموات وأن جمع حظوظها لاتدور إلا فى هذا الميدان ، وعرف عجزه عن تقويم هذه النفس الأمارة بالسوء وعن ردها إلى الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها، وعرف أنه إن قام معها على هذا الحال استوجب من الله فى العاجل والآجل من الغضب والمقت وشدة العذاب والنكال المؤبد الخلود مما لاحد له ولا غاية ، وارتعب قلبه من هذا البلاء الذى وقع فيه والعلة المعضلة التى لاخروج له منها ، فلا يمكنه المقام مع نفسه على ماهى فيه مما ذكر قبل من استجابة الغضب والمقت من الله ،ولا قدرة له على نقل نفسه من مقرها الخبيث إلى استيطان الحضرة الإلهية ، فحين عرف هذا رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد فى طلب الطبيب الذى يخلصه من هذه العلة المعضلة ويدله على الدواء الذى يوجب كمال الشفاء والصحة ، فهذا هو المريد الصادق وأما غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات المتقدمة فهو طالب لاغير قد يجد وقد لايجد تعلقت نفسه بأمر فطلبه، وأما الأول فلكمال صدقه كان الشيخ أقرب إليه من طلبه فإن عناية الحق به التى وهبته ذلك العلم المذكور هى التى تقوده إلى الشيخ الكامل وتلقيه فى حضرة الشيخ الواصل وتقلب له قلب الشيخ بالمحبة والتعظيم فيقع الائتلاف بينهما والأدب فينفتح باب الوصول لأن عناية الحق متى وقعت على أمر جذبته جذبا قويا لايمكن توقفه ولو كان ما كان ، فالذى يجب على المريد الصادق فى الطلب مع كمال العلم المتقدم وشدة الاهتمام بالمطلوب وحماية القلب عن سوى مطلوبه فلا يشتغل بشىء سوى مايريد . هذا هو الصدق المفيد وهو الذى يخرجه من المقت اللاحق ، فالذى

يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب فى تأمل المعانى حسب الطاقة مع اعتقاده أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم مع دوام الإعراض عن كل مايقدر عليه من هوى النفس وأعراضها والسعى فى كل مايحبه إلى الله تعالى من نوافل الخيرات وهى معروفة فى الأوقات كوقت الضحى وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد النهوض من النوم وفى آخر الليل ، وليقلل من ذلك وليجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من النوافل فإن الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح أبواب الخير مع العزلة فى وقت الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شىء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطر عند أهل الطريق ، والحذر الحذر من كثرة التخابط فى الأذكار وكثرة تشعيب الفكر بين أقاويل المتصوفة فإنه ماتبع ذلك أحد فأفلح قط ، ولكن يجعل لنفسه ذكرا واحدا يهتم به ووجهة واحدة يهتم بها وأصلا ثابتا يعول عليه من الطرق ، هذا سلوكه وتربيته قبل لقاء الشيخ ثم يسعى فى طلب الشيخ الكامل كما قال طمطم: الطالب الصادق لاينظر فى غير مطلوبه الطالب لايسعى فى غير مطلوبه فهذه صفة المريد وأحواله اه لله دره ماأغزر علمه وأدق فهمه رضى الله عنه وعنابه آمين. وفى [عف] قال محمد بن خفيف : الإرادة سمو القلب لطلب المراد ، وحقيقة الإرادة استدامة الجد وترك الراحة ، وقال أبو عثمان : المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى يريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه ، وقال أيضا : عقوبة قلب المريدين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها ، انظره . قال رحمه الله :

(تَخَلَّ عَنْ أَوْرَادِ الْمَشَايِخِ كُلِّهَا ... وَلاَ تَخْشَ أَنْتَ فِى حِمَى الْخَتْمِ قُدْوَتِى
فَرَبُّ الْحِمَى يَحْمِيكَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ... وَمِنْ كُلِّ هَوْلٍ يُخْتَشَى وَمُصِيبَةٍ
فَأَنْتَ بِمَرْأَى مِنْهُ حَقًّا وَمَسْمَعٍ ... وَيَرْعَاكَ فِى الدُّنْيَا وَأُخْرَى بِهِمَّةٍ)

(تخل) أمر من تخلى عن كذا تركه وأعرض عنه (عن أوراد) ساداتنا (المشايخ) رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (كلها) لأنه شرط لازم وركن واجب على كل من يريد الدخول فى الأحمدية . وفى [جه] اعلم أن هذا الورد العظيم لايلقن لمن كان له ورد من أوراد المشايخ رضى الله عنهم إلا إن تركه وانسلخ منه ولا يعود إليه أبدا وعاهد الله على ذلك ، فعند ذلك يلقنه الورد من له الإذن الخاص من الشيخ رضى الله عنه وإلا فلا يلقنه له إن لم ينسلخ عن ورده الذى بيده فيتركه ووِرده وطريقته ، لأن أوراد المشايخ رضى الله عنهم كلها على هدى وبينة من الله وكلها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى ، وهذا ليس منا تكبرا واستعلاء على المشايخ رضى الله عنهم ، حاشا وكلا ومعاذ الله ، بل هذا الشرط مشروط فى طريقتنا لاغير ، فمن أراد الدخول فى طريقتنا فلابد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات فى الدنيا والآخرة وهو آمن من كل ضرر يلحقه فى الدنيا وفى الآخرة لامن شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بوعد صادق لاخلف له ، ومن أبى الخروج عن ورده الذى بيده لشيخه فلا شىء عليه فيترك وردنا ويمكث على ورده وطريقته ، فقد قلنا أوراد السادات رضى الله عنهم كلها على هدى من الله ، وكل من أذنته وأمرته بتلقين أورادنا وإعطاء طريقتنا فله هذا الشرط بأن لايلقن أحدا

ممن له ورد أو طريقة من المشايخ فإن فعل وخالف فقد رفعت عنه الإذن ولا ينفعه هو فى نفسه ولا من لقنه إياه فليحكم هذا الشرط ويعمل عليه اه والسلام . وفى [م] :

وترك غـيره من الأوراد وعدم الترك إلى الميعاد

(ولا تخش) من خشى كرضى أى من صاحب الورد الذى تركته حيا كان أو ميتا (أنت فى حمى) بالكسر كرضا ما يحميه السلطان وكبير القوم لنفسه (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (قدوتى) متعنا الله برضاه الأبدى وبسره الأحمدى وبنوره المحمدى آمين (قرب الحمى) المحمى بعناية محمدية وهمة أحمدية . (يحميك) يمنعك ويحفظك (من كل محنة) وبلية (ومن كل هول يختشى) أى يخشى منه الإنسان (و) من كل (مصيبة) فى الدنيا وفى الآخرة (فأنت بمرأى منه حقا) أى من غير شك (ومسمع) أى فبمجرد التمسك بالأحمدية صرت فى محل نظره ومسمعه ولست بغائب عنه ولا هو بغائب عنك طرفة عين متى ذكرته وجدته ومتى استغثت به أغاثك ومتى ناديته أجابك ، وهو أقرب إليك من نفسك بلا ريب ولا مين (و) إذا علمت ذلك فاعلم أنه (يرعاك) ويحفظك (فى الدنيا) ولو كنت من وراء البحار (وأخرى) أى وفى الآخرة (بهمة) أحمدية وعناية محمدية فطب نفسا وقر عينا «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» ولبعض أهل الأحوال على لسانه رضى الله عنه وعنابه آمين :

توجـه نحونا تعط الأمانى	وغمض عين قلبك عن سوانا
ولازم عهدنا مادمت حيا	تكن إذا مصونا فى حمانا
ويمم باب حضرتنا فقيرا	وغض الطرف عن غير ترانا
تجلد للمصائب كن شكورا	وجد بالنفس إن تحبب لقانا
وسـلم كل حادثة إلينا	وغب عن ذا الوجود تجد رضانا
وإن أعرضت بالإعراض عنا	فهذى هى الجحيم لمن عصانا

وسبب ذلك ما أشار له صاحب [مح] بأن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين هو الختم الممد الذى يستمد منه من سواه من الأولياء والعارفين والصديقين والأغواث ، ومن ترك المستمد ورجع إلى الممد فلا لوم عليه ولا خوف بخلاف من ترك الممد ورجع إلى المستمد اه مثلا صاحب الوزير إذا أعرض عنه إعراضا كليا ونبذه وراءه ظهريا وتعلق بالسلطان لا يخاف من الوزير ولا من غيره ، بخلاف من نبذ السلطان وأعرض عنه وتعلق بالوزير فلا يأمن من السلطان ، بل يخاف منه هو ومن تعلق به إذ الكل من رعيته والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وفيه أيضا عن سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال : من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية التى شرفها الله على سائر الطرق آمنه الله تعالى فى الدنيا والآخرة فلا يخاف من شىء يصيبه لا من الله ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو الأموات ، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يعود أبدا اه : أى إلا بتوبة نصوح وتجديد الإذن الصحيح قال تعالى - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات إن الله لا يخلف الميعاد - وفى [م] :

ومن يكن لما سواه طرحا لأجل وردنا فذا قد أفلحا

يافوز من دخل فى ضمان — خير الورى نبينا العدنانى
والعكس إن تاب وجدد فقد — نجا من الردى وفاز بالرشد
لكنه إن لم يتب مما فعل — خسر ثم ليس ينجيه عمل
وليس شيخه له بنافع — لكنه يتيه فى البلاقع
أعاذنا الله من البلاء — والكفر والخسران والشقاء

وفى [د] لو كان بناصر هنا وقلت له تمجيد لايسعه إلا التمجيد ، وسببه أن بعض الناس أتى يأخذ الورد فقال له سيدنا رضى الله عنه : أعندك ورد ؟ قال نعم ورد بناصر ، قال له يكفيك ابق عليه ، قال الرجل : أردت أخذ وردك ، قال له سيدنا رضى الله عنه : اترك الورد الذى عندك إن أردت ذلك ، قال الرجل أخاف من بناصر فذكره وماقاله رضى الله عنه وعنا به آمين وراثة محمدية ، وفى الحديث « لو كان موسى حيا ماوسعه إلا اتباعى » أوكما قال صلى الله عليه وسلم فافهم والله يتولى أمرنا وأمرك . وذكر فى [غ] أن الشيخ بانم رضى الله عنه وعنابه آمين كان فى أول أمره أخذ الورد الكنتى وتقيد بالطريقة الكنتية ثم بداله الانتقال إلى الطريقة التجانية فتخلى عن الأولى وأخذها ، فذكر أنه بعدما أخذها رأى النبى صلى الله عليه وسلم والشيخ رضى الله عنه والشيخ سيدى المختار الكنتى جالسان بين يديه صلى الله عليه وسلم . قال : فجعل الشيخ سيدى المختار يعاتبنى على ترك ورده وانتقالى إلى ورد الشيخ وطريقته وأنا أنظر إلى الشيخ عساه أن يجيبه عنى ، فإذا هو رضى الله عنه مطرق رأسه غاض بصره بين يديه صلى الله عليه وسلم متأدب غاية الأدب لايلتفت ولا يطرف [1] ، فلما أكثر على العتب الشيخ سيدى المختار التفت إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، فانقطع وسكت عنى حينئذ اه .

قل للمحاول شأوا فى مدائحه — هى المواهب لم أشدد لها زيم
ولا تقل لى بماذا نلت منزلة — فما يقال لفضل الله ذابكم
لولا العناية كان الأمر فيه على — حد السواء فذونطق كذى بكم

قال رحمه الله :

(وَلَازِمْهُ مَاحَيِيتَ تَسْمُو عَلَى الْوَرَى — وَلَا تَتْرُكَنْهُ فَتُجْزَى بِحَسْرَةِ
وَلَا تَتَهَاوَنْ فِيهِ مِنْ بَعْدِ أَخْذِهِ — فَكَمْ مُبْتَلًى قَدْ بِكُلِّ بَلِيَّةِ)

(ولازمه) أى الورد الأحمدى والنور المحمدى (ما حييت) أى مادمت حيا لأن أحب الأعمال إلى الله أدومها فإنك إن فعلت ذلك (تسمو) وتعلو (على الورى) ممن ليس من أهلها (ولا تتركنه) تركا كليا عمدا فإن فعلت ذلك (فتجزى) جزاء وفاقا (بحسرة) وندامة حيث لا ينفع الندم اللهم إن كنت ممن سبقت له العناية الصمدية بحكم المشيئة الأحدية فتبت من الزلل وجددت العمل ـ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ـ . وفى [م] :

ومن يتب من فعله ويندم — ثم يجدد الطريق يسلم

وفى [جه] وكذلك : أى من الشروط اللازمة فى الأحمدية مداومة الورد إلى الممات اه . وفى [مح] عن تحفة الإخوان ، ومنها : أى ومن الآداب التى تطلب من المريد ملازمة الورد الذى رتبه فإن

---

(١) من طرف كضرب اه .

مدد الشيخ فى ورده الذى رتبه فمن تخلف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصح فى الطريق اه ، وفيه عنها أيضا الخامس : أعنى من أصول التقوى الحقيقية دوام الذكر الذى لقنه له شيخه ولا يتجاوزه إلى غيره إلا بإذنه إلا الأوراد المحفوظة بطريق شيخه اه . وعن سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه : ماقطع مريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد فى ذلك اليوم ، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وحمل وتنزه وغض بصر وطهارة يد وفرج ولسان ، فإن خالف شيئا من ذلك رفضته الطريق ولو كرها اه . وعن أبى طالب المكى رضى الله عنه : مداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العارفين وهى مزيد الإيمان وعلامة الإيقان اه . وقال سيدى المختار الكنتى : لا تزهد فى الأوراد فإن على قدر الأوراد تكون الواردات ، والواردات هى الهواتف الربانية التى تأتى أرباب القلوب بالعلوم والفتوحات والأسرار والغيوب اه . وفى الحكم : لا يستحقر الورد إلا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يعتنى به مالا يخلف وجوده الورد هوطالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نداوم على العمل وإن قل ، فإننا فى كل يوم فى قرب من الأجل فاللائق بنا استغنام العمل لا تركه ، وهذا العهد يخل به كثير ممن يتعبد بنفسه من غير شيخ فيتعاطى أعمالا شاقة فتمل نفسه فيترك العمل آخر عمره جملة ، ولذا يقولون حبل العبادة ممدود ، ثم قال : وقد مدح الله رجالا بقوله - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا - فكن يا أخى مع هؤلاء ولا تكن مع من مكر به من الناكثين لعهود أشياخهم فعلك يدور معك ماء الحياة ويخضر عودك فلا تمل من عمل . وقد كان السلف الصالح إذا دخل أحدهم فى سن الأربعين سنة أقبل على عبادة ربه حتى لو قيل له غدا تموت فلا يجد زيادة على ما هو عليه من العمل رضى الله عنهم أجمعين ، ويتعين العمل بهذا العهد على الدعاة إلى الله تعالى ، لأنه متى لم يكن الشيخ أكثر عملا من المريد لايتم اقتداؤه به ، وإذا ترك الشيخ عبادة كان يفعلها اقتدى به المريد ضرورة ولذلك قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، وكان أواخر عمره صلاته بالليل جالسا ولم يترك العمل ، ولذلك أتعب صلى الله عليه وسلم من بعده فما تورمت أقدام أحد من بعده إلا نادرا ، فلا تجد يا أخى أتعب قلبا وبدنا ممن يكون قدوة أبداً انظره (ولا تهاون) من تهاون بالشىء استخف به (فيه) أى فى الورد الأحمدى (من بعد أخذه) والتقيد بعهده وذلك كأن تخرجه عن وقته من غير عذر شرعى ولاسبب مرعى ، بل كسلا واستخفافا به ، قال تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - (فكم) من أخ (مبتلى) والعياذ بالله (لذا) أى لأجل تركه أو التهاون به (بكل بلية) ورزية ومصيبة فى دينه ودنياه وأخراه مالم يتب ، ومن تاب تاب الله عليه ، والتائب حبيب الله - إن الله يحب التوابين - وفى [جه] ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كليا أو متهاونا به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك ، وهذا إخبار من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لشيخنا رضى الله عنه ، ونصه صلى الله عليه وسلم : كل من أخذ عليك ذكراً قل له فى وصيتك له ذكرنا هذا عظيم ، وإياكم والتفريط فيه ، وإياكم وتركه لأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عظيمة وهى باب الكمال وهى المدخل الأعظم ومن تركها لايجد بابا من غيرها يدخل عليه اه . وفيه : وإياكم والتفريط فى الورد ولو مرة فى الدهر اه . وفى [د] من ترك الورد بعد أخذه له يحل به الهلاك فى الدنيا والآخرة اه . وفى الجيش : وأما من تركه تركا كليا

أو متهاونا به فإنه تحل به عقوبة ورأتيه الهلاك وتصب عليه مصائب الدنيا والآخرة ولا يقدر له أحد على شيء اه . وطوى هنا :

ومن قد تخلى عن طريقة شيخنا فسجل عليه بالهلاك وشقوة

اللهم إلا أن تدركه عناية صمدية وحفته همة أحمدية حتى يتوب ويجدد والله رءوف بالعباد ولا يلزمه التجديد فى صورة التهاون لأنه لم يتركه تركا قلبيا ولا أعرض عنه إعراضا كليا، ولا يلزم من استحقاقه العقوبة انقطاع نسبه إذ الولد العاق لا ينقطع نسبه بعقوقه فربما أدبه والده أو يرحمه ويلجأ إلى الله أن ينقذه بفضله وكرمه مما وقع فيه شفقة ورحمة به - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - قال رحمه الله :

(وَآخِذُ وِرْدِ غَيْرِهِ بَعْدَ وِرْدِهِ فَمُنْسَلِخٌ حَقًّا عَنِ الأَحْمَدِيَّةِ
سِوَى مَا إِذَا قَدْ تَابَ مِنْ وِرْدِ غَيْرِهِ وَجَدَّدَ لَكِنْ بِالْعُهُودِ الوَثِيقَةِ)

(وآخذ ورد غيره) من أوراد ساداتنا المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (بعد) أخذ (ورده) رضى الله عنه وعنابه آمين (فمنسلخ) انسلاخ الحية عن جلدها (حقا) أى بلاشك (عن الأحمدية) المحمدية لنقضه العهد وصرمه الحبل الذى بينه وبين الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين - والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل - الآية (سوى ما إذا) أدركته العناية الربانية وكان ممن سبقت له السعادة وألهم الرشد (وقد تاب) توبة نصوحا من (ورد غيره) فتركه تركا كليا ونبذه وراءه ظهريا فإن الإعراض عن الشيخ والالتفات إلى غيره من أعظم الذنوب والقواطع وأكبر المصائب والعوائق والعياذ بالله (وجدد) الورد ممن له الإذن الصحيح فى التقديم والتلقين (لكن) ينبغى لمن يجدد له الورد أن لا يجدده إلا (بالعهود الوثيقة) الأكيدة لئلا يعتاد ذلك ، ولكن العبد غير معصوم ومتى وقع منه شيء فليتب وليجدد والله غفور حليم ، وفى الحديث « ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة » اه . وفى [د] لاسبيل له إلى الرجوع . سببه أن رجلا أخذ ورده وبقى يزور الأولياء فقيل له ليس عندك ورد لأن عدم الزيارة شرط فى الطريق ، فقال وما ينفعنى الآن ؟ فقيل له تجديد الإذن عن الشيخ فركب من مكناس وأتى إليه فاستأذن له بعض الأصحاب الشيخ رضى الله عنه فذكره فقيل له بعد أيام الرجل ترك أولادا أو بناتا ضعافا وقال له إن أذنت له فذاك وإلا فهذا قبره ببابك ، فرق له رضى الله عنه وقال : كان بعض الدهاقين [1] يعرف بعض المشايخ وطلب منه أن يلقنه الورد فقال له الشيخ إنك لا تقدر على ذلك ، فقال ياسيدى ببركتكم إن شاء الله نقدر عليه ، فأمره بطلاق النساء وإعطاء ما بيده من المال لله تعالى وتركه أبواب المخزن ولبسه ما خشن من الثياب ، ففعل وأتاه ، فقال له الشيخ : ليس لك عندنا شيء امض لشأنك ، فبقى الرجل متحيرا فى أمره وساح فى البرية على وجهه لأنه لم يبق له أهل ولا مال فلقى فى سياحته بعض الرجال كان يعرفه فقال له فلان هذا يستفهمه لما رأى عليه من الشعث والغبراء فأخبره أنه هو فقال له وما الذى فعل بك هذا ؟ فأخبره أن الشيخ الفلانى رضى الله عنه طلبته فى الأخذ عنه فأمرنى بما ترى ، فلما فعلت قال لى ليس لك بيدنا شيء امض لشأنك ، فهمت على وجهى كما ترى ،

(١) كقداد اه .

فقال له الرجل إياك أن تعتقد أن أحدا ينفعك غيره ارجع له على قدم الصدق وقل له ياسيدى ليس لى عن بابك محيد فقبله الشيخ وفتح عليه من حينه ، فقال له ياسيدى الخير كله مع يدك وأنت تفعل بى هذا ، فقال له قطعناك عن العلائق الدنيوية فانقطعت عنها وبقى لك أن فيك عاقة التعلق بغيرنا فلما أتيتنامتجردامن ذلك مننا عليك ، وأذن له سيدنارضى الله عنه فى الورد ، فانظر رحمك الله ما ألطفه وأرحمه لهذا الأدب الذى أدب به هذا الرجل من غير مشقة ولا طرد رضى الله عنه اه . وفى [غ] بعد ذكر هذه القضية ،وهذه كانت عادته رضى الله عنه مع من صدر منه إخلال بهذا الشرط إذا أتاه طالبا لتجديد الإذن لايجدد له حتى يأنس منه الصدق التام فى الجزم بعدم العود إلى ذلك ، ومن الناس من طلبه ذلك فلم يجبه إليه بعد أبدا ، ولا تظن أن للمشايخ فى ذلك هوى نفسانيا أو حظا شهوانيا فتخسر صفقتك فى حسن الظن بهم رضى الله عنهم اه . وفى [د] أيضا ثلاثة تقطع التلميذ عنا : أخذ وردعلى وردنا ، وزيارة الأولياء ، وترك الورد . يعنى نبذه أو أخذ ورد آخر معه ولوكان قبله لأن الانفراد به شرط فى طريقه ، وقوله الأولياء شامل للأحياء والأموات اه ، وفيها : وأما الرجل الذى أخذ ورد الشيخ عبد القادر على وردنا فلا سبيل له إلى الرجوع إلى طريقنا اه : يعنى مالم يتب ويتخل عنه وإلا فله التجديد مالم يكن من الذين لم يجبهم أبدا نعوذ باللهمن السلب بعد العطاء ومن درك الشقاء وسوء القضاء وزول البلاء بجاهه صلى الله عليه وسلم . وأخبرنى من أثق به رحمه الله ورضى عنه أن بعض من لقنهمن الإخوان أتاه يوما وقال له إن من أقرأنى القرآن أزمنى ترك ورد التجانى ولقننى ورد الكتانى ، فندمت وجئت لتجدنى ورد الشيخ التجانى ، فقال له ذاك شيطانك يا إنسان لاشيخك فى القرآن نعوذ بالله من الحرمان والخسران ، فالتفت فإذا كلب أسود بهيم ثالثهما ، فقال له انظر إلى هذا الكلب ، فلما نظر إليه قال هو جوابك فسد عنه داره سدا كليا ونبذه وراءه ظهريا فلم يبرح ، ثبتنا الله وإياه على مكانه فجعل يبكى طول نهاره حتى اجتمعت عليه النسوان والصبيان يتعجبون من بكائه ويشفقون عليه ، فلما استيقن منه صدق التوبة والرغبة وعدم العود إلى الخيبة والنكبة لقنه ورد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، اللهم يامثبت القلوب ثبتنا على دينك آمين :

فيارب ثبتنا على الأحمدية بجاه رسول الله خير الوسائل

قال رحمه الله :

(وَفِيهِ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ غَيْرِ ثَرْوَةٍ وَفِيهِ الْمُنَى وَالْعِزُّ مِنْ غَيْرِ عُصْبَةِ)

(وفيه) أى وفى الورد الأحمدى بمحض فضل الله وكرمه (غنى) بالكسر والقصر ضد الفقر (الدارين) الدنيا والآخرة (من غير ثروة) بفتح مثلثة كثرة المال ولذا تجد أهلهارضى عنهم وعنابهم آمين أغنياء بالقلب والعرض لابالمال والعرض . وفى [غ] الأمر الثانى ، يعنى من الأمرين اللذين كادا أن يكونا فى الأحمديةمن أركانها رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واتصاف سيدنا رضى اللهعنه بهذا من الواضح الذى لايحتاج إلى تقرير ، وقدسرى ذلك لأصحابه فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء اه . وفيهم قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

قوم بربهم استغنوا به ثقة فما لهم همة تسمو إلى أحد
بالقسمة الأزلية هم قنعوا واستفرغوا همما لخدمة الأحد
لذاك قد نسبوا إلى الغنى العرضى مع أنهم أفقر الخلق إلى الصمد

تلك أماراتهم إن كنت جاهلهم ... ليلتهم من ليالى القدر للأبد
فلذ بأذيالهم واسلك مسالكهم ... تسمو كما قد سموا بمنة الفرد
فهم والله لا يشقى جليسهم ... ولا محبهم سوف ترى بغد
فكن جليسهم أوكن محبهم ... وفر من مبغض تسلم من النكد
من لى يقربهم من لى بودهم ... طوبى لمن ودهم ويل لذى كمد
صحب أبى الفيض أحمد التجان[1] هم ... والله صفوة خلق الله للأمد
يارب فاجمع بهم شملى بمحض رضى[2] ... دنيا وأخرى بجاه المصطفى أحمد
عليه والآل والصحب نجوم هدى[3] ... سحب الصلاة بلاحصر ولا عدد

وفى [جص] « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفى [العزيزى] معنى الحديث : إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه أنه إذا استغنت نفسك كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة[4] والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه فى رذائل الأمور فيكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم ، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل اه . وفيه « أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس ، واجتنب ماحرم الله عليك تكن من أورع الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس » وفيه « إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال » قال العزيزى : فيه . أنه يندب للفقير إظهار التعفف وعدم الشكوى :

[تنبيه] الفقر فقران : فقر مثوبة وفقر عقوبة ، وعلامة الأول أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو ويشكر الله على فقره ، والثانى أن يسوء خلقه ويعصى ويشكو ويتسخط ، والذى يحبه الله الأول دون الثانى ، وفيه « من صبر على القوت السديد صبرا جميلا أسكنه الله من الفردوس حيث شاء » وللعارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه :

كن غنيا فى صورة الفقراء ... لا فقيرا فى صورة الأغنياء
ومرادى بالفقر ما كان فقرا ... دنيويا للأخذ والإعطاء
لامرادى بالفقر لله ربى ... ذاك فقر ما إن له من غناء
ذاك عز بدون ذل وعلم ... فاصطبر إنه لخير بلاء
وتمسك بربك الحق واقنع ... بالتجلى فى سائر الأسماء
وانفض القلب من غبار الترجى ... والتمنى لجاههم والعلاء
إنما جاههم توهم عز ... فى هوان وشهرة فى خفاء
وعلاهم محض استفال وخفض ... واحتقار عند البصير الرائى

(وفيه) أيضا كل (المنى) بضم الميم جمع منية مايتمناه الإنسان . وفى [د] سبحان الله رجل عمره ما صلى ولا صام وقتل مايقرب من مائة رجل وجاءنى تائبا يطلب الورد فأعطيته ، سبقت له السعادة على ماسلف من الشر اه . قال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - الآية (و) فيه (العز) ضد الذل (من غير) احتياج إلى (عصبة) بالضم الجماعة ذوو شدة وقوة :

(١) التجان بحذف الياء لزوم الخبن فى عروض البسيط اه . (٢) رضا بتنكير لما مر اه .
(٣) بتنكير أيضا اه . (٤) الحظوة بضم حاء وكسرها المنزلة والمكانة اه .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة | من الدروع وعن عال من الأطم
ما سامنى الدهر ضيما واستجرت به | إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده | إلا استلمت الندى من خير مستلم

وعنه صلى الله عليه وسلم « أعز أمر الله يعزك الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل فقال يامحمد عش ماشئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ماشئت فإنك مجزى به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » وقال صلى الله عليه وسلم « آية العز ـ الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ـ الخ » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية » وفى الحكم : إذا أردت أن يكون لك عز لايفنى فلا تستعزن بعز يفنى اه.
ولبعض العارفين رضى الله عنه :

اجعل بربك شأن عز | ك يستقر ويثبت
فإن اعتززت بمن يمو | ت فإن عـزك ميت

وفى [جه] أما أوراده رضى الله عنه فهى من أعظم الأوراد ، وفيها من الخير مالايخفى على أهل السداد ، وهى من أملح مارتب أهل الله فى زواياهم ، قصد الجمع على الله لمن خالطهم ووالاهم ، لتنضبط أوقاتهم وتنصلح بها حالاتهم ، أحيا بها رضى الله عنه الطريقة بعد دروس آثارها ، وشيد منار الولاية بعد خبو أنوارها ، ثم قال : ولم تزل أوراد سيدنا رضى الله عنه منذ ظهرت للعيان تظهر لها البركات الكثيرة من تيسير المطالب وبلوغ المآرب إلى الآن ، واستخرجت منها بحمد الله جل جلاله نسخ عديدة للوجود ، وانتشر صيتها فى أقصى البلدان عن إذن سيد الوجود ، فلم تزل بين العباد مشهورة وأسرارها ظاهرة مشهودة ، فهى من أعظم الذخائر وأسنى المفاخر ، ورأوا لها من الأسرار مالا يحصى من خير الدنيا والآخرة ، انظره . وللعلامة سيدى عبد الرحمن الشنجيطى رضى الله عنه وعنابه آمين :

تجانتنا بيته بالذكر معمور | وبالصلاة وبالخـيرات مغمور
موقت فيه ذكر الله ماطلعت | شمس وما غربت وذاك مشهور
أحيا طريقة أهـل الله فهى به | مؤلف جمعها والكسر مجبور
شيخ المشايخ من فى طى بردته | جيب (١) على النور والأسرار مزرور
من داره جنة الفردوس وهو بها | رضوان خازنها أذكارها الحور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها | فاشرب مفجرها فأنت مأجور
أوراده عن رسول الله قد رويت | كذاك أفعاله والسر مأثور
فانقل فديتك فى آثاره قدما | فإن نقلت فذاك النقل مذخور
واحرص بأن تنتمى يوما لجانبه | فحظ من ينتمى إليـه موفور
ولازم أوراده فى نفس أو ملأ | فذاكر الله عنـد الله مذكور اه

قال رحمه الله :

(وَدَعْ زَوْرَ كُلِّ الأَوْلِيَا بِالتَّوَسُّلِ | تَوَسَّلْ بِخَتْمِهِمْ بِكُلِّ مُهِمَّةِ

---

(١) كنلس : طوق فى فم القميص اه .

وَأَنْزِلْ بِبَابِهِ جَمِيعَ النَّوَائِبِ فَتُكْفَى هُمُومَهَا بِأَسْرَعِ لَمْحَةِ
وَدَعْ زَوْرَ كُلِّهِمْ بِدُونِ تَوَسُّلٍ بِذَلِكَ قَدْ أَجَابَ بَعْضُ الْأَحِبَّةِ
وَلَا تَتَطَفَّلْ إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَةً عَلَى الْأَوْلِيَا وَاقْنَعْ بِذَا الْخَتْمِ قُدْوَتِي)

(ودع) عنك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (زور) أى زيارة (كل الأوليا) قصره للوزن (بالتوسل) بهم إلى ربك واتخاذهم وسيلة وقربة وعمدة فيما بينك وبين ربك . وفى [غ] وإنما كلامنا هنا فى زيارة الأولياء أعنى الكبار الذين يعتقد فيهم ويتعلق بهم ، وحقيقتها قصد الولى للانتفاع به والاستمداد منه ، وهذه هى التى منع منها المريد فى بساط التربية الكاملة لتحقق المضرة له بها فيما هو بصدده ، وذلك لأنهم نصوا على أن المريد مهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه ولو لمحة فإن ذلك وبال عليه ونقصان وإن صحبته لاتصفو له ولا يستعد باطنه لسراية حال القدوة ، انظرها . وفى [الجيش] فالمنهى عنه من الزيارة زيارة التعلق كزيارة الأكابر الذين تعلمون من أنفسكم الاعتقاد فيهم والتعلق بهم اه . وفى [جه] وكذا من أخذ وردنا ودخل طريقتنا فلا يزور أحدا من الأولياء الأحياء أصلا وأما الأموات فإن زارهم يعتقد أنه واصلهم لله لا غير ، لأنهم أبواب الله وواصلهم لله ، ويطلب من الله عند مواصلته إياهم رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضا شيخه عليه اه . وفى [جع] ويدلك على فضلها على سائر الطرق أن أصحابها لا يزورون أحدا من الأولياء لاحيا ولاميتا بالنهى لهم من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم اه . وبالمنع مطلقا من زيارة الأولياء الأحياء والأموات صرح القدوة المرضية سيدى محمد بن أبى القاسم المكناسى رضى الله عنه وعنابه آمين وقال : إن سيدنا الشيخ رضى الله عنه وعنابه آمين رجع عما كان أذن فيه من زيارة الأموات ونهى عنها مطلقا اه . وفى [د] قال لى صلى الله عليه وسلم : إذا مر أصحابك بأصحابى فليزوروهم وأما غيرهم فلا اه . وفى [غنية الأصحاب] .

إن سقت ياأخى إلى قبورهم	فادع لهم كالمسلمين غيرهم
لاتطلب المدد من فيوضهم	لاتتوسل أبدا بجاههم
بل صلهم لله لالغرض	من جلب خير أو كدفع مرض
فرض وارحمهم عند ذكرهم	ولا تقل نفعنا الله بهم
وبعلومهم وبالأسرار	وبركاتهم وبالأنوار
أليس يكفيك ممد الكل	حتى تريد نفعهم بالسؤل
لاتستغث بواحد منهم متى	دارت بك الكروب خلص يافتى
لشيخنا وجهتك التجانى	ممد كل ولى ربانى

[لطيفة] من أخذ هذا الورد الأحمدى وأسلافه من المصطفين الأخيار وممن يتوسل به من الأولياء الكبار كأهل وزان وأبناء ابن ناصر رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لابد أن يشترط عليه ترك زيارة أسلافه وآبائه بالاستمداد منهم والتوسل بهم فى المهمات والملمات ، وأما زيارة السنة فلا يمنع ، قال تعالى - وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا - ووصينا الإنسان بوالديه حسنا - وأما من ليس آباؤه كذلك كعامة الناس فلا يضره إن قال لأحد أبويه ادع الله لى أن يرزقنى رضاه ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضا شيخى ورضاكما ، أو أطلب منكما رضاكما فإن رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضا سيدنا الشيخ

فى رضاهما ولا يضره ذلك، وما نقل عن البعض من أن ذلك مبطل للورد فغير صحيح ولا يلتفت إليه والله أعلم ، وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانمنع قط أحدا من تلامذتنا من زيارة أحد من أقراننا ومشايخ عصرنا إلا إن علمنا من طريق الكشف الذى لايدخله محو أن فتحهم لايكون إلا على يدنا فحينئذ نمنعهم من زيارة غيرنا من الأشياخ تقريبا للطريق عليهم لاحبا للرياسة عليهم ، فإن لم نعلم أن فتحهم على يدنا فايس لنا منعهم ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: مازكت الأكابر أنفسها إلا لتقرب على أتباعهم الطريق لاغير ، كما قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع» ليعلم أمته أن أحدا لايشفع قبله فيأتونه أولا ولا يذهبون إلى نبى بعد نبى كغيرهم من الأمم أو ممن لم يبلغهم هذا من أمته اه. وكان سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول لأصحابه :أنا لاآمركم بالتقيد على صحبتى وإنما أقول لكم إن وجدتم منهلا أعذب من منهلنا فدونكم إياه ، فكانوا ينظرون فلا يجدون أعذب من منهله.

[قلت] ولعل هذا الأمر من الشيخ فى حق أكابر أصحابه الذين يفرقون بين المقامات، أما ضعفاء الحال فنقيدهم علينا حتى لايجدوا أحدا غيرنا لأنهم كالبهائم السارحة ، انظره . وفى [مح] فقد حصل لشيخنا هذا العلم القطعى فى حق جميع أهل طريقته ضعفاء الحال الذين هم العوام منهم والأكابر الذين يفرقون بين المقامات من جهة جده صلى الله عليه وسلم . قال فى [جواهر المعانى] وأفضل أتباعه رضى الله تعالى عنه فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يموت حتى يكون وليا قطعا انظره (توسل) من توسل إلى الله تقرب إليه بعمل (بختمهم) أى بختم جميع الأولياء وقطب جميع الأقطاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، وهو أحق بقول الجيلانى رضى الله عنه فى تائيته :

توسل بنا فى كل هول وشدة	أغيثك فى الأشياء دهرا بهمتى
أنا لمريدى حافظ مايخافه	وأحرسه من كل شر وفتنة
مريدى إذا ما كان شرقا ومغربا	أغثه إذا ماسار فى أى بلدة

وفى [مح] وأما كيفية التوسل به [(١)] رضى الله تعالى عنه وبجده صلى الله عليه وسلم فهى أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مائة وأهد ثوابها الرسول الله صلى الله عليه وسلم بنية قضاء الحاجة التى تريدها، ثم تقول: يارب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قضاء الحاجة التى أريدها مائة مرة ، ثم تقول : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجانى وجاهه عندك أن تعطينى كذا وكذا، وتسمى حاجتك بعينها عشرا ، ثم تصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مرة ، ثم تقول : اللهم أعطنى كذا وكذا ، وتسمى حاجتك بعينها ، ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح ثلاثا اه (بكل مهمة) دينية أو دنيوية أو أخروية (وأنزل) بنية صادقة (ببابه) الكريم العميم الفضل (جميع النوائب) أى حوادث الدهر (فتكفى همومها) وغمومها وكروبها بمحض فضل الله تعالى وفضل رسوله صلى الله عليه وسلم وفضل سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (بأسرع لمحة) وإن أبطأ بك الأمر فلم نفسك الأمارة بالسوء وتب إلى الله تر العجب فى نيل الأرب، ولسان حاله رضى الله عنه وعنابه آمين يقول :

---

(١) كيفية التوسل بسيدنا رضى الله عنه .

فاحطط ببابى ماقد شئت من ثقل ... فكل أمر عسير قد يهون بنا
إياك إياك والإعراض عن بابنا ... فالصيد كله فى جوف الفرى لذبنا
تسلم وتغنم وتحظى بجميع المنى ... من خير دنياك والأخرى على يدنا
لاتيأسن إذا طال بك السفر ... بل جدّ فى السير كى تجنى ثمار المنى

وهو رضى الله عنه وعنابه آمين أحق بقول الشيخ الجيلانى رضى الله عنه :

أنا من رجال لايخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى مايرهب

ولبعض الأماثل رحمه الله من قصيدة مربعضها :

وثمجان غوث للأنام وكلهم ... له يلجئون فى المهمات والضير
ألا فبهذا الشيخ صحبى تمسكوا ... وروضوانفوساحتى لاتعى فى السير (١)
وسيروا على آثاره وتحفظوا ... وآدابه فاستعملوا ياذوى الحجر
فلا ملجأ إلا إليه ياإخوتى ... بذا الزمن الصعب الخلى من الخير
فلو طفت أقطار البلاد وجاهها ... لما تلتقى أصلا شبيها بذا الحبر
يمينا بربى مارأيت كحسنه ... ولا رمقت عيناى مثاله فى الدهر
مناى من الدهر أعيش بذكره ... وأرتاح نشوانا إلى راهب الدير اهـ

وفى رائية الشريشى رضى الله عنه :

وفر إليه فى المهمات كلها ... فإنك تلقى النصر فى ذلك القر

وفى [عف] وليعتقد المريد أن الشيخ بابٌ فتحه الله إلى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج وإليه يرجع وينزل بالشيخ حوائجه الدينية والدنيوية ، ويعتقد أن الشيخ ينزل بباب الله الكريم ماينزل به المريد، ويرجع فى ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه، وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ، ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كمايستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا - فإرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك ، والكلام من وراء حجاب بالإلهام والهواتف والمنام للشيوخ اهـ . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن المريد هل الأولى له أن ينزل جميع مهماته على شيخه أم يتحمل أموره عن شيخه ؟ فقال رضى الله عنه : الأولى أن يتحمل عن شيخه كلما قدر عليه ولا يحمل شيخه إلا ماعجز هو عنه لئلا تألف نفسه الراحة فى الدنيا فيتلف بالكلية أو شيخه ليس بمقيم له، وفى الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن سأله مرافقته فى الجنة أعنى على نفسك بكثرة السجود » فقلت له فإذا ليس له أن يتوجه بشيخه إلا فى المساعدة له فقط؟فقال: نعم - إياك نعبد وإياك نستعين - قال : وقد رأى أخوك أفضل الدين فى المنام أنه مات وأنا حامل نصفه وهو حامل نصفه الآخر، فقلت له التقصير منك الذى لم تحمل نصفك الآخر فإن من احتاج إلى غيره فهو ناقص إلا إن كان عاجزا العجز الشرعى اهـ . اللهم إنك تعلم أنى أعجز العجزة، وأضعف الضعفة، وأظلم الظلمة ، فارحمنى برحمتك التى وسعت كل شىء، وأغرقنى فى دائرة فضلك وإفضالك واغمسنى فى بحر رضاك وكرمك وامتنانك وإحسانك ، بجاه نبيك العظيم صلى الله عليه وسلم ، وبجاه

(١) وفى نسخة * وروضوا نفوسكم بجد على السير *

القطب المكتوم سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (ودع) عنك (زور كلهم) أى زيارة جميع الأولياء الأحياء والأموات (بدون توسل) بهم إلى الله تعالى فى كل شىء ، بل ولو بأن تسلم عليهم وتدعو لهم رغبة فى السلامة ورهبة من الملامة :

إن السلامة من سلمى وجارتها   أن لاتحل على حال بواديها

وعن أبى عبد الله الكنسوسى رضى الله عنه وعنابه آمين أن بعض الأصحاب سأل سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين : إذا جاز على مولانا إدريس رضى الله عنه أيسلم عليه أم لا ؟ فأجابه رضى الله عنه بأن لايسلم عليه، وقال رضى الله عنه: الناس كلهم فى واد وأنا مع أصحابى فى واد، الناس كلهم فى جهة ، وأنا مع أصحابى فى جهة اه. وفى رفع العتاب لذى السر المكنون سيدى محمد كنون أن الولى الربانى سيدى أحمد بنانى رضى الله عنهما وعنابهما آمين أخبره أنه بعد أن تقيد بعهد الشيخ أبى العباس التجانى ذهب عشية جمعة من الجمعات إلى زاوية بعض المشايخ مساعدة لبعض الطلبة ، فرأى الشيخ مناما فعاتبه على ذلك عتابا شديدا ومرت عليه فى ذلك المنام مشقة شديدة اه . ونظير ذلك ماطوى هنا وهو :

ودع زور كلهم بدون توسل   فإنى قد وهبت ألف الفريدة
لمولاى إدريس المعظم قدره   زمان انتظارى أن أصلى جمعة
ومالك حتى لا تزوره قيل لى   بعالم أرواح فعبرت رؤيتى
بأن مزيد لا لحسن عبارة   فحينئذ تركت فيه فريضتى
ولم أنس شرط الشيخ وقت انتظارها   ولم ألتفت عنه بألمح لمحة
ولم أدر أمن سيئات المقربين   أم اخطأت بالتفضل افهم قضيتى
فمن حين ذاك ماقصدت أماكن الـ   شيوخ ولا دخلت إلا لكلفة
فتبت إلى الرحمن من قصد صالح   على أى حال قد رضيت بقدوتى
رضيت بأحمد التجانى قدوتى   إليه أفر فى رخاء وشدة

(بذلك) أى بعدم زيارتهم أجمعين سدا للذريعة وتأدبا معهم ومع ممدهم رضى الله عن الجميع الرضا الأبدى آمين (قد أجاب بعض الأحبة) رضى الله عنه من سأله عن ذلك . وفى [غ] ومافى جواهر المعانى من أن المريد له أن يزور الأولياء الأموات بشرط أن يقصد بذلك مواصلتهم لله ويطلب عندهم رضا الله ورضا رسوله ورضا شيخه عنه لاغير صحيح لأن المنع محطه قصد الانتفاع بالمزوز، وهو فى هذه الصورة منتف بلاشك لأن القصد هو المواصلة لله تعالى ، لكن هذا إنما يصح ممن تحقق بمنزل الإخلاص وبلغ فى تصفية النفس وتزكيتها إلى أن صار بحيث لايلتبس عليه شىء من دسائسها وخداعها ، وأما من كان مرتهنا فى أسر شهواته محبوسا فى سجن هواه وغفلاته فإنه لا يعرف المواصلة لله وإن ادعت نفسه ذلك فهو من مكرها وخداعها لا غير . وقد كان سيدنا رضى الله عنه يقول : العامة لاتعرف العمل لله اه . فالخير كله مجموع لنا معشر الضعفاء وأهل الحجاب فى اتهام أنفسنا وعدم الاغترار بشىء مما تدعو إليه وتشرئب إلى فعله والحرص عليه ، ولهذا آل الأمر من سيدنا رضى الله عنه فى آخر عمره إلى سد هذا الباب وحسم هذه المادة من أصلها ، وعلى ذلك استمر العمل بعده من جمهور أصحابه المعتبرين على أن الخطب فى هذا سهل عند من أنصف فإن فضل المواصلة لله لالعلة زائدة يحصل بالاعتقاد والتعظيم القلبى ؛ بل ربما كان ذلك أفضل لسلامته مما يتوقع فى القصد إلى الأولياء

بأعمال الحركة الظاهرة من التصنع والرياء والعجب ونحو ذلك ، فالاقتصار على التعظيم القلبي فى حق المريد أولى له من ارتكاب ما يتوقع بارتكابه الإخلال بهذا الأصل الذى قال فيه الشيوخ إنه أصل الأصول حسبما تقدم وخصوصا فى طريقتنا هذه فإن سيدنا رضى الله عنه جعل مدار التربية فيها عليه اهـ . أى فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فهذا صراط مستقيم فلذ بها ... وإياك أن تزيغ يوما بزورة
ولاتك ممن ضل عن سبل الهدى ... فصار بزورهم وباء بخيبة
فهذى نصيحة لسائر إخوتى ... ولكنما الأهواء عمت فأعمت
فيارب فاحفظنا من النفس والهوى ... ومن سبل الشيطان فى كل لمحة

ولذا قال رحمه الله (ولا تتطفل) والتطفل إتيان الولائم بلادعوة ولا إذن (إن أردت سلامة) فى دينك ودنياك وأخراك (على) ساداتنا (الأوليا) قصره للوزن بالدخول والهجوم عليهم بلاأدب ولا تأدب معهم ولامع ممدهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين :

إن السلامة تقدم على ... نيل الغنيمة لدى من عقلا

(واقنع) حامدا لله وشاكرا له أن جعلك أهلا للتقيد (بذا) أى بعهد هذا (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم (قدوتى) وعدتى وعمدتى فى الدارين ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

يارب فاشهد إننى قنعت ... بأحمد التجانى ماحييت
وانني بورده رضيت ... وسيلة إليك مابقيت
وإننى من حزبه ماعشت ... بمحض فضلك ويوم مت
تالله لولا الله ما اهتديت ... ولا تصدقت ولا صليت
فالحمد والشكر لما أوتيت ... بمحض فضله وما أوليت
ثم على محمد صليت ... وآله وصحبه مادمت

قال رحمه الله :

(وَأَمَّا زِيَارَةُ الْقُبُورِ وَإِخْوَةٍ ... فَلَا تَتْرُكَنْهَا بِدُونِ مَشَقَّةِ
عَنِ الْمُصْطَفَى زُورُوا الْقُبُورَ تَزَاوَرُوا ... وَلَا تَتَجَاوَرُوا لِخَوْفِ الضَّغِينَةِ)

(وأما زيارة القبور) أى قبور المسلمين فيدخل فى ذلك قبور الأولياء لكن السلامة مقدمة على الغنيمة كما مر (و) زيارة (إخوة)فى الله والطريقة والنسب (فلا تتركنها) بحال من الأحوال ولا بوقت من الأوقات لكن (بدون مشقة) وتكلف . وفى نسخة * فالنهى عنها واقع من وسيلتى * وفى (عم) أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا من الرجال فى زيارة قبور إخوانهم ، وذلك لنجازى على ذلك فلا ينسانا أهلونا من الزيارة إذا متنا ولا نترك ذلك إلا من عذر شرعى ، انظره ، وقد روى (عن المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (زوروا) بضمير الجمع وفى نسخة زر بضمير المفرد المذكر مبنى على الكسر تخلصا من التقاء الساكنين وهى أولى لموافقتها

لفظ الحديث ، وفى [جص] « زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين فى ظل الله يوم القيامة يتعرض لكل خير » وفيه « من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له » وفيه « من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة غفر الله له وكتب باراً » وفيه « اطلع فى القبور واعتبر بالنشور » وفى [حى] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب ، وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال » وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول : هذه هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ؛ قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية ، انظره . ونقل أن رجلا كان يشهد الجنائز فإذا أمسى وقف على المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم ، لايزيد على هذا شيئا قال : فأمسيت ليله ولم أدع فبينا أنا نائم إذا خلق كثير جاءونى فقلت من أنتم ؟ قالوا أهل المقابر ، قلت ماحاجتكم ؟ قالوا إنك كنت عودتنا هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وماهى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعو ، قلت فإنى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك ، اه . ولعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

انظر لنفسك يامسكين فى مهل	مادام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها	لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يامغرور موعظة	وفيهم لك يامغتر معتبر

وفيه : وقال عمر بن عبدالعزيز لبعض جلسائه : يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه إنك لورأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لا ستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب . قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه ، ثم قال : قال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال : ياميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً فى أبدانهم ، ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله ، انظره . وقيل : إن داود الطائى مر على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها	إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى	وأنت بيمناك قد وسدوكا
وماذا لقيت ببطن الثرى	إذا رجعوا عنك وقد أسلموكا

ثم قالت يا ابناه ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود ، فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه ، وفى الحديث « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا (تزاوروا) أى ليزر بعضكم بعضا ، وفى الحديث « حقت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى » ، وفى [جه] وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الدنيا فإنها عين الهلاك وترك المقاطعة مع

جميع الخلق وآكد ذلك بينكم وبين الإخوان، وزوروا فى الله وواصلوا فى الله وأطعموا فى الله ما استطعتم فى غير تعسير ولا كد انتهى . وقد ورد عن السلف رضى الله عنهم أنهم كانوا إذا التقوا لا ينصرفون إلا عن ذواق : أى حسى ومعنوى عكس ما عليه أبناء الوقت من أنهم إذا التقوا لا ينصرفون إلا عن غيبة ونميمة وكثرة القيل والقال والخوض فيما لا يعنى ، ولقد صدق صلى الله عليه وسلم فى قوله «خص البلاء بمن عرف الناس» وفى [د] كيف بالرجل كيف يكون شيخه معه فى البلد ويبقى ثلاثة أيام ولم يزره وذا قاله لبعض الناس تعجبا من دعوته التلمذية مع التقصير الكبير اه . وفى [م]

لا بأس أن يزور بعض الفقرا ... بعضا وذاك حسن إذا جرى

وفى [خل] وينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختارا للأوقات من الاجتماع بالناس ، وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم إنهم يختارون الأوقات الفاضلة فيأتون فيها إلى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الأوقات فيصير هو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الأوقات الشريفة ، ولا شك أن الشيطان ألقى إليهم ذلك فتجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم ، ألا ترى إلى ما كان عليه حالهم فى شهر رمضان إذ أنه إذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى إذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض ، بخلاف ما الحال عليه اليوم فإنه إذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم إلى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فإنا لله وإنا إليه راجعون على عكس الأمور وارتكاب مالا ينبغى ورؤية النفس أنها على الخير والدين ، فيرون أن اجتماعهم فى هذه الأيام الشريفة قربة إلى الله تعالى يتقربون بها إليه اه . وعليه فينبغى للأخ الصادق أن لا يشغل أخاه عن أوراده لا سيما الأوقات الفاضلة كبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، وصلاة العصر إلى المغرب ، وكيوم الجمعة . وقد مر عن أبى وائل أنهم زاروا ابن مسعود بعد صلاة الغداة لكنهم لم يشغلوه عن ورده حتى طلعت الشمس . وحكى عن بعضهم أنه جاء لزيارة شيخه قال : فدخلت عليه فوجدته يصلى فأوجز فى صلاته وقال لى : ما حاجتك فإنى مشغول ؟ فقلت له وما شغلك ؟ قال أبادر خروج روحى - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون - وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا فقال له أين تريد ؟ فقال أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال لحاجة لك عنده ؟ قال لا ، قال لقرابة بينك وبينه ؟ قال لا ، قال فبنعمة له عندك ؟ قال لا ، قال فبم ؟ قال أحبه فى الله ، قال فإن الله أرسلنى إليك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » اه . وفى [جص] « زر فى الله ، من زار فى الله شيعه سبعون ألف ملك » وفيه « الزائر أخاه فى بيته الآكل من طعامه أرفع درجة من المطعم له » وفيه : إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم حتى يستأذنه لأنه أمير عليه لحديث « إذا دخل أحدكم على أخيه فهو أمير عليه حتى يخرج من عنده » ومنه « الزائر فى قبضة المزور أو المزار » قال تعالى - وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الآية ، وفيه « زرغبا تزدد حبا » ونظمه من قال :

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا   وإن شئت أن تزداد حبا فزرغبا

وللحريرى رضى الله عنه :

لا تزر من تحب فى كل شهر   غير يوم ولا تزد عليه
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم   ثم لا تنظر العيون إليه

ولابن الوردى رحمه الله :

غب وزرغبا تزد حبا فمن   أكثر الترداد أضناه الملل

ولابن دريد رحمه الله :

عليك بإغباب الزيارة إنها   إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإنى رأيت الغيث يسئم دائما   ويسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

وقد قيل : قلة الزيارة أمان من الملامة والسآمة ، ولأبى العتاهية رحمه الله :

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل   إتيانه فتلج[1] فى هجرانه
إن الصديق يلج فى غشيانه   لصديقه فيلج فى عصيانه
حتى تراه بعد طول سروره   وكأنه متبرم بمكانه
وإذا تولى عن صيانة نفسه   رجل تنقص واستخف بشأنه

وقيل . ترك الزيارة سبب القطيعة ، وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنابه آمين : الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسده الصنيعة ، وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة . ولبعضهم رحمه الله :

وإنى لزوار لمن لا يزورنى   إذا لم يكن فى وده بمريب
تقرب لى دار الحبيب وإن نأت   وما دار من أبغضته بقريب
فلا تطلبن القرب والبعد بعدها   إلى غير نيات وغير قلوب

ولآخر رحمه الله :

زر من هويت وإن شطت بك الدار   وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته   إن المحب لمن يهواه زوار

ولبعضهم رحمه الله فى المحافظة على العهد والصداقة بظهر الغيب :

يا من فدت نفسه نفسى وقد جعلت   له وقاء لمن يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزار به   إنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وإن طرفى موصول برؤيته   وإن تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره   وكيف يذكره من ليس ينساه

ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فيما كتب به لبعض الخاصة متعنا الله وإياه بالرضا الأبدى آمين :

فوالله ما نسيتكم من زيارة   بقلب سليم من تصنع أبدان
فهذا تحدث بنعمة ربنا   فمن شاء فليؤمن من الانس والجان

---

(١) تلج بفتح فوقية ولام من لجج كفرح : لازم الشىء وواظب عليه اه .

وكتب بعضهم رحمه الله لمن استزاره وكان يبالغ فى بره وإحسانه ويفرط فى ذلك :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتك زائرا ... فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فآليت لا آتيك إلا مسلما ... أزورك فى الشهرين يوما أو الشهر
فإن زدتنى برا تزايدت جفوة ... ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

فأجابه صاحبه رحم الله الجميع بقوله :

ألا رب ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتانى يرجينى فما حال دونه ... ودون القرى والعرف من نيله سترى
وجدت له فضلا على بقصده ... إلى وبرا زاد فيه على برى
فزودته مالا يقل بقاؤه ... وزودنى مدحا يدوم مع الدهر

وبعث له مع الجواب ألف دينار ووصيفة أيضا - وقل رب زدنى علما - وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل أزور إخوانى فى هذا الزمان أو أترك الزيارة خوفا أن أشغلهم بزيارتى عن أمر هو أهم ؟ فقال : حرر النية الصالحة ثم زرولو مرتين فى النهار وليس اللوم إلا على من يزور لغرض نفسانى ، ثم قال : احذر أن تشغل من تزوره عن الله أو عن حرفته التى أمر الله بها ، فإن غالب الناس لا يراعى مثل ذلك فيكون ذلك اليوم غير مبارك على الزائر والمزور والله أعلم اه . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نزور إخواننا الصادقين وغير الصادقين ولا نترك زيارتهم لعدم شىء نركبه ونحن قادرون على المشى فإن المحب لمن يهواه زوار ، وقال مجنون ليلى :

ولو قطعوا رجلى مشيت على العصا ... وإن قطعوا الأخرى حبوت وجئت

وهذا الأمر قد أغفله أصحاب الناموس من الفقراء فتركوا زيارة إخوانهم من المسلمين ويتعلاون بأنه ليس لنا عادة بالخروج ولا زيارة الناس كما سمعته من جماعة منهم ، وهذا ليس بعذر فى ترك الزيارة ، وبعضهم قال لى : ما أترك الزيارة إلا خوفا من تلامذتى أن يفهموا أنه لولا أن فلانا فوقى ما كنت أنا أزوره وهو لا يزورنى فيعدموا النفع من صحبتى ، وهو أيضا عذر بارد فإن السنة لا تترك بمثل ذلك وكل هذا من قلة الاشتغال بعلم الشريعة والله غفور رحيم اه . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نتكبر على إخواننا فنطلب منهم أن يزورونا ولا نزورهم أو نترك إجابتهم إلى حضور عقد نكاح أو حضور وليمة تكبرا بل نخفض جناحنا لجميع إخواننا المؤمنين ، واعلم يا أخى أن ترك الزيارة والحضور فى الولائم قد يكون حياء أو لعدم الإخلاص فى الحضور ، فلا ينبغى طرد هذا الميزان فى كل الناس والقرائن تشهد لأهل كل مقام ، أنظره . قال تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نزور أحدا بعيا لنا إلا إن كنا نرجع فى الحال وذلك لأن فى زيارتنا بالعيال والأولاد مشقة على أخينا ولو أخفاها لاسيما إن كان بيته ضيقا لا منازل فيه أو الزيارة فى الشتاء والفرش والغطاء قليل ، وقد قالوا خفف تدوم وقد مضت أيام الزيارات والجمعيات وطبخ الملوخية والوز وما بقى إلا الغم ، ومن غفل عن حال زمانه وفعل شيئا من ذلك أعقبه التكدير وضيق الصدر ، ومن شك فليجرب ، والله غفور رحيم ، وهذا فى زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى الله عنه :

فإن تسألونى عن زمانى فإننى ... خبير بحال أهله أى خبرة
فما كان يدعى للولائم وقتنا ... سوى ذى وجاهة وأصحاب ثروة
ليستصحبوا معهم هدايا سنية ... ويطرد مسكين بعنف وشدة
فلم أر إلا من يمن بدعوة ... ويبخل قطعا عن فقير بكسرة
فكم صحف تملى لديها بغيبة ... وكم ساعة ضاعت لديها بحسرة
وكن يا أخى أدرى بوقتك لاتكن ... بدينك آكلا لدنيا دنية
رأيت اتساع الخرق فى كل دعوة ... وكل وليمة وفى كل نزهة
ولو أنصف الزمان قال بحرمة ... ولكنما الأهواء عمت فأعمت
فبالله عذت من حضور الولائم ... ومن كل نزهة ومن كل دعوة
ومن شك فليخبر ولائم وقته ... يرى صدق ما أقول من غير ريبة
فهذا صراطى فاتبعه وذرأخا ... يريد حضور نزهة ووليمة
يقول أجب من قد دعاك لدعوة ... ومن لم يجب عصى رسول الخليقة
ولم يدر أن السم دس بدعوة ... وكل وليمة وفى كل نزهة
وقل تلك نعمة على تمنها ؟ ... وكم نلت من أذى ومن لبطنة
ولا ترضين بالذل والمن والأذى ... لإملاء بطنة وإخماد فطنة
فيارب فارحمنا بمحض العناية ... بجاه رسول الله خير البرية
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآله والأصحاب فى كل لمحة
وجاه أبى الفيض التجانى أحمد ... وأصحابه طرا من انس وجنة
عليه من الرحمن أزكى تحية ... وشفع جميعا فى العبيد بمنة

ونحن أحق بقول الشنفرى فى لاميته :

أديم مطال الجوع حتى أميته ... وأصرف عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستف ترب الأرض كى لايرى له ... على من الطول (١) امرؤ متطول
وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت ... خيوطة مارى تغار وتفتل
وأغدو على القوت الزهيد كما غدى ... أزل تهاداه التنائف أطحل

وفى [لب الأزهار على كتاب الأنوار] ويشترط فى حضور الولائم أن يكون القصد منها التآلف والاجتماع على الخير دون المباهاة والسمعة وأن لا يكون هناك منكر ولا من يتأذى به ، واغتفر اللهو المباح إلا أن يكون من أهل الفضل كالقاضى والفقهاء فينبغى لهم التنزه عن ذلك . وحكى فى الشرح فى مناقب مالك رضى الله عنه ، قال مطرف بن عبد الله : سمعت مالك بن أنس يقول : يقبح بأهل العلم وأهل الفضل أن يحفوا أرجلهم إلى طعام الناس ، وكان عامة أهل العلم ببلدنا يكرهون ذلك فقلت له ولا الدعوات ولا الجنائز ؟ فقال ولا الدعوات ولا شىء من هذا لأنهم ينبغى لهم أن يعرفوا أنهم لا يجيبون لأن هذا نقص عليهم ، فقلت أليس قال النبى صلى الله عليه وسلم « إئتوا الدعوة » وكان يجيب الدعوة ، فقال ياسبحان الله: إنما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة المهاجرين والأنصار

(١) الطول كفلس : الفضل والغنى والسعة اه .

فكانوا يفتخرون به ويتبركون به ، وهكذا بعد النبى صلى الله عليه وسلم الصالحون يعمل هذا من
غير رياء ولا سمعة فأما اليوم فإنما هو رياء وسمعة فتركه أفضل من إتيانه اهـ . وهذا فى زمنه رضى الله
عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى الحديث « بئس الطعام
طعام العرس يطعمه الأغنياء ويمنعه المساكين » وفى آخر « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الشبعان
ويحبس عنه الجائع » اهـ وأشر من ذلك الدعوات والتنزهات فإنما هى للسمعة والمباهاة . وفى [ثيق]
أخذ علينا العهود أن لا نجيب أحداً إلى المشى فى زفة ختان أو عرس لاسيما إن كنا متشبهين بالعلماء
والصالحين إلا لمصلحة ترجح على الترك لأن فى ذلك من المفاسد مالا يخفى على عارف : وقد صارت
هذه الأمور مناظرات ومفاخرات حتى بين الأكابر وصار الناس يتخاصمون فى أن زفة فلان أكبر
من زفة فلان ، ويقبح على من شابت لحيته من العلماء والصالحين وصار قدوة للناس أن يحضر مع الأطفال
والفساق فى مواضع لهوهم ولعبهم وغفلتهم عن ربهم من غير رجوع إلى قوله لو أمرهم بخير ، وربما كان
فى الزفة آلة لهو يرى ذلك العالم تحريمها أو مخنثين يضحكون الناس ويسخرون ونحو ذلك مما ينافى
شهامة العلماء والصالحين وتذهب حرمتهم وهيبتهم من القلوب ، ثم قال : ولا تتعلل بأنك ماحضرت
إلا لضرورة فإن الناقد بصير وبتقدير أنك قصدت جبر خاطر صاحب الزفة لقلة عقله فتأمل فيما
يترتب على ذلك من زوال هيبتك من القلوب وعدم سماع مواعظك للناس تجدها ترجح على جبر خاطر
ذلك الصغير العقل ، لاسيما إن كان فى تلك الزفة أمراء السناجق وأكابر الناس من القضاة والتجار
فإن عدم حضورنا لا يؤثر ولا يخل بنظام تلك الزفة ، وهذا الأمر قد حدث فى هذا الزمان فى العلماء
والفقراء لكثرة دخلة الزفة عليهم وحيائهم منه الحياء الطبيعى ، وقد أدركنا نحوا من مائة عالم وصالح
توفوا إلى رحمة الله عز وجل فما رأينا أحدا منهم قط فى زفة فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدى من يشاء
إلى صراط مستقيم ، وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نأكل من طعام النذور ولا طعام العزاء وتمام الشهر
والجمع حتى شرب الماء ممن يسقى الناس حال الدفن ونحوه ، وكذلك لا نأكل من طعام الختان والعرس
والعزومات الكبيرة فى المحافل وغير ذلك مما فيه كلفة فى العادة إلا لمصلحة شرعية ترجح على الترك ،
أما طعام النذر فقد ذمه الشارع صلى الله عليه وسلم وقال « إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخره وإنما يستخرج
به من البخيل » واعلم يا أخى أنه لولا عظمة المنذور عنده ما ألزم نفسه به خوفا أن ترجع فيه وذلك من
صفات البخيل ، وطعام البخيل داء ، وأما طعام العزاء وما ذكر بعده فلأن طعام العزاء والجمع وتمام
الشهر يتوسع فيه فى الغالب خوفا من كلام الناس والغالب أن فى الورثة من هو قاصر وذلك غير جائز
للولى ، اللهم إلا أن يكون الورثة رشداء وأذنوا فى ذلك فلا حرج إذا سلم من حب السمعة ، وأما أطعمة
العزومات والختان والعرس فلأن نية أصحابها فى الغالب غير صالحة إنما هى تجوينات وأهوية للنفوس ،
ومن شك فى قولى هذا فليأمرهم إذا طبخوا أن يفرقوا ذلك الطعام على الأرامل والعميان والأيتام
والعجائز والمساكين ويتركوا أبناء الدنيا والمغانى فإن أجابوه فالنية صالحة ، لأن أكل المحاويج أرجح
فى ميزان حسناتهم يوم القيامة وإن لم يجيبوه فذلك رياء وسمعة ، واعلم أنه لا ينبغى إطعام أبناء الدنيا
إلا ما فضل عن المحاويج ، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتفاخرين فى الطعام
هذا كله إذا كان الكسب حلال من أصله فكيف بمال اكتسب من غش وغصب ومكر وخداع ،
أنظره . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نفتح على أنفسنا باب المشى إلى الولائم والموالد فى هذا الزمان ،

أنظره . هذا فى زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - .

وفى [خل] فصل : فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : أنتم فى زمان من ترك عشر ما أمر به هلك ، وسيأتى زمان من فعل عشر ما أمر به نجا » رواه الترمذى ، كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول : قد يخفى معنى هذا الحديث على بعض من يسمعه من أجل ظاهره وذلك أنا قد استوينا نحن وإياهم فى إقامة الفرائض وغيرها من الأقسام الخمسة المشروعة فمن ترك منا ومنهم شيئا من الواجبات فالحكم فيه معلوم ، ومن ارتكب منا ومنهم شيئا من المحرمات فالحكم فيه معلوم ، فما هذا الذى إن فعلنا عشره نجونا وإن تركوا عشره هلكوا ، والجواب عنه ؟ إن الفرائض بالنسبة إلى المندوبات تكون العشر أو نحوه فإذا اقتصرنا على الفرائض نجونا بإذن الله تعالى وذلك راجع إلى ما يعترى المكلف فى العبادات فى هذا الزمان ؛ لأنه إذا حضر وليمة وفيها من الثواب ما فيها يشهد من البدع والمحرمات أو هما معا شيئا كثيرا ، وكذلك عيادة المريض وحضور الجنائز وزيارة الإخوان وحضور مجالس العلم والبحث فيها ولقاء المشايخ والاهتداء بهديهم إلى غير ذلك ، فيجد المكلف فى مباشرتها أشياء عديدة تمنعه من فعل شىء منها فإذاً قد اضطر المكلف اليوم إلى الاقتصار على الفرائض وتوابعها دون غيرها ، وتبقى العبادة التى بينه وبين ربه عز وجل ليس إلا وذلك هو العشر أو نحوه ، بخلاف من تقدم من السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فإن من عرض له منهم شى من السنن المذكورة وغيرها لا يمنعه من فعل ذلك مانع لوجودها على ماينبغى من الاتباع وترك الابتداع فلا يتركها أحد منهم إلا رغبة عنها ومن ترك المندوب اختياراً فالغالب عليه أنه لا يوفى بالفرائض » انظره فقد أطنب فى القضية رضى الله عنه، وقد صح « أن النوافل جوابر للفرائض » فمن ترك المندوب خيف عليه أن يقع فى الخلل فى فرائضه ولا يوجد له مندوب يجبرها به والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وانظر إلى قول سيدنا عبد الله ابن عمر بعد أن سمع الحديث من أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهم وعنابهم آمين : وقد فرطنا فى قراريط كثيرة ورمى بما فى يده من الحصباء تأسفا وتحزنا على مافاته - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون -.

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نزور الإخوان والصالحين ونكرم كل وارد علينا حتى واردات علينا الحق تعالى فنكرمها بتلقيها بالتعظيم والإجلال والرضا بها عن الله عز وجل ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حتى يدخله حضرات الولاية ويمر به إلى حضرات الأخلاق الحسنة ، ثم قال : وهناك يخوض فى الرحمة إن زار أحدا ذاهبا وراجعا فإن غالب الزيارات الناس اليوم لبعضهم بعضا لا إخلاص فيها وإنما هى أهوية نفوس ، فترى الفقير أو العالم يزور أخاه وهوملتفت إلى ذكر ما اطلع عليه من نقائص أخيه وتستحى نفسه ذلك حتى يذكره للناس فلا هو نصحه فى ذلك النقص الذى رآه فيه بينه وبينه ولا هو ستره بين الناس ، وكثيرا ما يخرج أحدهم من عند ذلك الفقير أو العالم يقول زرت فلانا البارحة مثلا فوجدت عنده دعوى عظيمة للصلاح والعلم ولو علمت أنه فى تلك الحالة مازرته ، ويظهر الندم على زيارته احتقاراً له بين الناس ، فمثل هذا الزائر خاض فى نارجهنم ذاهبا وراجعا ،مع أن هذا القائل ربما زار الظلمة والمكاسين وأكلة الحرام وأكل طعامهم فى رمضان وخرج ينشر فضائلهم ولا تكاد تسمع منه لفظة واحدة فى حقهم تنقصهم وربما أجاب عنهم وزجر من ينقصهم ورد عليه فكان العلماء

والصالحون أحق بذلك ، واعلم أن للفقراء والصالحين مكرا خفيا بالزائرين لهم لغير الله فربما طردوهم بتعاطيهم كلمة مباحة حتى لا يكادون يرجعون إليهم ، ثم قال : فحرر يا أخى النية الصالحة لكل من طلبت زيارته ثم زر ولو لم تجد نية صالحة إلى سنة أو أكثر فلا حرج عليك فى ترك الزيارة ، وقد كان السلف الصالح يحبون إرسال السلام لبعضهم بعضا يرون ذلك أحسن من اللقاء خوفا أن كل واحد يرائى الآخر بذكر أحسن ماعنده من الكلام والأخلاق ويزكى نفسه فيستحقان المقت والطرد كما وقع لإبليس لعنه الله . وبالجملة فلا يتشوش من قلة زيارة إخوانه له إلا كل قليل العقل ، وقال ثم إذا دخلت يا أخى لزيارة أخيك فإياك وذكر حال أركان الدولة وماهم فيه أو تذكر أحدا من المسلمين بسوء ونحو ذلك فيصير اجتماعكما معصية ، وهذا الأمر يقع فيه أكثر الزوار اليوم فيجمع كل واحد منهما جملة كلام وقع فى تلك الجمعة فيحكيه لصاحبه ليس فيه كلمة واحدة نصحا ولاخيرا ومثل هؤلاء لاينبغى فتح الباب لهم، ثم قال : وقد كانت زيارة الإخوان فى الزمن الماضى كلها فائدة وتلقيحا لبعضهم بعضا كتلقيح النخل وكان أحدهم لايقول لأحدهم كيف حالك إلا ليعرفه أخوه بما هو محتاج إليه على الأثر قول بفعل ، فصار اليوم يلقى الشخص أخاه فيقول له كيف حالكم فيقول طيب والحال أنه فى غاية التشويش من ضيق معيشة أومن أذى أحد له لعلمه بأن قلب من قال له كيف حالكم فارغ منه إما شامت وإما يسخر به ، ولذلك يلقى بعض الناس صاحبه فيقول أى شىء حالكم فلا هو يخبره بحاله ولا الآخر يقف له حتى يعرف حاله ، وكل ذلك نفاق مكتوب اسم صاحبه فى جريدة المنافقين فى داوين السماء بنص الشريعة بنص الشريعة المطهرة ، وكانوا يقولون فى الزمن الماضى : إذا قل رأس مالك زر إخوانك ، وصار الحال اليوم إذا زار صاحب رأس مال من الدين أخاه نقص رأس ماله أو زال ، ثم قال ، وسمعت سيدى علياً الخواص رحمه الله يقول : لاينبغى لفقير أن يزور أحدا من إخوانه إلا بشىء من القوت ولو رغيفا فإن لم يجد شيئا فليدع له بظهر الغيب فإنها هدية فى صحيفته يوم القيامة وهى أنفع من رغيف يغنى بيقين ، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لاتدخلوا لزيارة عالم أو صالح إلا وميزان إنكاركم مكسرة خوفا عليكم من المقت فإنه أعلم منكم بيقين. والجاهلون لأهل العلم أعداء، لعدم وصولهم إلى مراتبهم وكم ممن دخل على عالم أو صالح بدين فخرج بلادين فحرروا نيتكم قبل الدخول فإن لم يصح لكم إخلاص فارجعوا ، وكان أخى الشيخ الصالح الشيخ محمد الصندفاوى يقول : ربما أمكث السنة أو أكثر ، وأنا مشتاق إلى زيارة بعض الإخوان فلا أجد نية صالحة أزوره بها فعاتبنى مرة على طول غيبتى فقلت له حتى وجدت لى نية صالحة جئتك بها ، فقال جزاك الله تعالى خيرا ، ثم قال : وسمعت سيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله يقول : ماخرج أحد لزيارة عالم أو صالح ليستفيد علما أو أدبا إلا ورجع بما كان فوق أمله من ذلك ، وما خرج أحد لإنكار أو انتقاد إلا ورجع محملا بالأوزار لأن العلماء بالله تعالى جارون على الإخلاق الإلهية فى نحو حديث « أنا عند ظن عبدى بى » ثم قال : وقد بلغنا عن السلف أنهم كانوا إذا خرجوا إلى زيارة عالم أو صالح تصدقوا بصدقة وطلبوا بذلك أن الله يعميهم عن مساوى ذلك المزور فكانوا لايخرجون من عنده إلا بفائدة ، ولو لم يكن هو من أهلها أجراها الله تعالى على لسانه لموضع صدق الزائر ، ثم قال : وسمعت أخى أبا الفضل يقول : قل أن يزور مريد مريدا إلاويذكر كل منهما للآخر محاسن نفسه ويزكى كل منهما نفسه فيهلكان جميعا لأن إبليس لمثل ذلك بالمرصاد وغاية الزيارة أنها سنة ، وإذا جاء نافى طريق تلك السنة معصية لانقدر

على السلامة منها تركنا تلك السنة : ولا شك أن تزكية الإنسان لنفسه حرام إلا لغرض صحيح، ثم قال: ومعلوم أن المريد غارق فى حكم الطبيعة لايقدر على تزكية نفسه إلا ليمدح بذلك عند الناس فافهم ، وما أمرنا الشارع بزيارة بعضنا بعضا إلا خالصا مخلصا لوجه الله لانريد من الخلق جزاء ولا شكورا ، ثم قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : بلغنا عن الإمام أحمد أن السلف كانوا إذا اجتمع أحدهم بأخيه لايفترقان إلا على قراءة سورة - والعصر إن الإنسان لفى خسر - إلى آخرها، فينبغى المواظبة على ذلك ، وكان إذا زاره أحد لايدعه يذهب حتى يقدم له طعاما فإن لم يجد أسقاه الماء ، وكان يقول احيوا هذه السنة فإن بها تأتلف القلوب ويقوى شعار الدين وتتعاضد القلوب ببعضها بعضا انظره (ولا تتجاوروا) لأن التجاور يورث التنافس والتنافس يورث الضغائن كما هو مشاهد بالعيان (الخوف الضغينة) الحقد والحسد بسبب التجاور ، ولذا قال أبو حنيفة رضى الله عنه لمن قال له إنى أحبك وما يمنعك من محبتى ولست جارى ولا ابن عمى اه. وفى الحديث صلوا قراباتكم ولا تجاوروهم فإن الجوار يورث بينكم الضغائن ولهذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وأكبر القواطع المعاصره ... أسرعها قطعا هو المجاوره
فى الحديث أزهدُ الأنامِ ... فى العلما: الجار وذو الأرحام

قال رحمه الله :

(وَمَنْ زَارَ غَيْرَ الْخَتْمِ لَا إِذْنَ عِنْدَهُ ... وَلَوْ دَامَ يَعْلُو وِرْدُهُ كَالْوَظِيفَةِ
فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ وَلَا بِمَزُورِهِ ... لِإِعْرَاضِهِ يُجْزَى بِكُلِّ رَزِيَّةٍ)

(ومن زار) من الإخوان الأحمديين شيخا من المشايخ حيا كان أو ميتا بقصد التوسل به والاستمداد والانتفاع به فى الامداد والاستناد عليه فى المهمات والاعتماد عليه فى الملمات والتوجه به إلى رب الأرباب فى قضاء الآراب الحسية والمعنوية الدينية والدنيوية (غير) شيخنا أبى الفيض (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنا به آمين فقد خرج عن ربقة الأحمدية و (لا إذن عنده) فيها بل انسلخ عنها إنسلاخ الجلد عن النعاج ، وانفصل عنها انفصال البيضة عن الدجاج، وأردى نفسه فى بحر القطيعة العظيمة الأمواج ، ولا ينقذه إلا التوبة النصوح الصارمة الأوداج ، والتجديد للورد مع نبذ كل طريق ومنهاج ، وقال بلسان الحال والقال :

أبا القلب إلا أم عمرو فأصبحت ... تحرق نارى بالشكاة ونارها
وعيرنى الواشون أنى أحبها ... فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ومما خوطب به سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين فى الحضرة المصطفوية صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا أحمد إنما أمرنا أصحابك أيضا بعدم الزيارة للغير اختبارا وامتحانا لتعلم الصادق من الكاذب ، فالصادق كل ما تأمره به يرتكبه فى الحين من غير معذرة ومن غير تردد مع طيب النفس دون غيره ، ومنه وإنما نهيناهم عن زيارة الغير لا من الأحياء ولا من الأموات لعدم وفور وجهتهم لحضرة شيخهم ، فلو قصدوا زيارة ولى غير شيخهم وتحولت وجهتهم عن حضرة شيخهم انفصلت الرابطة التى بينهم وبين شيخهم وانقطع عنهم مدد حضرة شيخهم للأمر الذى ذكرناه سابقا فلاهم بحضرة شيخهم ولاهم بزيارة غيره «وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» وإنما نهيناهم عن ذلك رحمة بهم ورأفة لهم

وعناية بك وبأصحابك ، وهذا الأمر أعنى أمر الزيارة أغفله الشيوخ فلذلك لم يحصل نفع على أيديهم لسائر أصحابهم ، وأنت يا أحمد كل من أطاعك فى أمرك ونهيك فهو منك وأنت منه وله منى الرضا والقبول ، ومن خالفك وأعرض عن أمرك فأنت برىء منه وأنا كذلك ، ومن أطاعك ودخل تحت حكمك فهو منا وإلينا وله منا الرضا والقبول ، والأمر المذكور سابقا هو أن كل تلميذ له عهد صحيح وأخذ العهد على شيخه ورام زيارة غيره من الشيوخ نادته حضرة ذلك الشيخ وقالت له لا نصيب لك فى هذه الحضرة لأن حضرة شيخك كافية لك من جميع النواحى فمالك عنها محيد ، فلو كانت وجهتك خالصة تامة لا التفات لها للغير وأرادت أن تقضى حوائج الخلق فى لحظة واحدة لفعلت ، وحين كانت وجهتك معرضة عن حضرة شيخك لم تنتفع بها ولا بغيرها لأن حضرة شيخك مؤتلفة بروحك وسرك وحضرة الغير لا نسبة بينك وبينها فلا أنت بحضرة شيخك الذى عاهدت الله عليها بالوفاء ولا أنت بحضرة الغير لأنك لا نسبة بينك وبينها فخسرت الدنيا والآخرة اه (بخ) وتقديم وتأخير . وفى [د] أمرنى صلى الله عليه وسلم أن أرفع الإذن عن رجلين زارا مولانا عبد السلام بن مشيش سببه أن ترك زيارة الأولياء شرط فى طريقته رضى الله عنه وحين عدم الشرط عدم المشروط اه. وفيها: اترك عنك أهل وزان لا يأتيك منهم إلا الضرر سببه أن بعض أصحابه تقدمت له معرفة معهم وأخذ طريقهم وحين أراد أن يأخذ طريق سيدنا شرط عليه الانفراد به وبطريقه . فقبل ذلك ورضيه . ألزم نفسه ما ألزمه وأن لا يزيد معهم على السلام شيئا فبقى مدة على تلك الحالة ثم توسع فى الكلام يوما مع بعضهم فمر بهما بعض أصحابه فقال له هلم إلى الصلاة فى الزاوية فمشيا معا فوجدا الشيخ رضى الله عنه قام للصلاة فلما فرغ قبل أن يذكر شيئا قال له اترك الخ ويكررها حتى قال أنا تائب لله ، فقال رضى الله عنه إن الشيخ مصطفى البكرى رضى الله عنه قال يوما لسيدى محمود الكردى رضى الله عنه يا محمود لم أر عليك أثر الفتح لعلك تذكر وردا مع ورد ؟ قال له نعم ، قال سيدى مصطفى لسيدى محمد الحفنى لم تعطيه وردنا مع ورد آخر؟ قال ياسيدى رأيته لم يتركه قلت أبقع خير من أسود، فقال سيدى مصطفى يامحمود بيت الليلة وأخبرنى بما ترى ، فبيت فرءايت النبى صلى الله عليه وسلم وسيدى مصطفى عن يمينه والشيخ القصيرى عن يساره الذى كان آخذا ورده فقال له صلى الله عليه وسلم : يامحمود اترك عنك طريق القصيرى وخذ طريق البكرى فتحك على يديه ، فلما أصبح أتاه ليخبره فقال سيدى مصطفى لله يامحمود تحشمنا مع شيخك وفعل ما أمره به اه (ولو دام) مدة عمره (يتلو ورده) الأحمدى (كالوظيفة) المعلومة والهيللة يوم الجمعة لا نسلاله من الأحمدية انسلال الشعرة من الزبدة ، وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين أنه صلى الله عليه وسلم أمره أن ينهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات وكل من زار منهم ينسلخ عن طريقته اه (فلم ينتفع) من زار غيره (به) أى بسيدنا الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنا به آمين (ولا بمزوره) بفتح الميم من زار الثلاثى ويقال مزار بضم الميم من أزار الرباعى وفى [م] :

وكل من أخذ عن شيخ وزار سواه لم ينفع به ولا المزار

وفى [غ] ومن كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه : ما سامح شيخ مريده فى الاجتماع بغيره إلا حصل له تردد فى أى الشيخين أعلى من الآخر حتى يتلمذ له ، وإذا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين فلم ينتفع بأحد منهما ، لأن شرط الاقتداء جزم التلميذ بأنه لا يخرج من دائرة شيخه

حتى يحصل له الكمال اه (لإعراضه) وصدوده بقلبه وقالبه عن سيدنا الختم والتفاته إلى غيره نعوذ بالله من الحرمان والخسران (يجزى) جزاء وفاقا (بكل رزية) ومصيبة فإن الإعراض عن المشايخ ، رضى الله عنهم ذنب لايغفر ، ولبعضهم رضى الله عنه :

كل شيء منك مغفو ... ر سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك مافا ... ت فهب[1] ما فات منا

وقد مر : فإن أعرضت بالإعراض عنا ... فهذى هى الجحيم لمن عصانا

وفى [د] قال لى صلى الله عليه وسلم مسألة أغفلها الشيوخ وهى : أن المريد أى كل من أخذ عن شيخ وزار غيره من الأولياء لاينتفع بالأول ولا بالثانى . وفيها : ذنوب الشيوخ لاتغفر سببه أن بعض الناس كان يدعى أنه أخذ ورده رضى الله عنه وكان يتعرض لإذايته فلما رأى ذلك أخبر بهلاكه فقيل له تاب من ذلك فذكره اه . وفى غنية الأصحاب :

إذ التفاتة من المريد ... لغير شيخه من الصدود
يظفر بالنقصان والوبال ... وعدم المدد والوصال
ومن كلام الحاتمى الأكبر ... ذى الحال والذوق السليم الأشهر
لا يسمح الشيخ المريد فى اجتماع ... بغيره بذاك يحرم انتفاع
بشيخه وغيره دع التفات ... لغير شيخك تحوز النفحات
ولتعتقد إن لم يكون فوق الثرى ... نظيره بل هو أفضل الورى

إلى أن قال :

معتقدى أنه أفضل الورى ... بعد النبى والصحب دع عنى المرا

وللشريشى رضى الله عنه :

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه ... مرب ولا أولى بهامنه فى العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره ... يقول لمحبوب السراية لا تسرى

وفى [هب] أى ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول فى صحبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية وأنه لا أحق منه بها فى زمنه وإنما وجب عليه ذلك لأن الشيخ الذى يرى من مريده الالتفات إلى شيخ غيره يقطع عنه المادة ، والمريد الذى يدخل فى صحبة شيخ وهو يرى أن فى الوجود شيخا مثل شيخه أو أكمل منه يبقى متشوفا إلى ذلك الأكمل فى اعتقاده فيراه شيخه متشوفا إليه فيقطع عنه المادة فلايكون منتفعا بالأول ولا بالثانى . قال الشيخ رضى الله عنه : وقد رأينا مثل هذا فى زمننا والله يكون لنا وليا ونصيرا اه . قال رحمه الله :

(فَمَنْعُ زِيَارَةِ التَّوَسُّلِ مُطْلَقًا ... هُوَ الرُّوحُ وَأُسٌّ بِكُلِّ طَرِيقَةِ
فَكَمْ مُعْرِضٍ بِمَنْعِ هَذِى الزِّيَارَةِ ... لِكَثْرَةِ جَهْلِهِ بِمَعْنَى الطَّرِيقَةِ
وَمَنْ كَانَ نَابِذًا لِشَرْطِ الْمَشَايِخِ ... يَبُوءُ بِخُسْرَانٍ وَطَرْدٍ وَخَيْبَةِ)

(فمنع زيارة التوسل) والاستمداد والانتفاع بالأنوار والأمداد بكمل الأولياء والزهاد (مطلقا) أى

(١) من الهبة الموف أى خف اه .

الأحياء والأموات (هو الروح) مابه حياة الشيء (وأس) بتنكير ليسلم الجزء من الكف وبتثليث الهمزة أصل كل شيء (بكل طريقة) من طرق المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم لكن من بعدهم من الأصحاب ومن ينتمي إليهم من الأحباب أهملوا هذا الشرط الذى عليه المدار عند أولى الأبصار فأهملوا وأقعدوا عن منازل الأبرار . وفى [جع] وهذا يعنى عدم زيارة التلميذ لغير شيخه من الأولياء الذى كانت عليه طرق المشايخ فيما تقدم إلى أن انقطعت التربية بالاصطلاح فتنوسيت عند عامة من ينتسب إلى الطريق فضلا عن غيرهم ، فلما أمر قدوتنا أتباعه ببعضها وهو عدم الزيارة للأولياء وقع الإنكار عليهم فى جميع الأقطار لجهل الناس بما كانت عليه طرق الأوائل ، انظره . ولذا قال رحمه الله (فكم من أخ وحبيب (معرض) عن هذه الطريقة الأحمدية (بمنع هذى الزيارة) وهى زيارة التوسل والاستمداد (لكثرة) وغلبة (جهله) وقلة فهمه وعدم علمه (بمبنى الطريقة) الأحمدية وغيرها من طرق المشايخ من شرط الاستقلال بها ونبذ ماسواها من الطرق (ومن كان نابذا) من نبذ بمعجمة كضرب (لشرط) ساداتنا (المشايخ) نبذا كليا ورماه وراءه ظهريا فزار غير شيخه زيارة استمداد فإنه (يبوء) من باء بذنب احتمله (بخسران) من خسر كفرح وضرب ضل وهلك (وطرد) وإبعاد (وخيبة) وحرمان وخذلان ومقت وغضب من الله ومن شيخه إذا أعرض عن بابه الذى فتح عليه والتفت إلى غيره ممن ضره أقرب من نفعه بتسويلات نفسه وشيطانه وهواه - أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين. ومما أوصى به القطب الربانى مولاى الطيب الوزانى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه جماعة من فقرائه لما وفدوا عليه لزيارته وفيهم من هو من أبناء الأولياء الكبار : إنكم جئتم لزيارة أشياخكم ساداتنا وقد أحسنوا إليكم وكسوكم فلا تدنسوا ثيابكم وأعينوهم بأن ترفعوها عن الأوساخ والأزبال ولا يكن لأحد منكم الالتفات إلى غير هذه الدار ولا يقل أحدكم عندى أبى أو عمى وماؤكم بينكم فإن توافقتم شربتم وانتفعتم، وإن تنازعتم غار ماؤكم وظمئتم قال تعالى - ولا تنازعوا فتفشلوا - الآية، وإن كنتم وحدكم فلاجناح عليكم أن تبشروا وتنفروا فإن الشيخ على رءوسكم كالغطاء يستركم، وإذا جلس معكم من ليس منكم فاحفظوا ألسنتكم واعلموا ماتقولون اه . وفى [عم] وأراد سيدى محمد الشناوى زيارة شيخ من مشايخ عصره فشاور شيخه الشيخ محمد بن أبى الحمائل رحمه الله فنظر إليه شزرا أى غضبا وقال : يامحمد لاينبغى لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إن علم أنه يكفيه عن جميع الناس فلو كنت لا أكفيك فكيف تقيدت علىّ فى الظاهر وباطنك بخلافه ؟ فقال ياسيدى التوبة فتاب. قال : فما زرت بعد ذلك المجلس أحدا من المشايخ حتى مات شيخى اه . وفى [مح] عن الخلاصة المرضية: واعلم أن الاحتياج إلى شيخ واحد من وجوه لاتكاد تنضبط أو تدخل تحت الحصر ، وذكر منها أن الطرق إلى الله تعالى كثيرة وقد تعلق كل شيخ بطريقة لايتعداها ولا يخلطها بغيرها ليثبت الطالب على طريقة ويمكنه أن يواظب عليها ولا يتشوش همه تارة يميل إلى هذه وتارة إلى تلك فيكون من قبيل المذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، والمبتدى غير مستقل بالاختيار وعلى فرض الاختيار ليس فى وسعه الثبات عليه فإن الولاية فى باطنه للنفس والشيطان . فإذا شرع فى طريقة وتعلق بها زين له الشيطان طريقة أخرى وتساعده النفس وتبين له بالبرهان أنها أفضل من هذه ومقصوده أن يزيله عن الأولى فإذا زال واشتغل بأخرى زين له أخرى إلى أن يمل الطالب وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى ،

وإذا كان فى حصن الشيخ وحسن ولايته فالشيخ يحفظ أحواله بقوة ولايته المستفادة من قوة الحضرة النبوية ويثبته عليها بهمته الصافية وكلامه المؤثر النافذ فيرى بنور ولاية الشيخ أن الداخل عليه شيطان فيضعف الخاطر إذ الشيطان لايقوم فى مقابلة نور ولاية الشيخ ، ثم قال : ويتعين ربط القلب بالشيخ من طريق الإرادة والمحبة فتعلم أنك فى حمايته وولايته وظل رعايته فى جميع الأوقات فتمسك بهذه الطريقة بأمره وإرشاده والله تعالى يحفظ أوقاتك وأحوالك بواسطته ويكون باطنك متوجها إليه ، فالأصل اتصال الباطن وقوة الرابطة حتى لوقام أرواح الأولياء بإعانتك وتربيتك وأرادوا أن يتصرفوا فيك لايمكنهم لئلا تصير من قبيل المذبذبين بين ذلك، ثم قال : فاحترام الشيخ توفيق وهداية وإهمال ذلك خذلان وعقوق ، فدوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم واجب ، ويكون اعتقاده أن هذا المظهر هو الذى عينه الحق سبحانه للإفاضة عليه ، ولايحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ ، انظره . وللشريشى رضى الله عنه :

ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره ولا تملأن عينا من النظر الشزر

وفى [هب] لما تكلم على هذا البيت وثمرة هذا الأدب الجمع على الشيخ والاستغراق فيه والانحياش إليه والغيبة فى سره ليثمر له ذلك مع الشيخ امتثاله مع الحق سبحانه لأن كل أدب يستعمله المريد مع الشيخ فإنه يثمر له مثله مع الله عز وجل . واعلم أن هذا الأدب لايتأتى من المريد مالم يكن له من الشيخ جاذب باطنى فإن محبة الشيخ للمريد إذا اتصلت أشعتها بالمريد تحوشه إلى الشيخ وتحوطه من كل قاطع فإذا دامت دام الاتصال وإن انقطعت وقع الانفصال انظره ،وفيه : وأما أصحاب الشيخ فمنذ عرفوه بردت قلوبهم من معرفة غيره وزيارته وبعضهم يحس بالمنع من ذلك . حكى بعضهم أنه جاء لزيارة الشيخ ووافقه بعض الناس فى الطريق وطلبوا منه أن يذهب معهم لزيارة ضريح الولى الصالح سيدى قاسم أبى عسرية المشهور . فاستحييت وذهبت معهم والقلب بارد من زيارته فلما وصلت إلى مشهده أصابنى وجع فى بطنى فبت ليلتى فى ذلك المشهد والمشهد يتزايد حتى شغلنى عن الزيارة ، ولما خرجت حين أصبح النهار من ذلك المشهد زال الوجع وصار كأنه لاشىء . قال : ووقع لى مرة أخرى فعلمت أن ذلك من الشيخ رضى الله عنه ، ثم قال : وكم من مرة يذهب الشيخ رضى الله عنه إلى زيارة بعض الصالحين ، فيخرج معه جماعة من أصحابه وفقهم الله فيقولون له : أنت مقصودنا وأنت الذى نزوره وذهابنا لسيدى فلان مساعفة لك ومؤانسة لذاتك فأنت مقصودنا سواء ذهبت لسيدى فلان تزوره أو إلى غيره، فإذا وصل الشيخ رضى الله عنه إلى ضريح الولى الذى قصده يذهب وحده أو يستصحب واحدا من أصحابه ليرافقه وبقية أصحابه قانعون بالشيخ رضى الله عنه مكتفون به معتقدون أنه لايبلغه أحد من أهل زمانه رضى الله عنه ولا من الأموات قبله وإنما يقدمون عليه ساداتنا الصحابة لاغير فهم لايعرفون غير الشيخ رضى الله عنه حضر الشيخ أو غاب فى حياته وبعد مماته ، ولما مات الشيخ رضى الله عنه كنت أتكلف الذهاب إلى زيارته فى قبره كثيرا فوقف على فى المنام وقال لى إن ذاتى ليست محجوبة فى القبر بل هى فى العالم كله عامرة له ومالئة وفى أى موضع تطلبنى تجدنى حتى إنك لوقفت إلى سارية فى المسجد وتوسلت بى إلى الله عز وجل فإنى أكون معك حينئذ، ثم أشار إلى العالم كله فقال وإنه فيه بأجمعه فحيثما طلبتنى وجدتنى ،وإياك أن تظن أنى أناريك عز وجل فإن ربك عز وجل

غير محصور فى العالم وأنا محصور فيه، انظره. وفيه : فإن المريد لايجىء منه شىء حتى لايكون بقلبه غير الشيخ والله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم اه . وفى غنية الأصحاب :

من كان صادقا من الإخوان ينشد[1] يبقى مدى الزمان
مالى فى الكون سوى الرحمن والمصطفى وأحمد التجانى

وفيه أيضا : ووقع لبعض أصحابه رضى الله عنه ماهو أقوى من هذا، وذلك أنه أحس بأنه يمنع من زيارة الصالحين قبل أن يعرف الشيخ بمدة تقرب من سبع سنين فحصل له قنط وظن أن ذلك شقاوة وقساوة حتى جاء إلى بعض من يظن فيه الخير وقال له : ياسيدى إن زيارة الصالحين تثقل على ؟ فقال له أنت هو الذى تثقل عليهم ، فزاده قنطا على قنطه ، ثم قصد رجلا آخر يظن فيه الخير ، فشكى إليه ذلك ، فقال له : إن الولى قد يكون فى حضرة الحق سبحانه فلا تكون روحه بأفنية القبور ، وقد لايكون فى الحضرة فتكون بأفنية القبور ، فلعلك إذا جئت إلى ضريحه تجده فى الحضرة فلا تكون روحه فى قبره حتى يحصل لك أنس به وتحصل لك وحشة ويثقل عليك الحال ، فخف عليه الأمر بهذا الكلام إلا أنه قال : إن كنت كلما جئت وليا أزوره لا أجد روحه بفناء قبره فهذا عرق من الشقاوة فى إلى الآن لم يزل ، فلما جمعه الله تبارك وتعالى مع الشيخ رضى الله عنه لم يكن عنده أهم من أن يسأله عن هذا الأمر فقال : ياسيدى إن زيارة الصالحين تثقل على كثيرا. وقد شكوت إلى سيدى فلان فقال لى كيت وكيت ، وإلى سيدى فلان فقال لى كيت وكيت. فما تقولون أنتم رضى الله عنكم؟ فقال له الشيخ رضى الله عنه، وقد نظر إلى مشموم من الورد معلق فى حانوت فقال : إن صاحب هذا المشموم إذ أعطاه لكل أحد يقنبه ويمسه بيده فإنه يفسده ويحصل فيه ذبول[1] ويبس ، فالصواب فى حقه والأليق به أن يمنعه من كل أحد . قال: فعلمت أنى ممنوع من زيارة غير الشيخ رضى الله عنه قبل أن أعرفه بسنين اه .

قلت : وكثيرا مابرى سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أصحابه ممن صدرت منه زيارة ولى ولو فى الظاهر بل ولو بأدنى تعلق ، من ذلك أن بعض العميان ممن تمسك بورده سعى فى أخذ مثل ما يأخذه العميان فى صدقات أبى العباس السبتى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه، فى ذلك الوقت ضرب بعض الظلمة من جيرانه أمه بلبنة فكسر رأسها ، فذهب قريبه يشكو إلى الوالى فأخذه الوالى وسجنه لأن ذلك الظالم من بطانته ، فما سرحوه من السجن إلا بعد التبرئة فذهب دم أمه هدرا . ومنها أن آخر جاء يطلب من بعض الإخوان أن يتوسط له فى أخذ نصيبه من الذبائح التى تذبح عند قبر ذلك الولى المذكور فلامه على ذلك وقال له إن جل مايذبح عند قبور الأولياء جيفة، فرأى فى تلك الليلة تصديقا لمقالة ذلك الأخ أناسا اجتمعوا على طحال منتن جدا كأنهم قطط[2] ينهشون منه ، فقال سبحان الله كيف يأكل هؤلاء من هذا الطحال المنتن ؟ فمثل الله له ذلك الأخ فقال له : أتحب أن تأكل معهم ؟ فقال له معاذ الله الله يحفظنى ، فاستيقظ فتاب إلى الله من ذلك ، فلما أصبح جاء إلى ذلك الأخ فقال له تبت إلى الله مما طلبت منك، فقال له لماذا ؟ فقص عليه الرؤيا . وفى الحديث « إذا أحب الله عبدا عاتبه فى منامه » وتتبع القضايا والجزئيات يحتاج لمجلدات، والله يهدى من يشاء إلى

---

(١) من الإنشاد اه . (٢) ذبول كقعود ذهاب نداوته اه .
(٣) قطط جمع قطة بكسر قاف فردا وجمعا : السنور اه .

صراط مستقيم . وفى [مح] وقال فى الخلاصة المرضية : ويجب على الشيخ أن لايترك أصحابه يزورون شيخا آخر ولا يجالسون أصحابه فإن المضرة سريعة للمريدين ، لأن لكل شيخ طريقة تخصه لايتعداها ولايخالطها بغيرها فيسمع المريد أصحاب ذلك الشيخ الآخر يذكرون عن شيخهم خلاف ما أمر به شيخه فيختلف عليه الأمر فيوقفه فوجب على الشيخ سد هذا الباب على المريدين ، ويتخيل الناس والمريدون غير الصادقين أن الشيخ إنما يمنع أصحابه عن زيارة الشيوخ ومجالسة أصحابهم من أجل الرياء والحسد وهذا كله باطل وافتراء على الشيوخ .

قلت : ومن هنا تعلم أنه لا ينكر على شيخ منع أصحابه وأهل طريقته من زيارة الأولياء فقط ويشدد على ذلك الإنكار ويبالغ فيه ، إلا من كان من الأغبياء الجهلة الذين يعتقدون أن زيارة الأولياء كلهم واجبة إجماعا أو فى مذهب من المذاهب ، ولم يعلموا أن غاية ماقيل فيها الجواز والاستحباب إن سلمت من محرم أو مكروه بين فى أصل الشرع ، كاجتماع الرجال والنساء ، وتلك الأمور التى تحدث هناك ، ولم يعلموا أن تضليلهم من منع أصحابه من زيارة الأولياء لأسرار يعلمها تجرهم إلى الكفر، لأنهم نسبوا أولياء الله تعالى والعارفين وإمام أئمة دار التنزيل مالك بن أنس إلى الضلال ، وكفاهم بذلك من الله خسرانا. إذ قد روى عن مالك أنه قال : لايتوسل بمخلوق أصلا : وقيل : إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظره . وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل أقرأ أو أصوم وأجعل ثواب ذلك لآدم عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك وصلة بينى وبينه فى المعرفة فى الآخرة لسبب أعلمته به ؟ فقال لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبى أو غيره ، فقلت له كيف ؟ فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب فى الدعوى إلى الله لا إلى نفسه ، فإذا وقع الإيمان الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله، ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما فى حال المناجاة فى السجود سواء ، فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الحديث ، وانظر يا أخى إلى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم - وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - فأعلمنا تعالى بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذى جعله الله تعالى واسطة لنا فى كل خير مع أنه تعالى بالغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال فى نحو قوله تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وبقوله - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله - ومع ذلك قال له - ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون - فأخرجه عن عن حال الحق ونفاه عنهم وأثبته معه فى البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له فى كماله أو رتبته صلى الله عليه وسلم، فافهم والله أعلم اه . قال تعالى - قد علم كل أناس مشربهم - وفوق كل ذى علم عليم - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. قال رحمه الله :

(فَلَازِمْ وِدَادَ الخَتْمِ دُنْيَا وَبَرْزَخًا وَكُلَّ مُقَدَّمٍ وَكُلَّ خَلِيفَةِ
وَحَافِظْ وِدَادَهُ بِصَحْبٍ وَعِتْرَةٍ وَإِلَّا طُرِدْتَ أَوْ سُلِبْتَ لِشِقْوَةِ)

(فلازم وداد) بكسر الواو الحب (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (دنيا) وأخرى (وبرزخا) كجعفر من وقت الموت إلى يوم البعث ومن مات دخله . وفى [مح] والخامس : يعنى من الشروط اللازمة فى الطريقة : دوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات اه . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : إن المحب لا ينتفع بمحبة الكبير له ولو كان الكبير نبيا حتى يكون الصغير هو الذى يحب الكبير فحينئذ ينتفع بمحبته، إلا الله تعالى فإنه تعالى إذا أحب عبدا نفعته محبته ولو كان العبد فى غاية الإعراض ، وقال رضى الله عنه : إن الصغير إذا أحب الكبير جذب ما فى الكبير ولا عكس ، وكانت بين يديه إجاصة فقال إن هذه إذا أمدها الله تعالى بمحبة تفاحة حامضة مثلا وتمكنت فيها المحبة غاية فإنها تسف ما فيها حتى إذا شققناها وجدنا حموضة التفاحة فيها ولا نجد فى التفاحة شيئا من طعم الإجاصة ، إلا الله تعالى فإنه إذا أحبه العبد لا يجذب شيئا من أسراره مالم يحبه الله، وسر الفرق هو أن الله تعالى لا يحب عبدا حتى يعرفه به ، وبالمعرفة يطلع على أسراره تعالى فيقع له الجذب إلى الله تعالى بخلاف محبة العبد من غير معرفة له بربه عز وجل فإنها لا تقضى شيئا فقلت . فإنهم يقولون إن الشيخ يكون مع مريده فى ذات المريد ويسكن معه فيها ؟ فقال رضى الله عنه : ذلك صحيح وهو من المريد لأنه إذا قويت محبته جذب الشيخ حتى يكون على الحالة المذكورة فتصير ذات المريد مسكنا للشيخ وكل واحد يزين مسكنه يشير إلى ذات الشيخ فى ذات المريد إذا سكنها . وسمعته رضى الله عنه يقول : إن المريد إذا أحب الشيخ المحبة الكاملة سكن الشيخ معه فى ذاته ويكون بمنزلة الحبلى التى تحمل بولدها فإن حملها تارة يتم صلاحه فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه وتارة يسقط ولا يجىء منه شىء وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق . والإفاقة تختلف فقد يفيق بعد شهر وقد يفيق لأكثر من ذلك ، فهكذا حالة المريد إذا حمل بشيخه فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر فى ذاته إلى أن يفتح الله عليه وتارة تكون محبته منقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض مانع نسأل الله السلامة منه، فتتبدل نيته فى الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليه وتارة تقف محبته فى سيرها ثم تعود إلى سيرها المدة قريبة أو متوسطة أو طويلة فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته ، فإذا رجعت المحبة رجعت الأسرار فليختبر المريد نفسه من أى قسم هو من هذه الأقسام الثلاثة وليسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق والهداية إنه سميع قريب .

قلت : وهذه الأقسام موجودة فى المريدين فليتحفظ المريد على هذا الكلام فإنه نفيس فى بابه (و) لازم وداد (كل مقدم) لتلقين أوراد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (وكل خليفة) من خلائفه رضى الله عنه وعنا به آمين إذ هم رضى الله عنهم وعنا بهم آمين نوابه وورثته فلهم ماله من الحقوق والتعظيم وراثة أحمدية :

فيارب جازهم بخير مثوبة   وعفو ورضوان عن الأحمدية
وشفع رسول الله فينا بمنة   عليه صلاة الله فى كل لمحة

وفى [مح] وخليفة الشيخ فى جميع ما كان للشيخ على التلاميذ من الحقوق والشروط كالشيخ وكل من لم يكن من أهل الطريق قدما كان أو غيره محبا للخليفة كما كان يجب عليه أن يكون محبا للشيخ فليس من الطريقة فى شىء وهذا يكون للمقدم فى حق من لقنه اه :

يارب أد مالهم من الحقوق   على الجميع واحمنا من العقوق
وجازهم بالخير والإحسان   والعفو والغفران والرضوان

وأرضهم(١) عنا بمحض الفضل　　وشفعن نبينا فى الكل

آمين آمين ختام الله　　على لسان المؤمن الأواه

(وحافظ) أبد الآبدين (وداده) أى على وده وحبه رضى الله عنه وعنابه آمين (بصحب) أى بمحبة جميع من تمسك بورده الأحمدى (وعترة) بكسر مهملة وسكون فوقية أى بمحبة أقاربه بأن تحبهم بحبه وتكرمهم وتبرّبهم ابتغاء لرضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاه رضى الله عنه وعنابه آمين :

أولئك خلصائى نعم وبطانتى　　وهم حيبتى من دون كل قريب

فيارب فاشهد إننى قد أحبهم　　بحب التجانى بعد حب الرقيب

وشفعه فينا فى الدنا والآخره　　وفى كل محسن وكل حبيب

وفى [عم] وما رأت عينى فى مشايخ الزمان أحدا يبر أصدقاء شيخه وخدامه مثل شيخنا سيدى محمد الشناوى رحمه الله وكان إذا رأى أحدا ممن وقع بصره على أستاذه الشيخ محمد السروى يصير يرفرف عليه كالطير الحمام على ولده لكونه كان يعرف نفاسة مادعاه الشيخ له ثم قال : ويليه فى طائفة الفقهاء فى التعظيم لأصحاب شيخه الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى بمصر المحروسة ، كان إذا رأى أحدا من أصحاب الشيخ برهان الدين بن أبى شريف أو أحدا من أصحاب الشيخ زكريا يجله ويعظمه ويقول : كأنى أنظر إلى الشيخ إذا رأيت أحدا من أصحابه ، ولذلك أجله الله وجعل الفقهاء عاكفين على قوله شرقا وغربا مصرا وشاما وحجازا وروما ولا يتعدونه ، انظره - فبهداهم اقتده - والله يتولى هداك (وإلا) تتحافظ على وده وحبه فيهم بأن تبغضهم وتستخف بهم والعياذ بالله (طردت) عن منازل الأبرار (أو سلبت) ما منحت من المعارف والأسرار (لشقوة) بفتح معجمة وكسرها من شقى كرضى نسأل الله السلامة والعفو والعافية - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - وفى [جه] إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت فى العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره ليس هو ما أفشيت لكم ولو صرحت به لأجمع أهل الحق والعرفان بكفرى فضلا عمن عداهم ، وليست هى التى ذكرت لكم بل هى من ورائها . ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ على تغيير قلبى من أصحابنا بعدم حفظ حرمه أصحابنا طرده الله تعالى عن قربه وسلبه مامنحه اه . وفيه : وأما السؤال عن السلب للعارفين هل يقع لهم السلب من مقامهم أم لا ؟ فالجواب لا أمن لأحد من السلب لجميع العارفين إلا قطب الأقطاب وحده ، أو لمن كان عنده الاسم الأعظم فقط ، أو لمن ضمنه شيخ كامل والسلام اه . وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : إذ زل الولى ولم يرجع من وقته عوقب بالحجاب وهو أن يحبب إليه خرق العوائد المسماة فى لسان العامة كرامات فيظهر بها ويقول : لو كنت مؤاخذا بهذه الزلة لقبض الحق عنى التصريف ، وغاب عنه أن ذلك استدراج بل ولو سلم من الزلة فالواجب خوفه من المكر والاستدراج ، فقلت له : فهل يجب على الأولياء ستر كراماتهم ؟ فقال رضى الله عنه : هم بحسب مشاهدتهم وما يترتب على إظهارها وإخفائها من المنافع لأن الخلق فى حجر الأولياء كالأطفال فى يد وليهم يخوفهم تارة ويفرحهم تارة ويجافهم تارة ويقربهم تارة ، ومع هذه المنافع فلابد من الأدب الإلهى فى إظهار الكرامات ، انظره . وفيه : فقلت له فمن

---

(١) من الإرضاء اه .

أكثر الناس سلبا ؟ فقال أهل الجدال لرؤيتهم نفوسهم على الناس ودعواهم صحة حججهم وامتحانهم بالشر ويؤذون غيرهم من الفقراء والعارفين وكمل المؤمنين فقلت له فمن أكمل الناس فتوحا؟ فقال العارفون فإنهم كلما علت معارفهم و كثرت علومهم هضموا أنفسهم ورأوا نفوسهم أحقر الخلق أجمعين، وذلك لعلمهم أن العلوم والمعارف صفات والصفات تؤخذ من ذات وتعطى لذات أخرى فلا اعتماد لهم على علم ولا معرفة دون الحق تعالى . وفيه : وسألته رضى الله عنه عن الطعمة هل تؤثر فى القلب أكثر مما يؤثر السلب ؟ فقال نعم إلا أنه إذا استمر توجه القلب إلى الحق فى كل حركة وسكون من غير علة فباب الفتح موجود ولا بد ، ومادام العبد متوجها فالمدد فياض على قلب من أريد له الكمال اهـ - ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - آمين . قال رحمه الله :

(فَمَعْرِفَةُ الْمَوْلَى بِمَعْرِفَةِ النَّبِى ... وَمَعْرِفَةُ النَّبِىِّ بِعِرْفَانِ قُدْوَةِ
وَصَلِّ عَلَى الْوَرَى صَلاَةَ الْجَنَازَةِ ... بِذَاكَ تَصِيرُ صَادِقًا فِى الْمَوَدَّةِ
وَلاَ تَمُدَّونَ عَيْنَيْكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ ... غَيُورٌ فَلاَ يَرْضَى بِشِرْكِ الْمَحَبَّةِ)

(فمعرفة) المريد الصادق (المولى) أى مولاه سبحانه وتعالى : قال زروق رضى الله عنه : هى سريان العلم بجلال الحق سبحانه أو جماله أو هما فى كلية العبد حتى لا يبقى له من نفسه بقية فشهد كل شىء منه وبه وله فلا يبقى لوجود شىء نسبة عنده اهـ . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المعرفة بالله تعالى ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله : المعرفة الحقيقية أخذ الله للعبد أخذاً لايعرف له أصلا ولا فصلا ولا سببا ولا يتعقل فيه كيفية مخصوصة ولا يبقى له شعور بحسه وشواهده ومحوراته ومشيئته وإرادته ، بل تقع عن تجل إلهى ليس له بداية ولا غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية ومحق العبد محقا لايبقى له شعوراً بشىء ولا بعدم شعوره ولا بمحقه ولا يميز أصلا من فرعه ولا عكسه ، بل لايعقل إلا من حيث الحق بالحق فى الحق عن الحق ، فهذه المعرفة الحقيقية ، ثم يفيض عليه من أنوار قدسه فيضا يعطيه كمال التميز والتفصيل بين المراتب وخواصها وما تعطيها حقائقها فى جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وتفصيل الصفات والأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها ، وهذا التميز يسمى بالبقاء التام والصحو الكامل ، والأصل الأول يسمى بالفناء التام والصحو الكامل ولا قيام لهذا البقاء إلا بفناء الفناء الأول على أصله وقاعدته ومتى انهدم الأول انهدم الثانى ، وقال : فمن تجلى بهذا الوصف المتقدم صح له الظهور فى الخلق والتقدم عليهم وإليه يلقى المريد نفسه ويقتفى آثاره ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ومعارضته ولو بقلبه ، فإذا فعل هذا سأل من محض فضل الله وكرمه بإظهار فقره ولسان ذله وبجاه حبيبه ونبيه أن يرحمه بالفتح الأكبر على يد قدوته ، ومن لم يطلب الفتح من أبوابه طرد ولم ينتفع بأسبابه ، انظره . وفيه قال على كرم الله وجهه : المعرفة كشف سبحات[1] الجلال وغايتها الدهش فى كبرياء الله . أراد بغايتها مقام الختم فى القطبانية فهو غاية الغايات اهـ . وعن بعضهم : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبأداء الفرائض تنال القربة ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة اهـ . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه .

---

(١) سبحات بضم سين مهملة وموحدة اهـ .

فبأداء المفروض نيل القرب وبدوام النفل نيل الحب
وباتباع سـنة النبى معرفة المهيمن العلى
فامنن علينا ربنا بالمعرفه وبالمشاهـده وبالمحبـه
واكشف لنا عن سبحات من جلال مؤيدا بكل فضل وجمال
وافتح بمحض الفضل والإفضال بأعظم الأسماء ذى الجلال
واختم لنا خاتمة الأبرار من أولياء الله والأخيار
واجمع لنا الشمل مع العدنانى محمد وأحمد التجانى
فى كل موطن وكل مشهد ومحشر وجنة ومقعد
آمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق

(بمعرفة النبى) بتخفيف تحتية صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ومعرفة النبى) كذلك صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بعرفان) أى معرفة (قدوة) بتثليث القاف من تأسيت واقتديت به (وصل على الورى) أى وإذا علمت ذلك فصل على جميع الخلائق الأولياء وغيرهم (صلاة الجنازة) وكبر عليهم أربع تكبيرات واقرأ عليهم - إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله - ولا ترى فى الكون كله علويه وسفليه إلا أنت وشيخك ونبيك وربك - وأن إلى ربك المنتهى - وفى غنية الأصحاب :

مالى فى الكون سوى الرحمن والمصطفى وأحمد التجانى

وفى [هب] وكنت مع الشيخ رضى الله عنه ذات يوم بباب الحديد فنظر إلى وقال لا يطمع أحد فى معرفة الله وهو لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمع أحد فى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف شيخه ، ولا يطمع أحد فى معرفة شيخه وهو لم يصل على الناس صلاته على الجنازة إلا إذا خرج الناس من نظره وصار لا يبالى بهم فى أقواله وأفعاله وشؤونه كلها جاءته الرحمة من حيث لا يحتسب . ويعجب الشيخ رضى الله عنه من لا يبالى بنظر الناس إليه اه . وفيه : أن مخالطة الأولياء بمنزلة أكل السموم ، وقد كان سيدى فلان لما عرفه مريده لم يترك له امرأة ولا ولدا حتى أفرده به اه . وللشريشى رضى الله عنه :

ولا تنظرن يوما إلى الخلق إنه يخلى طليق الصفو فى كدر الأسر

وفى [جع] وسألت سيدنا رضى الله عنه عن قول صاحب الإبريز حاكيا عن شيخه قال: لا ينال العبد معرفة الله حتى يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس فى نظره ، فصل عليهم صلاة الجنازة وانزع من قلبك التشوف إليهم . قلت : وفى هذا إشارة إلى عدم زيارة كل ولى . فأجاب رضى الله عنه أن لكل شيخ شروطا وحدودا وموارد وله أيضا ثلاث دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة فإذا أدخل المريد فى دائرته القريبة يقول له إن خالفتنى بعد اليوم تموت كافرا نسأل الله السلامة من مخالفة أستاذنا فى القليل والكثير آمين اه .

[تنبيه] اعلم أن الشيخ إذا عاقب المريد على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليبشر بالقبول والفتح والرضا ، وكذلك إذا عرضه لما يكون عنده بحسب ظنه أن له فيه الخسارة والضياعة ، ورحم الله من قال :

مهما أسأت مع شيخك الأدب ولم يعاقبك فخف من العطب
وحيث أدبك فأبشر بالرضا والفتح فيما قد أتى ومامضى
وحيث عرّضك للضياع فذاك عين الحق والانتفاع

وإن وقعت منه زلة وسوء أدب وعرف أنه سامحه ولم يعاقبه فليحذر من مكره فى ذلك أو من أن سكوته ناشىء عن علمه أنه لا يجىء منه شىء ، وإن باسطه لم يترك أدبه ، بل كلما انبسط معه فليزد فى قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام ، وكذلك إن ساواه فى المرتبة أو جاوزه فى المقام فإنه يتأكد فى حقه الاحترام الزائد والتأدب معه للسببية ، ورحم الله من قال :

كلما زاد بسطة وخضوعا زدت فيه مهابة وجلالا[1]
ثم إن زادنى علو ارتفاع زدت فى تعظيمى له وذلالا

(بذاك) أى بما ذكر (تصير صادقا) قلبا وقالبا (فى المودة) والمحبة لقدوتك الذى اتخذته وسيلة ووصلة فيما بينك وبين مولاك سبحانه وتعالى . وفى [هب] وقد سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : الشيخ للمريد فى درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيمانه متعلق به وكذا سائر أموره الدينية والدنيوية ، وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عيانا ، وكنت أخرج معه رضى الله عنه كثيرا وأنا لا أعرف درجته فكان يقول لى : مثلك مثل من يظل يمشى على عالى أسوار المدينة وشرفاتها[2] من ضيق المحل الذى تجعل فيه رجلك وبعد محل السقوط ، فلم أفهم معنى هذا الكلام إلا بعد حين ، فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطرى يحصل لى منه روع عظيم وخوف شديد ، وقلت له ذات يوم : إنى أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها ؟ فقال لى : ماهى ؟ فذكرت له ماحصل : فقال لى رضى الله عنه : لا تخف من هذه الأشياء ، ولكن أكبر الكبائر فى حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون فى خاطرك ، فهذه هى المعصية التى تضرك فى دينك ودنياك ، وقلت له مرة : ياسيدى إنى بعيد من الخير ، فقال رضى الله عنه : اطرح عنك هذا وانظر إلى منزلتك عندى فعليها تحمل ، وكنا معه رضى الله عنه على حالة قل أن يسمع بمثلها لا ينزل بنا أمر مهم أو غير مهم إلا ذكرناه له فيتحمله عنا عيانا ويريح خاطرنا منه بمجرد ذكره له ، وكان رضى الله عنه يمازحنا ويضاحكنا ويزيل الحياء عنا ويفاتحنا بالأمور قبل أن نسأله عنها ويقول لنا : لا تجعلونى فى مقام الشيخ إنما أنالكم بمنزلة الأخ ، ومقام الشيخ لا تطيقون القيام بآدابه فأنا أسامحكم وأجعلكم فى حل من ذلك ، واجعلونى بمنزلة الأخ تدوم الصحبة بيننا وبينكم ، فالله يجازيه عنا أفضل الجزاء بمنه وكرمه اه . وفى [مح] قال الجنيد : لو أن الله تبارك وتعالى ستر عن العامة حقائق الأولياء لهلكوا بعدم الاتباع والاقتداء بهم ولكانوا عليهم حجة يوم القيامة لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم بهذه الصورة البشرية فلا يعرفهم إلا من هو مثلهم ، أو من أراد الله أن ينفعه ببر كاتهم فيطوى عنه الصورة البشرية ويشهده الحقيقة الربانية ، فيدرك إدراكا قطعيا لا ظنيا ولا حسبانيا فينتعش بمشاهدته وتبقى مسافة المسير إلى الدرجات العلية فتكون سرعتهم على قدر رقة طباعهم وكثافتها وعلى قدر التجليات وهمة الشيخ وإقباله عليهم ، ولا يكون إقباله عليهم إلا بقدر إقبالهم عليه . قال ابن عطاء الله : لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ولكن اطلب من نفسك أن يكون الشيخ ببالك ، فبقدر ما يكون

---

(١) من الخفيف . (٢) شرفاتها بضم شين معجمة وراء جمع شرفة كغرفة وغرف اه .

يبالك تكون بباله فذاك أول قدم تضعه فى السلوك ، انظره (ولا تعدون) بنون خفيفة أى لا تتجاوزن (عينيك) أى عين الباصرة وعين البصيرة (عنه) إلى غيره من الشيوخ (فإنه) رضى الله عنه وعنابه آمين (غيور) بفتح معجمة صيغة مبالغة . أى كثير الغيرة، والغيرة من الإيمان والمؤمن يغار والله يغار (فلا يرضى) منك (يشرك) بكسر معجمة الشركة (المحبة) بأن تسويه مع غيره فى المحبة فضلا عن أن تفضله عليه لحديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة — على خاطرى سهوا حكمت بردتى

وفى [جع] ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لايشارك فى محبته غيره ولا فى تعظيمه ولا فى الاستمداد منه ولا فى الانقطاع إليه بقلبه ، ويتأمل ذلك فى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن من ساوى رتبة نبيه مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين فى المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فإنه عنوان على أنه يموت كافرا إلا أن تدركه عناية إلهية بسبق محبة ربانية .

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم فى التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل به غيره فى هذه الأمور ولا يشارك غيره اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وكن مع الشيخ فى الاستمداد — والاحترام كالنبى الهادى
والانقطاع له وفى التعظيم — وفى سلوك المنهج القويم
وفى المحبة وفى التجاء — إليه فى البدء وفى انتهاء
وكن مفضلا له على الورى — واجزم بفقد مثله فوق الثرى
واجعله فى القلب مدى الزمان — فذاك عنوان رضا الرحمن
مالى فى الكون سوى الرحمن — والمصطفى وأحمد التجانى
رضيت بالله رب العباد — حيا وميتا وفى المعاد
وبرسول الله ختم الأنبياء — وبالتجانى ختام الأولياء
واجمع بهم شملى بالامتنان — نوما ويقظة وفى التهانى
آمين آمين ختام الحق — جعله على لسان الخلق

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما تأمره به من الخير إلا إن كان لايقدم علينا فى المحبة أهلا ولا ولدا وراثة محمدية لا استقلالا ، ولولا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لمحبة الناصح مدخلا عظيما فى حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطء ماقال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين » ومعلوم أن جميع الدعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة نواب له صلى الله عليه وسلم ، فلهم من الأدب معهم والمحبة لهم بحكم الإرث نحو ما كان له صلى الله عليه وسلم ، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد فى شيخه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ـ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ـ فافهم ، وإذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه فى المحبة نفض يده منه ، وفى كلام الشيخ العارف بالله تعالى عدى بن مسافر أحد أركان هذه الطريق رضى الله عنه : اعلم أنك لاتنتفع بشيخ قط إلا إذا كان

اعتقادك فيه بل فى أمثاله فوق كل اعتقاد ، وهناك يجمعك فى حضوره ويحفظك فى مغيبه ويهذبك بأخلاقه ويؤدبك بإطراقه ، وينور باطنك بإشراقه . وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفا لم تشهد فيه شيئا من ذلك بل تنعكس ظلمة باطنك عليك فتشهد صفاته هى صفاتك فلا تنتفع منه بشىء ولو كان من أعلى الأولياء درجة . وفى كلام سيدى على بن وفا : إن أردت تسمع قول فرغ لقولى مسمعك من كل ماقال غيرى فى سائر الأدوار . وقال أيضا فى كتابه المسمى [بالوصايا] اعلم أن قلوب الرجال أمثال الجبال ، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال تعالى - وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا - فكذلك قلب الولى لا يزيله عن مكانه إلا شرك تلميذه معه أحدا فى محبته لا يزيله إلا ذلك لا تقصير فى خدمة الشيخ ولا غير ذلك فافهم ، ثم لا يخفى أن جميع الأشياخ إنما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم والرضا بكل ما يأمرونه به تمريناله وطلبا لترقيه إذ الشيخ كالسلم للترقى يترقى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى ، فمن لم يحكم باب الأدب مع شيخه لا يشم من الأدب مع الله تعالى رائحة أبدا ، انظره تزدد .

وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : لا ينتفع المريد بمحبة شيخه إذا أحبه لسره أو ولايته أو لعلمه أو كرمه أو لنحو ذلك من العلل حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ متوجهة إليها لا لعلة ولا لغرض مثل المحبة التى تكون بين الصبيان فإن بعضهم يحب بعضا من غير أغراض باعثة على المحبة بل مجرد الألفة لا غير ، فهذه المحبة ينبغى أن تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهق محبة المريد إلى الأغراض والعلل فإنها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان وأكثر فيها من الوساوس ، فربما تنقطع وربما تقف كما سبق فى القسمين الأخيرين والله أعلم . وسألته رضى الله عنه لم كانت المحبة للعلم والولاية والسر ونحو ذلك لا تنفع ؟ فقال رضى الله عنه : لأن الأسرار والمعارف ونحوها كلها من الله تعالى وكل واحد يحب الله تعالى فإلى الآن ما أحب شيخه ، وإنما تتحقق محبته للشيخ إذا أحبه لخصوص ذاته لا لما قام بها من الأسرار ، فقلت وكذا ذات الشيخ هى من الله تعالى وكل شىء منه فلم نفعت محبة البعض دون البعض؟ فقال صدقت وغرضنا بمحبة الذات الكناية عن كون المحبة خالصة لله تعالى لأن الذات بمجردها لا يتصور منها نفع ولا غيره ، فإذا توجهت المحبة نحوها كان ذلك علامة على الخلوص من الشوائب ، فقلت إن الناس لا بد لهم من أغراض وإرادات فمن حرث بقصد القصيل الحاصل له منه فيجب الحرث للقصيل ، لا لذاته ؟ فقال رضى الله عنه : نعم ، ولكنه إذا نوى القصيل وقصده فى أول الأمر ثم شغل فكره بغيره بحيث إنه لا يبقى له على بال ، فهذا يحصل له القصيل الكثير وتجيئه الإصابة العظيمة ، وأما إن شغل فكره بهذا القصيل ليله ونهاره وجعل يفكر ويقدر كيف يكون وما يفعل به إذا كان فهذا لا يحصل له قصيل بل يركبه الوسواس قبل أن يحصل له القصيل ، فلا يزال يقول فى نفسه هل أدرك هذا القصيل ولعل الآفة الفلانية تأتى عليه أو يغير عليه بنو فلان ، ونحو هذا من الوسواس بخلاف الأول فإنه مستريح الفكر فى أمر القصيل وفى أمر الوسواس ، فهذا حال من أحب الشيخ لذاته ومن أحبه لعلة ، وكنت أتكلم معه ذات يوم ونحن فى جزء ابن عامر بمحروسة فاس أمنها الله تعالى فقال لى إن سيدى منصورا فى رأس الدرب أتحب أن تلتقى معه وتعرفه ؟ فقلت ياسيدى نعم حبا وكرامة وكيف لا أحب أن ألتقى مع القطب ، فقال لى رضى الله عنه : أما أنا فلو قدرنا أن أباك وأمك ولدا من يماثلك فى شكلك وصفتك وعلمك وجميع ماعليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة مانظرت إلى واحد منهم أنت حظى وقسمتى وهم عندى كسائر الناس ، فاستيقظت من غفلتى وانتبهت من

نومى وعلمت أنى ماجئت بشىء فإن المحبة لا تقبل الشركة والله أعلم . وسمعته رضى الله عنه يقول : إن طالب السر المريد هو ذاته الترابية ومعطى السر من الشيخ هو ذاته الترابية ، فإذا كانت الذات الترابية من المريد تحب الذات الترابية من الشيخ محبة مقصورة عليها أمدتها بأسرارها ومعارفها وإذا كانت ذات المريد تحب أسرار ذات الشيخ وزهقت المحبة إليها وإلى معارفها امنعتها الذات الترابية من مطلوبها ثم لاتقدر لها الروح ولا غيرها على شىء ، فليجتهد المريد جهده فى محبة ذات شيخه معرضا عن النفع مطلقا، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ،وسألته رضى الله عنه عن المحبة هل لها من أمارة وعلامة؟ فقال رضى الله عنه : لها أمارتان ، الأمارة الأولى : أن تكون راحة المريد فى ذات شيخه فلا يتفكر إلا فيها ولا يجرى إلا لها ولا يهيم إلا بها، ولا يفرح إلا بها ولا يحزن إلا عليها حتى تكون حركاته وسكناته سرا وعلانية حضورا وغيبة فى مصالح ذات الشيخ ومايليق بها ولا يبالى بذاته ولا بمصالحها الأمارة . الثانية : الأدب والتعظيم لجناب شيخه حتى لو قدر أن شيخه فى بئر وهو فى صومعة لرأى بعين رأسه أنه هو الذى فى البئر وأن شيخه هو الذى فى الصومعة ، لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على قلبه بل على عقله، انظره . قال رحمه الله :

(وَصَلِّ صَلَاةَ الفَرْضِ فِي الوَقْتِ بِالمَلَا   وَإِلَّا فَصَلِّ بِالمِيَالِ مُخَيِّمَةِ)

(وصل) من صلى صلاة لاتصلية (صلاة الفرض) أى المفروضة عليك قال تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم [1] فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لاشىء . قال صلى الله عليه وسلم : فإن الصلوت الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن» وقال صلى الله عليه وسلم « إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » وفى البخارى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ماتقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا » وفى الترمذى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال - من توضأ وضوئى هذا ثم صلى الظهر غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة المغرب ، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له مابينها وبين صلاة العشاء » اه . ولبعضهم رحمه الله :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع   لأن بها الأقارب لله تخضع
وأول فرض كان من فرض ديننا   وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة   وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته   قريبا فياطوباه لوكان يخشع

وقد قيل : إذا قمت إلى الصلاة فاعلم أن الله مقبل عليك ، فأقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظر إليك اه (فى) أول (الوقت) المختار « أول الوقت رضوان الله»، ووسط الوقت رحمة الله

---

(١) أى يدخل اه .

وآخر الوقت عفو الله» وفى آخر: «فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا» وفى [جص] «عليكم بذكر ربكم وصلوا صلاتكم فى أول وقتكم فإن الله يضاعف لكم أعمالكم» وفيه «أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها» أى فى أول وقتها، وروى «الصلاة فى وقتها» أى فى أول وقتها «أفضل من الدنيا وما فيها» وروى الطبرانى مرفوعا «يقول ربكم عز وجل من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافا بحقها فله علىّ عهد أن أدخله الجنة» وروى أيضا «من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعا ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه» وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد بالوضوء قبل دخول الوقت للصلاة أول الوقت فمن لم يستعد لذلك فربما فاته فضيلة جماعة الوقت، وهذا العهد يخل به كثير من سكان المساجد فضلا عن التجار والصنائعية فيفرطون فى الوضوء أول الوقت حتى تفوتهم صلاة الجماعة، ويقال لأحدهم قم توضأ فيقول الوقت متسع، انظره. واعلم أن إخراجها عن وقتها من الموبقات قال تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وفيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الصلاة أو بإخراجها عن وقتها إذا اشتد مرضنا فضلا عن أوقات الصحة بل نصلى بحسب استطاعتنا فى الطهارة وفعل الأركان، ولا ننتقل لمرتبة سفلى إلا بعد عجزنا عن العليا، انظره. وفى الحديث «من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان» وفى بعض الكتب: تارك الصلاة «ملعون وجاره إن رضى به ملعون ولولا أنى حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة».

[لطيفة] حلف رجل بالطلاق لا يدخل على زوجته إلا فى يوم مشئوم فسأل العلماء عن ذلك فأجابوه بأن الأيام كلها مباركة، ثم سأل بعض العارفين عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة؟ قال لا، قال فادخل عليها فإنه يوم مشئوم عليك. قال تعالى - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - الآية، وفى مسلم عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال: من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان رجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف اهـ: أى تأسيا بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث خرج للصلاة يهادى بين العباس وعلى رضى الله عنهما ورجلاه تخطان الأرض كما فى الصحيحين (بالملا) أى مع الجماعة قال تعالى - واركعوا مع الراكعين - وفى الحديث «اثنان فما فوقهما جماعة» ومن حكمة مشروعيتها قيام نظام الألفة بين المصلين، ولذا شرعت المساجد فى المحال، ليحصل التعاهد باللقاء فى أوقات الصلوات بين الجيران، ومنها تعلم الجاهل من العلم ما يجهله من أحكامها، ومنها أن مراتب الناس متفاوتة فى العبادة فتعود بركة الكامل على الناقص فتكمل صلاة الجميع، ومنها أنه قد يكون فى الجماعة من هو أفضل فيغفر للباقين بسببه لأن الصلاة ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة، وفى مسلم عن عثمان

رضى الله عنه وعنابه آمين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس أومع الجماعة أوفى المسجد غفر الله عز وجل له ذنوبه » وفى [جص] « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وفيه « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وعلى صلاته فى سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ماكانت الصلاة تحبسه ، وتصلى الملائكة عليه مادام فى مجلسه الذى يصلى فيه ، يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه مالم يؤذ فيه أو يحدث فيه » وروي أبو داود مرفوعا « عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » [وعن] ابن عباس « لو صام رجل النهار وقام الليل ولكن لم يشهد الجمعة ولا الجماعة فهو فى النار » وفى [حى] قال عثمان رضى الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء جماعة فكأنما قام نصف ليلة ، ومن شهد الصبح فى جماعة فكأنما قام ليلة » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة » ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار » وفيه : روى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة . وقال حاتم الأصم : فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزا أبو إسحاق الفنارى وحده ، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد ، فقيل له إن الناس قد انصرفوا ، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلىّ من ولاية العراق ، انظره . وفى [خل] ينبغى لأهل الفضل والدين أن يراعوا للتعزية فى الدين أكثر ، كما نقل عن بعضهم أنه قال : فاتتنى الصلاة فى جماعة فعزانى فيها فلان ولم يعزنى غيره ولو مات لى ولد لعزانى فيه مائة ألف أو كما قال ، وماذاك إلا أن مصيبة الدين عند أهل الدين أعظم من مصيبة الدنيا عكس ما الحال عليه فى هذا الزمان ، وفيه : وقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذا فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام أعتق رقبة . انظره وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة الجماعة فى الصلوات الخمس وفيما تشرع فيه الصلوات من النوافل ولا نتخلف حتى تفوتنا الجماعة كلها وبعضها أو إن جعل الشارع لمن خرج لها فوجدها قد انقضت مثل أجرها لأن الشارع إنما جعل ذلك جبرا وتسكينا لمن خرج للجماعة فوجد الناس قد فرغوا فتأسف وحزن فكان ذلك كالتعزية لصاحب المصيبة ، وإلا فكيف يجعل من فرط فى أوامر الله كمن فعلها وبادر إليها وترك أشغاله كلها لأجله تعالى فافهم انظره ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى مع الجماعة العظمى دون الصغرى ولا نقنع بالصغرى ونترك الكبرى إلا لعذر شرعى ، ومتى خالفنا ذلك استغفرنا الله تعالى من تركنا فعل ماهو الأحب إليه ، فعلم أنه ينبغى أن يكون الباعث لنا على صلاة الجماعة محبة الحق تعالى لها لا طلب الثواب فإن ذلك علة تقدح عندنا فى الإخلاص ثم قال : وقد أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام : ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أونار ؟ لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع اه . واعلم أنه قد يكون للفقراء أعذار باطنية ، فربما تخلفوا عن الخروج لصلاة الجماعة فلا ينبغى لأحد المبادرة إلى الإنكار عليهم إلا بعد أن يتعرف ذلك العذر منهم ، فربما غلب عليهم حال قاهر منعهم عن الخروج ، والمنهى عنه إنما هو تخلف

العبد عن صلاة الجماعة لشغل دنيوى أو مفضول مع قدرته على الخروج ؛ وهؤلاء لو ضرب أحدهم بسيف ماقدر على الخروج بل يرون ضرب السيف أهون على أحدهم من خروجه من بيته أو خلوته عند غلبة الحال عليه ولا يعرف ذلك إلا من ذاقه : وقد كان سيدى الشيخ مدين لايخرج من بيته إلا لصلاة العصر فقط مع أن المسجد على باب داره ، وكذلك سيدى محمد الغمرى ، وكذلك سيدى على المرصفى ، فقيل لسيدى مدين فى ذلك فقال : ربما يكون الفقير فى بيته فى حال جمعية قلب مع الله تعالى أقوى من جمعيته معه إذا خرج اه. فسلم ياأخى للقوم انظره ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتهاون بصلاة الجماعة ونصلى فرادى إلا لعذر شرعى امتثالا لأمر الله عزوجل بالأصالة لاطلبا الثواب الوارد فى ذلك ، فإن الثواب من لازم من يخدم الله عزوجل لأنه تعالى لايضيع أجر من أحسن عملا ، ثم قال : وهذا الأصل يسرى معك فى سائر العبادات فتقصد بفعلها امتثالا لأمر الله تعالى بذلك لاغير ، فعلم أن من قصر نظره فى عبادته على الثواب فهو دنىء الهمة خارج عن أدب العبودية ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لاينبغى لجار المسجد أن يترك صلاة الجماعة فى المسجد ويصلى فى بيته ولو جماعة إلا لعذر من مرض أو حال غالب عليه منعه من الخروج للناس ، انظره : وفى [جع] وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات والأمور الشرعية ، وكان رضى الله عنه يحثنا على صلاة الصف إذا سافرنا ويقول : من لم يصل معكم فى الصف لاتتركوه يرافقكم ، ويقول المحافظة على صلاة الصف يصرف بها كثرة المصائب اه. وروى « من صلى الصبح فى جماعة فهو فى ذمة الله فلايتبعنكم الله بشىء من ذمته » ولذا لاينبغى لمتدين أن يؤذى من صلى الصبح فى جماعة بشىء لأنه فى جوار الله وذمته إكراما لمن هو فى ذمته سبحانه وتعالى. وفى [حى] عن بعضهم قال : كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء جماعة فكانوا يقولون لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر اه. وفى [نزهة المجالس للنيسابورى] أن رجلا راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها فقال : قولى له صل خلف زوجى أربعين صباحا ، ففعل ثم دعته إلى نفسها فقال : إنى تبت إلى الله عز وجل ، فأخبرت زوجها بذلك فقال : صدق الله ، قوله الحق - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - اه (وإلا) تجد جماعة تصلى معهم (فصل بالعيال) جمع عيل كجياد جمع جيد بكسر فسكون كفيل العنق (بخيمة) إن كنت من أهل الخيام وفى بيتك إن كنت من أهل البيوت : قال رحمه الله :

(وَبَسْمِلْ بِأَوَّلِ الصَّلَاةِ لِفَضْلِهَا ... وَأَكِّدْ بِالْيَمِينِ أَعْنِي وَعِزَّتِي

وَبِالْحَمْدِ صِلْ مِيمَ الرَّحِيمِ فَتَظْفَرَا ... بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ وَفِدْيَةِ

وَمَنْ لَمْ يُبَسْمِلْ لِلصَّلَاةِ فَفَاتَهُ ... ثَوَابٌ عَظِيمٌ مَعْ صَلَاةٍ صَحِيحَةِ)

(وبسمل) أى قل بسم الله الرحمن الرحيم (بأول) الفاتحة جهرا فى (الصلاة) الجهرية وسرا فى السرية أو سرا فيهما معا ولا سيما من يؤم غير إخوانه فى الأحمدية فإن الألسن تسرع إليه بسوء الظن والاعتقاد وكثرة المراء والجدال والانتقاد ونسبته للجهل والضلال والعناد ، حتى كان بعض المتمشيخين يقول لمن تمسك بأوراد أسلافه رحمهم الله : من صلى خلف تجانى فإنما صلى خلف شيطانى لأنهم يبسملون فى الصلاة - إنا لله وإنا إليه راجعون - :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

بل حسدا من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق - الآية ، ومتمسكا بقول ابن عاشر وكرهوا بسملة ، وقول خليل وكرها فى فرض ، وقول الرسالة لا تستفتح القراءة فيها بسم الله الرحمن الرحيم مطلقا لافى أم القرآن ولا فى السورة لاسرا ولا جهرا إماما كنت أو غيره جاهلا أو متجاهلا ، بما قيد به الشراح بأجمعهم كلام هؤلاء الأئمة وغيرهم ممن ألف فى المذهب المالكى رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى علين مأواهم من أن محل الكراهة ما لم يقصد بها الخروج من الخلاف وإلا فلا كراهة ، وفى الزرقانى : والورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخلاف : قال القرافى وغيره : وكان المازرى يبسمل سرا فقيل له فى ذلك فقال : مذهب مالك على قول واحد من بسمل لم تبطل صلاته ومذهب الشافعى على قول واحد من تركها بطلت صلاته اه : أى وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما ببطلانها . وفى [الخرشى] وكرهت البسملة والتعوذ فى الفرض للإمام وغيره سرا وجهرا فى الفاتحة وغيرها ابن عبد البر وهو المشهور عند مالك وتحصيل مذهبه عند أصحابه ، وقيل بالإباحة والندب والوجوب لكن من الورع الخروج من الخلاف بالبسملة أول الفاتحة ويسرها ويكره الجهر بها انظره ، وروى ابن حبان أنهم لم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وروى ابن خزيمة أنهم كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم : أى فى أول الفاتحة فى الصلاة ، وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية ، وروى أبو هريرة « إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » وفى الصواعق المرسلة إلى من أنكر الجهر فى الفريضة بالبسملة قال فى [المواهب اللدنية] مانصه : روى عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود ، وروى الحاكم عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال صحيح ، وفى صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية ، وروى ابن مردويه فى تفسيره عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن البسملة وهى السبع المثانى والقرآن العظيم ، وهى أم الكتاب » ، ورواه الدارقطنى أيضا عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله ، ثم قال : وعن نعيم المجمر صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ، وقال الناس آمين . وكان كلما سجد وإذا قام من الجلوس فى الاثنتين يقول الله أكبر ، وإذا سلم يقول ، والذى نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الإتقان عن ابن عباس مرفوعا سرق الشيطان من الناس أعظم آية وهى البسملة ، وفى رواية أغفل الناس . وروى الشافعى بإسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ البسملة ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يامعاوية سرقت الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود فأعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ، ثم قال الشافعى : وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديدة الشوكة فلولا أن الجهر بالتسمية والتكبير كان من الأمر المتقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب قوته اه . وهو حديث حسن أخرجه الحاكم فى صحيحه والدارقطنى وقال إن رجاله ثقات . قال الرازى : وهذا الإنكار

على معاوية يدل على أن الجهر بهذه الكلمة أى البسملة كالأمر المتواتر فيما بينهم اه . وبه أى بالجهر بها قال عدة من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة وابن عمر وابن الزبير ، ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي رضى الله عنه ، وقد صح فى الجهر بها أحاديث لامطعن فيها لمنصف كما أنه قد صح فى الإسرار بها أحاديث لامطعن فيها لعار من العصبية ، وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر الإمام الشافعي وغاب ذكره ؟ فقال أرى ذلك لإظهاره للبسملة بكل صلاة ، ثم قال السيوطى فى [حاشية الموطأ] قد كثرت الأحاديث الواردة فى البسملة إثباتا ونفيا وكلا الأمرين صحيح فقد قرأ صلى الله عليه وسلم بها وترك قراءتها وجهر بها وأخفاها اه .

وفى [عف] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال عز وجل مجدنى عبدى ، فإذا قال الحمد لله رب العالمين . قال الله تعالى حمدنى عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى على عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : فوّض إلى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ، فإذا قال اهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » اه (لفضلها) أى لنيل الفضل الوارد فيها (المؤكد) وأل فيه من المصراع الأوّل أى المؤكد من الله عز وجل (باليمين) القسم (أعنى) بلفظ (وعزتى) وجلالى وجودى ، وقد ورد فى فضلها أحاديث منها الحديث المسلســل بالقسم « يا إسرافيل وعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات : ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب النار وعذاب القبر وعذاب يوم القيامة والفزع الأكبر » اه . وفى [د] عمرى ماتركت البسملة متصلة بفاتحة الكتاب لا فى الصلاة ولا فى غيرها للحديث الوارد فى فضلها المؤكد باليمين ذكره الغافقى ، وقوله متصلة أى من غير فصل بوقف اه وفى [جع] عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين من قرأ الفاتحة يعنى مع البسملة متصلة فى نفس واحد كانت له بفدية هكذا ورد بسند متصل وعزاه للشيخ الأكبر رضى الله عنه اه (وبالحمد بالضم على الحكاية (صل) من الوصل ضد الوقف (ميم الرحيم) من بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا تقف عليها لما مر ، ولما نقل من أن القطب سيدى أحمد بن القطب سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنهما وأرضاهما وجعل أعلى عليين مأواهما أخذ فاتحة الكتاب بالقراءة الورشية متصلة ميم البسملة بالحمد لله رب العالمين عن سيدى عبد المؤمن الجنى الصحابى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حين التقى به ببدر حين حج ، وذكر أبو المواهب السائحى رضى الله عنه وعنا به آمين هذه القضية فى بغيته وذكر أنه وقف عليها أنظرها (فتظفرا) بألف مبدلة من الخفيفة (بما) ورد (فيه) أى فى وصلها بالحمد لله الخ (من خير كثير) وفضل كبير (وفدية) كما مر .

وفى [مح] وأما معتمدنا على قراءتها أول الفاتحة فى الصلاة من جهة علم الحقيقة فقد أخبرنى سيدى محمد الغالى ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بقراءتها أوّل الفاتحة فى الصلاة وغيرها وأذن لى فى ذلك وفى إعطائها وهو عن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أحمد بن محمد الحسنى التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ، وهو قد أمره بذلك وأذن له فيه سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر لى سيدى محمد الغالى

أيضا ونحن بمكة المشرفة أن من قرأ البسملة متصلة بالفاتحة فى نفس واحد فى الصلاة وغيرها وهو عن الشيخ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وأطلعنى على أسرار فى ذلك منها أنه أعطانى ورقة فيها مانصه: « قال الشيخ القاضى مجد الدين الفيروزبادى رحمه الله: [والله العظيم لقد أخبرنى الشيخ صفى الدين البعلبكى عن الشيخ القارونى عن محمد بن العربى أنه قال: إذا قرأت الفاتحة فقل بسم الله الرحمن الرحيم فى نفس واحد فإنى أقول والله العظيم لقد سمعت من لفظ أبى بكر الفضيل بن محمد الكاتب، وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو محمد على السالسى عن لفظه، وقال بالله العظيم لقد حدثنى عبد الله المعروف بأبى نصر الصرخاوى، وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو عبد الله الوراق، وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد بن يونس الطويل، وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد بن الحسين العلوى الزاهد، وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الراجحى، وقال بالله العظيم لقد حدثنى عمر بن موسى البرمكى، وقال بالله العظيم لقد حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثنى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثنى المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقال بالله العظيم لقد حدثنى جبريل عليه السلام، وقال بالله العظيم لقد حدثنى ميكائيل عليه السلام، وقال بالله العظيم لقد حدثنى إسرافيل عليه السلام، وقال قال الله تعالى: ياإسرافيل وعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا أنى قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفزع الأكبر » انظره (ومن لم يبسمل) من إخواننا الأحمديين فضلا عن غيرهم (للصلاة) أى إن لم يقل بسم الله الرحمن الرحيم أول الفاتحة فى الصلاة عمدا (ففاته) وذهب عنه بذنب أصابه واقترفه لحديث « إن العبد ليحرم الرزق بذنب يصيبه » (ثواب عظيم) وخير جسيم عند رب كريم فى دار النعيم (مع) بسكون العين (صلاة صحيحة) أى مع كون صلاته صحيحة عندنا لكن إذا لم يعتقد فرضيتها ولم يقلد فيها الشافعى وإلا فصلاته باطلة وبمضمن هذا البيت أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من سأله من الأحمديين عمن تركها أول الفاتحة عمدا ومانقل عن البعض من أن صلاة من تركها باطلة غير صحيح ولا يعول عليه، وفى [مح] وأما حكمها فى الصلاة فاعلم أن إجماع الأمة قد انعقد على أن من قرأها أول الفاتحة فصلاته صحيحة ولم يقل أحد ببطلان صلاة قارئها، ثم اختلفوا بعد ذلك فقال بعضهم لاتصح صلاة تاركها أصلا وهو مذهب الشافعى وبعض العلماء، وأما مذهب مالك ففى قراءتها أول الفاتحة فى الفريضة أربعة أقوال: الوجوب والندب والإباحة والكراهة، لكن محل كراهة البسملة فى الفريضة إذا أتى بها على وجه أنها فرض من غير تقليد لمن يقول بوجوبها أما إذا أتى بها مقلدا له أو بقصد الخروج من الخلاف من غير تعرض لفريضة ولا تقليد فلا كراهة بل واجبة إذا قلد القائل بالوجوب ومستحبة فى غيرها هذا مذهب مالك رضى الله عنه وكذب غير هذا، أنظره:

وإذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

قال رحمه الله :

(وَوَفِّ شُرُوطَهَا اعْتِدَالاً طُمَيْنَةً ... وَلَا تَنْقُرَنْهَا نَقْرَ دِيكٍ لِحَبَّةِ
وَغَايَةُ مَا يُجْزِى رُكُوعاً وَسَجْدَةً ... ثَلَاثٌ مِنَ التَّسْبِيحِ مِنْ غَيْرِ سُرْعَةِ
وَعُدَّتْ مِنْ آكَدِ الشُّرُوطِ بَلْ إِنَّهَا ... أَسَاسٌ وَعُمْدَةٌ وَمَبْنَى الطَّرِيقَةِ)

(ووف) من وفاه حقه توفية أعطاه إياه (شروطها) صحة و كمالا (اعتدالا) بأن لايكون منحنيا لقوله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه من ركوعه وسجوده » (طمينة) تصغير طمأنينة بحذف إحدى النونين والهمزة والياء لأنها زائدة وهى استقرار الأعضاء زمانا مازيادة على ما يحصل به الواجب من اعتدال وانحناء ، وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، قيل كيف يسرق منها يارسول الله قال : لايتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها » وفى [عف] وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أى السرقة أقبح ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته ، قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولاسجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها » اه وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد للصلاة قبل فعلها بما يعيننا على الخشوع فيها وذلك بالجوع وترك اللغو وكثرة الذكر وتلاوة القرآن والمراقبة لله تعالى ، فإن كف الجوارح عن الفضول إنما يسهل على العبد بذلك فمن شبع ولغى وغفل عن الله تعالى شردت جوارحه عن إمكانها وعسر على العبد كفها ، فاعمل ياأخى على تحصيل الحضور مع الله تعالى فى العبادات كلها فإنه روحها إذ كل عبادة لا حضور فيها فهى إلى المؤاخذة أقرب ولا تطلب حصول خشوع من غير مقدمات سلوك أو جذب فإن ذلك لا يكون لك أبدا انظره ، وفى [جه] إن سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين كان أبدا يؤدى الفرائض والسنن ويجيء بها على أحسن سنن لا يغفل ولا يتوانى ويحافظ على إقامة الصلاة فى أوقاتها وأدائها فى الجماعات أبدا يتقنها ركوعا وسجودا على أكمل وجه وأتم وصف فى سكينة وطمأنينة وأدب مع الله عز وجل صلاة الخاشعين العارفين أمثاله لاتسأل عن كثرة خشوع وخضوع وحسن سمت وسمة لايستطيع من يعرف حاله أن يلاصقه فى الصف مخافة التشويش عليه وكثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات فى أوقاتها وفى الجماعات اه . وفى الحكم : لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات ، وعلم مافيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم ، الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب ، الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها اه . وفى [جص] إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبدا » قال الحفنى : بأن يجعل الموت نصب عينيه لأجل أن تهون عليه أمور الدنيا فيتصف بالخشوع الممدوح صاحبه فى قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون - وعلامته فى الصلاة عدم الالتفات ومداومة بصره محل سجوده لأن الخشوع روح الصلاة اه . وفى البخارى عن عائشة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس

يختلسه الشيطان من صلاة العبد » اه . وقال الخراز ، ليكن إقبالك على الصلاة كإقبالك على الله يوم القيامة ووقوفك بين يديه وهو مقبل عليك وأنت تناجيه ، وروى أنه مكتوب فى محراب داود عليه الصلاة والسلام: أيها المصلى من أنت؟ ولمن أنت؟ وبين يدى من أنت؟ومن تناجي؟ ومن يسمع كلامك؟ ومن ينظر إليك ؟ وروى « إذا قام الرجل فى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت قال يابن آدم إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير منى؟ أقبل إلىّ ، فإذا التفت الثانية قال مثل ذلك، فإذا التفت الثالثة حرف الله وجهه عنه » ورحم الله ابن المقرى إذ يقول فى قصيدته البديعة [الدرر والغرر] :

تصلى بلا قلب صلاة بمثلها ... يصير الفتى مستوجبا للعقوبة
تصلى وقد أتممتها غير عالم ... تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدرى من تناجيه معرضا ... وبين يدى من تحنه غير مخبت
تخاطبه أياك نعبد مقبلا ... على غيره فيها لغير ضرورة
ولورد من ناجاك للغير طرفه ... تميزت من غيظ عليه وغيرة
أماتستحى من مالك الملك أن يرى ... صدودك عنه ياقليل المروءة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها ... بفعلك هذا طاعة كالخطيئة
ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة ... إذا عددت تكفيك من كل زلة
سبيلك أن تستغفر الله بعدها ... وأن تتلافى فى الذنب منها بتوبة
فياعاملا للنار جسمك لين ... فجربه تمرينا بحر الظهيرة
وجربه فى لسع الزنابير تجترى ... على نهش حيات هناك عظيمة
فإن كنت لاتقوى فويلك مالذى ... دعاك إلى إسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية ... وتصبح فى أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى ... بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر ... صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر ... فلم لا تصدق فيهما بالسوية
فإنك ترجو العفو من غير توبة ... ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه ... ولم يتكفل للأنام بجنة
فلم ترض إلا السعى فيما كفيته ... وإهمال ما كلفته من وظيفة
تسىء به ظنا وتحسن تارة ... على حسب ما يقضى الهوى فى القضية

اه

(ولا تنقرنها) من نقر الطائر كنصر لقط من ههنا وههنا (نقرديك) بكسر مهملة جمعه ديوك وأدياك وديكة كعنبة (لجبة) وفى [جص] نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع ،[وأن يوطن الرجل المكان فى المسجد كما يوطن البعير : أى لايلوى من عطنه إلا لمبركه ، وينبغى تعدد محال الصلاة فى المسجد لتشهد له يوم القيامة ، وروى أن حذيفة رضى الله عنه رأى رجلا لايتم الركوع والسجود فجعل ينقر ولا يتم ركوعه ، فقال ما صليت ولومت مت غير الفطرة التى فطر الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليها (وغاية) ونهاية (ما يجزى) المصلى من الاعتدال والطمأنينة (ركوعا وسجدة) أى فى مقدار الركوع والسجود (ثلاث) مرات (من التسبيح) كسبحان ربى الأعلى وسبحان ربى

العظيم وبحمده (من غير سرعة) بضم مهملة : أى بترتيل وتمهل وتؤده. وفى [جص] «سبحوا ثلاث تسبيحات ركوعا وثلاث تسبيحات سجودا » قال العزيزى : والثلاث أدنى الكمال ، وأكمل منه فى حق المنفرد وإمام محصورين راضين بالتطويل خمس فسبع فتسع فإحدى عشرة اه . وفى [د] أقل مايجزىء فى الركوع والسجود مقدار ثلاث تسبيحات مترتلات أو ست متسارعات ، قاله لما سئل عن أقل ما يحصل به الإجزاء فى الركوع والسجود ويسمى طمأنينة ، وقال مرة أخرى من لم يحصل ذلك مع الإمام لا يعتد بتلك الركعة ، وصيغة التسبيح فى الركوع والسجود سبحان ربى العظيم وبحمده اه .

وفى [جع] ثم آكد ما يحافظ عليه من أمر الله تعالى الصلوات الخمس بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وهى مضبوطة فى كتب العلماء ، فالواجب لها المحافظة على شروطها واستكمال شرائطها وهى مشهورة ، وتثقيل هيئتها فى الركوع والسجود على الحد الذى حده صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح بقوله « ثم تركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ترفع حتى تستوى قائما ، ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ترفع حتى تستوى جالسا ، وتسجد حتى تطمئن ساجدا » وقال : وافعل فى بقية صلاتك هكذا ، واحذروا كل الحذر من الوقوع فى الهلاك الذى وقع الناس فيه من عدم الاهتمام بتكميل أمر الصلاة فإنهم ينقرونها نقر الديكة للحب ، وذلك مبطل لها بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح للذى رآه يفعل ذلك « ارجع فصل فإنك لم تصل » وهو يصلى كذلك ثلاث مرات على تلك الهيئة التى هى الإسراع فى الركوع والسجود ، ثم فى الرابعة علمه الكيفية السابقة ، وقال صلى الله عليه وسلم « صلوا كما رأيتمونى أصلى » فإنه صلى الله عليه وسلم يتم الركوع والسجود بالطمأنينة ، وحقيقة الطمأنينة فى الشرع عدم الاضطراب والسكون : ومعناه أن الراكع والساجد إذ بلغ حد الركوع والسجود أن يتراخى فيهما قدر مايسبح تسبيحات وهو راكع أو ساجد ، أقلهما ثلاث تسبيحات بالترتيل لا أقل من ذلك هذا أقل الطمأنينه ، ومن نقص من هذا القدر فسدت صلاته فإنها هى التى وقع فيها الخبر « إذا صلاها صاحبها يأخذها الملك فيلفها كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها والمطلوب فى الشرع أن يأتى الإنسان لصلاته مثل إتيانه لنومه إذا غلبه فإنه لا يأتيه مستعجلا بل يلقى عنه جميع أشغاله ، ثم ينام منحطا مطمئنا للنوم فكذلك حالة الصلاة يأتيها قد ألقى كليته إليها تاركا كل مايشغله عنها بشروطها المذكورة، ومن صلاها مستعجلا لا يطمئن فى ركوعه وسجوده على الحد الذى ذكرناه فإنها غير مقبولة وإليها يشير قوله صلى الله عليه وسلم « أول ماينظر الله فى أعمال العبد الصلاة فإن قبلت نظر فى سائر عمله» وإن لم تقبل لم ينظر الله فى شىء من أعماله، ثم الواجب تكميل الطهارة من الحدث والخبث، وليتعلم العبد كيفية الطهارة بتكميل غسل أعضاء الوضوء والغسل فإن أكثر العامة اليوم متلاعبون بغسل أعضاء الطهارة لا يستكملونها فصلاتهم باطلة يعرف ذلك من باشرهم فى هيئة الوضوء فإن من فسدت طهارته فسدت صلاته، وإن لم يستكمل الطمأنينة فى الركوع والسجود أو لم يستكمل استواء القيام بعد الركوع أو لم يستكمل استواء الجلوس بين السجدتين بطلت صلاته أى ولاسيما على رواية ابن ماجه « حتى تطمئن قائما » وعلى رواية البخارى « حتى تطمئن جالسا » والحذر الحذر من وقوع الخلل فى الصلاة فإن الصلاة فى الإيمان وأعمال الإيمان بمنزلة الروح فى الجسد إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد وإن فقدت الروح منه فقدت الحياة اه . وفى البخارى عن أبى هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل

المسجد فدخل رجل فصلى ، فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع يصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثا ، فقال والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى ، فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها » انظره ، وفيه « عن ثابت عن أنس قال : إنى لا آلو أن أصلى بكم كما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا. قال ثابت : كان أنس يصنع شيئا لم أركم تصنعونه كان إذا رفع رأسه من الركوع قام حتى يقول القائل قد نسى ، وبين السجدتين حتى يقول القائل قد نسى » وفيه « عن البراء قال : كان ركوع النبى صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين ، وإذا رفع من الركوع ماخلا القيام والقعود قريبا من السواء » وفيه « رأى حذيفة رجلا لا يتم الركوع والسجود قال : ماصليت ولومت مت على غير الفطرة التى فطر الله محمدا صلى الله عليه وسلم » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وأن شاء أدخله الجنة » ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته » ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان » ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتمم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت[1] وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » ثم قال وقال ابن مسعود وسلمان رضى الله عنهما : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم الناس ما قال الله فى المطففين ، انظره . قال تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أووزنوهم يخسرون - الآية - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - الآية ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (وعدت) الصلاة فى وقتها المختار مع الجماعة بقدر الطاقة والإمكان (من آكد) أى أوثق وأوجب (الشروط) للورد الأحمدى والنور المحمدى وفى [جه] وشرطه المحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة إن أمكن اه . وفى [غ] وقد أدركنا من أدركناه من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا يلقنون أوراده إذا أتاهم من يأخذ عنه اشترطوا عليه هذا الشرط قبل كل شىء ، وأمروا غيره من التلاميذ أهل الصدق فى الإرادة أن يعلمه الطهارة قبل كل شىء بأن يرشدوه إلى آداب قضاء الحاجة ويعلموه كيفية الاستبراء والاستنجاء على ما ينبغى شرعا ، ثم كيفية الوضوء كذلك بعد أن يعرفوه الفرائض والسنن والمندوبات فى ذلك ، ثم كيفية الغسل من الجنابة كذلك ومفروضاته ومسنوناته ، ثم كيفية الصلاة أيضا على الوجه الأكمل من إتمام أركانها وتحسين هيئتها على الحد المحدود فى ذلك ، ولا يزالون رضى الله عنهم يتعاهدون المريدين بالمذاكرة فى ذلك والحض عليه بغاية الجهد ، كما لا يزالون

---

(١) كنصر صعدت اه .

يمدحون المعتنى بذلك ويثنون عليه ويحسنون فعله ليقع التنافس فى الخير ويبرؤن من عهدة النصيحة الواجبة فى ذلك فجزاهم الله خيرا وقدس أسرارهم وأبقى فى الأتباع بركاتهم وأنوارهم آمين انظرها (بل إنها أساس) الشريعة المحمدية والطريقة الأحمدية (وعمدة) بالضم: مايعتمد عليه ولاشك أن الصلاة عماد الدين وأساسه كما أنها كذلك للورد الأحمدى ، وعنه صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين » وقوله « الصلاة عمود الدين » وفى [م] :

وكان يغرى فى فروض العين ... لكونها هى أساس الدين
مع كونه يغرى بكل أمر ... أتى عن النبى أوفى الذكر

(ومبنى الطريقة) الأحمدية المحمدية، فإن من أخل بها أو بشىء من أركانها وشرائطها لايعبأ بشىء من أعماله ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول مايحاسب به العبد الصلاة يقول الله : انظروا فى صلاة عبدى فإن كانت تامة حسب له الأجر وإن كانت ناقصة يقول : انظروا هل لعبدى من تطوع ، فإن كان له تطوّع تمت له الفريضة من التطوّع » وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة فى الرزق ، وسلاح على الأعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدى رب العالمين وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة » اهـ . قال رحمه الله :

(صَلَاةُ امْرِئٍ فِى الدَّارِ وَقْتًا بِأَهْلِهِ ... لَأَفْضَلُ مِنْهَا فِى مَسَاجِدِ كَعْبَةِ
وَقَيِّدْ ذَا بِمَنْ عَلَيْهِ تَوَقَّفَتْ ... جَمَاعَةُ مَنْ بِالدَّارِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
وَفِى جَامِعِ الصَّغِيرِ فِى فَضْلِ صَادِهِ ... لِشَارِحِهِ الْحِفْنِىِّ فُزْتُ بِبُغْيَتِى
فَدُونَكَهَا مِنْ غَيْرِ نَوْلٍ فَفُزْ بِهَا ... وَلَا سِيَّمَا إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ عُزْلَةِ)

(صلاة امرئ فى الدار) أى فى داره وبيته ، وروى : « من سعادة ابن آدم ثلاث ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاث ، فمن سعادة ابن آدم : الزوجة الصالحة ، والمركب الصالح ، والمسكن الواسع ، ومن شقاوة ابن آدم : المسكن الضيق ، والمرأة السوء ، والمركب السوء » (وقتا) أى فى وقتها المختار (بأهله) وعياله (لأفضل منها) أى من الصلاة (فى مساجد) جمع للتعظيم : أى فى مسجد (كعبة) زادها الله عزا وشرفا . وفى [جص] « صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسة آلاف صلاة ، وصلاته فى مسجدى هذا بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » قال الحفنى : قوله « بصلاة » أى واحدة إلا إن توقفت جماعة بيته على صلاته فهى أفضل حتى من المسجد الحرام اهـ . وفيه أيضا عند « ولو يعلمون مافى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » مانصه : وخص العشاء والصبح بذلك للتكاسل عنهما غالبا لما فى حضور المسجد من المشقة ، ومحل طلب حضور المسجد إن لم تتعطل جماعة بيته اهـ . قال تعالى - وأنذر عشيرتك الأقربين - ويستأنس لذلك بقوله صلى

الله عليه وسلم « لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » والنساء شقائق الرجال بل هن أحوج إلى الهداية والإرشاد لقلة من يعبأ بهن فى أمور دينهن من العلماء والصلحاء فضلا عن غيرهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

مصيبة قد عمت البلدانا ... إهمالنا الولدان والنسوانا
وتركهم سدى بلا صلاة ... فضلا عن الصيام والزكاة
وذاك أقبح من الأباء ... كأنهم ليسوا من الرعاء
فكل راع يا أخى مسئول ... عن كل ما استرعى له الجليل
فإنهم أعدا كما فى الذكر ... فهم أعظم البلا والشر
أول من يقودنا فى الحشر ... للفصل والحساب قبل الغير
فالابن قال أد حقى يا أبى ... ياولدى ياولدى ارفق بالأب
أنت الذى ضيعت حق الأدب ... أوقعت نفسك أبى فى العطب
يارب خذلى من أبى حقوقى ... وليس ذامنى من العقوق
أنت الذى ضيعت حق الله ... إذ لم تعلمنا حدود الله
وإنما علمتنا أمر الدنى ... وما دعوت أحدا لدينا
أنت الذى خالفت أمر الله ... فينا ولم ترد سوى التلاهى
بكثرة الأموال والأولاد ... وقد نسيت الزاد للمعاد
هلا تزودت ليوم الحشر ... من العبادات وكل بر
هلا تزودت ليوم العرض ... من النوافل وكل فرض
فأد حقى يا أبى بالله ... والله أرأف بعبد الله
هذا كلام الإبن والبنات ... فكيف بالعبيد والزوجات
وكيف بالأجانب الأباعد ... وليس من يرحم دون الواحد
كل يود أن له علينا ... أعظم ما كان له لدينا
وليس يألو الجهد فى الحساب ... وفى المناقشة والعتاب
يارب فارحمنا بمحض الفضل ... وأد ما للخلق قبل السؤل
وارضهم عنا بمحض الرضوان ... من بحر جودك وبحر الامتنان
يارب فارحم سائر الرعاء ... بالعفو والغفران والإرضاء
وأرض عنهم ذوى الحقوق ... بجاه خير الخلق والصديق
وبأبى حفص وباقى الخلفا ... وبأبى الفيض التجانى ذى الوفا
آمين آمين ختام الله ... على لسان المؤمن الأواه

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلم عيالنا من الزوجات والبنات والخدام الآداب الشرعية ولا نحوجهم إلى غيرنا من الأجانب فإننا نحن المطالبون بذلك دون غيرنا قال تعالى - وأنذر عشيرتك الأقربين - وفى الخروج إلى الأجانب ليتعلموا منهم آفات لا تحصى والله غفور رحيم اه . « وميدذا » أى تفضيل الصلاة فى البيت على الصلاة فى المسجد الحرام (بمن عليه توقفت) أى إن ذلك مخصوص

بمن توقفت عليه (جماعة من بالدار) من أهل وعيال وحشم وخدم (من غير مرية) أى شك (وفى جامع الصغير) للإمام السيوطى رحمه الله (فى فصل صاده) أى فى فصل الأحاديث المبدوءة وبالصاد لأن مافيه من الأحاديث مرتب على حروف المعجم (لشارحه) سيدى محمد (الحفنى) رضى الله عنه (فزت) وظفرت (ببغيتى) ومنيتى (فدونكها) أى خذها لله (من غير نول) أى أجر ومن غير منة (ففز بها ولاسيما إن كنت) يا أخى (صاحب عزلة) عن الناس ليسلموا من شرك لا لتسلم من شرهم. وحكى عن بعضهم لما انعزل فى خلوته عن الناس وانفرد بنفسه أنه قال: وجدت لسانى كلبا عقورا قل أن يسلم منه من خالطه فحبست نفسى ليسلم الناس من شره وآفته، ومن عزل بهذه النية فقد فاز بالخير والمنى وسلم من الخيلاء والدعوى، وإياك أن تنوى بالعزلة سلامتك من شر الناس فإن ذلك هو الداء العضال والعطب فيه موجود إذ فيه تحسين الظن بالنفس الأمارة بالسوء وإساءة الظن بالمسلمين، وهاتان الخصلتان أقبح كل شر وأس كل ضير، نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه آمين. وكان بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه يقول: إذ ليم على عدم الخروج: إنما يسجن الكلب العقور ويسلسل فى قعر الدور ليسلم الناس مما له من الإذاية والشرور، ومع ذلك يعقر وينبح على من خطر فى الصدور، فكيف بمن رآه أو خالطه فى الآصال والبكور، - إنا لله وإنا إليه راجعون - رب إنى مغلوب فانتصر - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا - آمين قال رحمه الله:

(وَلَازِمْ رَوَاتِبَ الفَرَائِضِ فِى المَلَا ... تَهَجُّدْ بِقُرآنٍ وَلَوْ حَلْبَ نَعْجَةِ

فَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أَقْرَبُ وُصْلَةٍ ... وَكَمْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ جَزِيلٍ وَرَحْمَةِ

وَفِيهِ سُوَيْعَةٌ لَهَا فَتَعَرَّضَا ... لِكُلِّ مُصَادِفٍ إِجَابَةَ دَعْوَةِ)

(ولازم) من لازم الشيء واظب عليه (رواتب) جمع راتبة (الفرائض) الخمس سواء كانت قبلية أو بعدية (فى الملا) ضد الخلاء لإظهار شعائر الإسلام وليتأسى بك الأنام وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلن بأعمالنا المستحبة التى لم نؤمر بإظهارها فى كل موطن يقتدى بنا فيها، فربما تشبه أحد بنا فيحصل لنا مثل ثواب عمله إن شاء الله تعالى، وفى الحديث «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» وكان الشيخ أبو مدين التلمسانى رضى الله عنه يأمر إخوانه بإظهار العبادات والكرامات ويقول: أعلنوا بالطاعات كما يتجاهر أهل المعاصى بالمعاصى، لاسيما فى مواضع المعاصى، فأظهر يا أخى الأعمال بهذه النية فإن بذلك يظهر شعائر الدين، انظره: [فائدة] ثلاثة من أعمال البر لا تخرج من عمل السر وإن عملت فى الجهر: من قرأ فى سره فمر بسجدة فسجد بحضرة غيره، ومن صام فدعى إلى الطعام فقال إنى صائم، ومن عمل عملا فى داره بحضرة أهله فإن ذلك كله لا يخرجه عن عمل السر، والله رءوف بالعباد فله الحمد فى الأولى والآخرة. وفى [خل] فينبغى له أى للمعلم أن يشديده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فإظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ماعدا موضعين فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يفعلهما إلا فى بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب، انظره. أما فى الجمعة فلئلا يتوهم أنهما المحذوفتان، وأما فى المغرب والله أعلم فلشدة ملاصقة بيته بمسجده صلى الله عليه وسلم، ومن بعد بيته عن المسجد فليصلهما فى المسجد لئلا تفوته ثمرة مشروعيتهما، وامتثال قوله صلى الله عليه وسلم

«عجلوا بالركعتين بعد المغرب لترفعا» أى مع عمل النهار وفيه دليل على رفع صلاة المغرب مع سنتهامع عمل النهار ، وفيه أيضا : والتنفل فى المساجد بتوابع الفرائض أفضل من فعلها فى البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لاعلم عنده بتأكدها فيقتصر على الفرائض دونها ، وهذا كله فيما عدى الركوع بعد المغرب وبعد الجمعة ، أما المغرب فلأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يركع بعدها فى بيته ، وحكمة ذلك أنه فعل ذلك عليه الصلاة والسلام رحمة بأمته إذ أن من كان منهم صائما وركع عقب المغرب فى المسجد لاينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه ، فقد يكون عند بعضهم الأولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة ، فأزالها عليه الصلاة والسلام عنهم بركوعه فى بيته ، على أنه لو ركع فى المسجد لم يكره لأن ذلك إنما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس ، فإذا أمن منها جاز ، وأما فى الجمعة فلا يتنفل بعدها إمام ولا غيره إلا فى بيته ، ثم قال : وورد أن عمر رأى رجلا قام يتنفل بعد الجمعة فجبذه وأقعده وقال له : اجلس ، تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر ، والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فلم يقل شيئا فالتنفل بعد الجمعة فى المسجد بدعة لما ذكر حتى ينصرف إلى بيته فيصلى فيه ، فإن كان غريبا أو لابيت له أو ممن يريد انتظار العصر ، فقيل يخرج من باب ويدخل من باب ، وقيل ينتقل من مكانه إلى غيره من المسجد فيصلى فيه ، وقيل إذا طال مجلسه أو حديثه بما يسوغ الكلام به فى المسجد فيجوز له أن يركع فى موضعه من غير انتقال اه (بخ) وكان سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين يحرض على ركعتين بعد المغرب لأنهما رغيبة وعلى جبرها بخمسين من صلاة الفاتح الخ إذا فاتتا ولكنهما أهملتا اليوم عند الإخوان وما ينبغى لهم ذلك والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفى [د] من فاتته الركعتان الواردتان بعد المغرب فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم خمسين مرة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ يحصل له فضلهما اه . وروى النسائى « من صلى فى اليوم والليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة ، أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعده ، وركعتين قبل العصر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين قبل صلاة العشاء » وفى البخارى عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين ، وبعد المغرب ركعتين فى بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لايصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين » أى فى بيته .

وفى [جص] « من صلى قبل الظهر أربعا غفر له ذنوبه يومه ذلك» وفيه «من صلى الضحى أربعا وقبل الأولى أربعا بنى له بيت فى الجنة» وفيه «من حافظ على أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربع ركعات بعدها حرمه الله على النار» وفيه « رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا» وفيه «من صلى قبل العصر أربعا حرمه الله على النار » وفيه « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبتا فى عليين » وفيه « عجلوا الركعتين بعد المغرب فإنهما ترفعان مع المكتوبة» وفيه « اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم السبحة بعد المغرب » قال العزيزى : اتفق الأئمة على استحبابهما وهما من الرواتب المؤكدة اه . وينبغى للصائم أن يصليهما فى بيته رحمة بعياله ولكن إذا توقف أكلهم عليه ألا فليصلهما فى المسجد كغير الصائم والله أعلم . وفيه «من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له بها ذنوب خمسين سنة» وفيه «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة» وفى [غص] وسألته رضى الله عنه ماذا أنوى بالست ركعات التى أصليها بعد صلاة المغرب؟ فقال رضى الله تعالى عنه : انو باثنين منها الشكر لله على نعم لا تستطيع لها شكرا ، وباثنين منها الشكر لله الذى جعلك مسلما ، وباثنين منها الشكر لله الذى جعلك من أمة محمد صلى الله

عليه وسلم ، ثم قال لى : وهكذا فافعل فى سائر النوافل التى بعد الفرائض انوبها الشكر لله على تأدية تلك الفريضة ، ثم قال : هكذا أوصانى سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه ، وكذلك أوصانى أن نصلى صلاة الغيبة بعد المغرب على كل من مات وغسل من أموات المسلمين ذلك اليوم ، ثم قال لى : ولا تواظب على ذلك لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله والله تعالى أعلم اه . وفى [عف] فإذا دخل وقت الصلاة يقدم المريد السنة الراتبة ففى ذلك سر وحكمة ، وذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة مع الناس وقيامه بمهام المعاش ، أو سهو جرى بوضع الحيلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فإذا قدم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ، ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ، انظره . وفيه : وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لايكتب للعبد من صلاته إلا مايعقل » وقد ورد فى لفظ آخر « منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر » قال الخواص : ينبغى للرجل أن ينوى نوافله لنقصان فرائضه فإن لم ينوها لم يحسب له منها شىء ، بلغنا أن الله لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة يقول الله تعالى « مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين » وقال أيضا : انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين إحداهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض . والثانية انهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق اه (تهجد) من تهجد استيقظ ليلا للصلاة والهجود كرسول المصلى بالليل (بقرآن) قال تعالى ـ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ـ وروى أن المتهجد يشفع فى أهل بيته وقال ـ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ـ الآية . قيل أوحى الله إلى داود عليه السلام « ياداود من أحبنى يتهجد ويتهجد بين يدى إذا نام البطالون ويذكرنى فى خلواته إذا لها عن ذكرى الغافلون » وفى [ثيق] إن أبايزيد البسطامى كان صغيرا فى المكتب فلما وصل إلى سورة المزمل قال لأبيه : من هذا الذى أمره الله بقيام الليل : فقال : هذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فلم لم تفعل كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال ذلك أمر شرفه الله به ، فلما قرأ ـ وطائفة من الذين معك ـ قال : من هؤلاء يا أبت ؟ قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فلم لم تفعل كما فعلوا ؟ قال : هؤلاء قواهم الله على قيام الليل ؛ فقال : يا أبت لاخير فيمن لايقتدى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فصار أبوه يصلى بالليل ، فقال يا أبت علمنى صلاة الليل ، فمنعه وقال له إنك صغير ، فقال إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأهل الجنة إلى الجنة أقول يارب أردت الصلاة بالليل فمنعنى أبى ، فقال يابنى قم فصل اه . وقال تعالى ـ كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ـ ورحم الله من قال :

أطيعوا وجدوا ولا تكسلوا ... فأنتم إلى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فالأكابر كانوا ... قليلا من الليل مايهجعون

وقال تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ـ الآية ، وفى البخارى « إن أخا لكم لايقول الرفث » يعنى بذلك عبد الله بن رواحة رضى الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ماقال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وفى [عف] قال ذو النون المصرى : رأيت ببعض سواد الشام امرأة فقلت من أين أقبلت ؟ قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فقلت : وأين تريدين ؟ قالت : إلى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فقلت صفيهم لى ؟ فأنشأت :

قوم هومهم بالله قد علقت فمالهم همة تسمو إلى أحد
فطلب القوم مولاهم وسيدهم ياحسن مطلبهم للواحد الصمد
ماإن تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
ولا لباس ثياب فائق أنق ولا رواح سرور حل فى البلد
إلا مسارعة فى أثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد

ورحم الله من قال فيهم :

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

ورحم الله العلامة المقدسى إذ قال فيهم :

وإذا بدا ليل سمعت أنينهم وحنينهم بتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل الهطال
متفاوتون بقربهم وبحبهم كتفاوت العمال فى الأعمال
فى الليل رهبان لخدمة ربهم وتخالهم فى الجود كالأبطال
تاهوا على كل الملوك وإنهم لهم الملوك بعزة الإقبال
ولرب أشعث حقرته ذيوله ولدى المليك هو العزيز الغالى
خمص البطون لما بهم من فاقة شعث الرؤوس لروعة الأهوال

ثم قال :

لاينظرون إلى سوى محبوبهم شغلا به عن سائر الأشغال
فهم إليك وسيلتى ياسيدى ألا وصلت حبالهم بحبالى اه

ومن قال :

وربك لو أبصرت قوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ (١) الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا اه

وفى [عف] نقل عن على بن بكار أنه قال : منذ أربعين سنة ماأحزننى إلا طلوع الفجر ، وقيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال ماراعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وماتأملته . وقال أبو سليمان الدارانى : أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل الجنة إلا ماتجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين

---

(١) جمع بلغة اه .

فى الأسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الغافلين ، وقد ورد أن الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه : إن لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلىّ وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك ، قال : يارب وما علامتهم ؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلى كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلىّ بإنعامى فبين صارخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشكون من حبى ، أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانى لو كانت السموات السبع والأرضون ومافيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالث أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه » فالصادق المريد إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار فتكون حركاته وسكناته بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ، ويصير قالبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته ، انظره . وفى [حى] إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة يا أباهريرة : أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا ؟ قم من الليل فصل وأنت تريد رضا بك ، يا أبا هريرة صل فى زوايابيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل ، وتكفير للذنوب ، ومطردة للداء عن الجسد ، ومنهاة عن الإثم » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه النوم عليها إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » ثم قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : شبع يحيى بن زكرياء عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح ، فأوحى الله تعالى إليه « يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى ، فوعزتى وجلالى يايحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق فقال « سينهاه مافعل » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح فى وجهها الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حزبه أو عن شىء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » انظره ، وفيه قال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن مايكون وفى يدها رقعة فقالت لى : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت نعم ، فدفعت إلىّ الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الأوانس فى الجنان

تعيش مخلدا لاموت فيها ... وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

وحكى عن ثابت رحمه الله أنه قال : كان أبي من القوامين لله فى سواد الليل قال : رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لاتشبه النساء فقلت لها من أنت ؟ فقالت حوراء أمة الله ، فقلت لها زوجينى نفسك ؟ فقالت اخطبنى من عند ربك وأمهرنى ، فقلت وما مهرك ؟ قالت طول التهجد ، ورحم الله من قال فى سريع مطوى مكسوف :

يا طالب الحوراء فى خدرها ... وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لاتكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... والتزم الوحدة فى وكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أترابها ... وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى ... تراه فى دنياك من مهرها

وفى [شب] وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت قدماه ولما قيل له هون على نفسك يارسول الله ألم يغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال أفلا أكون عبدا شكورا » اه (ولو) كان التهجد بالقرآن مقدار (حلب) وفى [س] الحلب ويحرك استخراج مافى الضرع من اللبن اه (نعجة) بفتح نون وكسرها أنثى الضأن لحديث « من قام من الليل قدر حلب شاة كان من قوام (١) الليل » وفى [جص] « لاتدعن صلاة الليل ولو حلب شاة ولو ركعتين مامن أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم مناد ياأهل البيت قوموا لصلاتكم » وفيه « ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » وفى [عف] وقد جاء فى الخبر « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل : يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين اه . وفى [غ] والذى عليه العمل فى طريقنا قيام ما تيسر منه ولو بقدر مايصلى ركعتين يسبق بهما الفجر ، ويكون بما تيسر من تلاوة القرآن داخل الصلاة أو خارجها ولو سورة أو آية يرددها إن لم يحفظ غير ذلك ، وبذكر الله من الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الباقيات الصالحات ونحوها ، ولو لم يكن إلا الإتيان بتسبيح ملء ماعلم وعدد ماعلم الخ ثنتى عشرة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق كذلك أيضا يسبق بذلك الفجر ، وليس فى طريقنا تحديد فى هذا القيام بركعات مخصوصة كيفية وعددا بل الأمر فى ذلك عندنا بحسب ماتيسر ، ثم قال : وقد أخبر فى بعض الفضلاء الثقات من خاصة سيدنا الشيخ رضى الله عنه وملازميه أن سيدنا رضى الله عنه كان يوصيه ويؤكد عليه فى قيام الليل حتى قال له : فإن اعتراك فتور أو مرض أو نحو ذلك فاحرص على أن تقوم قبل الفجر ولو بمقدار ماتصلى ركعتين خفيفتين ثم تصلى الفجر والصبح ، ثم لاعليك إن أخرت الورد إلى الضحى مثلا ، انظرها (فإن قيام) أى إحياء (الليل) ويحصل بالثلث الأخير منه بل وبصلاة العشاء والصبح فى جماعة كما مر (أقرب وصلة) بضم الواو أى بين العبد ومولاه

---

(١) جمع قائم اه .

(وكم فيه) أى فى قيام الليل (من خير جزيل) عظيم (ورحمة) عميمة ، وفى نسخة :- وفيه تنزل [1] عواطف نفحة .

وفى [جص] « أقرب مايكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن » وفيه «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » وفى [جه] ويحافظ على قيام الليل لاسيما آخره يحث عليه ويرغب فيه أتم ترغيب وينشط له ويقول : فيه تتنزل الرحمات وعواطف النفحات ، وأن من استيقظه الله فيه فقد استدعاه إلى رحمته اه . وفى [حى] وشكى بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم؟ فقال أستاذه : يابنى إن لله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ، فقال ياسيدى تركتنى لا أنام بالليل ولا بالنهار . واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل انظره .

[وفى] مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » وفيه عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل يعطى هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتى ينفجر الصبح » وفيه عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له أو يسألنى فأعطيه ، ثم يقول من يقرض غير عديم ولا ظلوم » أى بالمطل والتسويف وعدم الوفاء ، وفى [جه] وسأله رضى الله عنه عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث « ينزل ربنا فى كل ليلة إلى سماء الدنيا » الحديث ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن للحق سبحانه وتعالى فى مرتبة ذاته نسبتان [2] نسبة الكنه وهذه المرتبة بعيدة عن التغير بالزمان والمكان والنسب والإضافات والجهات والتوجهات لا تقبل شيئا من هذه النسب لا ظاهرا ولا باطنا ولا حقيقة ولا مجازا ، والنسبة الثانية نسبة التنزل إما بالنيابة وإما بالرحمة والفضل وإما بالغضب والبطش وإما بالاشتراك فأما نسبة النيابة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم «السلطان ظل الله فى الأرض» ومعناه ينوب عن الله سبحانه وتعالى بإيقاع الخير والشر لإصلاح الأرض كل بما يختص به من أهله وكقوله سبحانه - إنى جاعل فى الأرض خليفة - فهذا تنزل النيابة ، وإما تنزل الرحمة والفضل مثل ماقيل فى الحجر من أنها يمين الله فى الأرض يريد من قبلها كأنما قبل يد الحق سبحانه بمعنى أنه ينغمس فى بحر الرحمة والفضل ، وكقوله « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » فهو من هذا القبيل تنزل الرحمة والفضل كما يقول فى آخر الحديث « هل من داع يدعونى فأستجيب له هل من مستغفر يستغفرنى فأغفر له هل من تائب يتوب فأتوب عليه هل من سائل يسألنى فأعطيه » وكما فى البيت الحرام حيث جعلها خاصة به معناه أنه يتنزل فيها برحمته وفضله لتكون له حمى من لاذ بحماه استوجب رضاه وعفوه من الطائفين به فإنه كساها كسوة عظمته وجلاله ، فإن من رآها ذل لها وخضع لما كسيت به من العظمة والجلال وكساها كسوة رحمته وفضله لما فى الخبر « أنه ينزل عليها كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين

---

(١) بحذف إحدى التاءين اه .

(٢) قوله نسبتان بألف صحيح على حد قوله تعالى: إن هذان لساحران.

وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وكساها كسوة البطش والغضب لمن أرادها بسوء فإما أن يعجل هلاكه فى هذه الدار وإما أن يدخر له من شدة العذاب وأليم النكال فى الآخرة ممالاحد له ولا غاية وهذه تنزلاته فيها ، ثم قال : وأما تنزله بالغضب والبطش والعياذ بالله مثل قوله تعالى ـ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ـ الآية ، ومعلوم أنه ماسلط عليهم إلا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما تنزل الاشتراك مثل قوله سبحانه وتعالى ـ وجاء ربك والملك صفا صفا ـ فإنه فى ذلك المقام يظهر فضله ورحمته على طائفة ويظهر بطشه وغضبه على طائفة فى مقام واحد فإنه من تنزل الاشتراك ، انظره .

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لاننام قط فى الثلث الأخير ، ولا فى جميع ليلة الجمعة ، ولا فى ليلة النصف من شعبان ، ولا فى ليالى القدر ونحوها إلا غلبة ، وذلك لما ورد من تجلى الحق تعالى فى هذه الليالى ، وفى تفسير الإمام سنيد : إن الله تعالى يتجلى كل ليلة فى الثلث الأخير من الليل إلا ليلة الجمعة فإنه تعالى يتجلى فيها من غروب الشمس إلى خروج الإمام من صلاة الصبح ، ويقبح على فقير النوم فى هذه الأوقات فإنها أوقات مواكب السلطان الأعظم ، فحكم من نام فيها ثم طلب بعد ذلك حاجته من الله حكم من تأخر من أصحاب الحوائج حتى انفض موكب السلطان وانفض دست المملكة كله واحتجب الملك ، فتقول له الحاشية مابقى قضاء حاجة إلا فى موكب آخر ، فيرجع خائبا ، فإن ترتيب المملكة فى عالم الغيب كترتيبها فى عالم الشهادة ، ثم قال : فعليك يا أخى بحضور الموكب المذكور تصبح حوائجك كلها مقضية وقلبك مستريحاً من أنكاد الدنيا عكس من نام فإنه يصبح خبيث النفس كسلان وحوائجه كلها متعطلة ، ثم الذى ينبغى لك يا أخى وقت التقريب من تلك الحضرات الشريفة أن يكون السؤال فى أمور الآخرة ومصالح المسلمين العامة ، وينبغى للإنسان أن يبدأ بما لا بدله هو منه من غير إسراف إن كان يقينه ضعيفا ، ويؤخر حاجته حتى يسأل لغيره إن كان قوى اليقين ، وكان سيدى ابراهيم المتبولى يقول : إذا وجد أحدكم تقريبا من الحق تعالى فليشفع فى أهل عصره كلهم من المسلمين أن يتجاوز الحق تعالى عنهم ، ثم قال : حكى عن أبى يزيد أنه كان يقول سألت الله أن يشفعنى فى أهل عصرى فإذا بالهاتف يقول : شفعناك فيهم ، والله غفور رحيم اه .

وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن النور الذى يظهر على وجوه قوام الليل وغيرهم من العباد هل هو علامة خير أو علامة شر ؟ فقال هو علامة شر لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا جعل نوره فى قلبه ليعرف ما يأتى وما يذر ، فإذا أراد الله بعبده شرا جعل نوره على وجهه وأخلى قلبه من النور فوقع فى كل رذيلة ، وكذلك كان كمل الأولياء الملامتية لكونهم على أعمال صالحة لايقدر أحد على القيام بها ، ومع ذلك لا يتميزون عن العامة بشىء فكانوا مجهولين القيام فى الدنيا لايعلمهم إلا الله وحفظ الله تعالى عليهم رأس مالهم فلم ينقص منه شىء ، بخلاف من ظهر عليه أمارات الصلاح فإن الناس يتبركون به ويثنون عليه بذلك فربما استوفى بذلك حظ عبادته ، والله تعالى أعلم اه (وفيه) أى وفى جميع الليل (سويعة) صغرت للتعظيم أى ساعة عظيمة المقدار كثيرة الأسرار والأنوار (لها فتعرضا) بألف مبدلة من الخفيفة لحديث « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » الحديث (لكل مصادف) وموافق لها (إجابة كل (دعوة) دعابها له ولغيره من المسلمين لم تكن إثما أو قطيعة لحديث « يستجاب لأحدكم مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » وفى مسلم عن جابر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » وفيه عنه أيضا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال «إن فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه » قال النووى: فيه إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة» ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها اهـ. وفى [مح] بعد نقل هذا الحديث الشريف ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة اهـ . وفى [هب] لما سئل هل ولد صلى الله عليه وسلم ليلا أم نهار ؟ فقال رضى الله عنه : الذى فى الواقع ونفس الأمر أنه عليه الصلاة والسلام ولد فى آخر الليل قبل الفجر بمدة ، وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر ، والمدة التى بين انفصاله صلى الله عليه وسلم من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هى ساعة الاستجابة فى الليل التى وردت بها الأحاديث وفخمت أمرها وأشعرت بتعظيمها وامتداد حكمها إلى يوم القيامة. قال رضى الله عنه : وفى تلك الساعة يجتمع أهل الديوان من أولياء الله تعالى من سائر أقطار الأرض، وفيهم الغوث والأقطاب السبعة أهل الدائرة والعدد رضى الله عنهم أجمعين ، ويكون اجتماعهم بغار حراء خارج مكة وهم الحاملون لعمود نور الإسلام، ومنهم تستمد جميع الأمة، فمن وافق دعاؤه دعاءهم ووقوفه وقوفهم فى تلك الساعة أجاب الله دعوته وقضى وطره ، وكان رضى الله عنه يدلنا على قيام هذه الساعة كثيرا ويقول لنا: إن الفجر يطلع بمكة قبل طلوعه بمدينة فاس فراقبوا فى قيامكم فجر مكة واعملوا عليه ، فسألته عن المقدار الذى يسبق به على فجر مدينة فاس ؟ فقال رضى الله عنه : يطلع الفجر بمكة قبل قيام ابن حمو المؤذن بالقرويين ، فقلت : فالساعة إذا وقت قيام الوردى والسلاوى الذى بعده ؟ فقال رضى الله عنه : نعم ، قلت : وكذا كنت قبل أن أجتمع معه رضى الله عنه أقرأ آخر سورة الكهف - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا - إلى آخر السورة لأفيق فى ساعة الاستجابة ، وبقيت على ذلك نحوا من ستة عشر عاما ، فكنت غالب ما كنت أفيق فى وقت الوردى، وكنت أفيق فى بعض الأحيان فى وقت السلاوى بعده ، وكذا سمعت من جماعة ممن اعتنى بأمر هذه الساعة المباركة ممن يسكن فى غير مدينة فاس قالوا: فما كنا نفيق إلا فى آخر الليل قبل الفجر بمدة يعنون فجر بلادهم ، والله تعالى أعلم ، ولذا طوى هنا :

وفى ذهب الإبريز تبيين وقتها لعبد العزيز القطب من غير مرية

قال رحمه الله :

(وَبِالْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ بَعْدَ الْعِشَا اسْتَعِنْ وَذِكْرٍ وَقُرْآنٍ وَتَخْفِيفِ مِعْدَةِ
وَقَيْلُولَةٍ وَتَرْكِ إِتْعَابِ نَفْسِهِ وَذَنْبٍ نَهَارًا وَهْوَ أَعْظَمُ عِلَّةِ
سَلَامَةُ صَدْرٍ عَنْ ضَغِينَةِ مُسْلِمٍ وَحُبٍّ وَخَوْفٍ وَاشْتِيَاقٍ لِجَنَّةِ
وَرَغَّبَ شَيْخُنَا عَلَيْهِ صِحَابَهُ وَقَالَ لِمَنْ أَبَى فَدَعْ عَنْكَ سُبْحَتِي)

[و] إذا علمت ما فى قيام الليل من الفضل ورغبت فيه فاستعن عليه (بالغسل) لجميع الجسد ولو بلا موجب وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نؤخر غسل الجنابة فى ليل أو نهار إلا لعذر شرعى ، وكذلك نأمر حليلتنا بالمبادرة إلى الغسل ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس حتى العلماء يجامع أحدهم قبل النوم وبعد العشاء وينام جنبا حتى يطلع النهار ويخرج إلى الحمام ، وربما لم يخرج من الحمام إلا ضحوة النهار كما شاهدنا ذلك من بعض الناس ، وقد وقع لى أنى

نمت مرة على جنابة فسمعت قائلا يقول لى : من نام على جنابة تعسرت عليه أسباب رزقه فلا يحصل له الرغيف حتى تكاد تزهق روحه ، فمن ذلك اليوم وأنا خائف من النوم على جنابة ، وربما كان الوقت بردا ولم أجد ما أسخن به الماء فأغتسل بالماء البارد بعد أن أقول بتوجه تام يارب احمل عنى ضرر هذا الماء فإنك تعلم أنى ما تحملت مشقة هذا الماء إلا إجلالا لك يارب وتعظيما أن أجالسك على جنابة ، فلا يضرنى استعمال ذلك الماء البارد ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص يقول : استعملوا ماء البئر فى الشتاء فإنه أنفع من ماء الحمام لأن ماء البئر يعقبه حرارة وماء الحمام يعقبه برودة ، وإذا ألف البدن استعمال الماء البارد ذهب ضرره إن شاء الله تعالى ، فعلم أنه لايقدر على العمل بهذا العهد إلا من صدق فى محبة الله عز وجل ومحبة أهل حضرته من الأنبياء والأولياء ، فإن الجنابة حضرة بعد وجفاء وحجاب عن الله عز وجل وأهل حضرته ، والمحب لايصبر على عدم شهود محبوبه طرفة عين ، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : من كان من أهل الحضرة عرف مقدار الوصل والهجر . قال : وقد نمت مرة على جنابة فما استيقظت إلا وجميع أهل الحضرة قد اصطفوا بين يدى الله فى سائر أقطار الأرض فلا تسألوا ماحصل عندى من الخجل من الله تعالى حتى كدت أذوب اه انظره ، وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لاننام قط على جنابة لاسيما فى الأوقات الفاضلة كليلة الجمعة وليالى القدر ، ونأمر أصحابنا بذلك فيجامعون أواخر الليل عند استيقاظهم من النوم أو فى النهار ويغتسلون على الفور ، وذلك حتى لا تحتجب روح الإنسان عن السجود بين يدى الله عز وجل إذا نام دائما لأجل قرب الملائكة منه فإنها تتباعد عن الجنب كما ورد ، وإذا بعدت الملائكة حضرت الشياطين ، وأما نومه صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان على جنابة فإنما هو تشريع لأمته وذلك أمر يثاب عليه صلى الله عليه وسلم ثواب الواجب فافهم اﻫ . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه سلم أن نواظب على الطهارة عند النوم وننوى القيام للتهجد كل ليلة ولاننام على حدث إلا لضرورة شرعية أو غلبة نوم ، ثم قال : فإن الروح إذا فارقت الجسد بالنوم وهى على طهارة أذن لها فى السجود بين يدى الله تعالى حتى يستيقظ ، وإذا فارقت الجسد محدثة وقفت بعيدة عن الحضرة ففاتها العبادة الروحية المجردة عن الجسد كالملائكة ، فافهم فهذا من سر النوم على الطهارة انظره .

(و) استعن عليه (بالوضوء) كذلك ولتنو به رفع الحدث إن كنت محدثا لتباح لك به الصلاة . وفى [جص] « طهروا هذه الأعضاء طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه ملك فى شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال اللهم اغفر لعبدك هذا فإنه بات طاهرا » وفيه « من بات طاهرا ثم مات من ليلته مات شهيدا » وفيه « الطاهر النائم كالصائم القائم » وفى [خل] والحكمة فى وضوئه عند إرادة النوم تارة يكون من باب الاضطرار وتارة يكون من باب الاختيار كالأكل والشرب منه ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار ، ورأس مال المؤمن إنما هو عمره فإن عمر عمره بالعمل الصالح ربح عمره وزكى فشرع له الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند إرادة النوم لكى يختبر به النوم من أى جهة هو فإن كان من باب ضرورية البشرية فهو لا يذهبه الوضوء وإن كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهبه ، وفيه وجه آخر وهو أن النوم هو الموت الأصغر فشرع له نوع من الطهارة كالميت ، وفيه وجه آخر وهو أنه قد يموت فى ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكى يكون على أكمل الحالات ، وفيه وجه رابع وهو أن النوم إذا وقع عقب الطهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لأجل بركة الاتباع فتوفر

عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لاننام على حدث أصغر فى ساعة من ليل أو نهار وإنما ننام على وضوء أو تيمم خوفا أن تقبض أرواحنا على حدث ، واعلم يا أخى أن الطهارة تتأكد عليك إذا تعاطيت ناقضا مجمعا عليه كالبول والغائط أشد من تعاطيك ناقضا مختلفا فيه كالفصد ومس الذكر والدبر ونحو ذلك اه (بعد) صلاة (العشا) قصره للوزن (استعن وفى [خل] وقدكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته بعد صلاة العشاء وفرغ من ركوعه فى بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة ثم إذا عزم على الدخول فى الفراش فالمستحب له أن يتوضأ للنوم وإن كان على وضوء ثم يركع فى الموضع الذى ينام فيه، وهذا مالم يوتر فإن كان قد أوتر، فالأولى أن لايصلى بعد الوتر إلا بعد أن يقوم من نومه على المشهور ورجاء أن تستغفر له الملائكة مادام فى مصلاه وإن كان نائما لقوله عليه الصلاة والسلام « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه » انظره . وفى [عف] ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الأخيرة أيضا معين على قيام الليل حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الأخيرة ومرة بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح ، فللوضوء والغسل بعد العشاء الأخيرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل ، ثم قال : ولايدخل المريد النوم إلا وهو على الطهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لاتصدق» والمريد المتأهل إذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوؤه باللمس ولايفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل بالتذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل فى الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضا لمكان صلابته أنظره ، وفيه : فإن ابتلى العبد فى بعض الأحيان بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين ، وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج فى تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ، ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه ، انظره . وروى أن أبا حنيفة رضى الله عنه قد صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ومع ذلك كان يكثر البكاء فى آخر الليل بعد التهجد ويقول :

فواحزنا أن لا حياة هنية ولاعمل يرضى به الله صالح

(وذكر) أى واستعن أيضا على قيام الليل بذكر عند النوم ولاسيما بالأذكار المروية فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو « اللهم باسمك وضعت جنبى وبك أرفعه » الخ وآية الكرسى الخ - ولله ما فى السموات وما فى الأرض - وأن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض - إلى - المحسنين - وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ثلاثا ،وقل يا أيها الكافرون لحديث « إذا أخذت مضجعك من الليل فأقرأ : قل يا أيها الكافرون ثم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » وكذا « سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر أربعا وثلاثين » وكذا « اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك » وفى [شب] فائدة ، روى « أن من قال عند نومه : اللهم لاتؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين ، اللهم ابعثنا فى أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا : بعث الله إليه ملكا فى

أحب الساعات إليه فيوقظه فإن قام ودعا استجيب له » اه . وروى « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم قال اللهم اغفرلي أودعا استجيب له فإن توضأ قبلت صلاته » اه . وفي [غ] فائدة ، قد صح « أنه ما من ليلة إلا وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه » وقد قال الشيخ زروق قال بعض من لقيناه من الشيوخ : ومن شاء القيام فيها فليقرأ ماورد للقيام في أي وقت شاء كآخر سورة الكهف ونقل عن الهلالي رحمه الله أنه ذكر أن من قرأ قوله تعالى - الله يتوفى الأنفس - إلى قوله تعالى - مسمى - يقيمه الله تعالى متى نوى ويفعل مانوى وشرطها أن لا يتكلم بعدها . قال : وهي مجربة جدا اه . وفي [عم] وكذلك نواظب على قراءة الأذكار الواردة عند النوم وعند الاستيقاظ لكون الحق تعالى يحب ذلك لا لعلة أخرى إلا أن يصرح بها الشارع كالحفظ من الشياطين حتى يصبح ونحو ذلك ، وقد جربوا فوجدوا الأذكار عند النوم من أعون الأمور على قيام الليل وخفته على القلب والجوارح ، انظره ، وفيه : وكان أخي أفضل الدين يقرأ كل ليلة سورة الكهف ويقول : إنها تخفف النوم اه . وقد جربت أنا ذلك فوجدت قلبي طول الليل كأنه مستيقظ . انظره (وقرآن) أي واستعن عليه أيضا بقراءة القرآن بتدبر وترتيل . قال تعالى : ورتل القرآن ترتيلا - وفي [عف] ومن ذلك : أي مما يستعان به على قيام الليل أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر ، وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين العشاءين يغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم ، فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر ، وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر ، ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الأخيرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ، ويقيد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الصلاة بين المغرب والعشاء بحسب العدد الوارد في الأحاديث لأنها ساعة يغفل الناس فيها عن ربهم ، وقد عمل بذلك مشايخ الطريق وشددوا على المريد في المواظبة على فعلها ، ولها نور عظيم يجده الإنسان في قلبه ، فاعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره (وتخفيف معدة) بكسر الميم كسدرة وبفتحها كنبقة موضع الطعام قبل انحداره إلى الأمعاء . وفي [حي] الأول : أي من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام اه . وفي [عف] ومن ذلك أي ومن الأسباب المعينة على قيام الليل : خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة القلب أعان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه ، فإن وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار اه : وفي [جص] « أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » وفيه « خففوا بطونكم وظهوركم لقيام الصلاة » أي قللوا الأكل ليسهل عليكم التهجد فإن من كثر أكله كثر نومه .

(و) مما يستعان به على قيام الليل (قيلولة) من قال يقيل : نام نصف النهار : وفى [جص] استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل وفيه « قيلوا فإن الشياطين لاتقيل » والقيلولة مستحبة فى حق من يقوم فى الليل للتهجد ونحوه كمطالعة العلم ونحوه . وفى [حى] الثالث : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لايترك القيلولة بالنهار فإنها سنت للاستعانة على قيام الليل اه .

(و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (ترك إتعاب نفسه) جسده فى الأعمال الشاقة نهارا . وفى [حى] الثانى : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لايتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيى بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لقيام الليل بالزهد فى الدنيا وشهواتها وعدم الشبع من حلالها ومن هنا صحت المواظبة من الصالحين على قيام الليل ومهاجرة غيرهم ، ثم قال : وإنما جعلنا الزهد فى الدنيا معينا على قيام الليل لما ورد فى الحديث «الزهد فى الدنيا يريح القلب والجسد» ومفهومه أن الرغبة فى الدنيا تتعب القلب والجسد فإذا دخل الليل نزل الراغب فى الدنيا إلى الأرض محلولة أعضاؤه فنام كالميت ، بخلاف الزاهد فى الدنيا ينام وأعضاؤه مستريحة فيقوم بسرعة ، وإذا نام كأنه مستيقظ ، فعلم أن من طلب قيام الليل مع ترجيحه الذهب على الزبل فقد رام المحال ،وإن تكلف ذلك لايدوم وإن دام فهو فى حجاب لايكاد يتلذذ بمناجاة الحق ولا يذوق لها طعما ، انظره . وفى [عف] ومن ذلك . أى ومن الأسباب الميسرة لقيام الليل أن يغير العادة فإن كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء ، وقدكان بعضهم يقول : لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى من أن أرى وسادة فإنها تدعونى إلى النوم ولتغيير العادة فى الوسادة والغطاء والوطاء تأثير فى ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير مارام اه . وفيه : والذى يخل بقيام الليل كثرة الإهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام ، وكثرة الحديث واللغو واللغط وإهمال القيلولة ، والموفق من يغتنم وقته يعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل اه .

(و) مما يستعان به أيضا على قيام الليل ترك اكتساب (ذنب نهارا) بقدر الاستطاعة والإمكان قال تعالى - فاتقوا الله ما استطعتم - والأبقع خير من الأسود كله (وهو) بسكون الهاء . أى اكتساب الذنب نهارا (أعظم علة) مانعة وعائقة من قيام الليل لأن العبد كما يحرم الرزق الحسى بذنب يصيبه كذلك يحرم الرزق المعنوى به . وفى [حى] الرابع : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لايحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لاأقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك . وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لايقيلون. وقال الثورى: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته: قيل وما ذاك الذنب ؟ قال رأيت رجلا يبكى فقلت فى نفسى هذا مراء، وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت أتاك نعى بعض أهلك ؟ فقال أشد، فقلت وجع يؤلمك؟ فقال: أشد، قلت: فما ذاك؟ قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وماذاك إلا بذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعوا إلى الخير والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ، ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب، وكان يقول : الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد ، وقال بعض العلماء . إذا صمت يامسكين فانظر

عند من تفطر، وعلى أى شىء تفطر؟ فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، وكذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ، انظره :

آه مما جنيت إن كان يغنى   ألف من عظيم ذنب وهاء

ومما يستعان به أيضا على قيام الليل (سلامة صدر) أى أن ينام وقلبه سالم (عن ضغينة) وحقد وحسد كل (مسلم) ومسلمة وكذا عن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر فى صلاته وإنما يتفكر فى مهماته الدنياوية ولا يجول إلا فى وساوسه الشيطانية وأغراضه النفسانية وشهواته الظلمانية . وفى [عم] عن سيدى على الخواص رحمه الله : كل من مرت عليه ليالى التقريب ولم ينقطع صوته من شدة البكاء والنحيب فكأنه نائم ، انظره ورحم الله من قال :

يخبرنى البواب أنك نائم   وأنت إذا استيقظ أيضا فنائم

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا ننام قط إلا على طهارة باطنة فإنها كالظاهرة سواء بسواء، وذلك كأن ينام أحدنا والعياذ بالله تعالى على غل أو حسد أو حقد أو غش أو مكر أو خديعة أو تكبراً أو ساخطا على تقدير ربه عليه، ونحو ذلك من الأمراض فربما مات الإنسان على تلك الحالة فتكون خاتمته خاتمة سوء وإن لم يمت لم تمكن روحه من دخول حضرات القرب الخاصة بالملائكة وخواص البشر. واعلم يا أخى أن أعظم منجسات الباطن هو حب الدنيا ، ولعلك لا تظن ذلك ذنبا ونسيت قول عيسى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فعم الخطيئات ولم تخرج عمن يحبها خطيئة واحدة. وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من مات على حب الدنيا حشر مع مبغوض لم ينظر الله تعالى إليه نظر رضا منذ خلقه . وفى الحديث « يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » فتب يا أخى كل صباح ومساء عن محبة الدنيا ولا تتهاون والله يتولى هداك اه (و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (حب) الله تعالى، وذكر فى [حى] إن الحب لله أشرف البواعث على قيام الليل وقوة الإيمان ، بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه ، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه ، وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ، انظره . وفى [شب] وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود كذب من ادعا محبتى وإذا جن عليه الليل نام عنى ، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه اه . وفى [عف] قال أحمد بن أبى الحوارى: دخلت على أبى سليمان الدارانى فرأيته يبكى فقلت ما يبكيك رحمك الله؟ قال ويحك يا أحمد إنى إذا جن الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول : بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى، وإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم ، يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذى أراه فيكم هل خبركم مخبر أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار ، كيف يجمل بى أن أعذب قوما إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى ، فبى حلفت إذا وردوا القيامة علىّ أن أسفر لهم عن وجهى وأبيحهم رياض قدسى ، انظره (و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا

(خوف) مزعج وغالب ولازم للقلب فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره ، كما قال طاوس من أن ذكر جهنم طير نوم العابدين ، وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لايأتيه النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل ، فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصرى رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا

ورحم الله من قال: يا كثير الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الندمات
إن فى القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمنا بييات

وقال ابن المبارك رحمه الله :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع[1]
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع[2]

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من النوم لغير حاجة ، فمن أكثر النوم جاء يوم القيامة كالمفلس من قلة الأعمال إذ هو أخو الموت لادنيا تحصل به ولا أخرى ، ولكل جسد معيار يعرفه من يترك التلبيس على نفسه ، ونوم سبعين درجة معتدل ويزيد الناس وينقصون ، ومن كلام الجنيد : نوم الفقراء ضرورة ، ونوم الضرورة محمول عن صاحبه ، لأنه من الصدقات التى تصدق الحق بها على عباده وأذن فيها ، وأقبح مايكون النوم فى الأسحار وبعد الصبح وبعد العصر ، انظره .

(و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (اشتياق لجنة) فإن من علم ما فى قيام الليل من الفضل العظيم والثواب الجسيم اشتاق إلى نيل ذلك فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان قال تعالى - فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وباتت تنتظره ، فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح ، فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح . قال : والله إنى أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل ، فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا إليها انظر [حى] ، ورحم الله من قال :

فهموا إشارات الحبيب فهاموا وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمدامع منهلة تحت الدياجى والأنام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا جمعت لها الألباب والأفهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد صفت القلوب وصفت الأقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم فسرى السرور وأشرق الإظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا فعليهم حتى الممات سلام

---

(١) ركوع : جمع راكع ، كسجود جمع ساجد اه . (٢) هجوع : جمع هاجع كنوم جمع نائم اه .

ومن قال :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء[1] ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولاضر

(ورغب) أى حض وأكد سيدنا و (شيخنا) أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (عليه) أى على قيام الليل بأحواله وأفعاله وأقواله (صحابه) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين . وفى [جه] وأما قيام الليل فهو مواظب عليه السنين الكثيرة ولازال إلى الآن ولم تكن له راحة إلا فيه فهو مستراح العابدين إذ فيه يجدون قلوبهم من التلذذ بالمناجاة وإسبال[2] العبرات فى محراب التلاوات ، انظره . وعن سيدى على الخواص رحمه الله أن قيام الليل عند العارفين كالفرض فى الاعتناء به فمن ادعى مقام العرفان ونام الليل فى الأسحار فهو غير صادق. وكان سيدى إبراهيم الدسوقى رحمه الله يقول : من قام بالأسحار ولزم فيها الاستغفار كشف الله له عن الأنوار وأطلع فى قلبه شموس المعانى والأقمار ، فيا ولد قلبى اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين . وفى الحديث «الليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغا إلى الآخرة» أى فاقطعوا متونهما وظهورهما بالعمل الصالح لا باللهو واللعب ، ورحم الله من قال :

وما الليل للمحب إلا مطية ... وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

ومن قال : فالليل نعم العون والمطية ... لراغب فى أشرف العطية

وفى الحديث « أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل » أى الذين يحيونه بالتهجد من صلاة وغيرها . وفى [خل] وفى قيام الليل من الفوائد جملة ، فلا ينبغى لطالب العلم أن يفوته منها شىء ، فمنها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة . الثانى : أنه ينور القلب . والثالث : أنه يحسن الوجه . الرابع : أنه يذهب الكسل وينشط البدن . الخامس : أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يترا آى الكوكب الدرى لنا فى السماء . وقد روى الترمذى عن بلال وأبى أمامة قالا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد » وروى أبو داود فى سننه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » انظره ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وفى قيام الليل حط للذنوب ... والحسن للوجه وتنوير القلوب
يذهب بالكسل عن كسلان ... ويجلب النشاط للإنسان
وفيه قربة إلى الرحمن ... مع مناجاته يا إخوانى
وفيه أحيا سنة العدنان ... أحيا الليالى مدى الزمان
وفيه منهاة عن الفحشاء ... كما أتى مطرده للداء

---

(١) يقال غفا وأغفا : نام ونعس . (٢) قوله وإسبال من أسبل الدمع أرسله .

وصار كالفرض لدى الأبرار　　فى الاعتنا به وبالأسحار
فإنه مربع الأولياء　　ومرتع الكمل الأصفياء
ومجمع الأخيار والأحباب　　فى حضرة القدس لدى الوهاب
ياويح مطرود عن الأبواب　　ولم يكن يوما مع الأحباب
بكثرة الأوزار والذنوب　　وكثرة الزلات والعيوب
يارب إن طردت بالأوزار　　مالى من أرجو سوى الغفار
من ذا الذى أرجو سوى الرحمن　　والمصطفى وأحمد التجانى
يارب فارحمنا بختم الأنبياء　　محمد وبختام الأوليا
يارب وفقنا لاحيا الليل　　أجنى به خير المنى والسؤل
يارب فاهدنا لهذا الفضل　　مادام عمرى بخير الرسل
واجعله لى أشهى من أكل الشهد　　ولذة الحور بدار الخلد
آمين آمين ختام الله　　على لسان المؤمن الأواه

[تتمة] مما ينبغى أن يعتنى به كل عاقل إحياء ليلتى العيدين لحديث « من قام ليلتى العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » رواه ابن ماجه ، وروى الطبرانى « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » اه ، وفى آخر « من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحيى ليلة العيدين بالصلاة ذات الركوع والسجود ، وإن كان الإحياء يحصل بكل خير من قراءة وتسبيح وغير ذلك كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سيدى على الخواص : ويجب أن يستعد لقيام كل ليلة أراد العبد قيامها بالجوع سواء ليلة العيدين أو الجمعة أو ليلة النصف من شعبان أو غير ذلك كالثلث الأخير من الليل إذا كان يقومه فإن من شبع قل مدده اه . وسمعته رضى الله عنه يقول : الحكمة فى إحياء ليلتى العيدين أنه يعقبهما يوما لهو ولعب فيكون نور العبادة فى هاتين الليلتين منبسطا على العبد ويمتد إلى النهار فيمسك رج[1] العبد من غير أن يرخى عنانه بالكلية فى ميدان الغفلة والسهو ، بخلاف من بات نائما إلى الصباح أو غافلا عن ربه فإنه يصبح مطلق العنان فى الغفلات ؛ فانظر ما أحكم أوامر الشارع وما أشفقه على دين أمته فإذا علمت ذلك فتكلف نفسك يا أخى فى إحياء هاتين الليلتين ولو لم يكن لك بذلك عادة ، ولا تتعلل بأن السهر يشق عليك فإنا نراك تسهر فى ليالى الأعراس كذا وكذا ليلة ، أنظره والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (وقال) رضى الله عنه وعنا به آمين (لمن أبى) واستعذر بعذر أوهن من نسج العنكبوت عن قيام الليل (فدع عنك سبحتى) تشديدا عليه وترغيبا له فيه . وفى [غ] الأمر الأول منهما أى من الأمرين اللذين كادا أن يكونا فى الأحمدية من أركانها هو قيام الليل ، فقد كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يرغب فيه غاية الترغيب ويرهب من عدم المبالات به أتم ترهيب ، ثم قال : وقد أخبرنى بعض الفضلاء ممن لازم الشيخ رضى الله عنه مدة طويلة أن رجلا من أصحابه أتاه ، فقال له ياسيدى إننى لاأقدر على القيام قبل الفجر ، بل كثيرا ما أؤخر الصلاة إلى أن تطلع الشمس ، وهذه

---

(١) قوله رج بفتح الراء : التحريك والتحرك والاهتزاز .

حالة لازمة لى لاأستطيع الانفكاك عنها وكأنه يريد من الشيخ رضى الله عنه أن يرخص له فى ذلك بشىء مما يحكى عن بعض أصحاب الأحوال فلم يساعده رضى الله عنه بشىء بل قال له فى جوابه أنت رجل لاتصلح لطريقتنا فاطرح سبحتنا عنك اه .

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وفى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » وفيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقيل مازال نائما حتى أصبح ماقام إلى الصلاة فقال « بال الشيطان فى أذنه » اه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » فكان عبد الله يصلى من الليل ، وفى [ثيق] وقد بات أبو عصمة عند الإمام أحمد بن حنبل فطلب الحديث فوضع له الإمام إناء فيه وضوء فجاء الإمام قبيل الفجر فوجد الإناء على حاله لم يستعمل قال ياأبا عصمة كيف تريد أن أحدثك الحديث وليس لك ورد من الليل ثم لم يحدثه رضى الله عنه تلك الليلة اه . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا - قال رحمه الله :

(وَدَعْ مُبْغِضاً لَهُ وَلَوْ كَانَ وَالِداً أَوِ ابْناً فَلَا تَرْكَنْ بِوُدٍّ وَخُلْطَةِ
فَبُغْضُهُ يَسْرِى لِلْمُحِبِّ بِسُرْعَةٍ وَذَاكَ حِجَابٌ مُوجِبٌ لِلْقَطِيعَةِ)

(ودع) عنك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (مبغضاله) أى لسيدنا الشيخ أبى الفيض أحمد ابن محمد التجانى رضى الله عنه وعنابه آمين (ولو كان) المبغض له (والدا) أو والدة لك قال تعالى - وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى - ولا ريب عندنا أنهما يموتان كافرين إن لم يتوبا من بغضه نعوذ بالله من ذلك (أو) أى ولو كان (ابنا) أو بنتا فضلا عن غيرهما من الأقارب ففضلا عن الأجانب والحب فى الله والبغض فى الله من الإيمان .

[تنبيه] حكم الآباء والأبناء فى الدين كحكم الآباء والأبناء فى الطين ، وكثيرا مايقع ذلك بين المعلمين ومتعلميهم ولا سيا القراء وعلماء الظاهر قال تعالى - وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى - واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا - (فلا تركن) لمن أبغضه ولا تمل إليه (بود وخلطة) ولا بوجه من الوجوه قال تعالى - لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم - الآية ، وعليه أن يتضرع إلى الكبير المتعال بالدعاء بلسان التضرع والابتهال ، ولاسيما بظهر الغيب لمن ابتلى من أقاربه وإخوانه المؤمنين بهذه البلية أن ينقذه من هذه الورطة والوحلة ، وأن يلهمه التوبة والمحبة لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، وكم من واحد من الإخوان أخبرنى بأن والده ابتلى بهذه البلية فنحرضه ونؤكده على الدعاء له فى ظهر الغيب بصلاح الحال والمآل ونعينه على ذلك - رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم - آمين . وفى [جع] ومن أكبر الشروط المذكورة مجانبة المنتقدين على

الشيخ ، فإن شيخنا يحذر أصحابه كثيرا من مخالطة المبغضين ومحبتهم وأكل طعامهم والجلوس معهم ويقول لهم : إن بغضهم يسرى فى قلب من جالسهم كالسم ، وقد شاهدناه فى بعض من الأصحاب فأتى عليه مدة حتى رجع يبغض أستاذه ، نسأل الله السلامة والعافية من مخالفة أمر القدوة ظاهرا وباطنا . وفى [غ] وقد تلقينا مثل ما فى الجامع عن بعض الخاصة مشافهة وفيه التصريح بأن ذلك يقطع المادة من الشيخ على المريد ثم قال ، وإن الصحبة يتوقع فيها الفساد كما يتوقع فيها الصلاح وقد قيل مافسد من فسد إلا بصحبة من فسد اه . أى ولا أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ، وفى [م] :

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضل فى مهامه وفى حلك
وشدد النهى لنا الرسول فى ذاك فلتعمل بما يقول
اختر لنفسك الذى أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا
والشيخ قال هو سم يسرى يحل من فعله فى خسر
وهو عند الصادقين قد وضح نعم وقد جرب ذلك فصح
فالهرب الهرب عما قلت لك نصيحة ولو يكون ولدك

(فبغضه) والعياذ بالله من الوبال وما يجر إلى النكال (يسرى) من سرى عرق الشجرة دب تحت الأرض (للمحب) أى لقلب محب سيدنا الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين (بسرعة) دون مهلة أى لأن للمخالطة تأثيرا « فر من المجذوم فرارك من الأسد » ولأن « من جالس جانس » ومن « كثر سواد قوم فهو منهم » - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

نعوذ بالله من الخسران وبغض أهل الله والعرفان
نعوذ بالله من الخذلان وحب أهل البغض والعصيان
نعوذ بالله من الوبال ومن مصافاة ذوى الضلال
المبغضين أحمد التجانى وصحبه من جن او إنسان
نعوذ بالله من الحرمان وكل مايجر للنيران
نعوذ بالله من البلاء والنفس والشيطان والأهواء
يارب فاحمنا من الشيطان وحزبه من انس او من جان
آمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق

(وذاك) أى مجالسة من يبغض الشيخ ومخالطته (حجاب) بين المريد وشيخه (موجب) من أوجب الشىء ألزمه (للقطيعة) والهجران قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - أى نار القطيعة وفى [د] الجلوس مع المبغضين سم يسرى مع صاحبه ، ومن هذا المعنى :

اختر لنفسك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا اه

وفى لامية سيدى عبيدة رضى الله عنه وعنا به آمين :

ومن يكتسبْ غلا من الشيخ ينخرط بسلك الألى[1] سخط الإله بهم حلا
فابشر بحب منه بالقلب راسخ وحاذر لبغض منه قد ألزم السفلا

---

(١) الألى : بوزن العلى اه .

[تتمة] من أبغض طريقته وأصحابه كمبغضه «فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» وكذلك من يبغضه الشيخ كمن أبغض الشيخ فى جميع مامر ، وفى [غص] وسمعته يقول : إذا غضب شيخكم على إنسان فاجتنبوه ولا تصافوه تغضبوا ربكم فإن الأشياخ لايغضبون إلا بحق ، ولا ينبغى لكم البحث عن سبب غضبه عليه بل سلموا لشيخكم اه . وكذلك من آداب المريد الصادق أن لا يذكر شيخه ولا غيره من أولياء الله عند المنتقدين المبغضين . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانذكر أحدا من الأولياء الذين تكلم الناس فيهم إلا بحضرة من يعتقدهم ، وإذا نقلنا عنهم أدبا أو حكمة قلنا قال بعضهم كذا ولا نعينه ، فإن من ذكر كرامات الأولياء بين يدى من ينكر عليهم فقد تسبب لمقت ذلك المنكر وسب ذلك الولى وتنقيصه ، فحكمه حكم من ذكر فضائل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما بين الروافض مع عدم أمنه من سبهم لهما ، انظره . قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - قال رحمه الله :

(وَلَا تُؤْذِ صَحْبَهُ فَتَخْسَرُ صَفْقَةً ... وَمَا قَدْ عَمِلْتَ كَالْهَبَاءِ بِكُوَّةِ

فَمُؤْذِيهِمُ يُؤْذِى النَّبِىَّ وَقُدْوَتِى ... فَكَمْ مُتَهَاوِنٍ بِهِذِى الْبَلِيَّةِ)

(ولا تؤذ) من آذاه فعل به أذى يتأذى به (صحبه) من حيث أنهم أصحابه والانتساب إليه رضى الله عنه وعنا به آمين (فتخسر) من خسر كفرح (صفقة) فتكون من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، وفى الحديث « أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه فى آماله ولم تساعده الأيام على أمنيته ، يخرج من الدنيا بغير زاد ، وقدم على الله بغير حجة » (و) جميع (ماقد عملت) من أعمال البر والطاعات صارت (كالهباء) الغبار وصغار التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض قال تعالى - وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - (بكوة) بفتح الكاف وضمها الخرق فى الحائط (فمؤذيهم) أى فمن يؤذى أصحابه رضى الله عنه وعنا به آمين فإنه (يؤذى النبى) صلى الله عليه وسلم قال تعالى - إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا - الآية ، وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (و) يؤذى أيضا (قدوتى) سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [د] قل لأصحابك لايؤذى بعضهم بعضا فإنه يؤذينى مايؤذيهم اه : أى لشدة اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية وأهلها ، وقد مر أنه صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين : أصحابك أصحابى وفقراؤك فقرائى وتلامذتك تلامذتى ، وفى الحديث « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . وفى [م] :

والحذر الحذر أن تؤذى من ... كان أخاك فى الطريقة احذرن

لأنها عن شيخنا التجانى ... إذاية للمصطفى العدنانى

وسيد الوجود فى ذا شددا ... مصرحا بنهنا مؤكدا

وقال إن من يكون يفعله ... صار هباء فى هواء عمله انظرها

(فكم) من أخ فى الله (متهاون) ومستخف (بهذى البلية) والمحنة ، جبر الله حالنا وحاله وأصلح مآلنا ومآله على أن إذاية كل مؤمن من حيث هو مؤمن حرام كتابا وسنة وإجماعا ، قال تعالى - والذين

يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا - وفى الحديث «كل مؤذ فى النار» وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نعادى أحدا من المسلمين فى هذا الزمان من أجل أحد بغير وجه شرعى ، وذلك لكثرة خصام الناس لبعضهم بعضا وقلة احتمالهم لبعضهم فيؤدى ذلك إلى أنه لايصير لنا قط صاحب ، هذا مع أن من نعاديه يحب الله ورسوله بيقين ، ومن كان كذلك فيجب علينا أن نفنى بغضه وعداوته لصاحبنا مثلا فى محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وقد حكى عن الشيخ محيى الدين أنه بغض مرة شخصا كان يحط على شيخ من مشايخه ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو يعرض عنه فقال له يارسول الله ماذنبى ؟ فقال تكره فلانا لأجل شيخك وأنت تعلم أنه يحبنى ، لم لا أفنيت بغضه لشيخك فى محبته لى ؟ قال الشيخ محيى الدين : فقلت جزاك الله عنى من معلم خيرا يارسول الله ، ومن ذلك اليوم ماكرهت أحدا من المسلمين إلا لله عز وجل ، فالحمد لله رب العالمين اه - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وعلى هذا المنوال فانسج ولا تكن من أبناء التعصب والحمية فتبغض مسلما أو تأكل لحما محرما ، والغيبة أعظم من ستة وثلاثين زنية فى الإسلام ، فاحذر وحذر مما عليه أبناء الوقت من حمية الجاهلية فتجد كل واحد يتعصب لملقنه تعصبا فاسداً ويبغض من لم يتقيد بملقنه ظلما وعنادا ويتجسس عن أحوال الإخوان وينقل بينهم الشنئان والعدوان ويتبجح بأن كل من لم يحب ملقنه فلاحظ له فى الطريقة وأنه يبغض كل من يبغضه ، وأنى له العلم بذلك ، ياليته أمسك عن هذا التشديد الذى يردى بلا تفنيد ، وربما استحسن ملقنه ذلك واستحلاه واستقر به بذلك واستملاه قال تعالى - سبحانك هذا بهتان عظيم - الآية ، وقد عمت البلوى بهذا الامتحان لكثرة الدعاوى والبهتان فشد عضدك وعض بنوجذك يا أخى على محبة سيدنا أبى الفيض وجميع أصحابه شرقا وغربا ، عربا وعجما ، حمرا وسودا ، إنسا وجنا ، برا وبحرا ، واجعلهم عندك كأسنان المشط ولا تجد على أحد منهم أيا كان وأحب لهم ماتحب لنفسك وادع لهم بخير الدارين ، وإياك والتجسس عن أحوالهم واشتغل بنفسك قال تعالى - إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم - وقال - ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء - ولا يستخفنك الذين لايوقنون . والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل - ولا بأس بإيثار ملقنك بمحبة خاصة ودعوة صالحة من حيث إجراء الله نعمته عليك على يده ، وأما أن تؤذى مسلما أو تبغضه من أجله فكلا وحاش ومعاذ الله ، لاسيما فى هذا الزمان الكثير الافتتان والامتحان ، فلا ترى فيه إلا من يميل مع هواه حيث مال - ولا تكن من الغافلين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم - قال رحمه الله :

(وَإِيَّاكَ وَالأَمَانَ مِنْ مَكْرِ رَبِّنَا ... وَلَوْ فُقْتَ أَتْرَاباً بِكُلِّ فَضِيلَةِ

فَلِلنَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَنَقْصٍ وَخِسَّةٍ ... نَظِيرُ كَمَالاَتِ الإِلَهِ وَرِفْعَةِ

فَمَحْضُ الرَّجَا أَمْنٌ وَمَحْضُ مَخَافَةٍ ... إِيَاسٌ تَوَسَّطْ تَنجُ مِنْ قُبْحِ خَصْلَةِ

فَبَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ كُنْ مِثْلَ طَائِرٍ ... وَخَفْ مِنْ عَذَابٍ وَارْجُ مِنْ وُسْعِ رَحْمَةِ)

(وإياك و) لبس حلة (الأمان) ضد الخوف (من مكر ربنا) تعالى جده وتبارك خيره . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المكر فأجاب رضى الله عنه بقوله : حقيقة المكر هو إظهار

النعمة على العبد وبسطها له ، ثم يدرجه إلى غاية الهلاك فى تلك النعمة يقول سبحانه وتعالى - أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون - وصفة العبد أن يكون دائما خائفا من ربه لا يأمن على نفسه بحال ولا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله تعالى قال سبحانه وتعالى - والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون - والأمان له جناحان كالطائر جناح وهو الأول : وهو الخوف وهو توجع القلب من خشية الوعيد وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب مر على أنفه » والجناح الثانى : وهو الرجاء فى الله سبحانه وتعالى بأن يغفر له ولا يعذبه ولا يتوقع فيه الأمان ، فإذا تمحض الرجاء وحده بلا خوف كان أمنا ، والأمن من الله تعالى عين الكفر بالله ، وإذا تمحض الخوف وحده كان يأسا من الله عز وجل ، والإياس من الله عز وجل عين الكفر والسلام ، وفى هذا المعنى يقول الشريشى :

ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنا ... ولا كافرا حتى تغيب [1] فى القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ... ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر ... اه

وفيه : وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله فى مقارفة الذنوب باعتقاد العبد أنه آمن من مؤاخذة الله له فى ذلك ، فإن من وقف هذا الموقف بين يدى الحق ودام عليه فهو دليل على أنه يموت كافرا والعياذ بالله اه . وفى [مح] وأخبرنى سيدى محمد الغالى أن الشيخ رضى الله عنه كثيرا ما ينشد لهم :

وآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف
فلا جاهل إلا من الله آمن ... ولا عارف إلا من الله خائف

وفيه : وعدم الأمن من مكر الله شرط لازم فى طريقتنا هذه ، ومن خالف وأمن ينسلخ عنها ولا يموت إلا كافرا والعياذ بالله تعالى اه . وفى [د] كل ما ذكرت لكم فى هذه الطريق حق واقع إن سلمنا من مكر الله ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما أمنوا مكر الله - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخاف من سطوات ربنا وغضبه علينا ليلا ونهار ولا نأمن مكر الله بنا فى ساعة من ليل أو نهار ، واعلم يا أخى أن أحداً لا يستغنى عن الخوف ولا يسقط عنه ولو بلغ الغاية مادام فى هذه الدار ، ثم قال : فإن الإنسان كلما قرب من حضرة الله استعظمه وخاف منه وكلما بعد وحجب بالعكس ، نظير ذلك فى الدنيا أصحاب حضرة السلطان فترى عندهم من الخوف منه ومن سطواته ماليس عند البعداء عن حضرته ، وربما شتمه هؤلاء وتنقصوه بخلاف من كان من أهل حضرته ، ثم قال : وكان معروف الكرخى إذا استيقظ من منامه يمسح على وجهه ويقول : الحمد لله الذى لم يغير صورتى صورة كلب أو خنزير لسوء أدبى ، وكان تلميذه السرى السقطى ينظر إلى أنفه فى اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهه ، وكانت رابعة العدوية لا تنام الليل وتقول : أخاف أن أوخذ على بيات ، وكانت تنام وهى تمشى فى الدار فإذا قيل لها فى ذلك تنشد :

وكيف تنام العين وهى قريرة ... ولم تدر فى أى المنازل تنزل

---

(١) تغيب بحذف إحدى التاءين اه .

وأحوال السلف الصالح فى الخوف كثيرة، وإياك والاقتداء بأهل هذا الزمان المتمشيخين بأنفسهم فإنك ربما تهلك ثم قال فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يخرجك عن مواطن تلبيس النفس والشياطين، وتصير تخاف من الله عز وجل لتأمن عذابه يوم القيامة فإن من خافه هنا أمن منه هناك وبالعكس، انظره. وروى ابن حبان فى صحيحه فيما يرويه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال « وعزتى وجلالى لايجتمع على عبدى خوفان وأمنان إذا خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، وإذا أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة » وروى « من خاف الله عز وجل خوّف الله منه كل شىء ومن لم يخف الله خوّفه من كل شىء » اه (ولو فقت) يقال فاق أصحابه علاهم فضلا وشرفا (أترابا) جمع ترب بكسر فوقية كقرن وأقران وزنا ومعنى (بكل فضيلة) وفاضلة قال تعالى - لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - وفى الحديث « لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا استجمعت غليانا » وكثيرا ما يقول صلى الله عليه وسلم « يامقلب القلوب ثبتنى على دينك » وفى رواية « اللهم يامثبت القلوب » الخ وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا تأمن على أنفسنا من الوقوع فى سائر الفتن مادمنا فى هذه الدار ولو كان أحدنا شيخ مشايخ، فمن أمن على نفسه من الوقوع فى الفتن بناء على إظهار القوة فى نفسه فهو من الجاهلين، ولو أنه مال إلى الضعف والعجز والانكسار لربما كان الحق تعالى يحميه من الوقوع فى كل مالا ينبغى، والله تعالى أعلم اه. وفى [جه] إن الأمان من مكر الله تعالى وإن بلغ العبد من الله ما بلغ فى الاصطفاء والاجتباء فلا أمان عنده من مكر الله تعالى كما فى قضية آدم عليه السلام، وقد كان حين وقع به ماوقع من البلاء حين أنزله الله من الجنة بكى على فراقها مائة عام، وهو فى كرب وحزن وشدة ألم حتى شكت الملائكة من ريح كبده، وقالوا ماحل بهذا المسكين بعد أن أمرهم الله تعالى بالسجود له، انظره. وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن العبد إذا أعطاه الله تعالى الأمان من سوء الخاتمة أعليه ضرر؟ فقال علمه باليقين فى ذلك يوجب الخوف عليه من سوء الخاتمة، فإنه ماعلم حقيقة إلا يقين نفسه، فعلمه علم الوقت يذهب بذهابه ولا وصول له إلى يقين مايحكم فيه الحق تعالى قبل وبعد إذ لا تقييد عليه تعالى، ومن أمن من سوء الخاتمة فقد قيد عليه سبحانه بأنه لايغير ما فعله، ومن أين للعبد علم بذلك؟ بل لو قدر أن الله كلم عبدا بلا واسطة وأقسم عليه بنفسه تعالى أنه لا يمكر به وأنه سعيد فلا ينبغى للعبد أن يركن إلى ذلك، لأنه تعالى واسع عليم ولا علة لثوابه أو عقابه فى نفس الأمر - كل يوم هو فى شأن - ولولا الأدب لقلنا كل لمحة أو طرفة له شؤون لاتحصى - إن كنت قلته فقد علمته - وهو على كل شىء رقيب اه والمراد باليوم فى الآية الزمان الصادق بالقليل والكثير فيشمل اللمحة واللحظة وغير ذلك، وفيها: وسألته رضى الله عنه عن الكامل هل له الركون إلى عدم مكر الحق تعالى به؟ فقال: الكامل لايحكم على الله بشىء ولو بلغه أعلى المقامات، وقال له رضيت عنك رضائى الأكبر فبعد ذلك لايؤمنه تعالى، وذلك ليوفى الألوهية حقها، وتأمل يا أخى ماورد « أن جبريل وإسرافيل لما خلق الله النار طفقا يبكيان فأوحى الله تعالى إليهما مايبكيكما وهو أعلم فقالا خوفا من مكرك، فقال لهما الحق تعالى فهكذا كونا لاتأمنا مكرى » والله أعلم اه. وفى الحديث « أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية » وفى [هب] قال أبو طالب المكى رضى الله عنه: ومن خوف العارفين علمهم بأن الله عز وجل يخوف عباده بمن شاء من عباده الأعلين يجعلهم نكالا للأدنين، ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخواص من عباده حكمة له وحلما

منه ؛ فعند الخائفين فى علمهم أن الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ، ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين ، وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء ، والله أعلم بما وراء ذلك ، فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لأصحابهم ، وهذا داخل فى وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بشىء من العلوم والأعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات فى مقام ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن مكر الله عز وجل عالم به فى كل الأحوال اه . وقال أبو حامد رضى الله عنه : إن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان ، وهذا الذى قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بمشيئة من لايبالى بك ، ثم قال : قال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لا خترت الموت على الإسلام ، لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من باب الحجرة إلى باب الدار : وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال تعالى - وقلوبهم وجلة - قال : وكان سهل يقول : المريد يخاف من المعاصى ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت إلى المسجد فكان فى وسطى زنار أخاف أن يذهب بى إلى البيعة أو بيت النار حتى أدخل المسجد ، فينقطع عنى الزنار ، فهذا دأبى كل يوم خمس مرات اه : وللشربشى رضى الله عنه :

ولاتك ممن يحسن الفعل عنده ... فيفسد إلا أن تفر إلى الكسر

ومن حل من صدق الإنابة منزلا ... يرى العيب فى أفعاله وهو مستبر

وفيه : من علامة من تولاه الله فى أحواله أن يشاهد التقصير فى إخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مشاهدته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا إلى الله عز وجل فى قصده وسيره ، وقال أبو عمر إسماعيل بن مجيد رضى الله عنه : لا يصفو لأحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى ، فالنفس مجبولة على ضد الخير لولا فضل الله عليه ورحمته قال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماز كى منكم من أحد أبدا - وقال عز من قائل - وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى - وقال بعض السادات رضى الله عنه : ماهناك إلا فضله ولا نعيش إلا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم فلذا تبرأ الأكابر من أعمالهم الصحيحة فضلا عن غيرها حتى قال أبويزيد : لو صفت لى تهليلة واحدة ماباليت بعدها بشىء ، وقال أبو سليمان الدارانى : ما استحسنت من نفسى عملى فاحتسبته ، انظره . وفى [شب] وقد كان السرى السقطى يقول : كل من ظن من نفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم يظن من نفسه أنه هالك فهو هالك . وكان سيدى على الخواص يقول لتلميذه الإمام الشعرانى : إن لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة عندك فضلا عن معاصيك فأنت هالك ، فتأمل ذلك يا أخى وتيقن أن الناجى من اتهم نفسه بالتقصير وباعها فى مرضاة العليم الخبير اه :

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة ... إذا عددت تكفيك عن كل زلة

(فللنفس) أى فلنفسك الأمارة بالسوء (من عيب ونقص) ضد الكمال (وخسة) ودناءة وحقارة (نظير) وشبيه (كمالات الإله) جل جلاله (ورفعة) وشرف ومجد فكما لانهاية لكمالاته تعالى الجلالية والجمالية كذلك لانهاية لعيوب النفس ونقائصها ودسائسها وخسائسها ، اللهم ملكنا أنفسنا ولا تسلطها علينا ولا تكلنا إليها طرفة عين ولا أقل من ذلك بجاهه صلى الله عليه وسلم وجاه القطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين . وفى [جه] وإذا تكلم أحد بما يشير إلى الدعوى وثناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم فى عيوب النفس ودسائسها ، ويظهر له خسائسها ودقائقها وما اشتملت عليه من العيوب والنقائص والرذائل التى هى شأنها ووصفها ، ولا تحب أن تتصف إلا بأوصاف الربوبية كالكبر والعظمة مع أنها لاتحصى معايبها ، ولها من النقص مثل مالله من الكمالات يعنى لانهاية لها ، ولولا أن الله يحول بين المرء وبينها لهلك ولو أنه خلى سبيلها لكفر بالله كما كفر بأنعمه ويقول إذا أراد الله هلاك عبده وكله إليها ولم يزده شيئا ، وإذا أراد رحمته عرّفه نعمه وألهمه شكرها وجنبه كفرها وذلك هو أصل كل خير اه . وفيه : فإذا تحقق الإنسان بأوصافه الناقصة علم أن الأوصاف الكاملة إنما هى لله سبحانه ، فإذا تحقق بعجز نفسه تحقق بوصف القدرة لربه يعلم أنه القوى بقهره ويبين تعريفات الحق سبحانه للعبد فى نفسه ويتلو قوله تعالى ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ ويقول : إن فى كل حال من أحوال العبد دلالة على ربه وإن الله سبحانه خلق العبد وأحاط به العجز فى حركاته وسكناته وسائر أحواله وتقلباته ، فإذا جلس أعياه الجلوس وإذا قام أعياه القيام ، وإذا أطال النوم ملّ وإذا أطال التيقظ اضطر إلى المنام ، وإذا توكأ أعياه التوكؤ ، وإذا أكل أثقله الشبع وإذا ترك الأكل جاع ، وقس على هذا ليكون مفتقرا فى كل أحواله إلى مولاه ويعترف بقدرة سيده وغناه وينفض يده عن كل ما سواه تعرفاً منه سبحانه إليه وحما له لوشعر عليه ، فسبحان الحكيم العليم الذى أحاط بكل شىء علمه ونفذ فى كل شىء أمره وحكمه اه . وفى [جد] وسمعته رضى الله عنه يقول : من غوائل النفس شهود العبد أنه مستغن بالله عن الناس ، لأن ذلك يحجبه عن شهود افتقاره إلى الله تعالى الذى هو صفة الخلق كلهم على الدوام حتى الملوك كل ذلك لمحبتها فى اسم الفناء ومزاحمتها ، ومع ذلك فلم يتنبه أكثر الناس له ولا صغوا إليه ، فالكامل من أبقى عليه خلعة ربه ولقبه واسمه الذى لقبه به وسماه ولم يخرج عن مواطنه والسلام اه . قال تعالى ـ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ـ والله الغنى وأنتم الفقراء ـ وخلق الإنسان ضعيفا ـ وفى الحكم : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظه وعفة عدم الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه ، فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لايرضى عن نفسه اه (فمحض الرجا) قصره للوزن أى فالرجاء الخالص (أمن) أى أمان من مكر الله قال تعالى ـ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ـ (ومحض مخافة) أى وخوف خالص (إياس) من أيس قنط قال تعالى ـ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ـ وقال ـ ولا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ـ وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانقنط فى هذا الزمان من رحمة الله تعالى لأجل مانقص من علمنا وعملنا ، ومادام معنا الإيمان ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء والصالحين فالعفو يشملنا إن شاء الله تعالى . ومن كلام سيدى على الخواص رحمه الله : لاتقبض فى هذا الزمان إلا على الإيمان الكامل فإنه أساس دينك الذى تبنى عليه ماشئت من الخيرات ، ولأن يأتى العبد ربه يوم القيامة فقيرا من جميع العلوم والأعمال

ومعه الإيمان فقط أحب من أن يأتى ربه بالعلوم والأعمال وفى إيمانه ثلم ، فالكمال والنقص فى الإنسان راجع إلى قوة إيمانه وضعفه ، ورب عمل قليل رجح على عمل كثير من حيث مافيه من قوة الإيمان - والله عليم حكيم - ورحم الله من قال :

وقد بدا النقص فى الأحوال أجمعها وبدلت صفوة الأوقات بالكدر

اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة آمين (توسط) بين الأمرين لقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها » ورحم الله من قال :

ولا تعد فى كل الأمور توسطا كلا طرفى قصد الأمور ذميم

ومن قال: عليك بأوساط الأمور فإنها طريق إلى نهج الصراط قويم

ولاتك فيها مفرطا أو مفرطا فإن كلا حال الأمور ذميم

(تنج) تسلم (من قبح خصلة) أى من خصلة قبيحة وعلة ذميمة ومعضلة (فبين الرجا) قصره للوزن (و) بين (الخوف كن مثل طائر) بين جناحيه لكن ينبغى تغليب جانب الخوف فى حال الصحة وجانب الرجاء فى حال المرض لأن غلبة الخوف فى حال الصحة تحرق نار الشهوة وتوجب الإقبال على العمل الذى يوصل العبد إلى مولاه الكريم ، وغلبة الرجاء عند الموت توجب المحبة التى ينشأ عنها الشوق إلى واسع الجود والكرم ، ورحم الله من قال :

أخاف إلهى ثم أرجو نواله ولكن خوفى غالب لرجائيا

ولولا رجائى واتكالى على الذى تكفل لى بالصنع كهلا وناشيا

لما ساغ لى عذب من الماء بارد ولا للذلى نوم ولا زلت باكيا

على أنه قد كان منى جهالة ليالى فيما كنت لله عاصيا

ومن قال : وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تناء[1]

لاسيما فى هذه الأزمنة التى رقت فيها الديانة وكثرت فيها الجراءة على المعاصى وقلت فيها الأمانة وكثرت فيها الخيانة واضطربت فيها بحور الفتن وتلاطمت فيها أمواج المحن - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم بمحض فضلك وبجاه نبيك صلى الله عليه وسلم اجعلنا من ضنائن خلقك المصطفين الأخيار الذين لاخوف عليهم وهم لايحزنون دنيا وأخرى آمين . وفى الحكم : الرجاء ماقارنه عمل ، وإلا فهو أمنية اهـ وقال الحسن رضى الله عنه : إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول أحدهم أحسن الظن بربى وهو يكذب ، إذ لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ، وتلا قوله تعالى - وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين - وفى [حى] قال يحيى بن معاذ : من أعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط ، ورحم الله من قال :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لاتجرى على اليبس انظره

وفى [عف] علامة الرجاء حسن الطاعة ، وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال ، وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب . قال أبو على الروذبارى : الخوف والرجاء كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطائر

---

(١) بفوقية: بمعنى التوانى والتراخى .

وتم فى طيرانه . قال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو . قال مطرف : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ، والخوف والرجاء للإيمان كالجناحين ، ولا يكون خائفا إلا وهو راج ولا راجيا إلا وهو خائف ، لأن موجب الخوف الإيمان ومن الإيمان رجاء ، وموجب الرجاء الإيمان ومن الإيمان خوف ، ولهذا المعنى روى عن لقمان أنه قال لابنه : خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه أشد من خوفك ، قال فكيف أستطيع ذلك وإنما لى قلب واحد ؟ قال أما علمت أن المؤمن لذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر ، وهذا لأنهما من حكم الإيمان اهـ . وفيه قال أبو عمر الدمشقى : الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان ، وقال بعضهم : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ، ولكن الخائف التارك ما يخاف أن يعذب عليه ، وقيل الخائف الذى لا يخاف غير الله ، قيل أن لا يخاف لنفسه إنما يخاف إجلالا له ، والخوف للنفس خوف العقوبة ، انظره . وفى [جه] وما جاء أحد مظهرا للرجاء غافلا عن اللجأ إلا خوفه من سطوة الله وقهره وسرعة نفوذ قضائه وأمره حتى يذهب خائفا مذعورا ، وماجاءه خائف أولاهف إلا سلاه ورجاه وعرفه فضل مولاه حتى يذهب فرحا مسرورا يريد بذلك جمع العبد فى الحالتين على مولاه وأن لا يقف مع شىء سواه ، ثم قال : وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لامه على ذكره ، أو عرفه بما جهل من أمره فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلائله حتى يتبين له أنه معلول مدخول لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا عملا يستند إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشىء إلا لفضل الله ورحمته ، وكثيرا ما يستشهد بقوله ما عندنا إلا فضل الله ورحمته وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ (وخف من عذاب) الله وعقابه فإنه عزيز ذو انتقام وهو شديد العقاب . وفى [جص] « خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل » وفيه إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات على الشجرة اليابسة ورقها » ورحم الله من قال :

الله يعلم ما إثم هممت به ... إلا ونغصه خوفى من النار
وإن نفسى ماهمت بمعصية ... إلا وقلبى عليها عائب زار

ومن قال : دموع الفتى عما يجن تترجم ... وأنفاسه يبدين ما القلب يكتم

وفى [حى] وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود «إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى» وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلى رحمه الله : ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط ، وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو ، وكثعلب بين أسدين ، ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمنين ، فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شىء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شىء » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه » وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة ، وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه ، وقال ذو النون أيضا : ينبغى أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الخوف تشوش القلب ، وكان أبو الحسن الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة ، لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين : وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الخلق غدا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

رحمه الله : لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع ؟ نجالس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال والله إنك إن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن ، خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف ، وقال أبو سليمان الداراني : ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ، وقالت عائشة رضى الله عنها « قلت يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ـ هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال : لا ، بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » انظره ، وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن الخوف من الله عز وجل هل هو حقيقة من ذات الحق تعالى أو بما يكون من الحق ؟ فقال رضى الله عنه : لا يصح الخوف من ذات الحق تعالى لجهل الخائف بها وإنما يخاف العبد مما يكون منه تعالى قال تعالى : ـ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ـ فما خافوا إلا اليوم لما فيه من الشدائد ، فقلت له فما معنى قوله تعالى ـ يخافون ربهم من فوقهم ـ ؟ فقال معناه يخافون من الأسباب المخيفة التى فوقهم ، فقلت له فهل يحصل عدم الخوف لأحد من المقربين ؟ قال : لا ، ولو بلغ أعلى المراتب فى الجنة لعلم المقربين بسعة الإطلاق الإلهى ، فقلت له فمتى يزول خوفه ؟ قال يزول خوفه بدخول الجنة ، والله أعلم اهـ . وفيها : سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من كمال الرجل أن يخاف مما خوفه الله منه فى الدنيا والآخرة ، وهذا أمر قلّ أن يتفطن له لاسيما القائلون بالوحدة المطلقة بحكم الوهم ، فقلت له قد ذكروا أن من شرط العارف أن يكون على بصيرة من أمره ، ومن هو كذلك فكيف يخاف ؟ فقال رضى الله عنه : ليس أحد على بصيرة من أمره إلا فى مرتبة التقييد ، أما مرتبة الإطلاق التى منها ـ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ـ فالخوف واقع وبتقدير انتفاء الخوف فى مرتبة الإطلاق فالأدب أن يخاف من الله تعالى امتثالا لأمره فى قوله تعالى ـ وخافون إن كنتم مؤمنين ـ فقلت له قد علق الله تعالى الخوف منه بمن كان مؤمنا ، والإيمان حجاب والعارف قد رفع حجابه بدخول حضرة الإحسان وصار الأمر كشفا له ؟ قال رحمه الله : ولو صار الأمر كشفا له فلا بد من الحجاب ، غاية الأمر أن الحجاب رق عند الكشف كما يرى الإنسان ما فى الزجاج الصافى مع حجاب الزجاج . وإيضاح ذلك أن الإيمان مصاحب لسائر المراتب كمصاحبة الواحد فى مراتب العدد ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ياموسى خفنى وخف نفسك وخف من لا يخافنى وهم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره وهو من أولى العزم من الرسل ، فامتثل الأدباء أمر الله وخافوا من أعداء الله ، كما شكروا غير الله من المحسنين بأمر الله تعالى ، فقلت له فإذا العارف فى عبادة إلهه فى حال خوفه من الخلق فى حال شكره لهم ؟ فقال رضى الله عنه نعم ، وهو صراط دقيق قلّ سالكه لاسيما أرباب الأحوال فإنهم لا يعرفون له طعما ، انظره (وارج من وسع) كقفل السعة (رحمة) الله التى وسعت كل شىء ، وفى [حى] فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة ، عجل الله عقابها فى الدنيا بالزلازل والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل : هذا فداؤك من النار » وفى لفظ آخر « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى إلى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » وروى فى تفسير قوله تعالى « ـ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ـ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام إنى أجعل حساب أمتك إليك ؟ قال لا يارب ؛ أنت أرحم بهم منى ، فقال إذا لا نخزيك فيهم » وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم إلى لئلا يطلع على مساويهم غيرى ، فأوحى الله تعالى إليه : هم أمتك وهم عبادى و أنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك » ثم قال : وفى الخبر « إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أنى قد غفرت له » وفى الخبر « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرنى ورجانى » وفى الخبر لو لقينى عبدى بقراب [1] الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة » وفى الحديث « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة » وفى لفظ آخر « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة » ثم قال « وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلى إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا مت ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : نعم معى إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنتين النظر إلى ماحرم الله ، وأن تزدرى بهما مسلما دخلت معى فى الجنة على راحتى هاتين » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها» وفى الخبر « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس لعنه الله ليتطاول لها رجاء أن تصيبه » وفى الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال : فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك » اه . ياأرحم الراحمين ارحمنا بمحض فضلك وإحسانك وكرمك وامتنانك وبجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبجاه سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم . قال رحمه الله :

[فصل : فى شرط الطهارة المائية لجوهرة الكمال فى مدح سيد الرجال]

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

(وَلَابُدَّ مِنْ طَهَارَةِ المَاءِ فِى الَّتِى ... بِجَوْهَرَةِ الكَمَالِ تُدْعَى بِحَضْرَةِ

بِعِشْرِينَ أَبْدِلْ مِنْ صَلَاةِ الفَرِيدَةِ ... لِفَرْضِ تَيَمُّمٍ لِأَجْلِ الضَّرُورَةِ

وَعَجْزٍ عَنِ الطَّهَارَةِ الحَبْثِيَّةِ ... وَضِيقِ المَكَانِ عَنْ جُلُوسِ لِسِتَّةِ

وَذَا فِى مَكَانٍ وَاسِعٍ غَيْرِ طَاهِرٍ ... فَتُتْلَى بِطَاهِرٍ صَغِيرٍ كَخَلْوَةِ)

(ولابد) أى لامحالة ولامندوحة (من) شرط (طهارة الماء) ولا تكفى الترابية (فى) قراءة الصلاة (التى) تدعى وتسمى (بجوهرة الكمال) فى مدح سيد الرجال صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهى : اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية الخ (تدعى) بذلك (بحضرة) أحمدية محمدية . وفى [جه] ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية لأن النبى صلى الله عليه وسلم يحضر عند

---

(١) بكسر قاف ككتاب اه .

قراءتها اه .وفى [د] من تيمم لايقرأ جوهرة الكمال ويجعل مكانها عشرين من صلاة الفاتح لما أغلق الخ لأنها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية والفراش الطاهر الذى يسع ستة من الناس لأنه صلى الله عليه وسلم يحضر والخلفاء الأربعة رضى الله عنهم عند السابعة من الجوهرة اه . وفى [مب] وتنوب عنها : أى عن الجوهرة عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضى ، ومن أتى بالجوهرة وهو متيمم أو العكس فإن أمكن التدارك أتى بما عليه وإلا استغفر الله اه : وهذا منه رضى الله عنه وعنابه آمين مبنى على أن شرط الطهارة المائية فيها إنما هو شرط أدبى لاغير وليس بشرط صحة فيها والله أعلم ، وعن بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أن ذلك شرط صحة فيها لا أدبى فقط كما قيل ، ولذا قال إن من تيمم وقرأ جوهرة الكمال عمدا أوجهلا أوسهوا فلابد أن يعيد وظيفته ويجعل مكانها عشرين من صلاة الفاتح لقول سيدنا الشيخ رضى الله عنه وعنابه آمين لاتقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية ، وكذا من توضأ وقرأ صلاة الفاتح عشرين مكانها فلابد من إعادة وظيفته لأنه أخل بركن من أركانها ولإتيانه بالبدل مع تأتى المبدل منه ، ولا يكفى فى ذلك الجبر بمائة من الاستغفار والله تعالى أعلم . واعلم يا أخى أن هذا شرط خاص لأمر خاص فى مقام خاص لحكم تدق عن الأفهام يعلمها سيدنا الإمام الذى شرط ذلك فى هذا المقام بإذن من سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال رحمه الله ورضى عنه لمن سأله عن سبب اختصاص الجوهرة بهذا الشرط ؟ أو كان للعقل مجال فى ذلك وأمكن القياس على ماهنالك لقيل إن الهيللة يوم الجمعة كان النبى صلى الله عليه وسلم يحضرها ، كذلك فهى أيضا لاتقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية كالجوهرة لأن النبى صلى الله عليه وسلم يحضرها لكن مالنا إلا اتباع أحمد يسعنا مايسعه وما أمرنا به نتبعه ، وغيره لا نبتدعه ، وافعل ما أمرت به تعبدا معتقداً لامنتقداً ، وإياك ولم فتقع فى الردى . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه هل الأولى بالمريد البحث عن علل الأحكام قبل فعلها أم الإقبال على العمل بمجرد سماع أمر الشارع بذلك أو العلماء ؟ فقال رضى الله عنه : الأفضل المبادرة للعمل من غير معرفة علة ، لأن الحكم إذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة اه . قلت : ومن كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه نحن لانعلل ولانطرد[1] العلة لأن الأمر لايخلو إما أن يكون منطوقا به فهو كما قال ، وإن كان مسكوتا عنه فهو على حكم الإباحة والله أعلم . وفى البخارى قال أبو الزناد إن السنن ووجوه الحق لتأتى كثيرا على خلاف الرأى فما يجد المسلمون بدا من اتباعها أى ويوكل الأمر فيها إلى الشارع ويتعبد بها من غير اعتراض كأن يقال لم كان كذا ، من ذلك أن الحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصلاة ، ومقتضى الرأى أن يكونا متساويين فى الحكم لأن كلا منهما عبادة تركت لعذر لكن الأمور الشرعية الآتية على خلاف القياس لا يطلب فيها وجه الحكمة بل يوكل أمرها إلى الله تعالى لأن أفعال الله تعالى لا تخلو عن حكمة لكن غالبها يخفى على الناس ولاتدركها العقول انظر إرشاد السارى (بعشرين) مرة أو بأربعة وعشرين كما فى رواية أو بخمسة وعشرين كما فى أخرى (أبدل) أى اجعل بدلها ومكانها ما ذكر (من صلاة) الياقوتة (الفريدة) وهى : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ (لفرض تيمم) بتنكير أى لأجل كون فرضك التيمم للصلاة (لأجل الضرورة) من عدم ماء أوخوف ضرر فى استعماله قال تعالى - فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا - (و) لأجل (عجز عن الطهارة الخبثية) أى عن إزالة النجاسة المحققة أو المظنونة

---

(١) نطرد بتشديد طاء من اطرد اتبع اه .

ظنا قويا ويلغى الشك والوهم ثوبا أو بدنا أو مكانا : وفى [مح] ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث وطهارة الثوب والمكان ويكون الذاكر بها جالسا فإن فقد شرط من هذه الشروط فإنها لا تقرأ فى الوظيفة وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرة اه . وقوله رضى الله عنه وعنا به آمين ويكون الذاكر بها جالسا : أى فى حق غير المسافر ، وأما المسافر فيقرؤها قائما ماشيا ، فإذا بلغ السابعة يجلس إن لم يخف ، ولم تحصل مشقة فى فوات رفقته وإلا فلا ، والله أعلم .

[تنبيه] سئل بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه عمن كان فى أثناء الجوهرة فذكر النجاسة فى ثوبه أو بدنه أو مكانه هل يكفيه ما قرأ منها ويأتى ببدل مابقى منها من صلاة الفاتح ؟ فأجاب بأنه يقطعها ويزيل النجاسة ويعيد وظيفته لأن الطهارة الخبثية شرط صحة فيها ولأن صلاة الفاتح إنما تكون بدلا عن الجوهرة عند العجز عن الطهارة الخبثية وعمن قرأ من الجوهرة ستا فلما شرع فى السابعة تلفت له كأنها محيت من حافظته قال تعالى - سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله - فأجاب بأنه يأتى بالبدل وهو عشرون من صلاة الفاتح أ، وعمن غلبه الحدث فى الأخيرة من الجوهرة هل تصح وظيفته لأنها كانت فى ابتداء الأمر إحدى عشرة مرة أم لا ؟ فأجاب بأنه يعيد وظيفته لبطلانها بانتقاض وضوئه ، ولا وظيفة لمن لا وضوء له أو بدله بشرطه ، ولا عبرة بالأصل لأنه صار نسيا منسيا ومنسوخا : وفى [م] :

وفى حياة شيخنا قد زادوا واحدة فزيدها سداد

قال تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا - فافهم ، والله أعلم .

[تتمة] مما تشترط فيه الطهارة المائية الإسم الأعظم والفاتحة بنيته . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عمن احتلم فى السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه هل يذكر جميع ماعنده من الأوراد أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله : إنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفى وغيره إلا الفاتحة بنية الإسم فلا يقرؤها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . قال الشيخ رضى الله عنه : سألت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أذكر الإسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابنى ولم أقدر على الوضوء؟ قال لى لا ، إلا أن تذكره بالقلب دون اللسان ، ثم قال سيدنا رضى الله عنه : هذا حكم من احتلم فى السفر وأما من احتلم فى الحضر والصحة فلا يذكر شيئا من ورده إلا إذا اغتسل ، ثم قال : إياك إياك أن تؤخر صلاة الصبح أو غيرها من صلاة الفرض حتى يخرج الوقت لأجل الغسل فإنه لا يحل إلا لمرض أو لعدم القدرة على استعمال الماء ، وأما ذكر الفاتحة بنية الاسم فلا تقرأها بالتيمم لا فى السفر ولا فى المرض ولو طال الحال إلى الأبد اه (و) لأجل (ضيق المكان) الذى تقرأ فيه الجوهرة (عن) مقدار (جلوس لستة) أى عن جلوس ستة أنفس (وذا) أى وما ذكر من التحديد بمقدار جلوس ستة أنفس عند ضيق المكان خاص (بمكان واسع) متنجس (غير طاهر) وكثيرا مايقع ذلك للمسافر ونحوه ، وإذا كان الأمر كذلك (فتتلى) الجوهرة (بطاهر) أى بمكان طاهر صغير ضيق جدا عما ذكر بل ولو لم يسع إلا قارئها وحده وذلك (كخلوة) بفتح معجمة معروفة عند أهلها وفى [م] :

فمن يكن عجز عن تطهير ما يلبسه أو حكمه التيمما
أو كان قد عجز عن تطهير بدنه الكثير واليسير

أو عن طهارة مكان وسعه مع النبي والخلفاء الأربعة
فحكم هذا جعله منها بدل عشرين من فريدة كما انتقل

وفى [غ] والمراد أن الذاكر إذا كان فى مكان متسع مثلا وأراد قراءة الجوهرة فيه فإنه ينظر فإن كان محل جلوسه طاهرا وما اتصل به كذلك طاهرا بقدر مايسع ستة نفر على فرض جلوسهم معه فإنه يذكرها ولا عليه فيما زاد على ذلك إن لم يكن طاهرا ، وإن نقص محل الطهارة عن ذلك كأن يكون الطاهر من البقعة بقدر مايسع المصلى لسجوده مثلا فإنه يصلى به ويذكر الوظيفة ويبدل مكان جوهرة الكمال عشرين من صلاة الفاتح لما أغلق ، لأن جوهرة الكمال مشروط فى قراءتها طهارة المكان المقدر بما ذكر ، وغير خاف أنه شرط أدبى فى بساط خاص فافهم فالتقدير فيما يسع ستة من الناس لذات البقعة التى تطلب طهارتها لا لأجل من يحضر بها ، والأصل من هذا القدر فى البقعة التباعد عن محل النجاسة أعنى تباعد أنفاس الذاكرين عن النجاسة ، ألا ترى أن من كان فى بيت صغير كالبيت المطلوب فى الخلوة بحيث لايسع إلا واحدا لجلوسه فقط والفرض أنه طاهر له أن يذكر الجوهرة ، بل هو مطالب بقراءتها فى الوظيفة بلاشك والحضور من النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة حاصل قطعا ، ولا يبحث عن الكيفية فى ذلك لأنه من باب خرق العادة ، ولو كان التطهير المشروط لأجل جلوس من يحضر لما صح ذلك الحضور فى بيت الخلوة مثلا الذى لايسع إلا رجلا واحد فتأمل منصفا اه . قلت : تأملنا فإذا كما قيل :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى شرط الاجتماع للوظيفة والهيللة يوم الجمعة]

اعلم أن الاجتماع للذكر حض عليه الشارع ورغب فيه صلى الله عليه وسلم وجرى به عمل أئمة الطريق من أهل الله شرقا وغربا حضرا وبدوا . وفى [مح] وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء. قال فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يارسول الله صفهم لنا نعرفهم؟ فقال هم المتحابون من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » أخرجه الطبرانى بإسناد حسن ، وعن عمرو بن عنبسة رضى الله تعالى عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض [1] وجوههم نظر الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل ، قيل يارسول الله من هم؟ قال هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى من التمر أطايبه » رواه الطبرانى ، انظره . وفى [خل] عن أبى الدرداء « لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوما الظمأ لله بالهواجر ، والسجود لله فى جوف الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى أطايب التمر » اه. وفى [جص] « لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلى من الدنيا ومافيها ، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلى من الدنيا وما فيها » وفيه « لأن

---

(١) بياض : أى إشراق ولمعان اه .

أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس » وفى رواية « ثم أصلى ركعتين أو أربعا أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن اعتق أربعة أى من ولد إسماعيل » . وفى [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » وقال داود صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فإنها نعمة تنعم بها على » ثم قال : وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتّاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى : أى شىء تركتم عبادى يصنعونه ؟ فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى ؟ فيقولون لا ، فيقول جل جلاله : كيف لو رأونى ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا ، فيقول لهم من أى شىء يتعوذون ؟ فيقولون من النار : فيقول تعالى : هل رأوها ؟ فيقولون لا فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل أى شىء يطلبون ؟ فيقولون الجنة ، فيقول تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا ، فيقول جل جلاله : إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم » اه . وفى [جع] وسألته رضى الله عنه عن الذكر جماعة مادليله لأن مذاهب الأئمة مختلفة فيه ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم حلق الذكر » قلت لسيدنا قال العلماء هى مجالس العلم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا وحفتهم الملائكة وغشيتهم بأجنحتها » قال : المراد به الذكر وإنما مالك رضى الله عنه حمله على العلم ولم يحمله على الذكر لأن أهل المدينة المنورة لا يفعلونه وعملهم أصل من أصول مذهبه كما هو معلوم ، وأما عند غيره من الأئمة فهو جائز من غير كراهة للنصوص الصحيحة الصريحة عندهم . قال سيدنا أبو العباس التجانى رضى الله عنه : وهو الحق لأنه لما حثنى صلى الله عليه وسلم على ذكر الجماعة تأملت أن أهل المدينة أخذوا بالأعلى فقط وبقيت الأحاديث على ظاهرها لأن ذكر الجماعة لا يكون إلا جهرا وغيره سرا وهو يفوق ذكر العلانية بسبعين ضعفا فأخذوا بالأعلى قلت : والدليل القطعى هو ماذكره سيدنا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : لما حثنى على ذكر الجماعة ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بالحق اه . قال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال - سنشد عضدك بأخيك - فافهم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . قال رحمه الله :

(وَأَمَّا اجْتِمَاعٌ لِلْوَظِيفَةِ وَالَّذِي بُعَيْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي يَوْمِ جُمُعَةِ
فَشَرْطٌ إِذَا الْإِخْوَانُ كَانُوا بِبَلْدَةِ وَلَا تَتْرُكَنْهُ بِدُونِ مَشَقَّةِ
وَلَا تَتَهَاوَنْ فِي اجْتِمَاعٍ لِمَا مَضَى فَتُحْرَمَ بِرَّهُ وَتُجْزَى بِحَسْرَةِ)

(وأما اجتماع) الإخوان الذكور دون النساء (للوظيفة) المعلومة اللازمة فى الأحمدية مرة واحدة فى كل يوم (و) اجتماعهم للذكر المعلوم (الذى) كان وفى نسخة «والتى» أى واجتماعهم للهيللة المعلومة التى كانت (بعيد) صغر للتقريب (صلاة العصر فى يوم جمعة) وهو الهيللة وهى أيضا من الأذكار اللازمة فى الأحمدية كما يأتى ذلك إن شاء الله (فشرط) لازم وأمر واجب فى الأحمدية ويأثم من تركه لغير عذر إثما عظيما (إذا الإخوان) جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم (كانوا) أى إذا كان الإخوان وأقل الجمع اثنان لحديث « اثنان جماعة » (ببلدة) أى فى بلد واحد أو فيما هو كالواحد بحيث لا يشق عليهم الاجتماع ولا ينالهم فيه حرج (ولا تتركنه) أى الاجتماع للوظيفة مع الإخوان وكذا الهيللة يوم الجمعة (بدون) وجود (مشقة) معتبرة شرعا فإن وجدت المشقة المعتبرة شرعا فهل للأيسر تكف المكلف - يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - وماجعل عليكم فى الدين من حرج - وذلك كالأعذار المبيحة للتخلف عن جماعة وجمعة ، وفى [المختصر] وعذر تركها والجماعة شدة وحل ومطر وجذام ومرض وتمريض وإشراف قريب ونحوه ، وخوف على نفس أو مال أو ضرب ، انظره . وفى [جه] فإن كان وحده مثلا فى بلد ولا معه غيره من الإخوان يقرأ الوظيفة وحده وإن كان معه إخوان يجتمع معهم ويقرءونها جماعة وهذا شرط فى الوظيفة وإن كان مسافرا قرأها وحده : يعنى إذا لم يكن معه إخوان أو كانوا ولم يتيسر لهم الاجتماع وإلا فالاجتماع أولى وأفضل . وفى [د] ذكر الصف أفضل من الانفراد لقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص - سببه أنهم كانوا يمتنعون من الدخول فى الحلقة يوم الجمعة ، وكان رضى الله عنه يحضهم عليه ويرغبهم لما فيه من محبة الله لفاعله اه : أى ومن التعاون والتعاضد على البر والتقوى المأمور به كتابا وسنة ، لكن محل ذلك حيث كانت الحلقة حلقة وأما اليوم ففيها ماتشمئز منه القلوب ولا يرضى به علام الغيوب جبر الله حالنا وأصلح مآلنا أجمعين بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين ، وفيها : لو علمتم مافى الوظيفة من الفضل لأتيتموها حبوا سببه أن بعض الإخوان ثقل عليه المجىء للوظيفة لكبر سنه وثقل بدنه وبعد داره وكان الزمن إذ ذاك زمن الشتاء فاستعذر عن حاله لسيدنا رضى الله عنه فذكره اه . وفى [مب] ويشترط فى ذكر الجمعة والوظيفة الاجتماع إلا لعذر ، وفائدة ذلك تعاضد أنوار قلوب الذاكرين وإظهار لآية الإسلام عند دروسها ، وإعانة لضعفاء المسلمين على الذكر مع ماورد فى الحديث من نزول الرحمة والسكينة وذكر الله لهم فيمن عنده اه .

[تنبيه] سئل بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه عن إخوان فى بلد تركوا الاجتماع للوظيفة والهيللة اختيارا من غير عذر ولا حرج فصار كل واحد يقرأ وظيفته وهيللته وحده هل تبطل وظيفتهم وهيللتهم بترك هذا الشرط المشروط فيهما أم لا ؟ فأجاب بأن وظيفتهم صحيحة وكذا هيللتهم لأن الاجتماع ليس شرط صحة فيهما بحيث يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ، وإنما هو شرط واجب وأمر لازب فيهما بحيث يأثم من تركه إثما عظيما وعصى وصحت ، ويعد من فعل ذلك متهاونا ويخاف عليه ويتخول بالموعظة الحسنة - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - وفى [عم] وينبغى للشيخ معاتبة كل من غاب من

الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ولو بالنوم فى البيت لاسيما فيمن يرجى خيره ويؤمن شره ، ورحم الله من قال :

أعاتب من أحببت فى كل زلة ليحتمى الأمر الذى معه العتب

فإنى أرى التأديب عند وجوبه بمنزلة الغيث الذى معه الجذب

وفى [ثيق] وينبغى لشيخ الزاوية أن يمنع من المجاورة عنده كل كسلان لايحضر مع الفقراء أورادهم وأذكارهم وصلاة جماعتهم ، لأن إقامة مثل هذا مما نفسد أحوال إخوانه فى الزاوية حتى يصيروا مثله عن قرب كما جرب ، وليكن الشيخ أول حاضر للمجلس وصلاة الجماعة تقوية لعزم الفقراء واتباعا لسنة الأشياخ السابقين ، وكان سيدى مدين رحمه الله لايخرج إلا لصلاة العصر فقط ، فقيل له فى ذلك فقال : للفقراء أعذار ، وكان رضى الله عنه يخرج كل من لم يحضر مجلس الذكر من الزاوية ، فقال له شخص ياسيدى أنا بحمد الله قلبى حى يقظان لا أحتاج إلى من يقوينى وينشطنى ، فقال له رح جاور بيقظتك بعيداً عنا لئلا تتلف علينا الجماعة ويدعى كل واحد ماادعيت فيتلف نظام الزاوية ويموت شعارها وينبغى للشيخ أن يفتقد المجاورين كل حين فمن لم يجد عنده نهضة وانتقالا من حالة لأعلى منها فليخيره بين الخدمه وبين الخروج لئلا يتلف الإخوان بالكسل والخمول. انظره (ولا تهاون) من تهاون بكذا استخف به ولم يبال به (فى اجتماع) مع الإخوان (لما مضى) من الوظيفة والهيللة يوم الجمعة ، وفى نسخة « مع إخوة » أى لماذكر . وفى [م] .

وتركه لغير عذر شرعى أوكل الأوقات له ذومنع

وفى [غ] أراد بهذا أن ترك الجمع للوظيفة لغير عذر شرعى يعرض فى الوقت وكذلك تركها كل الأوقات للعذر الشرعى ممنوع عندنا فى الطريق بمعنى أن فاعل ذلك ترك ماهو لازم له لزوما مؤكدا فى الطريق فيعد متهاونا بها ولا يخفى وخامة مرتع المتهاون والعياذ بالله تعالى انظرها (فتحرم) وتمنع (سره) ونوره وبركته وثمرته (وتجزى بحسرة) وندامة دنيا وأخرى لأن البركة مع الجماعة، ويد الله مع الجماعة، وقد يكون فيهم من هو مقبول ومغفور له فيغفر للباقين بسببه فإن الأعمال ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة . قال أبو مدين رضى الله عنه :

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم واعلم بأن الرضا يخص من حضرا

ولأن القاصية عن الغنم يأكلها الذئب قال تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه - وفى [مح] ومن كلام سيدى على الخواص : فينبغى للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر فإنه أشد تأثيرا فى جمع شتات قلبه ، وينبغى له أيضا أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا فى رفع الحجب لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لاينكسر إلا بقوة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لاتزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفقته اهـ . وعن ابن عطاء الله فى [مفتاح الفلاح] قال بعضهم : مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمؤذن واحد ومؤذنين جماعة ، فكما أن صوت المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء أكثر مما يقطعه صوت مؤذن واحد كذلك ذكر جماعة على القلب أكثر تأثيرا وأشد قوة فى رفع الحجب عن القلب من

من ذكر واحد وحده اه . قال رحمه الله :

(وَشَرْطُهُ تَحْلِيقٌ كَدَارَةِ هَالَةِ	أَوِ الصَّفُّ فِيهِ أَوْ تَرَبُّعُ حَلْقَةِ
عَلَى ذَا تَمَادَى أَهْلُ فَاسٍ وَغَيْرُهُمْ	بِشَرْطِ التَّرَاصِّ فِي الْجَمِيعِ لِنُكْتَةِ
وَحَيْثُ انْتَهَتْ بِكَ الْمَجَالِسُ فَاجْلِسَا	وَلاَ تَقْصِدِ الْأَدْنَى بِخَوْفِ دَسِيسَةِ)

(وشرطه) أى الاجتماع للوظيفة والهيللة (تحليق) أى كونهم محلقين ومحدقين (كدارة هالة) فهو من إضافة الشيء إلى نفسه فإن الدارة هى الهالة ، ورحم الله من قال :

والأدب التحليق فى المجالس	فى الذكر والعلم لكل جالس

وفى [د] إن سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين قال لرجل حضر ذكر الجمعة ولم يدخل الحلقة أما فاتك من خير ! ؟ اه ولو أدرك الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين زماننا لحذر عنها كل التحذير ونفر منها كل التنفير لأنها صارت ضحكة ولعبة وسمعة ورياء ، هذا ماحكم به الوقت نعوذ بالله من المقت ، وقل يا أخى كما قال العارف بالله ابن العارف بالله ابن العارف بالله سيدى محمد البشير ابن سيدى محمد الحبيب ابن القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنهم وعنا بهم آمين فيما كتب به لإخواننا الفاسيين أصلحهم الله وأصلح بهم ، ونصه : فالنهى الصادر منا ليس عن حلقة الذكر نفسها فإن جوازها واضح كنار على علم ، بل النهى إنما هو لأجل مايقع فيها حالة الذكر من المفاسد كما قدمنا هذى نصيحتى إليكم الخ ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حمدا لمن يهدى إلى الرشاد	بفضله من شاء من عباد
ثم يضل من يشا بعد له	وما له من سائل عن فعله
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
وبعد فالحلقة صارت ضحكه	ولعبة ومثلة ووصمه
فلا يرى فيها سوى الغناء	والرقص والسمعة والرياء
فلا يغرنك من يفعلها	ومن يصيح بالغناء وسطها
قد غره الشيطان بالغناء	والرقص والشطح بلا حياء
إياك والصياح بالأشعار	أخسس به فى حلقة الأذكار
ولا تقس كلمة الإخلاص	بمنشد يا رائم الخلاص
واليوم قد قيست على الأشعار	توافقا لنغمة الشعار
ولا تقس اسم الجلالة على	نغمة شاعر فذا قد حظلا
فالله لايعبد بالتزويق	ولا التصنع ولا الترقيق
لنغمة [1] كأنها من النسا	فبئسما يفعل صبحا ومسا
وهل أتى عن النبى العدنانى	والصحب أو عن أحمد التجانى
أن لهم مدندنا [2] يدندن	فى حلقة وبالغناء يعلن

---

(١) نغم ينغم وتنغم، وتنغم الرجل: طرب فى الغناء .

(٢) دندن الذباب دندنة :صوت .

أو نصب من يصيح عند الذكر … بأنكر الصوت لهم بالشعر
كلا وحاش ومعاذ الله … فتلك شيمة ذوى الملاهى
ومن مراده عن الملاهى … ومستخف بحدود الله
فلا تجالسهم على ذا الحال … ولا تمل إليهم بالبال
ولا تعنهم على الصياح … فإنه ليس من الفلاح
ولا تكثر لهم سوادا … إذ ليس ماهم به سدادا
بل ذرهم فى الخوض يلعبونا … قل إننا إليه راجعون
إذ زعموا أنهم على الهدى … مع انهم من حزب من قد مردا
واعتقدوا أنهم على التقى … مع ان ماهم عليه يتقى
فكيف ترجى لهم الإنابة … أو توبة من هذه المصابة
قد لعبوا فى الذكر بالأغانى … وهتكوا طريقة التجانى
فابك على الضلال والإضلال … واستنصرن بالله ذى الجلال
ولست منكرا لنفس الحلقة … بل للصياح والغنا والزعقة
والرقص والشطح ببيت الله … والخيلا والفخر والتباهى
وما أتى عن سيدى حسان … به ينافح عن العدنانى
فكان فى التأثير مثل النبل … فى مشركى الوقت وأهل الجهل
وما أتى عن أحمد التجانى … فذاك يوم العرس للولدان
لاتكذبو لاتكذبوا عن النبى … وصحبه والعلماء النجب
فليتبوأ مقعدا فى النار … من افترى على النبى المختار
كذاك مفتر على التجانى … مقعده يكون فى النيران
نعوذ بالله من النيران … وما لها يجر من بهتان
هذا صراط مستقيم قد بدا … من شاء فليؤمن ومن شا ألحدا
يارب فاشهد أننى بلغت … وأننى بالحق قد صدعت
واسترقوا ما مر من أجانب … ذوى الهوى والدد والتلاعب
سميتها بنصرة الطريقة … فى حسم ماقد أبدعوا فى الحلقة
فإنها بكت وأبكت الورى … فاستنصرت بنصر بارئ الثرى
فقام بعض صبية التجانى … ينصرها بصارم الرحمن
مستنصرا بالله والعدنانى … وبالتجانى مدى الزمان
ينهى عن الغناء وسط الحلقة … بذا الكتاب نصرة الطريقة
لأنك مغترا بهذا الزمن … تراكمت فيه بحور الفتن
كما تلاطمت به موج الفتن … وقل بربى عذت من شر الزمن
واستلطف الرحمن بالعدنانى … وصحبه واحمد التجانى
وقل إلهى ألطف بكل الناس … واحفظ جميعنا من الوسواس

يارب فارحمنا بمحض الفضل وشفعن نبينا فى الكل
صلى عليه ربنا وسلما وآله ومـن له قد انتما
آمين آمين استجب دعائى يامالكا للأرض والسماء

وفى [مب] والأولى فى ذكر الجماعة التحليق اهـ . وفى [جص] « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر » قال العزيزى : وهى جماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها اهـ . (أو الصف فيه) أى فى الاجتماع للذكر لقوله تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص - وفى [د] وأى قتال يعنى الذكر بالصف وذا قاله لمن يدخل الصف يوم الجمعة واستشهد عليه بقول الله عز وجل إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا قيل له وهذا قتال فذكره ، وكان بعضهم يذكر فى غير الصف فيقول له أما فاتك من خير؟ اهـ وذلك حيث كانت الحلقة حلقة ، وأما اليوم ففيها مافيها جبر الله حالنا وأصلح مالنا ، فلا ينبغى لعاقل فضلا عن فاضل أن يقر بها فضلا عن أن يدخلها عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ، ورحم الله من قال :

فلا يغرنك [1] من فى الناس يفعلها فالناس فى غفلة عن واضح السنن
يعمى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

(أو تربع حلقة) بفتح مهملة ، وقيل بكسرها ، وحكى عن أبى عمرو أن الواحد حلقة والجمع حلق كقصبة وقصب (على ذا) أى على هذا الوجه الأخير وهو تربع الحلقة للتقابل والتواجه لقوله تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - ولأن استقبال المؤمن أخاه أفضل من استقباله القبلة لأنه مرآة فإن لم يجد من يستقبله فليستقبل القبلة ، وإن أمكن الجمع بينهما فهو الأولى والأفضل والإنسان على نفسه بصيرة (تمادى) واستمر ساداتنا (أهل فاس) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وعلى منوالهم فانسج إذ هم أدرى بأحوال سيدنا أبى الفيض رضى عنه وعنابه آمين وأفعاله وأقواله فهم عندنا فى الأحمدية بمنزلة أهل المدينة فى المذهب المالكى ما أقاموا الدين وإلا فحسبنا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هما ميزاننا وقسطاسنا دنيا وأخرى وغيرهم من أهل الحواضر والبوادى تأسيا بهم فى ذلك النادى ، ولكن (بشرط التراص) من تراص القوم تلاصقوا وانضم بعضهم لبعض للآية السابقة ، ونقل أن ثياب السلف رضى الله عنهم كانت تنقطع أولا من جهة المناكب لشدة تراصهم وتلاصقهم فى الصلاة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « راصوا الصفوف فإن الشيطان يقوم فى الخلال » وقوله صلى الله عليه وسلم : « راصوا صفوفكم وقاربوا بينها ، وحاذوا بالأعناق» وقوله صلى الله عليه وسلم : « أقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدى إخوانكم ولا تذروا فرجات [2] للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل » وصفوف الذكر كصفوف الصلاة فى التسوية والتراص والإتمام . قال تعالى : - ولذكر الله أكبر - وفى مسلم عن جابر ابن سمرة رضى الله عنهما وعنابهما آمين « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنا حلقا فقال مالى أراكم عزين؟ : أى متفرقين جماعة جماعة : قال : ثم خرج علينا فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقلنا يارسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال يتمون الصفوف الأول

(١) بنون خفيفة اهـ . (٢) بضم فاء كغرفات اهـ .

ويتراصون فى الصف » اه . وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حق من يتأخر عن الصف الأول « لايزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله » وهذا وعيد شديد نسأل الله السلامة والعافية (فى الجميع) أى فى جميع هيئات الذكر (لنكتة) بضم النون جمعها نكات بكسرها كقبة وقباب . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسوى صفوفنا و نتراص فيها ونقدم الوقوف فى ميامنها على غيره من الوسط أو المياسر وفى ذلك أسرار لاتذكر إلا مشافهة ، وينبغى أن لايكون بين أحد من أهل الصف وبين من هو فى صفه شحناء ولا حسد ولا غل ولا مكر ولا خديعة ليوافق الباطن صورة الظاهر فإن اختلاف القلوب أشد من اختلاف الجوارح ، ثم قال : ومن الأسرار الظاهرة فى ذلك أن الله تعالى أمرنا بإقامة الدين ولا يقوم إلا إذا كنا على قلب رجل واحد ، وفى القرآن العظيم - ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم - يعنى قوتكم . ومن الأسرار أيضا أن الشيطان لايدخل بين الصفوف ويوسوس لأصحابها إلا إذا رأى بينها خللا فمتى قرب من أنفاسهم احترق كما فى حديث « يد الله مع الجماعة » أى تأييده وهذا الأمر لايكاد يسلم منه أحد من المحبين للدنيا ومناصبها ووظائفها فإن كل من سعى على وظيفة شخص صار عدوا له ، ثم قال : فلا ينبغى لأحد من هؤلاء أن يقف فى صف من بينه وبينه عداوة ويطابق باطنه ظاهره ، ويخرج عن صفة النفاق المشار إليها بقوله تعالى - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - اللهم إلا أن يقف بعد التوبة ناويا التقرب إليه تميلا لخاطره ، انظره . وفى مسلم عن أبى مسعود قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وليلنى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافا أى لأن اختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن ، ومتى اختلفت البواطن وتنافرت فلا عبرة بالاجتماع والاتصال فى الظاهر لأن ذلك نفاق والنفاق من أعظم الذنوب عند علام الغيوب قال تعالى - إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار - الآية - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - .

(وحيث انتهت بك المجالس) التى يباح لك الجلوس فيها (فاجلسا) بألف مبدلة من خفيفة كيفما كان ولا تتخط رقاب الناس لصدر المجلس أو وسط الحلقة لحديث « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وفى [جص] « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فإن وسع له فليجلس وإلا فلينظر إلى أوسع مكان يراه فليجلس فيه » قال العزيزى : ولايستنكف أن يجلس خلف القوم بل يخالف الشيطان ويجلس حيث كان اه . قال الحفنى : فإن لم يجد موضعا إلا عند النعال جلس وخالف الشيطان لأنه إن كان صدرا أى مرفوع الرتبة انتهى المجلس إليه فى أى موضع جلس ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على أصحابه جلس حيث انتهى به المجلس ولو آخرهم فينتهى المجلس إليه ، فإن لم يجد موضعا أصلا خرج ولا يجلس وسط الحلقة لأنه ورد أن الجالس وسط حلقة القوم ملعون انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نجلس وسط الحلقة فى ذكر أو علم أو نحو ذلك مما يشرع له الاجتماع ، وذلك هروبا من التميز على إخواننا فى المجالس ، وقد روى أبو داود مرفوعا « لعن الله من جلس وسط الحلقة » انظره ، وفيه أيضا : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتخطى رقاب الناس وقد اصطفوا جلوسا ينتظرون الصلاة أو يستمعون الخطيب أو الواعظ أو تدريس العلم ونحو ذلك أدبا مع الله تعالى ومع إخواننا المسلمين

ولو زبالين ، فإن هذه الحضرات فيها الملوك الجبابرة فضلا عن غيرهم فمن تخطى رقاب الناس فيها فهو معدود من قسم البهائم، فمن الأدب للطالب أن يحضر قبل الناس أو يتخلف حتى يقوموا للصلاة فيخرق الصفوف لسد تلك الفرجة إن كان من أهل الوقوف فى الصفوف المتقدمة أو يصلى أواخر الصفوف وليحذر من إظهار نعله إذا دخل وهو فى يده بل يستره بردائه ونحوه انظره ، وهذا فى حق من يجعله محفوظا فى كيس أو نحوه وإلا فليظهره ولينحه من ثيابه خوف التنجيس وليحمله بيساره دون يمينه ولا يجمع معه السبحة كما عمت البلوى والمحنة بجميع ذلك - إنا لله وإنا إليه راجعون - وروى « من تخطى حلقة قوم بغير إذنهم فهو عاص» وفى البخارى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد ، قال فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله تعالى فآواه الله إليه ، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » اه (ولاتقصد) المكان (الأدنى) أى الذى فى الصورة لتجلس فيه (لخوف دسيسة) من دسائس النفس والشيطان . وفى [د] لايقصد يجلس فوقا ولا تحتا يجلس حيث وجد . سببه أن رجلا تنازع مع آخر على موضع فى الوظيفة كان أحدهما يجلس فيه فسمع بذلك فقال يقول الله تبارك وتعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين - فقال أحدهم الرجل هو الذى يجلس تحتا ، فذكره فسئل هل هو علو ؟ فقال هو علو اه . وفى [غ] ومن أدب المريد فى هذا التحليق أن لايقصد بجلوسه أعلى المجلس ولا أسفله لما فى ذلك من رؤية النفس حسبما هو ظاهر فى قصد الأعلى ، وأما قصد الأسفل فقد يكون من دسائس النفس حيث تظهر أنها اختارت الأدنى وهو أعلى فى الحقيقة من حيثية أخرى كما لايخفى لأنها تثبت بلسان حالها لنفسها مزية بقصد الأسفل . وبالجملة فحب العلو ظاهر فى القصدين إلا أنه فى الأول جلى وفى الثانى خفى ، ولهذا تلا سيدنا رضى الله عنه بعد نهيه عن القصدين معا - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا - الآية ، فقيل له رضى الله عنه أهذا علو ؟ قال رضى الله عنه وأى علو اه . وفى الحكم : حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى ومداواة ما يخفى صعب علاجه اه . ولذا حكى أن بعضهم حدثته نفسه بالخروج إلى الجهاد وأظهرت له أن ذلك لله تعالى وأنه خير مما هو فيه ، فقال يارب نبهنى لمقصدها فإنى متهم لها وفتش فإذا هو لأجل أن تستريح من تعب مجاهدته لها فإنه كل يوم يقتلها مرات عديدة يمنعها من شهواتها فأرادت أن تقتل مرة واحدة فتستريح فترك الخروج إلى الجهاد واشتغل بما هو فيه ، وهكذا شأن أهل البصائر والنهى يتهمون نفوسهم إذا مالت إلى عبادة من العبادات فإذا رأوا فيها حظا لها تركوها اه .

[تنبيهان : الأول] من قام من موضعه فى نحو المسجد بنية أن يرجع فهو أحق به لاسيما إن ترك فيه لبدته أو سجته لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام الرجل من مجلسه من المسجد ثم رجع إليه فهو أحق به » ، وفى [الفتح الربانى] الشيخ بنانى عند قول خليل والسابق كمسجد الخ [فائدة] إذا جلس فى موضع من المسجد ثم قام لقضاء حاجة أو تجديد وضوء فهو أحق به إذا رجع إليه لما فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » اه : ولا ينبغى لأخ صادق إذا

قام من موضعه فوجد أخاه المسلم قدجلس فيه أن يغضب عليه ويكرهه على ذلك فضلا عن أن يخاصمه أو يقيمه فيه بل يفرح بذلك ويؤثره به كرامة منه - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - الثانى : من قام له غيره من موضعه لدنياه أو لدينه فلا يجلس فيه لاسيما فى بيوت الله وزوايا أهل الله لأن الحضرة حضرة الله فلا ينبغى أن يعظم فيها غير الله ، ومن عظم فيها يدركه المقت فى الوقت إن أحب ذلك واستحلاه بتسويلات نفسه وهواه فكيف بمن يدخلها بطرا فرحا مرحا متبخترا مسبلا للإزار خائضا فى بحر الأوزار قال تعالى - ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها - هذا ماحكم به الوقت فى أبناء المقت - إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب - . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانجلس فى موضع من قام لنا من مجلسه سواء كان بأمرنا أو لأجل حرمتنا عنده أو لغير ذلك ، وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الراغبين فى الدنيا المعظمين لأهلها من الفقراء فترى أحدهم يقوم من مجلسه فى علم أو لصلاة أو فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس ذلك الغنى بماله فى مكانه ويتخلف هو إلى وراء ولايفعل ذلك مع فقير مثله ، انظره . وفى الحديث « لايقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم » وكان أبو بكرة وابن عمر إذا قام لهما أحد من مجلسه لم يجلسا فيه ويقولان: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، انظره . وفى [إرشاد السارى] نعم لو قام الجالس باختياره وأجلس غيره فلا كراهة فى جلوس غيره ولو بعث من يقعد له فى مكان ليقوم عنه إذا جاء هو جاز أيضا من غير كراهة ولو فرش له نحو سجادة فلغيره تنحيتها والصلاة مكانها لأن السبق بالأجسام لابما يفرش ، ولا يجوز له الجلوس عليها بغير رضاه ، نعم لايرفعها بيده أو غيرها لئلا تدخل فى ضمانه ، انظره . قال رحمه الله :

(وَمِنْ شَرْطِهِ اتِّفَاقُ لُسْنٍ وَصِيغَةٍ	كَذَا الْجَهْرُ فِى حَقِّ الرِّجَالِ وَصِبْيَةِ
وَلَا تَجْهَرِ الْأُنْثَى بِكُلِّ عِبَادَةٍ	إِذِ الصَّوْتُ عَوْرَةٌ مُثِيرَةٌ لِشَهْوَةِ
وَجَمْعُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ مُحَرَّمٌ	بِزَاوِيَةٍ لِلذِّكْرِ أَوْ لِلْوَظِيفَةِ
وَجَا بَيْنَ أَنْفَاسِ الْفَرِيقَيْنِ بَاعِدُوا	فَهُنَّ مِنَ انْبَالِ اللَّعِينِ الْمُصِيبَةِ)

(ومن شرطه) أى الاجتماع للوظيفة أو الهيللة يوم الجمعة (اتفاق لسن) بضم لام فسكون مهملة تخفيفا جمع لسان ككتاب وكتب (و) اتفاق (صيغة) وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نكون هينين لينين فى يد إخواننا المسلمين مالم يدعونا إلى مذموم شرعا ، وفى الحديث فى الأمر بتسوية الصفوف « ولينوا فى يد إخوانكم » اه . واعلم يا أخى أن من اللين إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الصوفية أو المطاوعة أو الشناوية أو الرفاعية أن تذكر كأحدهم فى اللغة والصوت ولا تخالفهم فتشوش عليهم ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر اه (كذا) يشترط فى الاجتماع لما ذكر (الجهر) بالذكر أقله أن يسمع نفسه ومن يليه وأكثره لاحد له : المطلوب إسماع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه وصوته من البدع المذمومة لقوله صلى الله عليه وسلم « أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا بصيرا » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « ولأن ذلك يخرج على حد السمت والوقار والسكينة وربما أدى ذلك إلى اضطراب الأطراف المنافى

للخشوع والخضوع المطلوب فى الذكر كما هو مشاهد بالعيان فى هذا الزمان من جل الإخوان ، حتى كان بعض من يشار إليه بالبنان يحرضهم على رفع الصوت جدا فى الوظيفة والهيللة وأن من لم يفعل ذلك لاوظيفة له ولا هيلله ، وأنى له العلم بذلك - إنا لله وإنا إليه راجعون - بل الذى ينبغى أن يذكر الإنسان بسكينة ووقار وتذلل ومسكنة ، كأن على رأسه الطير أو كالهر عند اصطياده للفأر لاتتحرك منه شعرة فضلا عن غيرها فضلا عن اضطراب الأطراف ومن غلب عليه الحال فهو وحاله - والله عليم بذات الصدور - وأخبرنى من أثق به أنه رأى كأنه يذكر الوظيفة مع الإخوان بصوت عال فالتفت إليه بعض الإخوان فقال له آنت فى الأزقة ؟ فرفع له صوته بهمزة ممدودة جدا فعند ذلك تاب إلى الله فصار يسمع نفسه ومن يليه إذ خير الأمور أوسطها . وفى [خل] وكثيرا ما تجد من الفقراء الذين يقعدون لقراءة هذه الأحزاب تنعقر أصواتهم لشدة انزعاجهم فى جهرهم ويخرجون بذلك عن حد السمت والوقار وهذا أمر عمت به البلوى هذا إذا لم يكن ذلك فى المسجد فكيف به فى المسجد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم رفع أصواتكم » الحديث ، وقوله « مسجدنا هذا لاترفع فيه الأصوات » والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (فى حق الرجال و) فى حق (صبية) جمع صبى غير المخشى الفتنة وإلا فحكمه حكم الأنثى ، بل هو أعظم منها فتنة . وفى [م] :

وشرطه التحليق والجهر كذا عدم تخليط فراغ المأخذا

وفى [غ] ومن شروط الجمع للوظيفة أيضا الجهر فلا معنى للاجتماع وذكر كل واحد على حدته سرا مثلا . وفائدة ذلك وجدواه شهيرة عند أهل الطريق حتى كادت أن تكون من الأمر الضرورى عندهم وهذا فى حق الرجال فقط اه . وفى [مح] عن ابن عطاء الله فى مفتاح الفلاح[9]: وينبغى للذاكر إذا كان وحده إن كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر وإن كان من العامة أن يجهر به ، وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة اه ثم قال : وفى شهبة السماع : ومنه يعنى ومن أنواع الآداب التى يجتمع للمتصف بها خصال الخير الفرار من الإسرار فى الذكر اه . وفى شرحه كشف القناع : وذلك لأن الذكر مع الإسرار لايؤثر فى قلب السالك ولا يرقيه كذكر الجهر ، ثم قال: ومن كلام بعضهم إذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم مع الجهر طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء فربما قطع فى ساعة مالا يقطعه غيره فى شهر وأكثر ، لكن ينبغى أن يكون الجهر برفق فإنه إذا كان بغير رفق ربما يؤذى فيتعطل جهره بالكلية اه .

قلت : ومن هنا يظهر لكل موفق سعيد بعض أسرار قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين حين كانوا يجهرون بالذكر جهرا شديدا يؤدى إلى الداء العضال الذى يبطل بحدوثه جهرهم بالكلية « اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا » ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن الجهر ولا عن الذكر ، ولو نهاهم عن الجهر لقال اخفضوا أصواتكم وأسروا ذكركم ولا تجهروا به ، ولو نهاهم عن الذكر لقال اسكتوا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ردهم إلى الرفق على أنفسهم بالجهر الذى لايلحقهم معه ضرر يتأذون به لأنه صلى الله عليه وسلم سيد الأطباء وأعقل العقلاء وأرحم بأمته من الآباء والأمهات . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نجهر بالأذكار وسائر مايوجد منا من الأفعال والأقوال حيث كان الجهر أفضل شرعا وفاء بحق الملائكة الكرام الكاتبين ، فإنهم رسل الله إلينا يكتبون أقوالنا وأفعالنا فنجهر بنية إدخال السرور عليهم ، فإن الملائكة يتباهون بكثرة أعمال

صاحبهم، فبهذه النية نجهر بها ليقتدى بنا فيها والله على كل شيء شهيد اه. وفي [عم] وقد وقع للجنيد أن الإمام أحمد بن سريج قال له إن رفع أصواتكم بالذكر يؤذى حلقتنا في العلم، فقال له ينبغي مراعاة أقرب الطريقين إلى الله تعالى، فقال ابن سريج فإذاً وجب مراعاة طريقتنا لأنها أقرب إلى الله تعالى من طريقكم، فقال الجنيد وما علامة القرب، قال ابن سريج أن يكون الغالب عليه شهود الحق فقال الجنيد هذا عليكم لا لكم لأن الغالب عليكم إنما هو شهود أحكام دين الله لا الله، فقال ابن سريج نريد حالة يقع الامتحان بها؟ فقال الجنيد يافلان خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء، فألقاه فصاحوا كالهم الله، ثم قال له خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين يطالعوا في العلم فألقاه فقالوا له حرام عليك، فقال ابن سريج الحق معك يا أبا القاسم، ثم ذكر أن مولاى عبد اللطيف التوريزى سعى في إبطال مجلس الذكر المتعلق بالشيخ عمر الروشنى وقال له إن المسجد إنما جعل بالأصالة للصلاة وكان يحضر ذلك المجلس نحو خمسة آلاف نفس فقال له الشيخ عمر إذا ذكرنا بخفض الصوت تمنعنا من ذلك؟ قال لا، فقال الشيخ عمر معاشر الفقراء اخفضوا أصواتكم في الذكر ومن قوى عليه وارد برفع الصوت فليرده ويكتمه ما استطاع ففعلوا، فحمل من المجلس ذلك اليوم نحو خمسمائة نفس مرضى واحترقت أكباد نحو أربعة عشر نفسا وخرجت من أجنابهم فماتوا ثم قال: فأرسل الشيخ عمر إلى مولاى عبد اللطيف وجماعته وقال هل يقول عاقل إن مثل هؤلاء الذين ماتوا لهم تفعل في الموت، ولكن سهم الله تعالى في البعيد، قال: فتطبقت دار مولاى عبد اللطيف تلك الليلة عليه وعلى أولاده وعياله وبهائمه وغلمانه فلم يسلم أحد منهم وماتوا أجمعين، انظره - جزاء وفاقا - إن في ذلك لعبرة لمن يخشى - فاعتبروا يا أولى الأبصار - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - (ولا تجهر) من جهر كمنع أعلن (الأنثى) كيفما كانت، إذ كل ساقطة لها لاقطة، وكذا من ألحق بهن من الأمرد المخشى الفتنة والمفسدة (بكل عبادة) من صلاة وذكر وقراءة وغير ذلك وأعلى جهرها أن تسمع نفسها فقط دون من يليها (إذ الصوت) أى لأن صوتها (عورة) والعورة يجب سترها ما أمكن وهو (مثير) من أثاره: هيجه (لشهوة) وهى اشتياق النفس إلى الشيء والميل إليه. وفي [غ] وأما النساء فلا يجهرن بالذكر في وظيفة ولا في غيرها، فقد ذكر العلماء في الجهر المطلوب في حق المرأة أن تسمع نفسها خاصة وكذا الحكم في تلبيتها في الحج ووجهوه بأن صوتها عورة وربما كان فتنة، ولذلك لا تؤذن اتفاقا حكاه في شرح الحصن. وقال بعده ما نصه: وعلى هذا فلا يكون ذكرها إلا سرا في الأحزاب المرتبة والوظائف وغير ذلك اه (وجمع الرجال بالنساء) أى معهن سواء اعتزل كل فريق بناحية أم اختلطوا (محرم) ومن أباح لهن ذلك فقد قسط وعدل وضل وأضل (بزاوية) من زوايا سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فضلا عن غيرها (للذكر) أى لقراءة الذكر أولا سماعه كما عمت البلوى بذلك في الهيللة بعد عصر يوم الجمعة ونحوها. وينبغي لناظر الزاوية أن يخرجهن ويؤدبهن بقوله صلى الله عليه وسلم « آلبر يردن » (أو للوظيفة) كذلك. وكذلك لا يجوز انفرادهن بمحل في الزاوية وغيرها بحيث يتوسمن وجوه الرجال أو يتوسمهن الرجال، وإن كان بينهما حاجز حصين وحائل متين فلا بأس، لكن قراءتهن ذكر يوم الجمعة وكذا الوظيفة في قعر بيوتهن هو الأولى والأفضل في حقهن لفساد الزمن وتلاطم أمواج الفتن وعموم الخيانة وفقد الأمانة - إنا لله وإنا إليه راجعون - والحاصل أن الذى تجب به الفتوى للسلامة من الفتنة والبلوى أن تقرأ كل واحدة منهن ماذكر وحدها في قعر بيتها سرا ولا تجهر بشيء في ذلك لما مر من أن صوتهن

عورة والعورة يجب سترها ما أمكن. وذكر فى [خل] أن من المنكر الشنيع ما يفعله من يتسمى منهن بالشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفى أصواتهن من العورات مالا ينحصر بسبب ترخيم أصواتهن وتداوتها ، انظره . وفيه : إنهن زدن على ذلك محرما فظيعا وهو قيامهن يرقصن ويعيطن وتأخذهن الأحوال على زعمهن ، وفى رقصهن من العورات مالا خفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خيرية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب ، انظره . وفيه : وقد حدث فى هذا الوقت أن بعض النساء يأخذهن الحال على مايزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت بيتها لمنعت ، فكيف بها فى الجامع بحضرة الرجال فنشأ عن هذا مفاسد جمة وتشويشات لقلوب بعض الحاضرين ، انظره . هذا فى زمنه رضى الله عنه فى القرن الثامن فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب فى الرابع عشر فلو أدركه لبكى دما أو مات غما - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولا يحل لمؤمن بالله وباليوم الآخر أن يبيح لهن الخروج للاجتماع على ماذكر من الوظيفة والهيللة سداً للذريعة :

درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح لدى من عقلا

ومن أباح لهن الخروج لما ذكر فقد قسط وعدل وضل وأضل قال تعالى - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا - الآية :

كم من خلاف ماله من عبرة ما كل سوداء أخى بتمرة

ومما كتبه سيدنا محمد البشير ابن سيدنا محمد الحبيب ابن سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنهم وعنا بهم آمين لأحبتنا بفاس صانهم الله من كل باس : إنى كنت أمرتكم قبل بذكر الهيللة الشريفة يوم الجمعة سردا لأجل ماوقع من البدع بالزاوية كحضور النساء وأحداث السن بحلقة الذكر ، وهذا لايتأتى ممن له أدنى معرفة فضلا عن أمثالكم لكون بلدكم مقر أسرار الشيخ وعلومه ، ويلحق بهذا أيضا مابلغنا أن بعض الأحباب يتحدثون حال الذكر بكلام الدنيا والبعض يخرجون ولا يحضرون حلقة الذكر حتى كأنها غير لازمة فى حقهم كل هذا لا يسوغ أما حضور النساء وأحداث السن بالقرب من حلق الذكر بحيث النساء يسمعن نغمة الحادى وينظرن إلى الرجال الذاكرين لما فى ذلك من المفسدة المحققة ، ولا سيما فى هذا الزمان الرذيل الذى تراكمت فيه الفتن وعظمت فيه المحن ، فلا يقر على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله ، وفى الحديث « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . والعجب ممن يقرهن على الحضور بالزاوية وجلوسهن بحيث يتوسمن وجوه الداخلين والخارجين منها وبحيث يسمعن صوت الحادى وهو يعلم مافى ذلك من المفسدة المحققة مع مايعلمه من سيرة سيدنا الشيخ ولو لم يكن إلا ماثبت عنه ليلة وفاته حيث أمر بإحضار بعض خاصة أصحابه للمبيت معه عنده ثم بعد حين تركه وقال إنى لاأستغنى عن الخدم ، والرجال والنساء لايمكن اجتماعهم فى مكان واحد ، ويغلب على الظن أنه رضى الله عنه ذكر الحديث السابق آنفا اه المراد منه هنا (وجا) قصره للوزن عن النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا (بين أنفاس) جمع نفس بفتحتين (الفريقين) الرجال والنساء (باعدوا) أو كما قال صلى الله عليه وسلم (فهن) أى النساء (من أنبال) جمع نبل أى من سهام الشيطان (اللعين) الطريد من رحمة الله أى من سهامه التى يصيدبها الرجال (المصيبة) كل من رماه بها

ولا تكاد تخطئ ، حمانا الله منها وعافانا والمسلمين عنها وجعلنا ممن قال فيهم - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - آمين - .

وفى [جص] « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طلاع رصاد وما هو بشىء من فخوخه بأوثق لصيده فى الأتقياء من النساء » قال العزيزى : فهن أعظم مصائده يزينهن فى قلوب الرجال ويغريهم بهن فيقعون فى المحذور اهـ وفيه « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » ويؤخذ منه أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد لذلك قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء - الآية ، فجعلهن الخبير العليم عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل فى ذلك : قال بعض الحكماء : النساء شر كلهن وأشر مافيهن عدم الاستغناء عنهن ، ومع أنها ناقصة عقل ودين تحمل الرجل على تعاطى مافيه نقص العقل والدين لشغله عن طلب أمور الدين ، وتحمله على التكالب على طلب الدنيا وشهواتها النفسانية وأغراضها الشيطانية قال تعالى - إن كيدكن عظيم - قال الحفنى : والنساء يشغلن عن الله تعالى خصوصا إذا استولى جمالهن على القلب فيكدرن معاش الرجال ولذا لما خلق الله حواء قال لها سيدنا آدم ما اسمك ؟ قالت : حواء ، قال لم تسميت بذلك ؟ قالت لأنى أحتوى على ظاهرك وباطنك ، قال لها غيرى هذا الاسم ، فقالت : تسميت امرأة ، قال لم ؟ فقالت : لأنى أمرر معاشك وأكدره ، فقال لها غيرى هذا الاسم ؟ فقالت : لا أغيره . والمراد أن شأن جنسها من ذريتها مع ذرية آدم ماذكر ، ورحم الله من قال :

منع الحياة من الرجال ونفعها ... حدق يقلبها النساء مراض[1]
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا ... حدق النساء لنبلها أغراض

وقال بعض العارفين ، ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء ، وقال سفيان : قال إبليس : سهمى الذى إذا رميت به لم أخطئ النساء ، وروى « النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس » ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعنابه آمين : أيها الناس لاتطيعوا للنساء أمرا ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فإنهن إن تركن ومايردن أفسدن الملك وعصين المالك ، وجدناهن لادين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة ، فأما صوالحهن ففاجرات ، وأما طوالحهن فعاهرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات ، فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمنعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن ، والسلام ، ومما نسب له رضى الله عنه وعنابه آمين :

لاتأمنن إلى النسا ولا تثق بيمينهن
فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يظهرن ودا صافيا والغدر حشو قلوبهن
فمن المهيمن لعنة تعلو النساء بجمعهن
الحالفات الفاجرا ت الخائنات بعولهن

- ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم - والله تعالى أعلم وأحكم .

---

(١) مراض كغراب : داء يصيب الثمار فيهلكها اهـ .

[فصل فى شروط الورد الأحدى والنور المحمدى]

وفى نعت البدايات للشيخ ماء العينين رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه : اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك لأقوم طريق وجعلنى وإياك من أهل التحقيق أن كل مايروى ويرى من الشروط والآداب كلها عن القوم فى العبادة إنما هى التزامات مما لايلزم أصلا ، إلا أنه لما كان أهل الدنيا ضبطوا أمر دنياهم ورتبوا فيها لأنفسهم أمورا مكملة لأغراضهم ومتممة لأهوائهم ، كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم فى وجهتهم إلى الله تعالى بأمور مكملة لمقاصدهم متممة لأحوالهم ، ولكل فريق شرب معلوم - كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك - وكيف يكون ذلك ملتزما أصلا وقد قال تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - فما كان من الشروط والآداب فإنما هو على جهة الكمال لا على جهة اللزوم فمن استدام ذكر الله على أى حال كان وبأى وجه أمكن ابتغاء فضل الله ومرضاته لابد من نجحه وظفره بالمقصود إلا أنه مع الشروط والأدب أسرع للنجح وأولى للفضل ، انظره . وهذا فى حق من لم يتقيد بشيخ ولا بطريقة وبقى فى سعة الإطلاق وإلا فيلزمه اتباع من تقيد به فى كل شىء ومتى حاد عن نهجه خسر الدنيا والآخرة . وفى [جه] ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الإلهية الظاهرة على حد سواء فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات وآدابا ومحرمات ومكروهات ، وخلاف الأولى نظير مافعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولى الله تعالى حكما فى الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك اليافعى وغيره ، وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول فى الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه فمن دقق النظر علم أنه لايخرج شىء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هى وصلتهم إلى الله عز وجل فى كل لحظة ، انظره : قال رحمه الله :

(وَأَمَّا شُرُوطُ الْوِرْدِ فَابْدَأْ بِنِيَّةٍ ... طَهَارَةُ أَحْدَاثٍ وَسَتْرٌ لِعَوْرَةِ
طَهَارَةِ أَخْبَاثٍ بِذِكْرٍ وَقُدْرَةِ ... وَمِنْهَا الْجُلُوسُ مَعْ تَوَجُّهِ قِبْلَةِ
لِغَيْرِ مُسَافِرٍ وَغَيْرِ ضَرُورَةِ ... وَصُحِّحَ أَنْ لَيْسَا مِنَ اركَانِ صِحَّةِ
وَتَرْكُ الْكَلَامِ عِنْدَ فَقْدِ الضَّرُورَةِ ... وَإِلَّا فَبِالْقَلِيلِ مِنْهُ كَكِلْمَةِ
سِوَى مَاإِذَا قَدْ خَاطَبَتْ أُمٌّ أَوْ أَبٌ ... وَزَوْجٌ أَخَاهُ فَلْيُجِبْهُمْ بِسُرْعَةِ
فَمَنْ لَمْ يَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَزَوْجَهَا ... فَلَيْسَ بِصَالِحٍ لِهَذِى الطَّرِيقَةِ)

(وأما شروط) جمع شرط وهو ما شرط صحة أو شرط كمال (الورد) الأحدى والنور المحمدى ، (فابدأ بنية) وهى القصد والوجه الذى يذهب فيه وهى شرط صحة فى كل عبادة وأصل كل خير وسعادة لحديث « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » الحديث ، وفى [جص] « لا أجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية » ومن صفة النية على الكمال أن ينوى بورده التقرب إلى الله وأداء ما التزمه على نفسه من ذلك الورد بعينه ابتغاء لمرضاة الله ورغبة فيما عنده - وما عند الله خير للأبرار - وإنه ورد صباح ذلك اليوم أو مسائه ، ومحل النية القلب وهو الأفضل وإن تلفظ بها فواسع ، ومنها (طهارة أحداث) جمع حدث

وهو رفع الحدث الأكبر أو الأصغر وهى من شروط الصحة فى وردنا الأحمدى : وفى [جص] « لاتقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة فيها غلول » وفيه « لاصلاة لمن لاوضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وينبغى للذاكر أن يكون فى حال وجهته إلى الله على أكمل حال وأتم إقبال بتطهير ظاهره من الأدناس وباطنه من الأغيار ، وللساحلى رضى الله عنه :

وأما شروط الذكر صاح فخمسة ... فها شرحها فى النظم فاعلم كما تدرى
فتركك للإسراف فى الأكل واحد ... فدونك جنب مايئول إلى الضر
وثانى شروط الذكر إيثار خلوة ... فنى خلوات الذكر يربح ذو الحجر
ومن بعدها استقبال بيت إلهنا ... ورابعها استعمال ذلك عن طهر
وخامسها يامظهر الجد مقصد ... عليه بناء الذكر فى مجلس الذكر انظره

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فهاك ما للذكر من آداب ... أولها التوبة للتواب
ثم الطهارة من الأحداث ... ومثلها طهارة الأخباث
ثالثها السكوت والسكون ... رابعها استمداده يكون
بهمة لشيخه من النبى ... خير الورى من عجم او من عرب
فهذه قبل شروع الذكر ... وبعده فهاكها بالحصر
أولها الجلوس أى جلسة ... مستقبلا إن لم يكن فى حلقة
تطييب مجلس من الأقذار ... وكل ما يكره للأبرار
وأطيب الثياب حسا معنى ... بكونه من الحلال مقتنى
ووضع كفيه على الفخذين ... مغمضا عينيه دون مين
وفى مكان مظلم وخال ... من كل مايشغله فى البال
والصدق والإخلاص فى الأعمال ... يعملها لوجه ذى الجلال
كذا تلمح لمعنى الذكر ... وصورة لشيخه بالفكر
وذكره بهمة قوية ... لكن مع الوقار والسكينة
وغسل قلبه من الأكوان ... وكل مشغول عن الرحمن
وعدم الشرب بأثر الذكر ... والأكل نحو ساعة فى القدر
وراقب الوارد بعد الذكر ... عساه يأتيك بخير السر

وفى [جه] وشرطه المحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة إن أمكن ، والطهارة البدنية والثوبية والمكانية واستقبال القبلة وعدم الكلام إلا لضرورة إه . وفيه : ومن ورعه رضى الله عنه أنه لايستعمل فى عبادته وأمور ديانته إلا ماخلصت [١] طهارته خلوصا تاما كاملا مبالغا فى الاحتياط لدينه ، وإتقان عبادته التى هى وصلة بينه وبين ربه كما هو شأن الخواص من المخلصين فيتحرى من البقعة والماء أطيب محلا وأصفى حلا اه . وعن النووى فى حليته . وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر الله فيه يكون خاليا نظيفا فإنه أعظم فى احترام الذكر والمذكور ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع

---

(١) من باب قعد اه .

الشريفة وعن أبي ميسرة رضى الله عنه: لايذكر الله تعالى إلا فى مكان طيب ، وعليه فينبغى للعاقل أن يتجنب الذكر فى الأزقة المتنجسة وعليه بالتفكير أو يذكر بالقلب بدون حركة لسان إذ ينبغى للذاكر أن يكون على أطيب الحالات وأجمل الصفات وأنظف الهيئات -والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانجلس قط لقراءة أو ذكر إلا ونحن على طهارة ولو بالتيمم بشرطه وذلك لأن من تأمل الذكر والقرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد حكمها حكم الصلاة بجامع المناجاة للحق وقياسا على صلاة الجنازة فى اشتراط الطهارة لها مع أنها لاركوع فيها ولا سجود وإنما هى قراءة وذكر ودعاء ، ومن عظّم الله عظمه الله، وقد رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : هل الصلاة عليك مقبولة على الدوام غير مردودة ؟ فقال: نعم هى غير مردودة إذا كان المصلى على طهارة ، فعلم أن من خاطب الله تعالى وهو محدث كان قليل الأدب ، والله أعلم اه .

(و) من شروط صحته أيضا (ستر) بفتح مهملة مصدر ستره غطاه وبالكسر مايستر به من ثوب ونحوه (لعورة) واجبة الستر فى الصلاة لكن بذكر وقدرة : وفى المختصر : وهى من رجل وأمة وإن بشائبة وحرة مع امرأة مابين سرة وركبة الخ وورد « أنه صلى الله عليه وسلم مر على بعض أصحابه كاشفا فخذه فقال له : غط فخذك فإن الفخذ عورة» « وأنه أتى بصبى لم توار عورته فقال لهم صلى الله عليه وسلم غطوا حرمة عورته فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ولا ينظر الله إلى كاشف عورة » وفى البخارى ويذكر عن ابن عباس وجرهدو محمد بن حجش عن النبى صلى الله عليه وسلم « الفخذ عورة » وقال أنس : «حسر النبى صلى الله عليه وسلم عن فخذه» وحديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط حتى يخرج من اختلافهم ، وقال أبو موسى : « غطى النبى صلى الله عليه وسلم ركبتيه حين دخل عثمان » انظره. وفى [جص] « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك قيل إذا كان القوم بعضهم من بعضهم قال : إن استطعت أن لايرينها أحد فلا يرينها قيل إذا كان أحدنا خاليا قال الله أحق أن يستحيا منه من الناس » ومن شروط الصحة أيضا (طهارة أخباث) جمع خبث كسبب وأسباب وهى إزالة النجاسة ثوبا ومكانا وبدنا (بذكر وقدرة) أى مع الذكر والقدرة لامع نسيان وعجز لكن يستحب إعادة الورد مادام وقته قياسا على الصلاة . وفى [مح] وفى تحفة الإخوان : وللذكر آداب لابد من ملاحظتها أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث وأن يستقبل القبلة إن كان وحده وإلا تحلقوا وإن ضاق بهم المجلس اصطفوا اه .وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتهاون بترك المبادرة إلى غسل النجاسة التى تصيبنا فى بدننا أو ثيابنا بحيث يدخل وقت الصلاة ونحن لم نتطهر منها وكذلك القول فى الحدث الأصغر والأكبر لاسيما إن عصى به كأن قبل أجنبية أو باشر حائضا فينبغى المبادرة للطهارة كما نبادر بالتوبة ، ثم قال : وربما أخر الإنسان الغسل وغسل النجاسة عن بدنه حتى دخل وقت الصلاة فلا يفرغ من ذلك حتى تفوته صلاة الجماعة وهذا العهد معقود لإزالة النجاسة الحسية ، ويقاس على ذلك النجاسة المعنوية المتعلقة بالباطن كسوء الظن بأحد من المسلمين أو حدوث رياء أو حسد أو غل أو حقد أو عجب أو كبر أو نحو ذلك من المعاصى الباطنة ، ولذا ورد أن عامة عذاب القبر من البول مع أنه معدود من النجاسة الظاهرة والباطنة أو لأن القلب محل نظر الرب كما يليق بجلاله قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » انظره ؛

(ومنها) أى من شروط الصحة أيضا (الجلوس) لتلاوته ، وينبغى أن يكون على هيئة تقتضى الذل والانكسار وإظهار العجز والافتقار للملك الغفار فإن الظاهر عنوان الباطن (مع توجه) قبلة بجميع بدنه من حين الشروع فى ورده إلى أن يختمه قال تعالى - وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره - (لغير مسافر) مطلق سفر ولو قرب جدا وإذا قرأه المسافر حال تلبسه بالطريق فيقرؤه قائما متوجها لناحية سفره مستقبلا كان أم لا ، ولا يخلع نعليه لضرورة الحفاء إلا إذا كان راكبا فيخلعها . وفى [مح] والموفى عشرين الجلوس واستقبال القبلة إلا لسفر ولو قريبا جدا اه . وفى [م] :

واستقبل القبلة إلا لضرر مثل مسافر على ظهر السفر

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وعنا بهما آمين : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الراحلة قبل أى وجه توجه ويوتر عليها غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة (وغير ضرورة) ومشقة ولو فى النفس. وفى [غ] والذى أدركنا عليه عمل الصادقين وأهل الجد والاجتهاد من المريدين المحققين هو تأكيد أمر الاستقبال حتى كأنه شرط صحة عندهم ، ولا يخفى أن عملهم فى ذلك هو الأليق والأنسب بل هو المطلوب فى بساط التربية والسلوك ، وقد قال بعضهم : ما فتح الله على ولى إلا وهو مستقبل القبلة . وذكر أن رجلا علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة ، وفى الخبر : «لكل شئ زينة وزينة المجالس استقبال القبلة» وفيه : «إن لكل شىء شرفا وإن شرف المجالس ما استقبل به القبلة» وفيه «إن لكل شىء سيدا وإن سيد المجالس قبالة القبلة» : واعلم أن ما تقدم من الترغيب فى استقبال القبلة هو فى حق من كان فى غير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد نص العلماء على أن استقبال القبر الشريف فى الذكر والدعاء لمن كان فى مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من استقبال القبلة ، وتذكر ما تقدم لنا فى قول إمام الأئمة مالك رضى الله عنه للخليفة العباسى وأين تصرف وجهك عنه وهو قبلتك وقبلة أبيك آدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل كل اه ؛ وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل جلوسنا دائما للقبلة عملا بعموم قوله تعالى - وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أى نحو الكعبة اللهم إلا أن يكون أحدنا جالسا فى حلقة فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا من حيث أن المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يخفى أن توجه العبد لأخيه فى غير الصلاة أفضل من توجهه للكعبة فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليه فى المرتبة - والله عليم حكيم - انظره (وصحح) أى صحح بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به آمين (أن ليسا] أى الجلوس والاستقبال حال قراءته (من أركان) أى من شروط (صحة) بل إنهما من شروط الكمال . وفى [م] :

كذا جلوسك إذا استطعتا تفعله وعنه ما شغلتا

وفى [غ] من شروط الكمال الجلوس فلا يذكره مضطجعا إلا إذا لم يستطع الجلوس ولا قائما إلا إذا شغل عن الجلوس كأن يكون مسافرا جادا فى السير راجلا فيذكره حيث ما توجه بشرط أن لا يطأ نجاسة وأن لا يلابس نجسا مع الإمكان هكذا ذكر الناظم رحمه الله ، وهو من آداب المريدين السالكين ، لكن المحفوظ عندنا من عمل أصحاب الشيخ رضى الله عنه يدل على أن الأمر فى ذكره مضطجعا أو قائما أخف مطلقا وخصوصا للاستراحة فى الاضطجاع والتفادى من النوم ونحوه فى القيام اه . والتفادى من تفادى الشئ تحاماه وتوقاه واجتنبه .

(و) من شروط الصحة أيضا (ترك الكلام) الأجنبي حال قراءة الورد الأحمدي (عند فقد الضرورة) المعتبرة شرعا لأن الذاكر متى توجه لأداء ورده فهو بين يدى ربه سبحانه وتعالى يخاطبه ويناجيه فقبيح على العاقل أن يقطع مناجاة سيده بعارض أو يشتغل عنه بشاغل . وقد نقل أن سفيان الثورى دخل على رابعة العدوية زائرا فأعرضت عنه ولم تجبه ، فقيل لها فى ذلك فقالت لاشك عندى أنى مقبلة على الله وأن الله مقبل على فكيف أكون مقبلة على سفيان وأنا على ذلك الحال (وإلا) تفقد الضرورة بأن وجدت (فبالقليل) أى فليتكلم بالقليل (منه) أى من الكلام (ككلمة) كسدرة أى كلام مختصر إذا لم تغن عنه الإشارة وإلا فلا . وفى [غ] والذى كان عليه كافة من أدركناه من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه ترك الكلام إلا لعذر فيشير برأسه أويده أو نحو ذلك فقط ، وينبغى أن يكون العمل عليه إلا حيث لم تفد الإشارة فيعمل على الآخر فيأتى بالقليل كالكلمة والكلمتين انتهى (سوى ما إذا قد خاطبت أم) دنية لاجدة (أو) خاطب (أب) كذلك ابنهما حال تلاوة الورد (و) أى أو إذا خاطب (زوج) زوجته (أخاه) أى أخا الورد من ابن أو زوجة (فليجبهم) أى الأم أو الأب أو الزوج (بسرعة) أى دون مهلة ولا تراخ جبرا لخاطرهم والتماسا لرضا الله فى رضاهم فإن رضا الله فى رضاهم وفرارا من سخطه فى سخطهم ويستأنس لذلك بقضية جريج مع أمه ، وفى البخارى قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نادت امرأة ابنها وهو فى صومعته قالت : ياجريج قال : اللهم أمى وصلاتى قالت : اللهم لايموت جريج حتى ينظر فى وجه المياميس ، وكانت تأوى إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت فقيل لها ممن هذا الولد قالت من جريج نزل من صومعته قال جريج أين هذه التى تزعم أن ولدها لى قال : يابابوس من أبوك قال راعى الغنم » اه . والمياميس : الزوانى ، وبابوس بموحدتين الرضيع بالرومية (فمن لم يبر) بفتح موحدة من بره ضد عقه (والديه) دنية قال تعالى - وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا - الآية ، وعنه صلى الله عليه وسلم « من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يغفر له لاغفر الله له » .

وفى [جص] « رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما » وفيه « طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد » قال الحفنى : فينبغى الحرص على طاعتهما حتى لو أمره أحدهما بطلاق زوجته طلب منه المبادرة لذلك حيث لم يكن أمر الأبوين لأمر نفسانى فقد أمر سيدنا عمر ابنه عبد الله رضى الله عنهما بذلك وكان يحب زوجته وسيدنا عمر يكرهها ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال له طلقها أى لطلب رضا أبيه اه . وفيه « بر الوالدين يزيد فى العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء ولله فى خلقه قضاءان قضاء نافذ وقضاء محدث وللأنبياء على العلماء فضل درجتين ، وللعلماء على الشهداء فضل درجة » وفيه « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا عن النساء تعف نساؤكم » الخ : وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم : « ان يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » وقد قال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما » وقال صلى الله عليه وسلم

« إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم » وقال صلى الله عليه وسلم « برأمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك » ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إنه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا . ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « ماعلى أحدإذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء » وقال مالك بن ربيعة : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى على من برأبوى شىء أبرهما به بعدوفاتهما؟ قال: نعم: الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب » وقال صلى الله عليه وسلم « برالوالدة على الوالد ضعفان » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة ، قيل يارسول الله ولم ذاك ؟ قال هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لاتسقط » اه وقال صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فى الجهاد « ألك والدة ؟ قال نعم ، قال فالزمها فإن الجنة عند رجليها » وفى رواية « ففيها فجاهد » وروى « من قبل بين عينى أمه كان له سترا من النار » وروى « إذا دعاك أبواك فأجب أمك ثم أباك » وإنما قدمت عليه لأن لها ثلثين من البر ولأنها أرحم وأشفق منه.

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا فى بر والديهم وصلتهم والإحسان إليهم وبر أصدقائهم من بعدهم ونبين لهم تأكيد طاعتهم ، ويقاس على ذلك بر والد القلب من المشايخ وصلتـه والإحسان إليه وبر أصدقائه من بعـده وبيان تأكيد حقه ويحتاج العامل بهذا العهد إلى توفيق زائد فى هذا الزمان مع مصاحبة أستاذ يطلعه على مقام الوالدين المذكورين وذلك لايكون فى أب الروح إلا بعد إطلاع المريد على نفاسة الطريق ونفاسة مايدعوه إليه الشيخ كشفا ويقينا وإلا فمن لازمه كثرة الإخلال بتعظيمه وعصيانه . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لايتحرك عند مريد داعية التعظيم والإجلال لشيخه كما ينبغى إلا بعد الفتح عليه وأكثر المريدين قدعدموا الفتح فى هذا الزمان فلذلك كان من لازمهم غالبا عقوق الأستاذين وعدم احترامهم .

وقد تقدم أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه منذ وعى على نفسه لم يأكل مع والدته خوفا أن تسبق عينها إلى لقمة أو قطعة لحم أورطبة أو عنبة فيأكلها وهو لايشعر ، وقد كان الطلبة والمريدون فى الزمان الماضى يجلون أشياخهم فى الطريق وآباءهم من الطريق ولو صار أحدهم شيخ الإسلام وذلك لنظرهم إلى الدار الآخرة ، وقد صار غالب الناس اليوم بصره مقصورا على أحوال الدنيا وزينتها ، ثم قال : فعظم ياأخى والديك وقم بواجب حقهما طلبا لمرضاتهما وإن طلبا منك غداءك فأعطه لهما واطو ذلك اليوم وإن ضعفا فاخدمهما وإن مشى بطنهما فاغسل النجاسة عنهما بيديك ولاتقل لهما قط أف كما أنهما كانا يمسحان عنك البول والغائط وتخرؤ عليهما وتبول على ثيابهما ويتحملان ذلك منك كما أشار إلى ماذكرناه قوله تعالى - ولا تقل لهما أف - بل من الأدب إذا طلبا من الولد جميع مايملكه أن يعطيه لهما ثم قال : وروى الطبرانى « أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن أبى يأخذ مالى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهب فأتنى بأبيك ، فنزل جبريل عليه السلام فقال يارسول الله إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ماسمعته أذناه ، فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك تريد أن تأخذ ماله ؟ قال اسأله يارسول

الله هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إيه دعنا من هذا ، أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ماسمعته أذناك - فقال الشيخ والله يارسول الله مايزال الله يزيدنا بك يقينا لقدقلت فى نفسى شيئا ماسمعته أذناى فقال قل وأنا أسمع فقال وأنشد رحمه الله :

غذوتك مولودا ومنتك يافعا ... تعلّ بما أجنى عليك وتنهل

إذا ليلة عاقتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهرا أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى فعينى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ماكنت منك أؤمل

جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فوافيتنى حق الجوار ولم تكن ... على بمالى دون مالك تبخل

تراه معدا للخلاف كأنه ... برد على أهل الصواب موكل انظره

وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانأكل مع والدينا ولا نشرب معهم فى إناء واحد إلا إن كنا متحققين بمقام الإيثار الكامل أو كان ذلك الطعام متساوى الأجزاء لاتفاضل فيها وذلك خوفا أن تسبق عين والدنا أو والدتنا أو شيخنا إلى قطعة لحم مثلا أو رطبة أو عنبة تم نضجها وحلاوتها فنأكلها نحن ولا نشعر فنكون بتقصيرنا عن كمال الإحسان المشار إليه فى قوله تعالى - وبالوالدين إحسانا - ويلحق بالوالدين العم لما ورد أن العم أب وكذا يلحق بهما ماعطف عليهما فى الآية من ذوى القربى واليتامى والمساكين وغيرهم للأمر بالإحسان إليهم ، ثم قال : فإن كانت الوالدة أو الوالد أو من عطف عليهما لايبصر بأن عمى مثلا أو كان فى ظلمة أو ذهب تمييزه لكبر أو كان اليتيم ونحوه صغيرا لاتمييز عنده لأطايب الطعام ، فلا بأس بالأكل معه على وجه الإيثار جهدنا والناقد بصير فاعلم ذلك واعمل عليه تجد بركته والله يتولى هداك اه (و) من لم تبر من النساء (زوجها) أو سيدها . وفى [جص] « أعظم الناس حقا على المرأة زوجها وأعظم الناس حقا على الرجل بر أمه » وفيه : « إذا صامت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة » وفيه : «إذا قالت المرأة لزوجها مارأيت منك خيرا قط فقدحبط عملها » وفيه : « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » ورحم الله من قال :

هى الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفا واقتدارا على الهوى ... أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

وفيه : « أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم فى سبيل الله ، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم فى سبيل الله ، سلامة تدرين من أعنى بهذا ؟ المتمنعات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللواتى لا يكفرن العشير » اه . وفى [حى] والقول الثانى فيه أى

فى حق الزوج على الزوجة أن النكاح نوع رق فهى رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه، وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها فى الأسفل فرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول إلى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعى زوجك فمات واستأمرته فقال أطيعى زوجك فدفن أبوها، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها» وأضاف طاعة الزوج إلى مبانى الإسلام» وذكرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم «أطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء، فقلن لم يا رسول الله؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير» يعنى الزوج المعاشر، وفى خبر آخر «أطلعت فى الجنة فإذا أقل أهلها النساء، فقلت أين النساء، قال شغلهن الأحمران: الذهب والزعفران» يعنى الحلى ومصبغات الثياب. وقالت عائشة رضى الله عنها «أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله: إنى فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة؟ فقال لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره، قالت أفلا أتزوج؟ قال بلى تزوجى. فإنه خير» قال ابن عباس «أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إنى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج؟ قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها على نفسها على ظهر بعير لا تمنعه، ومن حقه، أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها وله الأجر، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب» وقال صلى الله عليه وسلم «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ثم قال: «ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج» كما روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج: إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكونى له أرضا يكن لك سماء، وكونى له مهادا يكن لك عمادا، وكونى له أمة يكن لك عبدا، لا تلحفى عليه فيقلاك ولا تباعدى منه فينساك، إن دنا منك فاقربى، وإن نأى فابعدى عنه، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا، وقال رجل لزوجته:

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(فليس بصالح لهذى الطريقة) الأحمدية لأنها مؤسسة على الكتاب والسنة، وقد مر عن [جه] أن من شروط الورد المحافظة على الصلوات والأمور الشرعية، لكن القدر محتوم والعبد غير معصوم، فمن وقع فى شىء من المخالفات الشرعية لا يلزمه تجديد الورد وإنما يلزمه تجديد التوبة لكل ذنب

اقترفه ، قال تعالى - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - إن الله يحب التوابين - أى كلما أذنبوا تابوا ، وفى الحديث «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ، وفى [غ] ولا يؤمر بتجديد التقيد بالعهد لأنه لا تنفسخ عقدة عهده بارتكاب الذنب كما قد يتوهم ، وهذه طريقة الكمل من العارفين . فقد رأيت فى [النزهة] للشيخ أبى العباس التستاوتى رحمه الله تعالى أن بعض إخوانه عهد إليه مرة عند إرادته الوفادة على شيخه الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه أن يبلغه سلامه وأن يذكر له أنه يقع فى الذنب الفلانى . قال : وهو مما يقتل فاعله ، ثم يعود وقد تعذر عليه أمر التوبة منه : يعنى بحيث لا يعود إليه أصلا قال : فأجابنى الشيخ بأن قال لى : قل له ليس عليه إلا أن يجدد التوبة منه كلما جرى عليه القدر به ، والحبل متصل بينى وبينه اه بمعناه مع طول عهد به . وحدثنى بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أن بعض أصحابه رضى الله عنه وقع فى كبيرة ، ثم أتى سيدنا رضى الله عنه خائفا مذعوراً أفذكر ذلك له رضى الله عنه ، فقال له : ليس عليك إلا أن تتوب إلى الله عز وجل وأنت منى وأنا منك اه وطوى هنا :

وليس عليه أن يجدد ورده ... بذنب يصيبه ولكن بتوبة
وما يوجب التجديد إلا تقيد ... بغير التجانى ورفض الوسيلة

قال رحمه الله :

(وَتَارِكُ بَعْضِ ذَا بِوَقْتٍ يُعِيدُهُ ... وَيَقْضِيهِ بَعْدَهُ وَلَوْ بَعْدَ مُدَّةِ)

(وتارك بعض ذا) أى الذى تقدم من شروط الصحة المتفق عليها وأحرى من تركها كلها (بوقت) اختيارى أو ضرورى (يعيده) من الإعادة أى يعيد ورده مرة ثانية وجوبا (ويقضيه) أى الورد وجوبا (بعده) أى بعد خروج الوقت (ولو) تذكر ذلك (بعد مدة) مديدة لترتبه فى ذمته ولا يبرئه إلا القضاء وقد مر . وإياكم والتفريط فى الورد ولو مرة فى الدهر . وفى [م] :

وتارك لبعض ذا الذى مضى ... عليه فى الوقت وبعده القضا

قال رحمه الله :

(وَقَدِّمْ مَقَاصِداً عَلَى الْوِرْدِ إِنَّهَا ... أَسَاسٌ وَرُوحٌ خُذْ دَوَاءَ الأَطِبَّةِ)

(وقدم) ندبا (مقاصدا) بالصرف جمع مقصد . وفى [غ] وهى أن يقرأ على قلبه قبل الشروع فى كل ذكر من الأذكار التى هى أركان الورد التى بنى منها آية من القرآن العظيم متضمنة للأمر بذلك الذكر ويستشعر هيبة الأمر بمعرفته بمن صدر منه ، ثم قال : وقد عرفت مما تقدم ما هو عليه الأمر عندنا فى هذه المقاصد ، وما أجاب به الشيخ رضى الله عنه من سأله عن ذلك من قوله له : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم واشرع فى وردك فالعمل عليه من الآداب الكمالية ثم قال : وكيفية العمل على المقاصد فى وردنا أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يتلو قوله تعالى - وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم - وليستعمل حال قراءتها ما يقدر عليه من الحضور والتدبر ليستشعر قلبه عظمة المولى بالأمر وحقارة العبد المأمور حيث تفضل سيده عليه فجعله محل لخطاباته وأمره بما فيه طهارة قلبه من أدران مخالفته لسيده ومولاه ، ولا يخفى ما ينتجه هذا الاستشعار من الحياء من المولى الملك المقتدر الحليم الغفار ، ثم بعد الفراغ من

تلاوة الآية على ما يمكن من الصفة المذكورة يقول: لبيك اللهم ربى وسعديك والخير كله فى يديك، وها أناذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك، أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا لك أستغفر الله الخ ، ثم بعد الختم للاستغفار على ما سنبينه قريبا يتعوذ كما مر ويتلو قوله تعالى - إن الله وملائكته - الآية على نحو ماسبق ، ثم يقول لبيك اللهم ربى وسعديك إلى قوله وها أناذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك ، أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا لك ولرسولك صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد الخ ، وبعد الختم يتعوذ ثالث مرة ويتلو قوله تعالى - فاذكرونى أذكركم - الآية ، ثم يقول مثل ماسبق إلى قوله وهاأناذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك مخلصا لك من قلبى بما ألهمتنى إليه بسابق فضلك ومنتك ذاكرا لك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا لك لا إله إلا الله إلى أن يختم ، فهذه مقاصد الورد ، وربما وقع بين الأصحاب مخالفة فى الآى المتلوة وبعض الألفاظ المقروءة والكل صحيح والخطب فيه سهل ، والمدار على ماتقدم من استشعار الهيبة والحضور فى الذكر والله الموفق اهـ .

وفى [إرشاد السالك] بفتح الورد بالاستعاذة والبسملة كنسا لخواطر الشياطين واستنجاحا باسم الرحمن، ثم يختم بالحمد والشكر اعترافا بنعمة الهداية وإظهاراً لحصول الوقاية ويكون ذلك وتراً ثلاثا أو خمسا أوسبعا اهـ. قوله: ثم يختم بالحمد والشكر أى ينبغى أن يختم الورد بالحمد لله رب العالمين الخ بنية الشكر لله تعالى أن وفقه إلى إتمامه، لكن بعد تقديم الاستعاذة بالله من الشيطان والاستعانة بالرحمن امتثالا بالقرآن ، ثم بعد الحمد يختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن زاد آية - الحمد لله الذى هدانا لهذا - وآية - الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين - فقد هدى إلى صراط مستقيم (على الورد) الأحمدى والنور المحمدى ، وكما يفتتح بالمقاصد يختم بها كما مر - ولا يستخفنك الذين لايوقنون - فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه - (إنها) أى المقاصد (أساس) كسحاب مايبنى عليه الشىء (وروح) مابه الحياة (خذ دواء) بتثليث الدال ما يداوى به (الأطبة) جمع طبيب أى لأمراض القلوب بأدوية علام الغيوب . وفى [مح] اعلم أنه مامن ذكر من أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها إلا وله مقصد بنى عليه ذلك الذكر ومنها ما يكون له مقاصد متعددة ، ثم قال : فاعلم أن المقصد هو ما يحصل به القاعدة التى عليها بناء الذكر ويختلف باختلاف الأذكار وهو آكد شروط الذكر وألزمها لأنه الذى عليه يجرى معنى الذكر، لأن الذكر يدور على اللسان ليؤثر معناه اتصافا فى النفس بما يقتضيه المعنى ، فإذاً لابد من إحضار قصد بين يدى الذكر ينبى عليه الفكر تدبيراً لمعنى الذكر ، وبحسب تلمح الفكر معنى القصد أثناء الذكر تكون قوة التأثير فى النفس ، وأهل التمكين فى هذا الطريق لا تخلو حركة من حركاتهم ولاسكنة من سكناتهم عن قصد يتوجهون بمعناه إلى الله تعالى ، فلا أقل لهم من تواصل معنى قصد الذكر بأبلغ ما يمكنهم وكذلك سائر العبادات ، روى عن طاوس أنه سئل منه الدعاء فقال : لم أجد له قصدا ، لأن المقاصد هى أرواح الأعمال ولايستقيم عمل لاروح له . ثم اعلم أن مقاصد الأذكار تختلف باختلاف المنازل والمقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد وكالمعانى من الألفاظ ،وهى أساس الأذكار، عليها بناء الذكر وإليها يرجع عند حضور الفكر ، ومن صفحات

معناه تتلمح الثمرات ومن تلقائه تهب نواسم الأسرار والبركات ، ومن أغمى عليه فى معنى قصده خاب مسعاه وبعد مأواه ، انظره . قال رحمه الله :

(جُلُوسَ الصَّلَاةِ اجْلِسْ لَهُ أَوْ تَرَبُّعًا ... أَوْ اقْعَاءً أَوْ جُثُوًّا أَوْ أَىَّ جِلْسَةِ
عَلَى الفَخْذِ ضَعْ نَدْبًا يَدًا فِى التِّلَاوَةِ ... وَعَيْنَيْكَ غَمِّضْ مَعْ وَقَارٍ سَكِينَةِ
وَبَيْنَ يَدَيْكَ شَخِّصِ الشَّيْخَ وَالنَّبِى ... بِذَاكَ يَكُونُ فَتْحُ عَيْنِ البَصِيرَةِ
وَكُنْ مُسْتَمِدًّا مِنْهُمَا بِالوَسَائِطِ ... فَكَمْ مُعْتَمِدٍ بِهِ بِنَفْىِ الوَسِيطَةِ
وَمَوْلَاكَ رَاقِبْ وَاعْتَقِدْ أَنَّهُ يَرَا ... كَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ مِنْ عُظْمِ زَلَّةِ)

(جلوس الصلاة اجلس له) أى اجلس ندبا للورد الأحمدى مثل جلوسك فى الصلاة للتشهد (أو تربعا) أى أو اجلس له متربعا من تربع فى جلوسه ضد أقعى وجثا فى جلوسه . وفى [مح] أولها أى الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر الجلوس على مكان طاهر متربعا أو كجلوسه فى الصلاة اه (أو اقعاء) أى أو اجلس له مقعيا ، من أقعى فى جلوسه تساند إلى ماوراءه (أو جثوا) أى أو اجلس له جاثيا من جثا كدعا ورمى جلس على ركبتيه أوقام على أطراف أصابعه (أو أى جلسة) بكسر الجيم أى أو اجلس له على أى هيئة من هيئات الجلوس والمختار الجلسة الأولى ، ولذا قدمها ولبعض الإخوان حفظه الله ورضى عنه :

آفة كل ذاكر بلا نزاع ... الاتكاء واستناد واضطجاع
مجلبة الكسل والنعاس ... مضرة التالى بلا التباس

وفى [م] : قلت وعندى حسن من يأتى ... به كمثل جلسة الصلاة

وفى [غ] ولا شك أن ما استحسنه الناظم رحمه الله تعالى من الإتيان به فى مثل جلسة الصلاة أمر حسن ، ولاسيما فى بساط التربية والسلوك الخاص ، ولا مفهوم لجلسة الصلاة بل كذلك التربع والإقعاء بمعنى الجلوس على العقبين حسبما نصوا عليه فى كلامهم فى بيان كيفية الجلوس فى الخلوة أعنى الأربعينية ونحوها اه (على) آخر (الفخذ) بذال معجمة ككتف مؤنثة مابين الساق والورك وسكنت خاؤه للوزن (ضع) من وضع الشىء أثبته (ندبا) أى استحبابا (يدا) المراد بها وبالفخذ الجنس فيصدق بالمتعدد أى ضع يديك معا على آخر الفخذين على جهة الاستحباب (فى) حال (التلاوة) أى عند شروعك فى قراءة الورد الأحمدى . وفى [مح] الثانى يعنى من الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر أن يضع راحتيه على فخذيه ، والثالث تطييب مجلس الذكر والبدن والفم وبعد الرائحة الكريهة ، لأن مجالس الذكر لاتخلو عن الملائكة وعن مؤمنى الجن ، والروحانيون لايقبلون الروائح الكريهة فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق ، والرابع لبس اللباس الطيب حلا ورائحة انظره (وعينيك) ندبا (غمض) من التغميض مخافة التشويش عليك : وفى [مح] والسادس : أى من الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر تغميض العينين لأنه أسرع فى تنوير قلبك ، فبتغميض عينيك ينسد عليك طرق الحواس الظاهرة ، وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب اه . وفيه : وروى الشيخ يوسف الكورانى الشهير بالعجمى فى رسالته « أن على بن أبى طالب سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عبادة وأفضلها عند الله تعالى ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعلى عليك بمداومة ذكر الله تعالى فى الخلوات ، فقال على هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم مه ياعلى لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ، فقال على كيف أذكر يارسول الله : فقال صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ، ثم قال على رضى الله تعالى عنه لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع » اهـ . وللساحلى رضى الله عنه :

كما أن سد العين فى الورد لازم   وإلقاء رأس الذل فى وسط الحجر

(مع) بسكون العين ملازمة (وقار) كسحاب الرزانة ومع ملازمة (سكينة) طمأنينة ظاهرا وباطنا كأنه جبل وعلى رأسه الطير ، ومن غلبه الحال والوجدان يسلم له - والله عليم بذات الصدور - وفى [جص] « السكينة مغنم وتركها مغرم فإنها من الأخلاق الجميلة » وفيه « عليكم بالسكينة » أى الوقار والرزانة « فى كل شىء » (وبين يديك شخص) صورة سيدنا (الشيخ) رضى الله عنه وعنا به آمين وهو أبيض مشرب بحمرة ربعة إذ هو الواسطة بينك وبين نيلك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، لكن من الأدب أن تصور نفسك الأمارة بالسوء أنها واقفة بين يديه رضى الله عنه وعنابه آمين. وفى [مح] والرابع : أى من آداب الذاكر أن يستمد بقلبه عند شروعه فى الذكر همة شيخه ويستحضره ويلاحظه ليكون رفيقه فى السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الاحتياج جاز اهـ (والنبى) بتخفيف تحتية أى وشخص أيضا بين يديك صورته صلى الله عليه وسلم الشريفة بحسب الطاقة والإمكان إذ هو الواسطة بينك وبين ربك سبحانه وتعالى ، ومن الآداب أيضا أن تصور أنك بين يديه صلى الله عليه وسلم (بذاك) أى بتشخيص نفسك بين يديهما مع أدب ووقار وسكينة (يكون فتح) أى انفتاح (عين البصيرة) وهى قوة للقلب المنوّر بنور القدس يبصر بها حقائق الأشياء كما يبصر الإنسان بعين الباصرة ، بل عين البصيرة أقوى فى الإدراك لأنها شفافة دراكة خراقة للحجب لايحجبها شىء ، وليس الخبر كالعيان وصدق فى التصديق سر الطريقة . وفى [جه] وشرطه الخاص به لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة بين يديه وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه. وأعظم من هذا وأرفع وأكمل وأنفع أن يستحضر صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم بهيبة ووقار وإعظام وإكبار ويستمد منه بقدر حاله ومقامه اهـ . وفى [هب] ومنها أى ومن الأسئلة التى سئل عنها رضى الله عنه سيدى هل استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم فى ذهن المؤمن وتشخصه إياها هو من عالم الروح أو من المثال أو من عالم الخيال ؟ وهل الصورة الذهنية وما اشتملت عليه من تعقل المحادثة والمكالمة محفوظ صاحبها من الشيطان مثل الرؤيا المنامية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « من رآنى فقد رآنى حقا فإن الشيطان لايستطيع أن يتمثل بى » أو كما قال عليه الصلاة والسلام أو هى ليست مثلها ؟ أجيبوا مأجورين وعليكم أزكى تحية وسلام . فأجاب رضى الله عنه إن ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله ، فمن توجه بفكره إليه صلى الله عليه وسلم وقعت صورته فى ذهنه فإن كان ممن يعلم صورته الكريمة لكونه صحابيا أو من العلماء الذين عنوا بالبحث عنها ثم حصلوها فإنها تقع فى فكره

على نحو ما هى عليه فى الخارج ، وإن كان من غير هذين فإنه يستحضره فى صورة آدمى فى غاية الكمال فى خلقه وخلقه فقد توافق الصورة التى فى فكره مافى الخارج وقد تخالفه ، والحاضر فى الفكر هو صورة ذاته صلى الله عليه وسلم لا صورة روحه عليه الصلاة السلام فإن الذى شاهده الصحابة رضى الله عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ، ولا يجوز الفكر إلا فيما يعلمه الشخص ويعرفه ، فقولكم هل هو من عالم الروح إن أردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح أى من روح المتفكر ، وإن أردتم به الحاضر أى فهل الحاضر فى أفكارنا روحه صلى الله عليه وسلم فقد سبق أنه ليس إياها ، وأما المحادثة والمكالمة إذا حصلت لهذا المتفكر فإن كان ذاته طاهرة وتجهاروحه ولم تحجب عنها أسرارها وكانت معها كالخليل مع خليله ، فالمحادثة معصومة وهى حق ، وإن كانت الذات على العكس فالأمر على العكس والله الموفق اهـ . وفى [مح] قلت والمراد باستحضار صورته المذكورة هنا النوع الثانى من التعلق بجنابه صلى الله عليه وسلم ، وهو كما ذكره القطب محمد بن عبد الكريم السمان على قسمين : الأول استحضار صورته صلى الله عليه وسلم والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة والوقار ، فإن لم تستطع فاستحضر الصورة التى رأيتها فى النوم ، فإن لم تكن رأيته قط فى منامك فى حال ذكرك له صلى الله عليه وسلم تصور كأنك بين يديه متأدبا بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء ، فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته لأنه متصف بصفات الله وهو سبحانه جليس من ذكره ، وللنبى صلى الله عليه وسلم نصيب وافر من هذه الصفات لأن العارف وصفه وصف معروفه فهو صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بالله تعالى . الثانى من التعلق المعنوى استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلية بأوصاف الله تعالى الكبير المشرقة بنور الذات الإلهية آباد الآباد ، فإن لم تستطع فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم هو الروح الكلى القائم بطرفى حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتا وصفات لأنه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكما وعينا ، ثم قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا من الله والمؤمنون منى » فإذا علمت ماذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدى إن شاء الله تعالى ، ثم قال : وأوصيك ياصفيى بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت فى أول الأمر متكلفا فى الاستحضار فعن قريب تألف روحك ، فيحضرك صلى الله عليه وسلم عيانا وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم إن شاء الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم « أكثركم على صلاة أقربكم منى يوم القيامة » وإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما نتيجة الصلاة عليه بالقلب والروح والسر ، وهل تكون إلا معه وعنده تعالى لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الفوز بالمكان وهو الجنة ، ونتيجة الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام الاستحضار صورة ، ومعنى الفوز بالقرب بالمكانة فهو عند الله تعالى نزل فى مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم الإشارة تقع على البشارة .

واعلم أن الولى الكامل كلما ازدادت معرفته فى الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره لأن الله تعالى لاينساه ، وكلما ازدادت معرفته فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب وظهرت الآثار عند ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن معرفة الولى بالله تعالى على قدر قابليته ومحبته فى الله تعالى ومعرفة النبى صلى الله عليه وسلم نشأت من معرفة الله تعالى على قدر قابلية النبى صلى الله عليه وسلم ،

ولأجل هذا لايطيق أن يثبت له وتظهر الآثار ، وكلما ازداد الولى معرفة بالنبى صلى الله عليه وسلم كان أكمل من غيره وأمكن فى الحضرة الإلهية وأطلق فى معرفة الله تعالى على الإطلاق . ثم اعلم أن كل من رأى النبى صلى الله عليه وسلم من الأولياء فى تجل من التجليات الإلهية لابسا خلعة من خلع الكمال فإنه صلى الله عليه وسلم يتصدق بتلك الخلعة على الذى رآه بها وهى له هدية من الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كان قويا أمكن له لبسها على الفور فى الدنيا وإلا فهى مدخرة له عند الله تعالى يلبسها متى يقوى استعداده إما فى الدنيا وإما فى الآخرة، فن حصلت له تلك الخلعة ولبسها فى الدنيا وفى الآخرة تكون هذه الفتوة له من النبى صلى الله عليه وسلم ،فكل من رأى ذلك الولى أيضا فى تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإن ذلك الولى يخلعها ويتصدق بها نيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك الرائى الثانى ، وتنزل من المقام المحمدى للولى خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عوض ماتصدق به عن النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا إلى مالا نهاية له ، ولم تزل هذه الفتوة دأبه وعادته لسائر من يراه من الأولياء أبد الآبدين ، وهذه كيفية أخرى من التعلق الصورى وهى أن تلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم ملء الكون بل عينه وأنه نور محض وأنك منغمس فى ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة ، فإذا حصل لك الاستغراق فى هذا النور والتلاشى والعينية فتتصف حينئذ بمقام الفناء فيه ، ومن حصل له مقام الفناء فيه ذاق محبته ، وهو أحد قسمى التعلق الصورى ، وكيفيته أن تتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتلازم الشوق والمحبة له حتى تجد ذوق محبته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع وجودك قلبا وروحا وجسما وشعرا وبشرا كما تجد سريان الماء البارد فى وجودك إذا شربته بعد الظمأ الشديد، هذا وإن حبه صلى الله عليه وسلم فرض على كل أحد قال تعالى - النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم - وقال صلى الله عليه وسلم «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده» فإن لم تجد فى جميع وجودك هذه المحبة التى وصفتها فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولع ، واطلب الحب بدوام ذكر النبى صلى الله عليه وسلم والتأدب معه والقيام بما أمر مع الاجتناب عما نهى عنه لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه القائل صلى الله عليه وسلم «المرء مع من أحب» وإذا تحققت مقام الفناء فيه صلى الله عليه وسلم فليكن فناؤك عن الفناء هو المقام المحمود ، فعند ذلك تلقى مايفاض عليك منها : أى من الصورة التى ظهرت من النور. وكيفيته أن تلاحظ عند توجهك إليه صلى الله عليه وسلم أنه المتوجه لنفسه حتى تتلاشى فيه ، وكذلك إذا صليت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحظ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المصلى لا أنت لأن جميع الأشياء خلقت من نوره صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى كل ذرة من الذرات دقيقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذى هى فيه ، وأنت شىء من جملة الأشياء ، وفيك سر منه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فالمتوجه منك له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك السر الكامن فيك، ولم تزل كذلك من مقام إلى مقام حتى ينقلك الله تعالى إلى مقام البقاء به صلى الله عليه وسلم ، فعند ذلك تكون إنسانا كاملا وارثا للحقيقة المحمدية جامعا للكمالات المصطفوية ، فاحمد الله تعالى على ما أولاك وأعطاك ، وكن طالبا مقام العبودية غارقا فى بحار الأحدية عارفا بتصرفات الواحدية اهـ (وكن مستمدا) أى طالبا الاستمداد (منهما) أى من حضرة سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنابه آمين ، ومن حضرته صلى الله عليه وسلم (با) لسادات المقدمين الذين هم (الوسائط) بينك وبينهما ، ولا تغفل عنهم فضلا عن أن تحاشيهم وتسقط فتنسد عنك الأبواب

وتطرد عن ساحة الأحباب وتردلسياسة الدواب، قال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقال - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة - وقد قيل لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط . وفى [مب] ثم ليصور مقدمه الأولى به ويشخص القدوة ومقدميه والوسائط بينه وبين القدوة الأعلى واضعا الرجل على الرجل ومحاذيا النعل بالنعل وجاعلا مدده من عندهم ومعتقده كمعتقدهم وألفاظه بارزة من بينهم ، انظره .

وفى [مح] قال الشيخ جبريل الخرماباذى قدس الله سره العزيز : فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه فى قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذى قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبى صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا تصور شيخه واستمد من ولايته تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهى إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة أى الذكر إذ هو فى البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذى يورث ، ويقع محصلا للغرض وأن بيده سيف الله ، وهو الذكر قال صلى الله عليه وسلم « الذكر سيف الله » ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة نبى السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى - وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر - الخامس : أى من آداب الذكر أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبى صلى الله عليه وسلم اه : أى ويرى استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم هو استمداده من حضرة الله تعالى إذ الحضرات الثلاث فى الحقيقة حضرة واحدة - وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون - وهو القاهر فوق عباده - ومامن إله إلا إله واحد - لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - (فكم) من أخ فى الله وفى الأحدية (مقعد به) أى أقعده مااقترفه من الأوزار عن وصول منازل الأبرار (بنفى الوسيطة) التى بينه وبين سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه ، وعنا به آمين : وفى [مب] وإياك ثم إياك أن تحاشى المقدمين حالة ذكرك إلى الاستمداد من الشيخ فإن ذلك هو الذى قعد بكثير من المريدين كما قدمنا فى الترجمة على سبيل الاستعارة فلله الحكمة البالغة فى وساطتهم بين القدوة والمريد الأدنى ، وربط البعض بالبعض من الأولى فالأولى إلى ذلك الأعلى ، فسبحان من ربط الأسباب بالمسببات اه .

ونص كلامه رحمه الله فى الترجمة : فأغفل جل الطبقة الثانية شكر نعمة رؤية الشيخ على الطبقة العليا فى اجتماعهم به وتقديمه لهم عليهم ، وأنه أحاط بما لديهم وأن ذلك الأمر إلى الله لا إليهم فطلبوا التجهيز بإسقاط الوسائط بين الخليفة العزيز تاركين الوقوف بأدب ذلك الحائط لنوع من التبريز ، فكانوا بألسنة أحوالهم فى شأن المقدم عليهم قائلين للشيخ مستعطفين نحو ما حكى الله تعالى عن إخوة يوسف - يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين - وكان لسان حال الشيخ رضى الله عنه يقول لهم نحو ما قال يوسف - معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده - من المقدمين فانتبهوا ولكل مؤمن بنور الإيمان بواسطة الشيخ عدد وجيه للمتاع فإذا هو صواع الملك المعطاء قد استودعه رحل الإخاء وكان تفقده تفقد الأبناء وجاعل من جاء به بما يرضيه ، فلهج هذا الجامع المسكين بصواع الملك فطفق يكيد له كيدا من ابتغاه بتوفيق ربه كيفية الأخذ له بالوجه اللائق النزيه ، بعدما توسم انقراض الجيل الذى شاهد الشيخ وأخذ من فيه قائلا بحضرة الشيخ ومقدميه - يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة - خلوها من شكر الوسائط المكرمين - فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين ،

فقرره الشيخ ثانيا بما أحدثت طبقته فى الحضرة من الغير المفضية إلى دهليز الحيرة ، فقال هل علمتم مافعلتم بمقدمى ومن أنزلته واسطة المكان العلى ، فأقروا للمقدم بالإيثار متضر عين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، وبكفران نعم المقدمين المقرين ، وبكون الشكر لهم من قبيل شكر الشيخ لمثبتين ، وإن كنا لمدحضين إذ عمينا عن طريقة الشكر حجبنا وكانت به استقامة محجتنا فاستغفر لهم الشيخ ربه وأدخلهم حزبه فالتفت المقدم إلى المقدم عليهم رافضين سنن الاستعلاء آخذين بطريق الإخاء بينهم على حد السواء ، فأبى المقدم عليهم كل الإباء وقالوا لقد غرنا قولكم إنما نحن لكم إخوة ولكلنا فى الشيخ أسوة فنزل بنا اعتقاد المساواة فساقنا إلى سوق غور المساقاة وصرفتكم خشية التعدى فى التصرف عن التصدى لهوادى التعرف ، فما هو إلا إن فصلت العير وجاء البشير وهبت ريح القميص وتجلت مخايل الوبيص فارتد متحير وهم بطراء واتخذوا المقدمين سفراء ، فلذلك استعمل هذا الجامع الصواع واستعماله لايقتضى انصداع ليترتب عليه آخراً وصل كل ابن قرة عين كان مفارقا لأبيه ، ولتعى شكر الوسائط أذن واعية لم تكن تعيه فلم يجد بدا مما حكى إليه فى أمر صواع الملك من مبتغيه فيبدأ بأوعيتهم قبل وعاد أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه تحقيقا للحكمة التى رتب بها الوجود الأقرب فالأقرب الملك الجليل - سنة الله التى قد خلت من قبل - وما لما رتب من تبديل ولا تحويل منبها لنفسه ولمن شاكله من أبناء جنسه على كيفية استنشاق ماوصله ووصلهم على يد هذا الشيخ من الفضل الجزيل ، بلا كبير مجاهدة من العويل والزويل ، ومعلما لهم بأن المريد للشيخ زميل :

لن يترك ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله انظره

والزويل والعويل : البكاء مع الحركة والزميل الرديف وهى بوزن رغيف (ومولاك) سبحانه وتعالى (راقب) فى حركاتك وسكناتك ولحظاتك وخطراتك - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - وفى [شب] قال ذو النون المصرى : علامة المراقبة إيثار ما آثر الله وتعظيم ماعظم الله ، وقال ابن عطاء الله : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات ، واعلم أن المراقبة لا تكون إلا بعد المحاسبة فإذا حاسب العبد نفسه على عدد الأنفاس وتحرز من كيد الوسواس الخناس صحت له المراقبة فى عموم الأحوال وعلم أن الله مطلع عليه فى جميع الأقوال والأفعال وإلا كان بعيدا عن هذا المقام . وقال بعض العارفين : من راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه ، وقال بعضهم : إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك ، وروى أن الواعظ إذا جلس ليعظ الناس قال له كاتباه ياعبد الله عظ نفسك بما تعظ به أخاك واستح من سيدك فإنه يراك : وسئل أبو الحسن بن هندى متى يحفظ الراعى غنمه بعصا الرعاية عن مواقع الهلكة ؟ فقال إذا علم أن عليه رقيبا ، وكان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها فى الظاهر فأراد أن يختبر باطنه فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال إنها ليست لى ، فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة ، فقال الغلام فأين الله ، فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول فأين الله . وكتب بعض الحكماء إلى صديق له أما بعد ، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك ، واستح من الله بقدر قربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك والسلام ، انظره .

وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن المراقبة للحق تعالى على التجريد عن رؤية الأسباب والأكوان هل هى أتم من المراقبة للحق تعالى فى جميع الحالات من غير تجريد ولا رؤية ؟ فقال رضى الله عنه

المراقبة لله عينا لا تصح لأن المراقب ماراقب إلا ما تخيله فى نفسه وتعالى الله عن ذلك ، فما راقب المراقب أو أنس إلا بما من الله لا بالله ، فافهم، ثم قال : واعلم أن المراقبة من حيث هى تنشأ عن إصلاح الجسد بواسطة القلب كما أن إصلاح القلب بواسطة إصلاح الطعمة وكما أن إصلاح الطعمة بواسطة إصلاح الكسب فى الكون مع التوكل على الله تعالى فإن التوكل هو عين المراقبة ، وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : المراقبة لله تعالى تكون من الله ابتداء ومن العبد فى النهاية اكتسابا : ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفلا أكون عبداً شكورا » ولم يقل شاكراً فلتحققه بالعلم هو شاكر ولتخلقه بالعمل هو شكور وفرق كبير بينهما ، انظره . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المراقبة والمشاهدة ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : حقيقة المراقبة فى حق أهل الحجاب هى المطاقة عند العارفين وهى علم القلب باطلاع الرب عليه فى كل لحظة، وبدوامها تقع المشاهدة ، وهناك مراقبة أخرى لا تكون إلا للعارفين وهى استغراق العبد فى المشاهدة القدسية بمحو الغير والغيرية علما وعملا حالا وذوقا ومناولة وتحققا وتخلقا وإحاطة ، وحقيقة المشاهدة هى مطالعة القلب للجمال القدسى والمشاهدة صفة العبد والتجلى صفة الرب سبحانه وتعالى وهو معنى يتصف به المتجلى ، انظره . وفى [شب] وقد سئل بعضهم عن المشاهدة فقال كشف الحجاب بين القلب والرب ، والمراد كشف الحجاب عن العبد فإن الرب لا يحجبه شىء : وقال الجنيد : المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عندصفاء القلوب ، قالوا ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة على قول عمرو ابن عثمان المكى : هى توالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر ولا انقطاع ، كما لو قدر اتصال البروق فى الليلة الظلماء :

وأنشدوا : ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سار
فالناس فى سدى[1] الظلا م ونحن فى ضوء النهار

وقال الشبلى : استنار قلبى يوما فشاهدت ملكوت السموت والأرض ، ثم وقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت كيف حجبنى هذا الأمر الصغير عن درك الأمر الكبير ، فقيل لى البصيرة كالبصر ، فكما أنه إذا حل أدنى شىء فى البصر حجبه عن النظر فكذلك البصيرة اه . وفى [هب] قال رضى الله عنه : وعلامة إدراك العبد مشاهدة ربه عز وجل أن يقع فكره بعد مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم التعلق بربه بحيث يغيب فكره فى ذلك مثل الغيبة السابقة فى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لا يزال كذلك إلى أن يقع له الفتح فى مشاهدة الحق سبحانه ، فيقع على ثمرة الفؤاد ونتيجة الفكر ، وإذا كانت ذاته تسقى بجميع أنواع نعيم أهل الجنة عند مشاهدته النبى صلى الله عليه وسلم فما ظنك بما يحصل له عنده مشاهدة الحق سبحانه وتعالى الذى هو خالق النبى صلى الله عليه وسلم وخالق الجنة وكل شىء : قال رضى الله عنه : ثم بعد الفتح فى مشاهدة الحق سبحانه انقسم الناس قسمين : فقسم غابوا فى مشاهدة الحق سبحانه عما سواه ، وقسم ، وهم أكمل : غابت أرواحهم فى مشاهدة الحق سبحانه وبقيت ذواتهم فى مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا مشاهدة أرواحهم تغلب مشاهدة ذواتهم ولا مشاهدة ذواتهم تغلب مشاهدة أرواحهم ؟ قال رضى الله عنه : وإنما كان هذا القسم أكمل لأن مشاهدته فى الحق سبحانه أكمل من مشاهدة القسم الأول ، وإنما كانت مشاهدتهم فى الحق سبحانه

---

(١) والسدى كسبب : الظلمة واختلاط الضوء مع الظلمة .

أكمل لأنهم لم ينقطعوا عن مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي سبب في الارتقاء مشاهدة الحق سبحانه، فمن زاد في مشاهدته عليه الصلاة والسلام زيد له في مشاهدة الحق سبحانه ومن نقص منها نقص له؛ قال: ولو كان الاختيار للعبد وكان عمره تسعين سنة مثلا لاختار في جميع هذه المدة أن لايشاهد إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل موته بيوم يفتح له في مشاهدة الحق سبحانه فإنه يحصل له في هذا اليوم من الفتح في مشاهدة الحق سبحانه لأجل رسوخ قدمه في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحصل لمن فتح له في المشاهدتين معاً في تلك المدة من أولها إلى آخرها، ثم جعل رضى الله عنه مرآة بين عينيه وجعل ينظر في الحروف فقال: أليس أن الذي يظهر في الحروف وصفائها في النظر يتبع صفاء المرآة وحسن مائها؟ فقلت نعم، فقال رضى الله عنه فمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة المرآة ومشاهدة الحق سبحانه بمنزلة الحروف، فعلى الصفاء في المشاهدة النبوية يحصل الصفاء وزوال الغمام في المشاهدة للذات الأزلية سمعت هذا الكلام منه رضى الله عنه. وقد سأله بعض فقهاء الأشراف أيمكن أن يترك الولي الصلاة؟ فقال رضى الله عنه: لايمكن أن يترك الولي الصلاة، وكيف يمكنه ذلك وهو دائماً يكوى بمشهابين، فذاته تكوى بمشهاب مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم وروحه تكوى بمشهاب مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، وكل من المشاهدتين يأمره بالصلاة وغيرها من أسرار الشريعة. وقال رضى الله عنه مرة أخرى: كيف يترك الولي الصلاة والخير الذي حصل له في المشاهدتين إنما حصل له بعد سقي ذاته بأسرار ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف تسقى ذات بأسرار الذات الشريفة ولا تفعل ماتفعله الذات الشريفة هذا لايكون، انظره وانظر [مب] فقد ذكر رضى الله عنه وعنابه آمين للمراقبة والمشاهدة أدبا وشروطا (واعتقد) بقلبك (أنه) أي المولى سبحانه وتعالى (يراك) وكاف الخطاب من المصراع الثاني (إن لم تكن تراه) تشاهده ببصيرتك وعين قلبك قال تعالى - لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - وفي [جص] «اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك في الموتى، وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات، وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو تعلمون مافيهما لأتيتموهما ولو حبوا» وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عن حديث «اعبد الله كأنك تراه» أي الحالتين أكمل أن يعبد الله كأنه يراه أو يعبد الله على الغيب؟ فقال رضى الله عنه: عبادة الحق تعالى على الغيب أكمل لما فيها من التنزيه، قال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وأما عبادة العبد لربه كأنه يرى ربه فإن ذلك راجع إلى ماأمسكه في نفسه من شاهد الحق وأقامه كأنه يراه وهي درجة العوام، ثم يترقى منها إلى درجة الخصوص وهو كونه تعالى يرى العبد والعبد لايراه، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك فقد أخليت شهودك عن بقية شهود الوجود المحيط بك، وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته لتقييدك وإطلاقه وضيقك، فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك لامع نظرك إليه، لأن نظرك يقيده فيخرجه عن إطلاقه فيتحدد وهو المنزه عن الحدود، والله أعلم اه (من عظم) كقفل (زلة) وذنب فإن العبد يحرم الرزق الحسي والمعنوي بذنوبه:

إن يكن عظم زلتي حجب رؤيا ك فقد عز داء قلبي الدواء

قال رحمه الله:

(وَوِرْدَكَ رَتِّلَنْ وَإِيَّاكَ وَالْهَذَّ وَلَا تَلْحَنَنْ فِيهِ تَفُزْ بِذَخِيرَةٍ)

(وورك) الأحمدي (رتلن) بنون خفيفة من الترتيل وهو تأليف الكلام والترسل والتمهل فيه

قال تعالى - ورتل القرآن ترتيلا - وفى البخارى عن قتادة قال « سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم» وروى الترمذى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف مالك يوم الدين ثم يقف » الخ (وإياك والهذ) بمعجمتين كسبب سرعة القراءة والعجلة فيها وفى الصحيحين « جاء رجل إلى ابن مسعود قال إنى لأقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر » وعنه أيضا أنه قال « لا تنثروا القرآن نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » اه وفيه النهى عن الهذ والحث على الترتيل والتدبر . وفى [م] :

ومن يكن يرتل الأورادا ينل بما ذكرته المرادا

وفى [غ] فى ترجمة سيدى محمد الغالى أبى طالب الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين مانصه : وقد كان له فى الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد أحوال خارقة للعادة ؛ من ذلك ما اتفق له ذات يوم وهو أنه كان جالسا قرب باب بيته من داره بمكناسة الزيتون يذكر أو راده مستقبلا مستغرقا فى حضوره، إذ سقطت بنية له من أعلى حلقة الدار فماتت فلم يلتفت لذلك ولا تغيرت جلسته ولا شىء من حالته التى كان عليها بل بقى على ما كان عليه حتى كمل أوراده، وكان يرتل العبادة صلاة كانت أو غيرها ترتيلا لم نسمع بمثله عن أحد ، فأخبرنى الثقة أنه كان يسبح فى السجدة الواحدة خلفه نحوا من سبع وعشرين مرة ، وأخبرنى آخر أنه صلى العشاء أربع ركعات وذكر بعدها الورد اللازم لا غير فى نحو ساعتين من كثرة ترتيله واستغراقه فى الحضور رضى الله عنه، وكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته فيسألهما عما أشكل عليه كحال اليقظة انظرها . وفى [روض شمائل أهل الحقيقة] فى ترجمته أيضا أنه كان من عادته رضى الله عنه وعنابه آمين أن يقرأ صلاة الفاتح لما أغلق الخ ثلاثين مرة فى كل سجدة حضرا وسفرا أمنا وخوفا ، وأنه صلى الله عليه وسلم أخبره أن كل من رأى وجهه حرم الله جسده على النار ، انظره أى وراثة محمدية :

ليته خصنى برؤية وجه زال عن كل من رآه الشقاء

(ولا تلحن) بنون خفيفة (فيه) أى فى الورد المحمدى (تفز) وتظفر (بذخيرة) بذال معجمة عظيمة واللحن الخطأ فى العربية ومخالفة وجه الصواب وهو مما يبطل ثواب الأعمال فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله لا يقبل الدعاء الملحون » ورحم الله من قال فى ذلك :

يناجى ربه باللحن ليس لذاك إذا دعاه يجاب

ونقل أن بعضهم دعا الله بدعاء نحو ستين سنة فلم يستجب له ، فسأل بعض العارفين عن ذلك ، فعرض عليه الدعاء فوجده ملحونا ، فأصلحه له فدعا به فاستجيب فى الحين - والله عليم حكيم -

قال رحمه الله :

(وَأَصْغِ لِلَفْظِهِ بِقَلْبٍ وَقَالِبٍ وَأَحْضِرْ مَعَانِى الذِّكْرِ دُونَ تَلَفُّتِ
وَإِنْ فَاتَكَ الْحُضُورُ فَاتْلُ ثَلَاثَةً بِجَوْهَرَةِ الْكَمَالِ جَبْرًا لِغَفْلَةِ
وَيَنْفَعُ هَذَا الْجَبْرُ فِى كُلِّ طَاعَةٍ خَلَتْ عَنْ حُضُورٍ وَهُوَ خَاصٌّ بِإِخْوَتِى)

(واصغ) من أصغى الرباعى استمع وإليه مال بسمعه (للفظه) أى لألفاظ الورد الأحمدى (بقلب)

الفؤاد وأخص منه والعقل (وقالب) بكسر اللام وفتحها مثال الإنسان وشخصه فإن سكون الظاهر عنوان سكون الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (وأحضر) من أحضر الشيء كان بحضرته (معانى) بسكون الياء إجراء للمنقوص فى حالة النصب على حالة الرفع والجر (الذكر) أى أذكار الورد الأحمدى (دون تلفت) عن ذلك وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدى الرحمن، فإذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير منى؟ ابن آدم أقبل إلىّ فأنا خير لك ممن تلتفت إليه» اهـ قال تعالى - ولذكر الله أكبر - وقد قيل: كل قلب فيه غير الله تعالى كان فى حيز المتروك المطروح، وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلى والمخاطبة فى سره بما يليق بحاله، وهذا مقام لا يعرفه إلا أهله المختصون به، جعلنا الله من صفوتهم العليا بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين. وفى [جه] ويستحضر مع ذلك أى مع استحضار صورة القدوة وصورته صلى الله عليه وسلم معانى ألفاظ الذكر إن كانت له قدرة على فهمها وإلا فيستمع لما يذكره بلسانه ليشغل فكره عن الجولان فى غير ما هو بصدده ويعينه على هذا الحضور اهـ. وفى [م]:

ومع ذا استحضار معنى الذكر ... فى القلب من كان لذاك يدرى

ومن يكن لم يدره فليستمع ... لفظ لسانه لكيلا ينتفع

وفى [غ] فإن قيل من لم يقدر على الجمع بين استحضار صورة القدوة مثلا والاستحضار لمعانى الذكر هل يشتغل بالاستحضار الأول ويلغى الأخير أو العكس قلنا يستحضر عند الشروع أنه جالس بين يدى القدوة ويستمد منه، ثم بعد الشروع يستعمل ما يقدر عليه من استحضار معانى الذكر دواما إن كانت له قدرة على فهم المعانى وإلا استعمل ما يقدر عليه من الإنصات لألفاظ الذكر مع الملاحظة لاستحضار القدوة مرة مرة إن قدر وإلا فيكفيه الاستحضار عند الشروع، وبالمداومة على هذا وسريان أنوار ألفاظ الذكر ومعانيها فى ذاته يصير يقوى على الملاحظة لاستحضار صورة القدوة مرة مرة، ثم على الجمع بين الاستحضارين معا ثم يترقى من استحضار صورة القدوة إلى استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم ثم إلى ما هو أعلى من ذلك من دوام مشاهدة الصورة الشريفة صلى الله عليه وسلم بعينى قلبه، ثم إلى ما هو أقوى من ذلك، ورأيت للشيخ محيى الدين رضى الله عنه ما يؤخذ منه أن الذاكر لا يكلف بالجمع بين الاستحضارين، وذلك أنه قال رضى الله عنه فى الباب التاسع والستين من [الفتوحات] على قوله تعالى - الذين هم عن صلاتهم ساهون - مانصه: اعلم أن الحق تعالى لم يعلق الوعيد إلا بمن سها عنها لا فيها، وذلك أن العبد فى صلاته بين مناج ومشاهد، فقد يسهو عن مناجاته باستغراقه فى مشاهدته، وقد يسهو عن مشاهدته باستغراقه فيما يناجيه به ربه من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد حال الخاطر فى الكلام لدلالة الكلام عليها وهو مأمور بالتدبر فى التلاوة اهـ. وقد عرفت أنه يؤخذ منه ما ذكرناه وليس فيه مصادمة لما أشرنا إليه من الترقى إلى درجة الجمع بين الاستحضارين، لأنه عام وما أشرنا إليه خاص بدرجة الخاصة من أهل الصفاء فاعلم ذلك.

[تنبيه] يؤخذ من جعل الشيخ رضى الله عنه الإنصات لألفاظ الذكر شرطا أن المطلوب فى الذكر إسماع المرء نفسه لا حركة اللسان فقط، وعليه النووى فى الأذكار حسبما نقله غير واحد وبالله التوفيق اهـ. وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن الخواطر إذا تراكمت على الباطن فى صلاة أو غيرها بماذا

ترد ؟ فقال لايخلو تعلق الخاطر إما أن يكون بموجود أو بمعدوم ، فإن كان تعلقه بموجود فأخرجه عنك وازهد فيه ينقطع خاطرك عنه ، وإن كان تعلقه بمعدوم فتعلم أن هذا ليس من شأن العاقل أن يعلق خاطره بالعدم فرد خاطرك بالعلم إلى أن يسكن والله أعلم ، وفيها : فقلت له فهل للذاكر أن يشتغل بمعانى الذكر ؟ فقال لا ينبغى له أن يشتغل بمعانى الذكر ، وإنما الواجب الاشتغال بالذكر على وجه كونه تعبدا لايعقل معناه ، فإذا ذكر كذلك كان الذكر يعمل بخاصيته فيه ، فقلت له فإذا الواجب على الذاكر مراقبة المذكور ؟ فقال نعم ، لأن المذكور ربما أتى الذاكر فلا يجده حاضرا فيحرم مدده لأنه لايعطى إلا الحاضر معه ، والله أعلم اه . وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول لقارئ وكان ذلك القارئ من العارفين اقرإ القرآن من حيث ماهو كلام الله لامن حيث ما تدل عليه الآيات من الأحكام والقصص فإنها هى الران على قلبك والحجاب ، فقلت له كيف ؟ فقال رضى الله عنه : المراد بتدبر القرآن الذى أمرك الله به أن يجمعك تدبرك على صاحب الكلام ، وأما تدبر الأحكام والقصص فإنه يفرقك فآية تذهب بك إلى الجنة فتشهد ما فيها ، وآية تذهب بك إلى النار فتشهد ما فيها فيحجبك ذلك الشهود عن الحق تعالى ، فرجع تدبرك إلى شهود الأكوان الدنيوية والأخروية ، ومن كان مع الكون لم يحظ بشهود المكون . وفى بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : يا عبدى جعلت النهار لمعاشك وجعلت الليل للسمر والحديث معى ، فاشتغلت بمعاشك فى النهار ونمت عن مجالستى فى الليل ، فخسرتنى فى الدارين لأنك لاتحشر إلا على مامت عليه انتهى ، فانظر ما يحكيه عنك وما يخبرك به عنه فخذ مالك ورد إليه ماله وتأمل لأى شىء أخبرك عنك وأنت تعلم خبرك ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا تلونا القرآن لاسيما فى الصلاة أن نجعل معظم همتنا الحضور مع صاحب الكلام بقلوبنا وملاحظة نظره إلينا دون أن نجعل معظم همتنا منه استنباط الأحكام إلا إن صرنا من أهل ذلك المقام ، لأن ذلك ربما يفرق عن الحق ، فآية تذهب بنا إلى الجنة وما أعد الله فيها لأهلها ، وآية تذهب بنا إلى النار وما أعد الله فيها لأهلها ، وآية تذهب بنا إلى أحكام المواريث ، وآية تذهب بنا إلى أحكام الطلاق ، وآية تذهب بنا إلى قصة نوح وماجرى له ، وآية تذهب بنا إلى قصة موسى وماجرى له مع فرعون وقومه وهكذا ، وملاحظة الحق تعالى على وجه المراقبة لا يتيسر لأمثالنا الجمع بينها وبين إلقاء البال إلى الأحكام من غير حجاب عن شهود الحق ، وكان سيدى على الخواص يقول : المراد بتدبر القرآن فى الصلاة جمع القارئ على الحق تعالى بالقلب ، وأما استنباط الأحكام منه فله وقت آخر اه .

[قلت] وإيضاح كلام الشيخ أن القرآن من صفات الله تعالى والصفة لاتفارق موصوفها ، بخلاف الأحكام فلذلك كان يحصل بالقرآن الجمعية على الله عز وجل لقرب حضرة صفته تعالى منه انظره (وإن فاتك) أى ذهب وغاب عنك (الحضور) أى استحضار القلب عند قراءة الورد وغيره من الأذكار (فاتل) من تلا الكتاب قرأه (ثلاثة بجوهرة) أى عددا ثلاثة من جوهرة (الكمال) فى حقيقة سيد الرجال صلى الله عليه وسلم لكن بحضور قلب واستقبال قبلة (جبرا) من جبرت العظم أصلحته (لغفلة) وسهو وذهول فى أى عمل عملته . وفى [د] من فاته الحضور فى عمل فليذكر جوهرة الكمال ثلاث مرات عقبه بحضور مستقبلا وينوى بها الجبر فإن ذلك العمل يكتب له بالحضور اه . وسئل بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه هل تقرأ هذه الثلاث بالتيمم أم لا ؟ فأجاب بأن جوهرة

الكمال من حيث هى لاتقرأ ولو مرة واحدة إلا بالطهارة المائية دون الترابية سواء فى الوظيفة أو غيرها، وشرط الطهارة المائية فيها غير مختص بمن يريد أن يقرأها سبع مرات فصاعدا أو اثنى عشر ، كما فى الوظيفة فالمتيمم لا يقرؤها بنية الجبر ، وكذا من عجز عن الطهارة الخبثية ، ولا مجال للعقول فى شرط الطهارة المائية فيها راجع مامر . وفى [عم] اعلم يا أخى أن كل من غفل عن امتثال أمر ربه واجتناب نهيه فقد غفل عن ربه، وكل من غفل عن ربه، فقد تلف وعدم العدم الشرعى وعرض جسمه لسائر الآفات ، وذلك أن الشفاء فى الإقبال والمرض فى الإدبار فإن روائح الحضرة الإلهية تجلو الصدأ عن القلب بطيب ريحها ، وكل من توجه لغيرها جاءته الآفات من كل جانب وازداد قلبه ضرا، ثم قال : وكان الإمام أبو القاسم الجنيد يقول : تأملت فى ذنوب أهل الإسلام فلم أر منها ذنبا أعظم من الغفلة عن الله ـ والله عليم حكيم ـ وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن كثرة النوم ، هل هى من الغفلة ؟ فقال لا تلتفت إلى مثل ذلك إلا بقدر النسبة فقط ، فإن من وقف مع الأسباب مع الحق تعالى أشرك وماعليك فى ذلك بأس، كن مع ربك كيف يريد هو لا أنت، وفى لمحة يقع الصلح ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فقلت فكثرة السهر والقلق؟ فقال إن كان ذلك فى فكر فى منفعة فمدد وخير كثير، وإن كان فى غفلة فهو بلاء ينزل يوزعه الله تعالى على المؤمنين حتى يرتفع ، والله تعالى أعلم اه (وينفع هذا الجبر) وهو قراءة الجوهرة ثلاث مرات عند عدم حضور القلب فى الورد بنية الجبر (فى كل طاعة) أوراداً كانت أو غيرها فرائض أو نوافل (خلت) من الخلاء ضد العمارة (عن حضور) القلب فيها (وهو) أى الجبر المذكور (خاص) أى يختص (بإخوتى) فى الأحمدية رضى الله عنهم وعنا بهم آمين، ماهذه بأول بركتكم يا آل أبى بكر ، ولا ينبغى لعاقل أن يهمل ذلك فى سائر تعبداته فإنه من أسرار الله تعالى ، وإنما اختص ذلك بإخواننا الأحمديين لأن الإذن ليس لغيرهم فى الجوهرة فإذا قرأها أجنبى بتلك النية فليس له ذلك لفقد الإذن له فيها وإنما له ثواب ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ـ وفى [غ] ويكون ذكر الجوهرة بالحضور أى يستعمل فيه ما يقدر عليه من الحضور ، وهكذا بلغنا عن الشيخ رضى الله عنه ، وهذا الأمر الذى هو جبر الحضور بالجوهرة خاص بأهل هذه الطريق، إذ لا يوجد الإذن فى الجوهرة من غير أهلها اه . قال رحمه الله :

(وَلَا تَجْهَرَنْ بِهِ وَلَازِمْ بِهِ الْخَفَا ... فَكِتْمَانُهُ مِنَ الشُّرُوطِ الْمُهِمَّةِ

وَفِرَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ التِّلَاوَةِ ... وَمِنْ كُلِّ مُلْهٍ يَامُؤَدَّبَ صُحْبَةِ)

(ولا تجهرن) بنون خفيفة من جهر كمنع أعلى (به) أى بالورد عند تلاوته (ولازم به) أى فى حال تلاوته (الخفا) قصره للوزن من خفى كرضى خفاء لم يظهر ، والمراد به السر مع إسماعه نفسه فقط إذ لا تكفى ولا تجزى فيه حركة اللسان كما مر ، وفى الحديث « خير الذكر الخفى ، وخير العبادة أخفها وخير الرزق مايكفى » وفى آخر « ذاكر الله خاليا كمبارزة إلى الكفار من بين الصفوف خاليا » وفى آخر « الذكر الذى لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » وفى [خل] واعلم أن العبد يعمل العمل فى السر فلا يزال به إبليس يقول أظهره ليقتدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فإذا أظهره كتب فى ديوان العلانية ، فلا يزال به حتى يفتخر به ، فإذا افتخر به كتب فى ديوان الرياء ، فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس وإسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم

السيئات، وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات، انظره (فكتمانه من الشروط المهمة) التى يهتم بها ويتأكد الاعتناء بها ولا سيما بحضرة الأجانب فى الطريقة. وفى [م] :

وتركك الجهر عليه عمل   أصحاب شيخنا وذاك الأمثل

وفى [غ] ومن شروط الكمال الإسرار فى ذلك الورد من أوله إلى آخره لما كان عليه عمل أصحاب الشيخ رضى الله عنه وإنما قال الناظم: وذاك الأمثل لأن من آكد آداب المريد عند أهل الطريق أن يكتم المريد ورده فلا يخبر بحقيقته من لم يكن أخا له فى طريقه ويرون ذلك من كتمان السر الذى هو مركز لحصول النتيجة، وقد رأيت السلف من الأصحاب يتواصون بذلك فيما بينهم، وبالجملة فهو من أهم الأمور فى الطريق فافهم ذلك، والله يتولى هدانا جميعا بمنه آمين اه. وفى الحديث « استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود » ورحم الله من قال:

واكتم على الحساد كل نعمة   كم فاضل بكأس مكرهم سقى

(وفر) أى اهرب (من) قرب (الأصوات) التى تلهيك عن إحضار قلبك (عند التلاوة) للورد الأحمدى (و) فر أيضا (من كل مله) من ألهاه شغله (يامؤدب) من أدبه علمه (صبية) جمع صبى وبهذا أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من سأله عن قراءة الورد حال إقرائه الصبيان ألواحهم وأحزابهم وهل يفتح على من استفتحه منهم أم لا ؟ فقال لايفتح عليه وإن وقع ونزل فلا يبطل ورده إذ ليس كالصلاة فى كل شىء، قال تعالى - ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه - وفى [مب] ومن آداب الذكر الغير المشروطة فى لازم الطريقة خلو البطن متوسطا واعتزال اه. وفى [غ] عن صاحب تهذيب الأذكار ينبغى تطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة والجن وقطع العلائق المشوشة للفكر بكل ماأمكن قبل شروعه فى الذكر، وقوله وقطع العلائق المشوشة الخ يشير إلى معنى قولهم خاليا إذ الذى ينبغى أن يراد هنا من معانى الخلوة عندهم البعد عما يشوش البال ويشتت الفكر، والله أعلم اه.

وفى [البخارى] قال أبو الدرداء: من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ أى من الشواغل المشغلة عن الوقوف بين يدى ربه على أحسن حال، والورد فى ذلك كالصلاة قال تعالى - ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون - ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

يارب من شغلنى عن ذكرى   فاشغله عنى بصروف الدهر
وأله عنى كل من ألهانى   عن استيفا وردى مدى الزمان
سوى مريد العلم والأذكار   فسقه لى فى الليل والنهار
فإنه كرامة الرحمن   ومن وصايا المصطفى العدنانى
فالقه بالترحيب والتبشير   وبالتحبب وبالتيسير
وقل له فرحبا وسهلا   بمن به وصى نبى أرسلا
واقض مراده بلا توان   واستوصه خيرامدى الأزمان

وفى [غص] وسألته رضى الله عنه هل يصح للذاكر الإقبال على الحاضرين ومكالمتهم ويكون مع ذلك حاضرا فى عالم الباطن كحضوره فى خلوته ؟ فقال لايصح ذلك لمبتدئ ولا لمنته، ألا ترى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو سيد المرسلين كان إذا أتاه الوحى يغيب عن الحاضرين إلى أن ينقضى

الوحى ثم يسرى عنه هذا مع كونه فى خطاب ملكى فكيف يكون استغراقه فى خطاب الحق تعالى اه.

قال رحمه الله :

(تَأَدَّبْ وَلَا تَلْعَبْ بِخَتْمٍ وَلِحْيَةٍ ... وَلَا تَتَرَقَّبْ لِلْمَعَالِي الرَّفِيعَةِ

وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ حُبًّا لِوَجْهِهِ ... بِلَا خَوْفِ نِيرَانٍ وَلَا قَصْدِ جَنَّةِ)

(تأدب) أى تكلف الأدب والزمه حال تلاوة الورد الأحمدى وكذا غيره من الأوراد فإنه عنوان القبول وجماع الخير وملاكه، وروى عن أنس رضى الله عنه وعنا به آمين: الأدب فى العمل عنوان على قبوله ومن الأدب ترك البزاق والمخاط حال تلاوته اه. وفى [عف] قال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا، ثم قال: قال أبو نصر السراج: أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق، واستواء السر والعلانية، وحسن الأدب فى موقف الطلب ومقامات القرب، وأوقات الحضور. والأدب أدبان أدب قول وأدب فعل، فمن تقرب إلى الله بأدب فعله منحه محبة القلوب انظره، وقال بعض العارفين: مددت رجلى فى الحرم فقالت لى جارية لا تجالسه إلا بالأدب وإلا فيمحوك من ديوان المقربين. وقال بعضهم: ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد إلى الباب، ومن أساء أدبه على الباب طرد إلى سياسة الدواب، وقال بعضهم: من تأدب بأدب الصالحين صلح لبساط المحبة، ومن تأدب بأدب الصديقين صلح لبساط المشاهدة. وقال أبو يزيد: وصف لى عابد فقصدت زيارته فرأيته قد بصق إلى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لأنه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونا على الأسرار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه» اللهم أدبنا بآداب نبيك الكريم بجاهه العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم آمين (ولا تلعب) من لعب كسمع لغة وأعرض (بختم) كفلس لغة فى الخاتم، وقد مر ما فيه من اللغات حلى للأصبع وهو مندوب، وفى المختصر وخاتم فضة أى وإلا خاتم فضة فيجوز بل يندب إن لبسه للسنة لا للعجب واتحد وكان درهمين فأقل وإلا حرم وندب جعله فى اليسرى اه الدردير، وقال المحقق بنانى: قال ابن عرفة: وأما اليوم فلا يفعله غالبا إلا من لا خلاق له أو يقصد به غرض سوء، فأرى أن لا يباح لهؤلاء اتخاذه لأنه زينة لمعصية أو لمباهاة لا لقصد حسن اه. وفى [الرسالة] ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن لباس الحرير وتختم الذهب وعن التختم بالحديد. قال أبو الحسن فى القبس: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم شبه -يعنى من النحاس الأصفر- فقال له: إنى أجد منك ريح الأصنام. وجاء إليه آخر وعليه خاتم حديد فقال: مالى أرى عليك حلية أهل النار: وجاء إليه آخر وعليه خاتم ذهب فقال له اطرح عنك حلية أهل الجنة» انظره. وفى الزرقانى تتمة: يكره تختم بنحاس ورصاص وحديد على الأصح، وقيل يحرم إلا لتحفظ فيجوز لمنع النحاس الصفراء وكل من الرصاص والحديد الجن، ولا يتقيد بدرهمين كما يمنع من الجن أيضا حمل أترج أو حبه، وجاز تختم بجلد وخشب كعقيق، ويمنع من العين التجمل بخشب الخبط اه (ولحية) بكسر اللام جمعها لحى بكسرها وضمها شعر الخدين والذقن وفى [عف] «وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته

فى الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا صليت فصل صلاة مودع » فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شىء سواه، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نعبث بشىء من جوارحنا فى الصلاة كمسح الحصى عن الجبهة ومسك اللحية إلا لضرورة أدبا مع الله تعالى ، وهذا العهد لا يصح لأحد أن يعمل به إلا بعد السلوك على يد شيخ صادق يقطع به الحجب حتى يدخله حضرة الله تعالى ويعاشر أهلها وينظر ماهم عليه من الخشية والخرس والبهت حتى لا تكاد تتحرك لهم جارحة من الهيبة ، ولا يحك جسده إذا أكله، وأما من لم يسلك الطريق ولم يقطع الحجب ولم يخالط أهل الحضرة الإلهية فإنما هو فى حضرة الجن والشياطين، ومن شأنهم كثرة الحركة كما هو شأن اللهب الذى خلقوا منه ، فالعبد وإن كان من أصله قليل الحركة فيصير ذا حركة بسرقة الطبع من الشياطين، فاسلك يا أخى على يد شيخ إن طلبت العمل بهذا العهد واللحوق بأهل الأدب مع الله تعالى والله يتولى هداك، روى الترمذى وغيره مرفوعا « إذا قام أحدكم فى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه » انظره .

قلت : ومثل الصلاة فى طلب الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه قلبا وقالبا الأوراد والأذكار، فإن الذاكر إنما يناجى ربه سبحانه وتعالى ، قال تعالى - ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون - .

[فائدة] ينبغى للإنسان أن يختضب لحيته امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « اختضبوا لحاكم فإن الملائكة تستبشر بخضاب المؤمن » وقوله « اختضبوا بالحناء فإنه يزيد فى شبابكم وجمالكم ونكاحكم وأن يسرح لحيته » وفى [شب] وينبغى أن يبدأ فى تسريح لحيته بالجانب الأيمن ويقرأ الفاتحة ثم يقرأ - ألم نشرح - عند تسريح الأيسر و- قل هو الله أحد - عند تسريح الأسفل فإنه يرى الفتح العظيم والتيسير الجسيم اه وللنووى فى [شرح مسلم] مانصه : وقد ذكر العلماء فى اللحية اثنتى عشرة خصلة مكروهة بعضها أشد قبحا من بعض : إحداها خضابها بالسواد لا لغرض الجهاد ، الثانية خضابها بالصفرة تشبيها بالصالحين لا لاتباع السنة ، الثالثة تبييضها بالكبريت أو غيره استعجالا للشيخوخة لأجل الرياسة والتعظيم وإيهام أنه من المشايخ ، الرابعة نتفها أو حلقها أول طلوعها إيثارا للمرودة وحسن الصورة ، الخامسة نتف الشيب ، السادسة تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعا ليستحسنه النساء وغيرهن ، السابعة الزيادة فيها والنقص منها بالزيادة فى شعر العذار من الصدغين أو أخذ بعض العذار فى حلق الرأس ونتف جانبى العنفقة أى أو حلقهما وغير ذلك ، الثامنة تسريحها تصنعا لأجل الناس ، التاسعة تركها شعثة ملبدة إظهارا للزهادة وقلة المبالاة بنفسه ، العاشر النظر إلى بياضها وسوادها إعجابا وخيلاء وغرة بالشباب وفخرا بالمشيب وتطاولا على الشباب، الحادية عشر عقدها وضفرها. الثانية عشر حلقها إلا إذا نبتت للمرأة لحية فيستحب لها حلقها والله أعلم اه (ولا تترقب) من ترقب الشىء انتظره وتشوف إليه (للمعالى) أى للمراتب العلية (الرفيعة) السنية . وفى [مح] إن أهل الطريقة الأحمدية لا يشتغلون بالتشوف إلى مايشغل عن الله تعالى ولا يلتفتون إلى الكشوفات الكونية ولا إلى الكرامات العيانية فلأجل كونهم محبوبين لا يحصل لهم شىء منها إلا نادرا، بل المحبوبون منهم لا يحصل لهم شىء من ذلك البتة لئلا يركنوا إليه فيجد الشيطان سبيلا إلى إغوائهم وإضلالهم فيريهم من الأباطيل ما يكون استدراجا لهم كما يقع لكثير ممن ركن إلى ذلك فضل وأضل، وهلك وأهلك نعوذ بالله تعالى من الخسران حتى

إذا أراد الله تعالى أن يفتح عليهم بفضله يفتح على شخص من غير شعور منه فتحا يحصل به على سعادة الدارين جعلنا الله تعالى منهم بفضله آمين ، ثم قال : قال فى [الوصايا القدسية] وينبغى أن يكون يعنى المريد الذاكر صادقا يخلص بهمته نفسه من التعلقات بالكائنات والميل إلى المشتهيات والمستلذات التى هى المعبودات الباطلة ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية بلا طائل تحتها وبطلب الحق وحده ينزه طلبه من المزج بهوى النفس ، فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوىّ النفس وهواها ، ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره فى ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين ، بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . قال بعض الكبار : إذا دخل السالك فى بستان وقالت طيور وأشجار ذلك البستان بألسنتهم السلام عليك ياولى الله فإن لم يفطن أنه مكر به فقد مكر به وهو لم يشعر ، وجميع المرشدين نفروا[1] المريدين من الميل إلى الكرامات العيانية وقالوا إنها حيض الرجال ، أنظره . وفى الحكم : ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك ، ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها - إنما نحن فتنة فلا تكفر - اه . وللتسترى رحمه الله :

ولا تلتفت فى السير غيراً فكل ما   سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لاتقم فيه إنه   حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى   عليك فحل عنها فمن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب   فلا صورة تجلى ولا تحفة تجنى

وقال بعض العارفين : من عات همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ، ومن وقف بهمته على شىء دون الحق فاته الحق لأنه أعز من أن يرضى له بشريك ، ولابن الفارض رحمه الله :

قال لى حسن كل شىء تجلى   بى تملى فقلت قصدى وراكا
لى حبيب أراك فيه معنى   غر غيرى وفيه معنى أراكا
وحد القلب حبه فالتفاتى   لك شرك ولا أرى إلا شراكا

(وكن ذاكرا) لأذكارك وأورادك مخلصا (لله) فيها قال تعالى - فاعبد الله مخلصا له الدين - ألا لله الدين الخالص - وقال - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء - الآية (حبا لوجهه) أى محبة فى ذاته - الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك - ورحم الله من قال :

وما أنا بالباغى عن الحب رشوة   ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

(بلا خوف نيران) جمع نار أعاذنا الله والمسلمين منها بمحض فضله وكرمه آمين (ولا قصد نعيم (جنة) بوأنا الله والمسلمين أعلاها بمحض فضله وكرمه آمين . وفى الحكم : من عبده لشىء يرجوه منه أو ليدفع لطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه اه وكان أبو حازم المدنى رحمه الله يقول : إنى لأستحيى من ربى أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء إن لم يخف لم يعمل ولكن أعبده محبة له اه . وفى [هب] العاشر : أى من الأسباب الموجبة للإنقطاع عن الله تعالى أن تكون أعمال العبد وطاعته بقصد أن يرحمه الله بها وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحظوظه لابقصد

---

(١) من التنفير اه .

وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر الناس إلا من رحمه الله عز وجل جعلنا الله منهم بمنه وفضله . قال رضى الله عنه : ولو لم يخلق الله جنة ولانارا لتبين من يعبده ممن لايعبده ولكانت عبادة الذى يعبده خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المعرفة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، ولكن الناس لما سمعوا بذكرا الجنة والنار تفرقت أغراضهم نحوهما فضلوا عن السبيل ، ورحم الله ابن المقرى إذ يقول :

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة   إذا عددت تكفيك عن كل زلة

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانطلب على أعمالنا ثوابا من حيث عملنا وإنما نطلب ذلك من باب المنة ، وذلك لأن من طلب على أعماله الصالحة ثوابا من حيث عمله هو فلا يبعد أن يقام عليه الميزان فى مجازاته بأعماله السيئة فإن البحر واحد ، وفى الحديث ، يقول الله تعالى « أنا لاأقبل عملا أشرك فيه غيرى» ونفس العبد غير بلاشك ، فافهم فكل عارف يشهد أعماله كلها بالأصالة لله وبالفرعية له شركة مجاز لاحقيقة وإذا قال - إياك نعبد وإياك نستعين - مثلا لايقولها إلا على نية التلاوة للقرآن ، إذا علمت ذلك فاطلب ياأخى من الله كلما تطلبه من باب المنة والجود ولاحرج والله واسع عليم اه . وفى الحكم : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها اه . والإخلاص يختلف باختلاف الأشخاص فإخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلى والخفى ، وكل مافيه حظ للنفس فلا يعملون العمل إلا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب ، وإخلاص المحبين هو العمل لله إجلالا وتعظيما لأنه تعالى أهل لذلك لالقصد شىء مما ذكر ، كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها :

كلهم يعبدوك من خوف نار   ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا   بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لى بالجنان والنار حظ   أنا لا أبتغى بحبى بديلا

وأما إخلاص المقربين فهو شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم مع التبرى من الحول والقوة فلا يعملون إلا بالله ولا يرون لأنفسهم عملا اه من [شرح الشرنوبى على الحكم] وسيأتى لذلك مزيد بيان إن شاء الله . قال رحمه الله :

(وَبَعْدَ الفَرَاغِ اصْبِرْ عَنَ اكْلٍ وَمَشْرَبٍ   كَنِصْفِ سُوَيْعَةٍ بِدُونِ ضَرُورَةِ
وَلَازِمْ سُكُونًا وَالسُّكُوتَ لِوَارِدٍ   فَتَظْفَرَ بِالْمُنَى بِأَسْرَعِ لَحْظَةِ)

(وبعد الفراغ) من الورد الأحمدى (اصبر) أى احبس نفسك الأمارة بالسوء (عن) تناول (أكل) أى مأكل ومطعم (و) تناول (مشرب) كمقعد ماشرب وذلك (كنصف سويعة) تصغير ساعة للتقليل (بدون) وجود (ضرورة) من شدة جوع وعطش وإلا فلتسد جوعتك وعطشتك بعد الفراغ منه . وفى [مح] والخامس : أى من آداب الذكر عدم شرب الماء إثر الذكر ولا فى أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور وشرب الماء يطفىء تلك الحرارة وأقل ذلك أن يصبر نحو ساعة فلكية وكلما كثر كان أحسن حتى إن الصادق لايكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية اه (ولازم) بعد الفراغ من الورد الأحمدى (سكونا) للأعضاء كأنك جبل راسخ (والسكوت) عن الكلام ، واصغ بظاهرك وباطنك (لوارد) أى لما يرد على خاطرك

وقلبك من حضرة ربك الكريم بمحض فضله العميم (فتظفر بالمنى) أى بكل ماتمنيته (بأسرع لحظة) وفى [مح] الأول : أى من آداب الذكر بعد الفراغ منه أنه إذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه مترقبا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فى نحة ، ويعمر وجوده فى لحظة ما لا تعمره المجاهدة والرياضة فى ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو سخاء أو كشف أو محبة أو غير ذلك ، فإذا سكت وسكن وكتم نفسه مرارا دار الوارد فى جميع عوالمه فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب ، ثم قال : والثالث أن يجمع حواسه بحيث لاتتحرك منه شعرة كحال الهرة عند اصطيادها الفأر ، والرابع أن يزم نفسه حتى يدور الوارد فى جميع عوالمه لأنه أسرع لتنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشياطين لأنه إذا زم نفسه وعطل حواسه صار يشبه الميت ، والشيطان لايقصد الميت اه : وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا فرغ أحدنا من مجلس الذكر أن يبادر إلى دخول الخلوة حتى يسكن وارد الذكر ، فربما جاء أحد وكلمنا قبل انصراف الوارد فصحنا به باقعد أو اخرس كما وقع ذلك لسيدى تاج الدين الذاكر مع جاريته كما أوضحنا ذلك فى كتاب [المنن والأخلاق] والحمد لله رب العالمين اه . والله تعالى أعلم وأحكم . انتهى ٥

﴿ فهرست الجزء الثالث من الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تم الجزء الثالث من الدرة الخريدة لشرح الياقوتة الفريدة

ويليه بعون الله الجزء الرابع

(أوله : فصل فى أركان الورد الأحمدى والنور المحمدى أعاننا الله عليه)